كرسي القرآن الكريم وعلومه
Chair of Qur'anic Sciences

الإصدار الثالث والعشرون

الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة في القرآن الكريم

بين التأسيس والتأكيد

(دراسة نظرية تطبيقية)

تأليف
حمدان بن لافي بن جابر العنزي
جامعة الحدود الشمالية - قسم الدراسات الإسلامية
التفسير وعلوم القرآن

كرسي القرآن الكريم وعلومه
جامعة الملك سعود

مخفض السعر

ح كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود، ١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العنزي، حمدان لافي
الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة في القرآن الكريم بين التأسيس والتأكيد. /حمدان لافي العنزي.- الرياض، ١٤٣٦هـ
٦٠٦ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٨ - ١ - ٩٠٦٢٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - القرآن - المحكم والمتشابه أ. العنوان
ديوي ٢٢٦,٦٣ ١٤٣٦/١١٢٨

جميع حقوق الطبع محفوظة
لكرسي القرآن الكريم وعلومه
جامعة الملك سعود

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ

يهتم الكرسي بنشر البحوث المتميزة والجادة
في التفسير وعلومه تحقيقاً ودراسة

جامعة الملك سعود - كلية التربية
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٦٧٤٧٤٤ - ص.ب. ٢٤٢١٩٩ الرياض ١١٣٢٢
بريد إلكتروني: quranchair@ksu.edu.sa - الموقع: http://c.ksu.edu.sa/quranchair
تويتر: @quranchair

منافذ البيع
الرياض: ٤٤٥٦٢٢٩ / ٠١١ - مكة المكرمة: ٠١٢/٥٧٦١٣٧٧ - المدينة النبوية: ٠١٤/٨٤٦٧٩٩٩

أصل هذا الكتاب

رسالة علمية تقدَّم بها الباحث لنيل درجة الماجستير،

في تخصُّص التفسير والحديث، من قسم الثقافة الإسلامية، بكلية التربية، جامعة الملك سعود، ونوقشت يوم الأربعاء الموافق ١٤٣٠/٧/٢٢هـ، من قِبَل لجنة المناقشة والحكم على الرسالة المكونة من أصحاب الفضيلة:

- أ. د. شافع بن ذيبان الحريري مشرفًا
- د. صالح بن ناصر الناصر عضوًا
- أ. د. ناصر بن محمد المنيع عضوًا

واجيزت بتقدير ممتاز

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ كرسيّ القرآن الكريم وعلومه

مِمَّا يؤثَر عن الإمام الشافعي في الحث على العناية بدقائق العلوم قولُه وهو يوصي أحدَ تلاميذه: إذا طلبتَ العلم فدقِّق فيه، حتى لا يضيع دقيقُ العلم وهذا ينطبق على مسائل العلوم كلها؛ فإنَّ التدقيق فيها مهمةٌ تحتاج إلى صبرٍ وتمحيصٍ وتقليبِ نظرٍ. ومن ذلك التدقيقُ في البحث عن الفروق الدقيقة بين الأسماء المتشابهة في الآية القرآنية الواحدة، كما في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ٩١]، فإن القارئ المتدبِّر يتساءل: هل لفظة «شرعة» و«منهاجًا» وكذلك لفظة «العداوة» و«البغضاء» بمعنى واحد أم بينهما فرق؟

هذا البحث الذي بين يديك أخي الكريم بعنوان: **(الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة في القرآن الكريم بين التأسيس والتأكيد)** للباحث الكريم/ حمدان بن لافي العنزي؛ يبحث هذه المسألة الدقيقة من خلال القرآن الكريم ويستوعبها لك، ويدرسها دراسةً نظريةً تطبيقية. فالموضوع جديدٌ، وفيه إضافة للمكتبة القرآنية، وهو دراسةٌ لمدى التزام المفسرين بتطبيق القاعدة التفسيرية الترجيحية «التأسيس أولى من التأكيد»،

وهل هذه القاعدة مطردة أو تدخلها بعض الاستثناءات، وقد ظهر للباحث عناية العلماء بهذه القاعدة في إظهار الفروق اللغوية بين الألفاظ المتشابهة، فمن العلماء من يرجح بمضمون القاعدة وإن لم يصرح بلفظها، ومنهم من يَنُصُّ عليها مستشهدًا بها على صحة القول الذي اختاره ورجحه، وقد ظهر للباحث أن التكرار في القرآن قد يأتي لغير التوكيد، لذا فعلى متدبر القرآن أن يطلب ما وراء ذلك الأسلوب من دقيق المعاني. وقد بلغ عدد الآيات التي تناولتها هذه الدراسة أربعًا وستين آية، توصل الباحث من خلال دراسته لها إلى القول بالتأسيس فيها جميعًا، وقد لمس الباحث عناية الشهاب الخفاجي، والقونوي، والطاهر ابن عاشور، وابن عثيمين رحمهم الله في تفاسيرهم بالترجيح بقاعدة «التأسيس أولى من التأكيد» بين الأسماء المتشابهة والنص عليها كثيرًا في تفاسيرهم.

وقد رغب كرسي القرآن الكريم بكلية التربية بجامعة الملك سعود في طباعة هذه الرسالة العلمية؛ لإثراء المكتبة القرآنية بمثل هذه الدراسات الدقيقة التي تنفع طلاب العلم، ومتدبري القرآن، وتوقفهم على مدى عناية المفسرين بتحليل ألفاظ القرآن الكريم، والتدقيق في معانيه، والرغبة الجادة في الوصول إلى المعنى الصحيح لكل مفردة ولفظة قرآنية. ونسأل الله لهذا الكتاب القبولَ والتوفيق.

أ.د. عبدُالرَّحمٰن بن مُعاضة الشِّهري

المشرفُ على الكرسي

المُقدِّمَة

وتشتمل على ما يلي:

- مشكلة البحث.
- حدود البحث.
- أهمية البحث وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- أهداف البحث.
- أسئلة البحث.
- منهج البحث.
- خطة البحث.
- إجراءات البحث.

المُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم هداية للثقلين، وآية شاهدة على صدق الرسالة، ومجالًا للتعبد بتلاوته، والسعي لتدبره وفهم مراميه.

ولمَّا كان الأمر كذلك، وكان القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، وجرى مجاريهم في الخطاب ـ كان لا بد لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم تفسيرًا دقيقًا من الاعتماد على العربية، وفهم أساليبها، والنفاذ إلى خصائص التعبير فيها. وتحديدُ مدلولات الألفاظ هو الخطوة الأولى في فهم المعاني، وتفسير النصوص[(١)].

ومن الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتشابهة تتجلى خصوصية اللفظ القرآني ودقة اختياره.

قال ابن عطية[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كتاب الله لو نُزِعَت منه لفظةٌ، ثم أُدِيرَ

(١) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمد بن عبد الرحمٰن الشايع: ص١٣ [ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ].

(٢) هو: الشيخ الإمام المفسر، عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن =

لسانُ العرب في أن يوجدَ أحسنُ منها أو أدلُّ على المعنى لم يوجد»[١].

ولمَّا يسر الله ﷻ لي الالتحاق بقسم الثقافة الإسلامية، مسار التفسير والحديث لإكمال الدراسات العليا، وبعد إتمام الدراسة المنهجية، أخذت في البحث عن موضوع أستكمل به متطلبات الحصول على درجة الماجستير، فكان أن أشار عليَّ بعض أهل الفضل من أساتذتنا في القسم[٢] بأن هناك رسالة ماجستير بعنوان «الأفعال المتشابهة في الآية الواحدة بين التأسيس والتأكيد، دراسة نظرية تطبيقية». للباحث محمد بن صالح الراشد، استوفى فيها الكلام على الأفعال المتشابهة في الآية الواحدة، ولا يزال المجال مفتوحًا لإكمال هذا المشروع في دراسة الأسماء المتشابهة.

فاستعنت بالله تعالى وعزمت على إكمال هذا المشروع وجعلته بعنوان: «الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة بين التأسيس والتأكيد، دراسة نظرية تطبيقية».

والحمد لله الذي شرح صدري، ويسر أمري، وأعانني على إتمام هذا البحث.

= عطية المحاربي، فقيه، عالم بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب، حسن التقييد، له نظم ونثر، ولي قضاء المرية، من مؤلفاته: «المحرر الوجيز في التفسير» أحسن فيه وأبدع، و«برنامجًا» ضمَّنه مروياته وأسماء شيوخه، توفي سنة (٥٤١هـ).

ينظر: طبقات المفسرين، عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر: ص٦٠، ٦١ [ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ]، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس: ٢/٥٢٦، ٥٢٧ [دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ].

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: ١/٥٢ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م].

(٢) وهو: د. ناصر بن محمد المنيع. حفظه الله.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أنَّه تردُ أسماء متشابهة في آية واحدة ويتردد في ذهن القارئ هل هي بمعنى واحد؟ أو بينها فروق دقيقة؟ وعند الرجوع إلى كلام المفسرين نجد منهم من يعتني في بعض المواضع بإبراز الفروق بين تلكم الأسماء المتشابهة، أو يقول أحيانًا إنَّها من باب التأكيد، وأحيانًا أخرى لا تجد في تفسيره شيئًا من هذا، مما يستلزم أهمية جمع ما تناثر من كلام المفسرين واللغويين ثم الاجتهاد في الوصول إلى أقرب الأقوال في بحث مثل هذه الآيات.

حدود البحث:

الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة فقط دون غيرها؛ فأقتصر على الأسماء دون غيرها من الأفعال أو الجمل.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

دفعني لاختيار هذا الموضوع الأسباب التالية:

١ ـ أهمية قاعدة (التأسيس أوْلى من التأكيد) في إظهار الفروق اللغوية بين الألفاظ المتشابهة، فمن العلماء من يرجح بمضمون القاعدة وإن لم يصرح بلفظها، ومنهم من يَنُصُّ عليها مستشهدًا بها على صحة القول الذي اختاره ورجحه[(١)].

٢ ـ أنَّ خفاء وجه الحكمة في استخدام بعض الأساليب اللغوية يُعدُّ من أنواع المشكل في القرآن الكريم[(٢)]. ولعل من أشهر الأساليب

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين ـ دراسة نظرية تطبيقية ـ حسين بن علي بن حسين الحربي: ٢/ ٤٧٤ [ط١، دار القاسم، الرياض، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م].

(٢) مشكل القرآن الكريم، عبد الله بن حمد المنصور: ص٣٠٤ [ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٦هـ].

في هذا النوع التكرار، **ويمكن تصور ما يقال إنه من باب التكرار الوارد في القرآن الكريم على قسمين:**

الأول: تكرار الكلام الواحد في موضع واحد أو متقارب.

الثاني: تكرار الكلام الواحد في مواضع، مثل قصص الأنبياء.

والمهم هنا: هو أن الفائدة أو الحكمة من التكرار قد تخفى وتشكل على المفسر(١). وهذا البحث يدرس القسم الأول من التكرار: وهو تكرار الكلام الواحد في موضع واحد.

٣ ـ أن هذه الدراسة تعتبر امتدادًا للدراسة التي سبقت الإشارة إليها.

٤ ـ أن هذه الدراسة توصية من الباحث في الرسالة السابقة حيث جاء فيها: «ويوصي الباحث بأهمية بحث الأنواع الأخرى من الألفاظ المتشابهة في الآية الواحدة من أسماء وجمل اسمية أو فعلية بعد أن استقصينا في هذا البحث ما ورد من أفعال بأقسامه الثلاثة: الماضي والمضارع والأمر(٢)».

٥ ـ أن هذا الموضوع لم يجمع في مؤلف مستقلٍّ أو دراسة علمية مستقلة، فيما أعلم.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي في فهارس الرسائل العلمية، ولدى مركز الملك

---

(١) مشكل القرآن الكريم، عبد الله بن حمد المنصور: ص٣٠٨.

(٢) الأفعال المتشابهة في الآية الواحدة بين التأسيس والتأكيد دراسة نظرية تطبيقية، محمد بن صالح الراشد، إشراف: أ. د. زيد عمر عبد الله العيص: ص١٩ [رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٢٦هـ].

فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وموقع جامعة أم القرى والجامعة الإسلامية، وعبر شبكة المعلومات، والاطلاع على فهارس المكتبات التجارية المشهورة، لم أجد من أفرد هذا الموضوع في بحث مستقل.

وهناك دراستان سابقتان لهما تتعلق بهذا الموضوع أحبُّ الإشارة إليهما، وبيان الفرق بينهما وبين هذه الدراسة:

الدراسة الأولى: بعنوان «الأفعال المتشابهة في الآية الواحدة بين التأسيس والتأكيد، دراسة نظرية تطبيقية». للباحث: محمد بن صالح الراشد، وهي رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير، من قسم الثقافة الإسلامية في كلية التربية، بجامعة الملك سعود ١٤٢٦هـ.

والفرق بينها وبين هذه الدراسة فرق جوهري، وهو أن هذه الدراسة تعتمد على دراسة الأفعال المتشابهة في الآية الواحدة بين التأسيس والتأكيد.

بينما الدراسة التي أقوم بها هي: «دراسة الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة بين التأسيس والتأكيد» ومعلوم التغاير التام بين الدراستين؛ ذلك أن الأمثلة التي قمتُ بدراستها لم يُدرس منها أيُّ مثال في تلك الدراسة؛ لوضوح الفرق بين الأسماء والأفعال.

الدراسة الثانية: بعنوان «الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم» للدكتور محمد الشايع، وهي في الأصل رسالة ماجستير مقدمة لقسم القرآن الكريم في كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

والفرق بينها وبين الدراسة التي قمت بها، أن تلك الدراسة احتوت على قسمين:

القسم الأول: نظري؛ تعرض فيه الباحث للترادف في القرآن الكريم من حيث وقوعه في اللغة العربية وآراء العلماء في ذلك، وأسباب وقوع الترادف في القرآن الكريم، ثم دراسة بعض المؤلفات في الترادف من حيث بيان مناهجها وطرق التأليف فيها، ثم مذهب القائلين بالفروق من علماء العربية، ثم دراسة بعض المؤلفات في الفروق اللغوية من حيث مناهجها وطرق التأليف فيها، ثم ذكر آراء العلماء من المفسرين وغيرهم في وقوع الترادف في القرآن الكريم.

والقسم الثاني: تطبيقي؛ وهو دراسة أمثلة من القرآن الكريم ظاهرها الترادف.

وقد اقتصرت هذه الدراسة على أربعة عشر مثالًا هي:

١ ـ الحمد والشكر.

٢ ـ الرَّيب والشك.

٣ ـ الحلف والقسم.

٤ ـ الشِّرعة والمنهاج.

٥ ـ الخضوع والخشوع.

٦ ـ الشُّح والبخل.

٧ ـ الكمال والتمام.

٨ ـ السبيل والطريق.

٩ ـ الخوف والخشية.

١٠ ـ اليأس والقنوط.

١١ ـ التلاوة والقراءة.

١٢ ـ هرب، أبق، فر.

١٣ ـ القعود والجلوس.

١٤ ـ بلى ونعم.

والفرق بين تلك الدراسة والدراسة التي قمت بها هو:

• **في الجانب النظري**: يظهر التغاير التام بين موضوع القاعدة التي أقوم بدراستها ـ وهي قاعدة التأسيس أولى من التأكيد ـ وبين ما كتبه الباحث في القسم النظري؛ لأني سأتعرض للقاعدة من حيث بيان مفرداتها، وصيغها، وأدلتها، وأقوال العلماء في اعتمادها، وعن التأكيد في القرآن الكريم. وكل هذا لم يتعرض له الباحث في الدراسة السابقة.

• **وأما الجانب التطبيقي: فالفرق بين تلك الدراسة وبين الدراسة التي قمت بها من وجوه:**

الوجه الأول: أن تلك الدراسة لم تكن شاملة لجميع الأمثلة التي ظاهرها الترادف في القرآن الكريم. وهذه الدراسة ستكون شاملة لجميع الأمثلة التي ظاهرها الترادف في القرآن الكريم، وهو ما عقدتُ له المبحث الأول من الفصل الثاني بعنوان «الأسماء الموهمة بالترادف في الآية الواحدة»، وأيضًا دراستي لا تقتصر على دراسة الأسماء الموهمة بالترادف؛ لأن مصطلح التشابه قصدتُ به معنًى أوسع من ذلك، وهو التشابه من حيث الاشتراك في أصل المعنى الذي يشمل الأسماء الموهمة بالترادف، والأسماء المتقاربة في المعنى، والتشابه من حيث الاشتراك في البناء اللفظي؛ ويشمل: الأسماء المتوافقة في بنائها اللفظي، والأسماء المتقاربة في بنائها اللفظي.

الوجه الثاني: أن تلك الدراسة لم تقتصر على دراسة الأمثلة في آية واحدة فقط في القرآن الكريم بل بعض الأمثلة لم تجتمع في آية واحدة في القرآن الكريم، مثل: (الحمد والشكر، والحلف والقسم، والخضوع

والخشوع، والشح والبخل، والسبيل والطريق، والخوف والخشية، والتلاوة والقراءة، وهرب وأبق وفر، والقعود والجلوس(١)، بلى ونعم).

وهذه الدراسة ستقتصر على الأسماء المتشابهة في آية واحدة فقط.

الوجه الثالث: أن تلك الدراسة لم تقتصر على دراسة الأسماء فقط، بل درست بعض الأسماء، ودرست مثالًا واحدًا على الأفعال وهو (هرب، أبق، فر)، ومثالًا واحدًا على الحروف وهو (بلى ونعم).

أما وجه التوافق بين تلك الدراسة وبين الدراسة التي سأقوم بها،فهو أن الباحث درس اثنين من الأسماء المتشابهة في آية واحدة فقط، وهما (الشِّرعة والمنهاج، واليأس والقنوط). بينما سأقوم بدراسة كل اسمين متشابهين في آية واحدة في القرآن الكريم على طريق الاستيعاب لجميع الأمثلة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف التالية بمشيئة الله:

١ ـ اعتماد قاعدة التأسيس أولى من التأكيد من حيث بيان مفرداتها، وأدلتها، وأقوال العلماء فيها.

٢ ـ تبيين الأوجه العامة لمناهج المفسرين عند بحثهم مثل هذه الألفاظ.

٣ ـ الوصول إلى أقرب الأقوال في المسألة بعد بحث هذه الألفاظ في كتب التفسير، وكتب العقيدة، واللغة، والحديث، وأصول الفقه وغيرها.

---

(١) لفظ (الجلوس) لم يرد في القرآن الكريم لا اسمًا، ولا فعلًا. وإنما الذي ورد لفظ المجالس في قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١].

٤ ـ معرفة مَنْ مِنَ المفسرين أكثر دقَّة في هذا الباب من غيره.

٥ ـ معرفة نسبة الآيات التي ورد فيها التأسيس، إلى الآيات التي ورد فيها التأكيد؛ للوصول إلى نتيجة دقيقة.

أسئلة البحث:

١ ـ ما المراد بقاعدة التأسيس أولى من التأكيد؛ من حيث بيان مفرداتها، وأدلتها وأقوال العلماء في اعتماد القاعدة؟

٢ ـ ما الأوجه العامة لمناهج المفسرين عند بحثهم مثل هذه الألفاظ؟

٣ ـ ما أقرب الأقوال في المسألة؟

٤ ـ مَن مِنَ المفسرين أكثر دقة في هذا الباب من غيره؟

٥ ـ ما نسبة الآيات التي ورد فيها التأسيس، إلى الآيات التي ورد فيها التأكيد والعكس؟

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

خطة البحث:

وقد قسمت هذا البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس؛ على النحو التالي:

المقدمة: وتتضمن مشكلة البحث، وحدود البحث، وأهمية البحث وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، وأسئلة البحث، ومنهج البحث، وإجراءات البحث.

التمهيد: دراسة نظرية لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد على النحو التالي:

أولًا: المعنى العام للقاعدة وبيان مفرداتها.

ثانيًا: صيغ القاعدة.

ثالثًا: أدلة القاعدة وأقوال العلماء في اعتمادها.

رابعًا: مسالك معرفة الفروق بين الألفاظ المتشابهة.

خامسًا: التأكيد في القرآن الكريم أساليبه، وأغراضه، وفوائده.

الفصل الأول: الأسماء المتشابهة من حيث التماثل في بنائها اللفظي، وتحته مبحثان:

المبحث الأول: الأسماء المتوافقة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة، **وتحته مطلبان:**

المطلب الأول: تكرار الاسم بلفظه من غير عطف.

المطلب الثاني: تكرار الاسم بلفظه معطوفًا على الاسم الأول.

المبحث الثاني: الأسماء المتقاربة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة، **وتحته مطلبان:**

المطلب الأول: تكرار الاسم بلفظ مقارب من غير عطف.

المطلب الثاني: تكرار الاسم بلفظ مقارب معطوفًا على الاسم الأول.

الفصل الثاني: الأسماء المتشابهة من حيث الاشتراك في أصل المعنى، وتحته مبحثان:

المبحث الأول: الأسماء الموهمة بالترادف في الآية الواحدة، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها باللفظ المرادف من غير عطف.

المطلب الثاني: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بعطف أحد المترادفين على الآخر.

المبحث الثاني: الأسماء المتقاربة المعنى في الآية الواحدة، **وتحته مطلبان:**

المطلب الأول: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها لتقارب المعنى من غير عطف.

المطلب الثاني: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بعطف أحد الاسمين المتقاربين في المعنى على الآخر.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

الفهارس(١):

١ ـ فهرس المصادر والمراجع.

٢ ـ فهرس الموضوعات.

إجراءات البحث:

يمكن تلخيص إجراءات البحث بالآتي:

١ ـ قمت بجمع الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة في القرآن الكريم، **وكان الجمع فيها على طريقتين:**

الطريقة الأولى: قراءة القرآن الكريم كاملًا وتدوين الأسماء الواردة في آية واحدة ويظن أنها بمعنًى واحد في أوراق خارجية، ثم الرجوع إلى كتب التفسير للنظر فيما قاله المفسرون فيها، وهل تدخل تحت هذه الدراسة أولًا؟

---

(١) وقد اكتفيت بفهرسي المصادر والمراجع والموضوعات طلبًا للاختصار.

الطريقة الثانية: الاستعانة ببعض الكتب ذات الصلة بالموضوع وأشهر هذه الكتب التي ساعدت على جمع هذه الأسماء كتابان:

الكتاب الأول: أساليب التوكيد في القرآن الكريم لعبد الرحمٰن المطردي[1]؛ فقد عقد فصلًا للتوكيد اللفظي ذكر فيه الآيات التي قيل بوقع التأكيد بينهما، وذلك في كل أقسام الكلام: الاسم والفعل والحرف، ويكتفي عند ذكر كل آية بنص من أهل العلم على أن في الآية توكيدًا، دون ذكر قائله، ويحيل في الحاشية إلى المرجع.

الكتاب الثاني: الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق لمحمد نور الدين المنجد؛ فقد عمل في خاتمة الكتاب كشّافًا إحصائيًّا للألفاظ الموهمة بالترادف في القرآن الكريم، ورتّبها على حروف المعجم[2].

وجاء في مقدمة كتابه قوله: «ولخلوِ المكتبة اللغوية والقرآنية من كتاب يجمع الألفاظ المترادفة في القرآن الكريم خاصة، جعلنا نقوم بمحاولة إحصائية لتلك الألفاظ تكون أساسًا لدراسة المترادفات في القرآن، ولسنا نزعم هنا أننا استقصينا جميع الألفاظ المترادفة أو المتقاربة في القرآن الكريم، وإنما هي بداية ليس غير»[3].

٢ ـ قمت بترتيب الآيات حسب ورودها في المصحف، وذلك في كل مطلب وردت فيه أكثر من آية.

---

(١) أساليب التوكيد في القرآن الكريم، عبد الرحمٰن المطردي: ص٢٧٩ ـ ٣١٩ [ط١، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٨٦م].

(٢) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد: ص٢٢٩ ـ ٢٥١ [ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، در الفكر، سوريا، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م].

(٣) المصدر السابق: ص١١.

٣ ـ قمت بدراسة الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة التي وردت في موضع واحد من القرآن الكريم.

٤ ـ قمت بدراسة الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة التي تعددت مواضع ورودها في القرآن الكريم، وذلك بجعل أول موضع ورود لها في القرآن الكريم هو محل الدراسة، وأذكر قبل دراسة الاسمين المتشابهين في الآية محل الدراسة بقية المواضع التي وردت فيها؛ فمثلًا (العداوة والبغضاء): تكرر ذكرهما في ثلاثة مواضع من سورة المائدة، وموضع واحد في سورة الممتحنة. فعند دراسة مثل هذا المثال أثبت الموضع الأول من سورة المائدة، وأذكر المواضع الأخرى كما تقدم.

٥ ـ عزو الآيات وترقيمها، حيث التزمت ذكر اسم السورة مع رقم الآية ووضعها بين قوسين وذلك بعد نهاية الآية المنقولة، فمثلًا: الآية الخامسة من سورة البقرة يكون عزوها هكذا [البقرة: ٥]، وذلك للتقليل من الهوامش.

كما التزمت رسم المصحف العثماني معتمدًا في نسخ نص الآية مصحف المدينة، في جميع الآيات الواردة في أثناء البحث، إلا عند إيراد بعض القراءات الأخرى.

٦ ـ قمت بتخريج القراءات، وذكر من قرأ بها، وعزوها إلى المصادر المعتمدة في هذا الفن.

٧ ـ اعتمدتُّ طريقة التوثيق الكامل بالهامش عند النقل لأول مرة من المصدر؛ وذلك بذكر اسم الكتاب كاملًا، ثم اسم المؤلف، ثم اسم المحقق إن وجد، ثم الجزء والصفحة، ثم بيانات النشر بين معكوفتين؛ وذلك لسهولة وصول القارئ إلى المعلومة مباشرة بدلًا من البحث عنها في قائمة المصادر والمراجع في آخر الرسالة، ثم أقتصر على اسم الشهرة

للكتاب ورقم الجزء والصفحة إن تكرر النقل من نفس المصدر.

٨ ـ قمت بتخريج الأحاديث الواردة في البحث، **وقد سرت في ذلك على النحو التالي:**

أ ـ عند عزو حديثٍ أنقله من مصدره لأول مرة وكان هذا الكتاب مبوبًا فإني أذكر الكتاب والباب، ثم أتبعه برقم الحديث والجزء والصفحة، ثم بعد ذلك أقتصر على ذكر رقم الحديث والجزء والصفحة إن تكرر النقل منه، عدا الكتب الستة فإني التزمت بذكر الكتاب والباب في جميع البحث.

ب ـ عند العزو لمصادر التخريج فإني أقدِّم الصحيحين، وما عدا ذلك اعتمدتُ في ترتيب المصادر أسبقية وفاة مؤلفيها، وليس من منهجي دراسة الأسانيد ولا الحكم عليها إذ ليس هذا مقصود البحث، وأكتفي بنقل أقوال العلماء تصحيحًا أو تضعيفًا.

ج ـ أقدِّم في التخريج رقم الحديث ثم أُتبعه برقم الجزء والصفحة.

٩ ـ عند النقل من معاجم اللغة فإني أذكر مادة الكلمة، ثم أتبعها بذكر الباب والفصل، أو الكتاب والفصل، أو الكتاب والباب؛ حسب المنهج الذي سار عليه صاحب المعجم، ثم رقم الجزء والصفحة.

١٠ ـ عرَّفت بالأعلام الواردة أسماؤهم في أثناء البحث، ولم أستثن إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

١١ ـ رتبت أقوال العلماء حسَب وفياتهم.

١٢ ـ قمت بتخريج الأبيات الشعرية من دواوين قائليها إن وجدت، وإلا من كتب التفاسير والمعاجم، مع عزوها لقائليها.

١٣ ـ قمت بالتعريف بالقبائل المذكورة في البحث.

١٤ ـ عرَّفت بالأماكن والبلدان.

١٥ ـ قمت بشرح الكلمات الغريبة.

وبعد، فإني أحمد الله وأشكره على التيسير والتسهيل، وأسأله سبحانه أن يقبل العمل مني، ويغفر زللي فيه، ثم أشكر والديّ الكريمين على دعائهما، وتوجيههما، وأسأله جلَّ وعلا أن يلبسهما لباس الصحة والعافية، وأن يختم لنا ولهما بخير[(١)].

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الملك سعود، ولكلية التربية، وعلى وجه الخصوص قسم الثقافة الإسلامية؛ الذي أتاح لي هذه الفرصة.

كما أشكر الشكر الجزيل شيخي الكريم الأستاذ الدكتور شافع الحريري المشرف على الرسالة، حيث لم يأل جهدًا في قراءة هذا البحث وتصويبه، بل بذل الكثير من جهده ووقته وفكره، فكان مثالًا رائعًا ساميًا في خلقه ودينه، وأسأل الله جلَّت قدرته أن يُحسن إليه في الدنيا والآخرة، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن يبارك في علمه وعمره وذريته.

ثم أدعو لشيخي الكريم الدكتور ناصر بن محمد المنيع، الذي دلني على هذا الموضوع وأصرَّ عليَّ في الكتابة فيه، وأسأل الله أن يبارك له في علمه وعمله وأن يكثِّر من أمثاله.

كما لا يفوتني في هذا المقام شكر فضيلة المناقشَين اللذين تفضلا بقبول مناقشة الرسالة، وتجشمهما عناء قراءتها، وتقويم اعوجاجها، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وبارك فيهما ونفع بعلمهما.

---

(١) توفي الوالد ﷺ يوم الأربعاء ١٢/١١/١٤٣١هـ. بعد سنة وثلاثة أشهر من مناقشة الرسالة.
فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، ورزقني بره بعد مماته.

ثم إني أشكر فضيلة الشيخ الدكتور حسن بن محمد عبه جي الذي أشار علي بتقسيم فصول الرسالة ومباحثها على هذا النحو.

كما أشكر كلًّا من فضيلة الأستاذ الدكتور خالد الدريس، وفضيلة الدكتور عبد الله كحيلان، وفضيلة الدكتور عبد الرحمٰن بن معاضة الشهري على ما قدموه من جهد ومتابعة للموضوع في لجنة الخطط، وأسأله سبحانه أن يبارك لهم في أعمالهم وأعمارهم وذرياتهم.

والشكر موصول أيضًا لكل من أعانني بنصح أو رأي، أو أعارني كتابًا، أو دلني على مرجع، أو أمدني بفائدة في هذا البحث؛ فإن الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين.

وبعد: فهذا جهدي، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وله الفضل في ذلك كله، وما كان فيه غير ذلك فمن نفسي، وأسأله المغفرة منه، وحسبي أني بذلت جهدي ووسعي.

وختامًا: أسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لي، ولمن يطلع عليه، وأن يسددني في كل قول وعمل.

وآخر دعواي أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

التَّمْهِيدُ

دراسة نظرية لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد

أولًا: المعنى العام للقاعدة وبيان مفرداتها.

ثـــانيًا: صيغ القاعدة.

ثـــالثًا: أدلة القاعدة وأقوال العلماء في اعتمادها.

رابعًـا: مسالك معرفة الفروق بين الألفاظ المتشابهة.

خامسًا: التأكيد في القرآن الكريم؛ أساليبه، وأغراضه، وفوائده.

أولًا: المعنى العام للقاعدة وبيان مفرداتها

أ ـ المعنى العام للقاعدة:

لمَّا كان إعمال الكلام أولى وأفضل من إهماله كان حمل اللفظ ـ ولو مكررًا ـ على معنى جديد أولى من حمله على تأكيد وتكرار المعنى السابق؛ لأن حمله على التكرار فيه إهمال الكلام من وجه، وحمله على الإفادة لمعنى جديد خير من حمله على الإعادة، أو: إن الكلام إذا دار بين أن يفيد معنى جديدًا وبين أن يؤكد معنى سابقًا كان حمله على إفادة المعنى الجديد خيرًا وأولى من حمله على التكرار والتأكيد(١).

فإذا احتمل اللفظ ـ أو الجملة ـ من كتاب الله تعالى أن يكون مؤكدًا للفظ ـ أو جملة ـ سابق، أو يكون مفيدًا لمعنى جديد لم يسبق في الكلام، فحمله على الإفادة أولى من حمله الإعادة(٢).

ب ـ بيان مفردات القاعدة:

التأسيس لغة: من الأس، والأساس: هو أصل البناء، وأُسُّ البناء: مبتدؤه، والأَسِيسُ: أصلُّ كل شيء(٣).

---

(١) ينظر: موسوعة القواعد الفقهية، محمد صدقي بن أحمد البورنو أبو الحارث الغزِّي: ١/ ١٥١ [ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م]، والقاعدة الكلية إعمال الكلام أولى من إهماله وأثرها في الأصول، محمود مصطفى عبود هرموش: ص٢٨٨، ٢٨٩ [ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٧م].

(٢) قواعد الترجيح: ٢/ ٤٧٣.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، مادة: (أسس)، باب اللفيف من =

وفي الاصطلاح: عبارة عن إفادة معنى آخر لم يكن حاصلًا قبله[(١)].

التأكيد لغة: من وكد: كلمة تدلُّ على الشَّدِّ[(٢)] والإحكام، تقول: أوكد العقد؛ أي: شدَّه. والوِكاد: حبل تُشدُّ به البقرة عند الحلب[(٣)].

وتوكَّد وتأكَّد بمعنى واحد، وبالواو أفصح، فالتوكيد أفصح من التأكيد[(٤)].

وفي الاصطلاح: هو أن يردَ اللفظُ لتقرير المعنى الحاصل قبله وتقويته[(٥)].

= حرف السّين، تحقيق: محمد عوض مرعب: ١٣/ ٩٦ [ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠١م]، ولسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة: (أسس): ٦/ ٦ [ط١، دار صادر، بيروت، بدون].

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية: ص١٥٥ [ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ].

(٢) وقد استخدم الفراء ﷺ مصطلح «التشديد» بمعنى «التوكيد» كما سيأتي في النقل عنه في مبحث طرق العلماء في التعبير عن التوكيد.

(٣) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، مادة: (وكد)، كتاب الواو، باب الواو والكاف وما يماثلها، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ٦/ ١٣٨ [ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م].

(٤) ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مادة: (وكد)، باب الواو، تحقيق: محمود خاطر: ص٣٠٥ [مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م]، والقاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة: (وكد)، باب الدال فصل الواو، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي: ص٣٢٧ [ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م].

(٥) الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري: ص٢٧٦ [ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م].

وهو إما معنوي كقولك: جاء القوم كلُّهم أجمعون[١]. ومنه قول الله تعالى ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠].

أو لفظي: وهو تقرير المعنى الأول بلفظه أو مرادفه[٢].

فمثال ما جاء بلفظه[٣]: قول الله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦].

ومثال ما جاء بمرادفه: قول الله تعالى: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[٤] [الأنعام: ١٢٥]. وقد تخرج بعض صور التأكيد من هذه القاعدة؛ **أي:** «قاعدة التأسيس أولى من التأكيد؛ كالتأكيد المعنوي فهو محصور في سبعة ألفاظ وهي: النفس، والعين، وكلا، وكلتا، وكل، وجميع، وعامة، فمثل هذا التأكيد لا ينازع التأسيس هنا ولا يقع في مثله الخلاف بين التأسيس والتأكيد»[٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) قال محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله: «لما كانت ألفاظ التوكيد المعنوي محصورةً لم يَحْتَجِ النُّحاة إلى تعريفه». اهـ.
ينظر: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، المطبوع حاشية على كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، محمد محيي الدين عبد الحميد: ٣/ ٢٩٢ [المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م].

(٢) البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٢/ ٣٨٥ [ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ].

(٣) هذا مجرد تمثيل، والأمثلة تحتاج إلى دراسة على ضوء قاعدة: التأسيس أولى من التأكيد.

(٤) وستأتي دراسة هذا المثال في الفصل الثاني.

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢/ ٤٧٤. وسيأتي إيضاح بعض ما يتعلق بالتوكيد اللفظي، والتوكيد المعنوي من مسائل عند ذكرهما في أساليب التوكيد.

ثانيًا: صيغ القاعدة

وردت هذه القاعدة في كتب التفاسير بعدَّة صيغ كلُّها تدلُّ على فضل التأسيس على التأكيد، ومن هذه الصِّيغ[١] ما يلي:

١ ـ التأسيس أولى من التأكيد:

ومثالها: قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥].

قال الشوكاني[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر كلام أهل اللغة في معنى (الحارض): « وقال ابن الأنباري[٣]: هو الهالك، والأولى تفسير

---

(١) سأقتصر على مثال واحد لكل صيغة وسيأتي ذكر مزيد من الأمثلة عند ذكر أقوال العلماء في اعتماد القاعدة.

(٢) هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الخولاني، الصنعاني، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، من مؤلفاته: «البدر الطالع» و«فتح القدير»، توفي سنة ١٢٥٠هـ.
ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد الشوكاني: ١/ ٢٦١ [دار المعرفة، بيروت، بدون]، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، اعتنى به وجمعه وأخرجه: مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة: ٣/ ٥٤١ [ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م].

(٣) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة، أبو بكر الأنباري، الإمام، النحوي، اللغوي، ولد سنة (٢٧١هـ)، كان من بحور العلم في اللغة العربية والتفسير والحديث وغير ذلك، وكان ثقة صدوقًا أديبًا دينًا فاضلًا من أهل السُّنَّة، له من المصنفات: «غريب الحديث» و«الهاءات» و«الأضداد»، توفي سنة (٣٢٧هـ)، وقيل: سنة (٣٢٨هـ).
ينظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: ١١/ ١٩٦ [مكتبة المعارف، بيروت، بدون]، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين =

(الحَرَضِ) هنا بغير الموت والهلاك؛ حتى يكون لقوله: ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ معنى غيرُ معنى الحَرَض؛ فالتأسيس أولى من التأكيد»[(١)].

٢ ـ التأسيس خير من التأكيد:

ومثالها: قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

قال الطاهر بن عاشور[(٢)] رَحِمَهُ اللهُ: «وتقديم ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ على ﴿الرَّحِيمِ﴾ لأن الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها. ويُنسب إلى قطرب[(٣)]: أن ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾

= عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبي الفضل محمد بن إبراهيم: ١/ ٢١٢ [المكتبة العصرية، بيروت، بدون].

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمٰن عميرة: ٣/ ٦٧ [ط٢، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م].

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، من مؤلفاته: «مقاصد الشريعة الإسلامية»، و«التحرير والتنوير» في تفسير القرآن، توفي سنة ١٣٩٣هـ. معجم المؤلفين: ٣/ ٣٦٣.

(٣) عزاه لقطرب عدد من أهل العلم منهم: ابن الأنباري، والنحاس، والقرطبي، والزركشي.

ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن: ١/ ٥٨ [ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م]، ومعاني القرآن، أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني: ١/ ٥٤ [ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ]، والجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُّنَّة وآي الفرقان، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي: ١/ ١٦١ [ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م]، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٥٠٥.

وقطرب هو: محمد بن المستنير، أبو علي النحوي، المعروف بقطرب، لازم سيبويه وكان يُدْلجُ إليه فإذا خرج رآه على بابه، فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل؛ فلقِّب به. كان موثقًا فيما ينقله، وكان معتزليًا يقول بالقدر، وله من المصنفات: «مثلثات قطرب» و«معاني القرآن» و«إعراب القرآن»، توفي سنة (٢٠٦هـ).

ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن =

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ يدلَّان على معنى واحد من الصفة المشبهة؛ فهما متساويان، وجعل الجمع بينهما في الآية من قبيل التوكيد اللفظي، ومال إليه الزجاج[1]

= عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري: وفيات ٢٠٦: ص٣٠١ [ط ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م]، ولسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرفة النظامية، الهند: ٥/ ٣٧٤ [ط٣، دار الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م]، وبغية الوعاة: ١/ ٢٤٢.

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن محمد بن سهل الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق: ص٢٩ [دار الثقافة العربية، دمشق، ١٩٧٤م].

والزجاج هو: إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، كان فاضلًا دينًا حسن الاعتقاد، وقد كان أول أمره يخرط الزجاج، فأحبَّ علم النحو فذهب إلى المبرد وكان يعطي المبرد كل يوم درهمًا، ثم استغنى الزجاج وكثر ماله، ولم يقطع عن المبرد ذلك الدرهم حتى مات، وله المصنفات الحسنة منها: «معاني القرآن» و«الاشتقاق» و«خلق الإنسان»، وغيرها من المصنفات العديدة المفيدة، توفي سنة (٣١٠هـ)، وقيل: سنة (٣١١هـ).

ينظر: البداية النهاية: ١١/ ١٤٨، وبغية الوعاة: ١/ ٤١٢.

تنبيه: قول الزجاج السابق في كتابه تفسير أسماء الله الحسنى: ص٢٩، وليس في «معاني القرآن»، والذي دعا إلى هذا التنبيه: أن القرطبي ﷺ في الجامع لأحكام القرآن: ١/ ١٦١نقل قولًا عن أحمد بن يحيى (ثعلب) في معنى الرحمٰن الرحيم، وعزاه للزجاج في كتابه «معاني القرآن»، وقد نبه محقق الكتاب بقوله: «ولم نجد قول الزجاج هذا في كتاب معاني القرآن وهو عند النحاس» ثم ذكر القرطبي ﷺ قول قطرب المتقدم، وأتبعه بقوله: «قال أبو إسحاق: وهذا قول حسن، وفي التوكيد أعظم الفائدة، وهو كثير في كلام العرب يغني عن الاستشهاد» اهـ. قال محقق الكتاب عقب قول القرطبي هذا: «من قوله: وقال أحمد بن يحيى من معاني القرآن للنحاس: ١/ ٥٥، ٥٦، بتقديم وتأخير وليس للزجاج».

ومقصودي من هذا التنبيه: بيان ثبوت هذا القول عن الزجاج في كتابه تفسير أسما الله الحسنى، وإن أوهم سياق القرطبي ﷺ أنه في معاني القرآن. وهذا نص كلام الزجاج في كتابه: تفسير أسماء الله الحسنى: ٢٩، قال ﷺ: «فأما الفائدة في إعادة هاتين اللفظتين (يعني: الرحمٰن الرحيم) مع الاشتقاق، واللفظ واحد، فهي لما ذكرناه من تزايد معنى (فعلان) في (رحمان) وعمومه في الخلق كلهم، ألا ترى أن بناء (فعلان) إنما هو لمبالغة الوصف، يقال: فلان غضبان، وإناء ملآن، وإنما هو للممتلئ غضبًا وماء؛ فلهذا حسُن الجمع بينهما، وفيه وجه آخر: وهو أنه إنما حسُن ذلك لما في التأكيد من التكرير، وقد جاء مثله في القرآن قال الله عز اسمه: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] ولو قال: فغشيهم ما غشي لكان الكلام مستقيمًا».اهـ. =

وهو وجه ضعيف؛ إذ التوكيد خلاف الأصل والتأسيس خير من التأكيد والمقام هنا بعيد عن مقتضى التوكيد»[١].

٣ ـ التأسيس أوقع من التأكيد:

ومثالها: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٦].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و﴿مُحْضَرُونَ﴾ يجوز أن يكون من الإحضار؛ أي: جعل الشيء حاضرًا؛ أي: لا يغيبون عنه؛ أي: لا يخرجون منه، وهو يفيد التأبيد بطريق الكناية؛ لأنه لما ذكر بعد قوله: ﴿فِي ٱلْعَذَابِ﴾ ناسب أن لا يكون المقصود من وصفهم المحضرين أنهم كائنون في العذاب؛ لئلا يكون مجرد تأكيد بمدلول في الظرفية؛ فإن التأسيس أوقع من التأكيد»[٢].

٤ ـ التأسيس مقدَّم على التأكيد:

ومثالها: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

قال محمد رشيد رضا[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ....

= ولعل الطاهر بن عاشور رحمه الله كان دقيقًا في العبارة حين عبَّر بقوله: «ومال إليه الزجاج»؛ وهو كما ترى ميل من الزجاج إلى هذا القول. والله تعالى أعلم.

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ١/ ١٧٢ [دار سُحنون للنشر والتوزيع، تونس: بدون].

(٢) التحرير والتنوير: ٨/ ٦٤.

(٣) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. قام برحلات عديدة إلى كثير من الأقطار، من مصنفاته: =

«وفسر الجلال[1] (الطيِّب) بالحلال على أنه تأكيد، أو بالمستلذ[2]؛ والأول لا محل له، والتأسيس مقدَّم على التأكيد»[3].

٥ ـ لتأسيس أرجح من التأكيد:

ومثالها: قوله تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

قال الشنقيطي[4] رَحِمَهُ اللَّهُ: «.. اعلم أن الأظهر أن يكون ضمير

= «تفسير القرآن» المشهور بـ«تفسير المنار»، «والمسلمون والقبط» و«شبهات النصارى وحجج الإسلام»، توفي سنة (١٣٥٤هـ).
ينظر: الأعلام: ١٢٦/٦، ومشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ: ص٢٨٨ ـ ٢٩٩ [ط١، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م].

(١) أي: جلال الدين السيوطي.
والسيوطي هو: عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الجلال الأسيوطي الشافعي، الإمام الكبير صاحب التصانيف، نشأ يتيمًا، حفظ القرآن وسمع الحديث من جماعة، وسافر إلى الفيوم ودمياط والمحلة وغيرها، وأجاز له أكابر علماء عصره من سائر الأمصار، وبرز في جميع الفنون، وفاق الأقران واشتهر ذكره وبعد صيته، صنف التصانيف الكثيرة التي زادت على خمس مائة مؤلف منها: «الدر المنثور» و«الإتقان في علوم القرآن» و«المزهر في علوم اللغة وأنواعها»، توفي سنة (٩١١هـ).
ينظر: شذرات الذهب: ٥٣/٨، والبدر الطالع: ٣٢٨/١.

(٢) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، اعتنى به أبو صهيب الكرمي: ٢٥ [بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م].

(٣) تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، محمد رشيد رضا: ٨٧/٢ [ط٢، دار المنار، القاهرة، ١٣٣٦هـ ـ ١٩٤٧م].

(٤) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، درس الفقه المالكي في موريتانيا وكذا بقية الفنون، ثم خرج منها إلى بلاد الحرمين فاستقر في المدينة النبوية ودرس بالمسجد النبوي، وكان من كبار علماء عصره في الفقه والأصول والعربية، له كتاب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» و«دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب» و«آداب البحث والمناظرة»، توفي سنة (١٣٩٣هـ).
ينظر ترجمته في: مقدمة أضواء البيان: ١٩/١. د. خالد السبت.

الفاعل المحذوف في قوله: .. ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ راجعًا إلى قوله: ﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كلٌّ من المصلّين قد علم صلاة نفسه، وكل من المسبحين قد علم تسبيح نفسه، وعلى هذا القول: فقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ تأسيس لا تأكيد، أمّا على القول بأن الضمير راجع إلى ﴿ٱللَّهَ﴾؛ أي: قد علم الله صلاته يكون قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ كالتكرار مع ذلك، فيكون من قبيل التوكيد اللفظي، وقد علمت أن المقرّر في الأصول **أن الحمل على التأسيس أرجح من الحمل على التوكيد**»[1].

❁ ❁ ❁

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد: ٦/ ٢٧١، ٢٧٢ [ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م].

ثالثًا: أدلة القاعدة وأقوال العلماء في اعتمادها

أ ـ أدلة القاعدة:

استدل أهل العلم لهذه القاعدة بأدلة منها:

١ ـ عن البراء بن عازب[(١)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ**)، قال: فرددتُها على النبي ﷺ فلما بلغت (**اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ**) قلت: ورسولك، قال: (**لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**)[(٢)].

---

(١) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، يكنى: أبا عمارة، ويقال: أبو عمرو، له ولأبيه صحبة، نزل الكوفة وابتنى بها دارًا، ومات في إمارة مصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين، وقد روى عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث وعن أبيه وأبي بكر وعمر وغيرهما من أكابر الصحابة.
ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي: ١/٢٧٨ [ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ].

(٢) ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، كتاب الوضوء، باب: فضل من بات على الوضوء، ح برقم (٢٧٤) ٤٥ [ط٢، دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م]، والمسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، =

قال القرطبي[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن في قوله: (وبرسولك الذي أرسلت) تكرير الرسالة وهو معنى واحد؛ فيكون كالحشو الذي لا فائدة فيه، بخلاف قوله: (وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ)» فإنهما لا تكرار فيهما»[(٢)].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا شك أن اللفظ الذي قاله النبي ﷺ لا يقوم مقامه اللفظ الذي تصرف فيه الراوي؛ لأن (وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) واضح بليغ لا تكرير فيه؛ لأن النبي قد يكون مرسلًا وغير مرسل، والرسول مرسل قطعًا، فيكون «ورسولك الذي أرسلت» تكرار ـ يعني ـ لأن الذي أرسلت معناه يؤديه رسولك، أما (نَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) فيكون كل من الكلمتين عمدة وتأسيسًا لا لغوًا»[(٣)].

٢ ـ عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: «دُلَّني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار، قال: (لَئِنْ

= مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري، كتاب الذكر والدعاء، باب: ما يقوله عند النوم وأخذ المضجع، ح برقم (٢٧١٠) ١٤٥٣ [ط١، دار المغني، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م].

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح (بإسكان الراء، والحاء المهملة)، الشيخ الإمام، أبو عبد الله، الأنصاري، الأندلسي، القرطبي، المفسر، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين، من مصنفاته: كتاب «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُّنَّة وآي الفرقان» وهو من أجل التفاسير، وكتاب «شرح أسماء الله الحسنى»، وكتاب «التذكرة بأمور الآخرة»، توفي سنة (٦٧١هـ).
ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي: ص٣١٧، ٣١٨. [دار الكتب العلمية، بيروت، بدون].

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٣٥٣.
وينظر: المحرر الوجيز: ٢/ ٤٦٢. وعبارته: «وفي العبارة المردودة تكرار الرسالة وهو معنى واحد». اهـ.

(٣) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: د. خالد بن عثمان السبت: ١/ ١١٧و ٤/ ٢٠٦ [ط٢، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م].

كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ! أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ)، فقال: يا رسول الله، أو ليستا واحدًا؟ فقال: (لَا؛ عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي ثَمَنِهَا)(١).

---

(١) مسند الطيالسي، داود سليمان بن داود الطيالسي، تحقيق: د.محمد بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، ح برقم (٧٧٥) ٢/ ١٠٤ [ط١، دار هجر، مصر: ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م].

وينظر: المسند، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ح برقم (١٨٨٥٠) ١٣٦٠ [بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨مض والأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، بتخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني باب: فضل من يصل ذا الرحم الظالم، ح برقم (٦٩) ٣٧ [ط١: دار الصديق، الجبيل: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م]، وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، ح برقم (٣٧٤) ٢/ ٧٩ [ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م]، وسنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين: كتاب الزكاة، باب: الحث على إخراج الصدقة وبيان قسمتها، ح برقم (٣٧٤) ٢٠٥٥: ٣/ ٥٤ [ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م]، وبيان وجوه إعجاز القرآن، حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخَطَّابي، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام: ٣٠ [دار المعارف، مصر: بدون]، والمستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب المكاتب، ح برقم (٢٨٦١) ٢/ ٢٣٦ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م]، والسنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا: كتاب العتق، باب فضل إعتاق النسمة وفك الرقبة، ح برقم (٢١١٠٢) ١٠/ ٢٧٢ [مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م]، والجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ح برقم (٤٣٣٥) ٤/ ٦٥ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ]، وشرح السُّنَّة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، كتاب العدة، باب ثواب العتق، ح برقم (٢٤١٩) ٩/ ٣٥٤ [ط٢، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م].

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

ينظر: المستدرك: ٢/ ٢٣٦.

=

قال الخطابي[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتأمل كيف رتب الكلامين، واقتضى كل واحد منهما أخص البيانين فيما له من المعنى، وضمنه من المراد»[(٢)] فَنَصَّ الحديثُ على اختلاف عتق النسمة عن فك الرقبة، مع أن كثيرين يعتقدون بأن معناهما واحد، ومنهم هذا الأعرابي[(٣)].

٣ ـ أن حمل كل واحد من اللفظين على فائدة جديدة أولى من حمله على التكرار[(٤)].

= وقال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله ثقات».
ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي، وابن حجر: ٤/ ٢٤٠ [دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م].
وقال الحافظ ابن حجر: «وجاء في حديث صحيح أن فك الرقبة مختصٌّ بمن أعان في عتقها حتى تعتق؛ رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، من حديث البراء بن عازب).
ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة منقحة ومقابلة على طبعة بولاق، والطبعة الأنصارية، والطبعة السلفية؛ التي حقق عدة أجزاء منها: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ورقم كتبها وأبوابها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي: ٥/ ١٨٢ [ط٣، مكتبة دار السلام، ومكتبة الفيحاء، الرياض، دمشق، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م]. وصححه الألباني في تخريجه للأدب المفرد: ٣٧. وشعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان: ٢/ ٧٩ وسنن الدارقطني: ٣/ ٥٤.

(١) الإمام الحافظ الثبت حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخَطَّابي، محدث فقيه ولغوي بارع، صنف تصانيف حسنة منها «أعلام السنن شرح البخاري»، «وغريب الحديث»، «ومعالم السنن»، مات سنة (٣٨٨هـ) وتوفي ببُسْت.
ينظر: معجم الأدباء ٤/ ٢٤٦ ـ ٢٦٠، وسير أعلام النبلاء محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي: ١٧/ ٢٣ ـ ٢٧ [ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م].

(٢) بيان إعجاز القرآن: ص٣٠.

(٣) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: ص٨٧.

(٤) أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني: ١/ ١٩٦ [ط١، عُنيت بنشره لجنة إحياء المعارف بحيدر آباد الدكن، ودار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م].

وهذا لأنَّ «تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلِّم[(١)]؛ من تفخيم، أو تهويل، أو تنويه، أو نحو ذلك»[(٢)]، ولمَّا «أفرد الله تعالى كل واحد منهما بالذكر تعيَّن له معنًى غير معنى الآخر؛ لئلا يكون تكرارًا يخرج عن الفصاحة الواجبة للقرآن»[(٣)].

٤ ـ أن العلماء متفقون على أن التأكيد على خلاف الأصل؛ لأن الأصل في وضع الكلام إنما هو إفهام السامع ما ليس عنده، فإذا دار اللفظ بين التأسيس والتأكيد تعيَّن حمله على التأسيس[(٤)].

٥ ـ الأصل أن لا يختلف لفظان إلا لاختلاف معنًى، ولا يحكم باتحاد المعنى مع اختلاف اللفظ إلا بدليل[(٥)].

---

(١) أي: يقصده. مختار الصحاح، مادة: (نحا)، باب النون: ص٣٧١.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي: ٣/ ٤٥٠ [دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون].

(٣) أحكام القرآن، محمد بن عبد الله المعافري، المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي: ١/ ٦٨ [ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م].

(٤) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، تحقيق: د. محمد حسن هيتو: ١٦٧. [ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ]، والمحصول في علم الأصول، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني: ١/ ٣٥٧ [ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض، ١٤٠٠هـ]، والإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تحقيق: د. سيد الجميلي: ٣/ ٢٦ [ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ]، وشرح الكوكب المنير المسمى «بمختصر التحرير»، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي، المعروف بابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد، ١/ ٢٩٧، ٢٩٨ [مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م]، والتحرير والتنوير: ١/ ١٦٦ و١/ ١٧٢.

(٥) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، =

فمجيء اللفظين في آية واحدة على هذا النحو يدل على اختلاف في معناهما، فما كان القرآن ليخالف بينهما في الموضع الواحد إلا لناشئة حكمة، وتأسيس معنى، واختلاف بيان»(١).

قال ابن تيمية(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في معرض كلامه على السيئة والخطيئة في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]: «وعلى تفسير الأكثرين: **فالسيئة**: الشرك، وهذا أظهر الأقوال؛ لأنه سبحانه غاير بين لفظ المكسوب، والمحيط، فقال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ **فلو كان المراد بهذا هذا لم يغاير بين اللفظين، فعُلم أن المراد بالسيئة**: الشرك، والمشرك له خطايا أُخَر غير الشرك، فذكر أن خطاياه أحاطت به، فلم يتُب منها»(٣).

= إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد: ١/ ٣٠٦ [ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ].

(١) أسرار الترادف في القرآن الكريم، د. علي اليمني دردير: ٨١ [دار ابن حنظل، مصر: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م].

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحَرَّاني ثم الدمشقي، تقي الدين أبو العباس، ولد سنة (٦٦١هـ)، تفقه على مذهب الإمام أحمد وبرع في التفسير والحديث، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وأتقن العربية، ونظر في العقليات وأقوال المتكلمين ورد عليهم ونصر السُّنَّة، وأوذي في ذات الله واعتقل وسجن، له تصانيف كثيرة منها: «منهاج السُّنَّة النبوية» و«الاستقامة» و«درء تعارض العقل والنقل»، توفي سنة (٧٢٨هـ).
ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة، عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين: ٤/ ٤٩١ - ٥٢٩ [ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م].

(٣) تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة: ١/ ٣٨٨ [ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٢٧هـ - ١٩٩٧م].

ب ـ أقوال العلماء في اعتماد القاعدة:

هذه القاعدة من القواعد التي استعملها عامة المفسرين مختلفين في طرق اعتمادها؛ «فإن كان المفسر لكتاب الله تعالى يُنْشِئ تفسيرًا فهو يستعملها في بيان معاني كلام الله، فهي في هذه الحالة تفسيرية، وإن كان ناظرًا بين أقوال المفسرين المختلفة مرجحًا بينها فهي قاعدة ترجيحية، ومن العلماء من يرجح بمضمون القاعدة وإن لم يصرح بلفظها، ومنهم من يَنُصُّ عليها مستشهدًا بها على صحة القول الذي اختاره ورجحه»(١).

وهذه القاعدة إلى كونها قاعدة تفسيرية، إلا أنها أيضًا قاعدة في غير التفسير من العلوم الأخرى.

قال الشيخ محمد بن عثيمين(٢) رَحِمَهُ اللهُ: «وَثَمَّ قاعدة أحبُّ أنبه عليها **في التفسير وغير التفسير** وهي: أنه إذا دار الأمر بين أن تكون الكلمة مع الأخرى بمعنى واحد، أو لكل كلمة معنى، فإنا نجعل لكل واحدة معنى؛ لأننا إذا جعلنا الكلمتين بمعنى واحد صار في هذا تكرار لا داعي له، لكن إذا جعلنا كل واحدة لها معنى صار هذا تأسيسًا وتفريقًا بين الكلمتين»(٣).

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢/ ٤٧٤. بتصرف.

(٢) الشيخ العلامة محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمٰن بن عثمان، من آل مقبل من آل ريس الوهبي التميمي، ولد سنة (١٣٤٧هـ)، وتوفي سنة (١٤٢١هـ)، من أكابر علماء هذا العصر الذين نصروا ورفعوا عقيدة السلف الصالح، وبرز في علم الفقه وأصوله، وله مشاركة جيدة في علوم اللغة، له في التفسير وأصوله وقواعده كتابات رائعة، من مؤلفاته: «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى»، و«القول المفيد على كتاب التوحيد» و«الشرح الممتع على زاد المستقنع» وغيرها.
ينظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم، وليد بن أحمد الحسين الزبيري وآخرون: ٣/ ٢١١٨ [ط١، صادرة عن مجلة الحكمة، بريطانيا: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م].

(٣) تفسير القرآن الكريم: (جزء عم)، محمد بن صالح العثيمين: ص٣١٨، ٣١٩ =

فقد تقرَّر: «أن كلام العاقل مهما أمكن حمله على الإفادة، لا يحمل التكرار والإعادة»(١).

وأهل العلم وإن اعتمدوا هذه القاعدة «إلا أنك تجدهم في بعض المواضع يصيرون إلى القول بالتأكيد، إما لأنه لا وجه معتبر للقول بالتأسيس في هذا النص، وإما لأنه لم يقف على توجيه حسن للقول بالتأسيس، وإما لاعتبارات أخرى»(٢).

= [ط٣، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار الثريا للنشر، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م].

(١) المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق: محمد بن حسن إسماعيل الشافعي: ١٨/ ١٢ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م].

(٢) الأفعال المتشابهة: ص١٩.

وسأورد مثالًا واحدًا يوضح ما ذكرته: قال ابن العربي ﷺ: «اختلف الناس في (الشحّ) و(البخل) على قولين:

فمنهم من قال: إنهما بمعنى واحد، ومنهم من قال: لهما معنيان، فالبخل منع الواجب. . . . والشح منع الذي لم يجد، وهذا لا يلزم، فإن كل حرف يفسر على معنيين أو معنى يعبر عنه بحرفين يجوز أن يكونَ كلٌّ واحد يوضع موضع صاحبه جمعًا أو فرقًا، وذلك كثير في اللغة ولم يقم هاهنا دليل على الفرق بينهما». اهـ. أحكام القرآن: ٤/ ١٩٧، ١٩٨.

بينما نجد هناك نصيين صريحين من ابن العربي ﷺ في أن حمل كل واحد من اللفظين على فائدة جديدة أولى من حمله على التكرار:

النص الأول: قوله: «وتحقيق القول أن العادي باغ، فلما أفرد الله تعالى كل واحد منهما بالذكر تعين له معنى غير معنى الآخر؛ لئلا يكون تكرارًا يخرج عن الفصاحة الواجبة للقرآن». اهـ. أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٦٨.

النص الثاني: قوله «إذا أمكن حمل اللفظ على فائدة مجددة لم يحمل على التكرار في كلام الناس، فكيف كلام العليم الحكيم؟!». أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ١٨٧.

وقد عدَّ د. محمد الشايع - وفقه الله - ابن العربي ﷺ من القائلين بوقوع الترادف في القرآن الكريم من أجل أنه لم يفرق بين الشح والبخل؛ فقال بعد أن ذكر قول ابن العربي السابق في أن الشح والبخل بمعنى واحد: «من هذا نفهم أنه يميل إلى القول بالترادف، وبخاصة أنه لا يرى فرقًا بين الشح والبخل مع اشتهار أن بينهما فرقًا» اهـ. الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: ص١٦٦، ١٦٧. =

وبناء على ما تقدم فهذه أقوال طائفة من المفسرين، سواء الذين عملوا بمضمون هذه القاعدة دون التنصيص على لفظ القاعدة، أم الذين نصوا على القاعدة بلفظها.

فمن هؤلاء الأئمة:

١ - الإمام ابن جرير الطبري[١]: عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾.

اختلف أهل التأويل في ذلك؛ فقال بعضهم: معنى ذلك: وجعل الشمس والقمر يجريان في أفلاكهما بحساب...، وقال آخرون: معنى ذلك: وجعل الشمس والقمر ضياء.

وأولى القولين في تأويل ذلك عندي بالصواب: تأويل من تأوَّله: وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب وعدد؛ لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما، ويدوران لمصالح الخلق التي جُعلا لها؛ وإنما قلنا: ذلك أولى

= ولعل فيما ذهب إليه الدكتور وفقه الله من الحكم على ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الحكم من أجل مثال واحد نظرًا، مع ما تقدم من النقل عن ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد أبان ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حجته في أنه لم يقم ها هنا دليل على الفرق بينهما، «وإني وإن خالفت بعضًا فببعض اقتديت، وإن رجحت قولًا فبعلمهم اهتديت. والله تعالى أعلم».

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وله التصانيف العظيمة منها: «تفسير القرآن» وهو أجل التفاسير و«تهذيب الآثار» و«كتاب القراءات».
ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٢٦٧، وطبقات المفسرين للسيوطي: ص٨٢.

التأويلين بالآية؛ لأن الله ـ تعالى ذكره ـ ذكر قبله أياديه عند خلقه وعِظَم سلطانه، بفلقه الإصباح لهم، وإخراج النبات والغراس من الحب والنوى، وعقَّب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم في البر والبحر، فكان وصفه إجراءه الشمس والقمر لمنافعهم أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما؛ لأنه قد وصف ذلك قبل بقوله: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾. **فلا معنى لتكريره مرة أخرى في آية واحدة لغير معنى**»[(1)].

٢ ـ **أبو بكر الجصَّاص**[(2)]: عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱلۡـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٨٧].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا كان المراد بقوله: ﴿فَٱلۡـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ الجماع، فقوله: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ لا ينبغي أن يكون محمولًا على الجماع؛ لما فيه من تكرار المعنى في خطاب واحد، **ونحن متى أمكننا استعمال كل لفظ على فائدة مجددة**، فغير جائز الاقتصار بها على فائدة واحدة، وقد أفاد قوله: ﴿فَٱلۡـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ إباحة الجماع، فالواجب أن يكون قوله: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ على غير الجماع»[(3)].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري: ٧/ ٢٨٥، ٢٨٤ [دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ].

(٢) أحمد بن علي أبو بكر الرازي، الإمام الكبير الشأن، المعروف بالجَصَّاص، وهو لقب، ولد سنة (٣٠٥هـ)، سكن بغداد وعنه أخذ فقهاؤها، وإليه انتهت رياسة الأصحاب، كان إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته، وكان مشهورًا بالورع والزهد والصيانة، وله من المصنفات: «أحكام القرآن» و«شرح مختصر الطحاوي» و«شرح الأسماء الحسنى»، توفي سنة (٣٧٠هـ).

ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي: ١/ ٨٤، ٨٥ [دار مير محمد كتب خانه، كراتشي: بدون].

(٣) أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي: ١/ ٢٨٣ [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ].

٣ ـ **أبو الليث السمرقندي**(١): عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢٢].

قال رَحِمَهُ اللهُ: «﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾؛ يعني: أولو الفضل في دين الله؛ لأنه كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ﴿وَالسَّعَةِ﴾؛ يعني: السعة في المال، وهذا من مناقب أبي بكر(٢) حيث: سماه الله أولو الفضل في الإسلام، ويقال: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾؛ يعني: ولا يحلف أولو الفضل منكم؛ يعني: أولو الغنى والسعة في المال **والأول أشبه؛ لكي لا يكون حمل الكلام على التكرار**»(٣).

٤ ـ **مكي بن أبي طالب**(٤): عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ

---

(١) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الليث السمرقندي، الإمام الفقيه الزاهد، وتروج عليه الأحاديث الموضوعة، من كبار الحنفية، تفقه على أبي جعفر الهندواني، وله من المصنفات: تفسير القرآن المسمى بـ «بحر العلوم» و«عمدة العقائد» و«بستان العارفين» تصوف، توفي سنة (٣٧٣هـ) وقيل: سنة (٣٧٥هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٣٢٢، وتاج التراجم في طبقات الحنفية، زين الدين قاسم بن قطلوبغا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف: ص٣١٠ [ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م].

(٢) عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، القرشي، التيمي، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، خليفة رسول الله ﷺ، صحب النبي ﷺ قبل البعثة، وسبق إلى الإيمان به، واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الغار ولم يَشْركه في هذه المنقبة غيره، وفي المشاهد كلها إلى أن مات، وكانت الراية معه يوم تبوك، وحج بالناس في حياة رسول الله ﷺ سنة تسع، واستقر خليفة في الأرض بعده ولقبه المسلمون خليفة رسول الله، ومناقبه جمة ﷺ وأرضاه. توفي سنة (١٣هـ). ينظر: الإصابة: ٤/ ١٦٩.

(٣) بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي: ٢/ ٥٠٤ [دار الفكر، بيروت، بدون].

(٤) مكي بن أبي طالب بن حَمُّوش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ، من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، كان حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، =

ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ﴾ [النساء: ٢٤].

قال ﷺ: قال قتادة(١) في معنى الآية إن معنى: ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ ما ملكت أيمانكم، وهذا القول ضعيف لا يصح عن قتادة؛ لأن ملك اليمين قد تقدم ذكره قبل ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾، ولقوله: ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ والإحصان لا يقع بالمملوكة، فيصير المعنى على قول قتادة: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ **ما ملكت أيمانكم**، وهذا تكرير لا معنى له، وحمل اللفظين على فائدتين ومعنيين أولى من حملهما على التكرير بمعنى واحد»(٢).

٥ ـ **الزمخشري**(٣): عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

= كثير التواليف في علم القرآن، محسنًا لذلك، مجودًا للقراءات السبع، عالمًا بمعانيها، ولد بالقيروان سنة «٣٥٥هـ» وله تصانيف كثيرة نافعة، منها: «الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم» و«كتاب التبصرة في القراءات» و«كتاب الرعاية لتجويد القراءة»، توفي سنة (٤٣٧هـ).

ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس: ٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧ [دار الثقافة، لبنان: بدون].

(١) قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري الضرير، حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين، ولد سنة (٦٠هـ)، وتوفي سنة (١١٨هـ). سير أعلام النبلاء: ٥/٢٦٩.

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات: ص١٨٤ [ط٢، أشرف على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م].

(٣) محمود بن عمر بن محمد بن عمر، العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، من مؤلفاته: «الكشاف في التفسير» و«الفائق في غريب الحديث» و«أساس البلاغة»، توفي سنة (٥٣٨).

ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ص١٢٠، ١٢١.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قلت: فلم جاء المميز أوّلًا بالسنة وثانيًا بالعام؟ قلت: لأنّ تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه[1] المتكلم؛ من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك»[2].

٦ - **ابن العربي**[3]: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتحقيق القول في ذلك أن العادي باغ، فلما أفرد الله تعالى كل واحد منهما بالذكر؛ تعين له معنًى غير معنى الآخر؛ لئلا يكون تكرارًا يخرج عن الفصاحة الواجبة للقرآن»[4].

٧ - **ابن تيمية**: عند قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد جاء في الشعر أنه عطف لاختلاف اللفظ فقط كقوله:

.... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا[5]

---

(١) أي: يقصده. مختار الصحاح، مادة: (نحا)، باب النون: ص٣٧١.
(٢) الكشاف: ٣/ ٤٥٠.
(٣) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، المعروف بابن العربي المعافري، يكنى أبا بكر، الإمام العلامة، الحافظ، المتبحر، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها، والجمع له، وسمع ودرس الفقه والأصول، وجلس للوعظ والتفسير، ورُحل إليه للسماع، وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة حسنة مفيدة، منها: «أحكام القرآن» و«كتاب القبس على موطأ مالك بن أنس» و«عارضة الأحوذي على كتاب الترمذي»، توفي سنة (٥٤٣هـ). الديباج المذهب: ص٢٨٢، ٢٨١.
(٤) أحكام القرآن: ١/ ٨٥.
(٥) جزء من بيت لعدي بن زيد: ونصه:
وَقَدَّدَتِ الأَدِيمَ لِرَاهِشَيْهِ وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا =

ومن الناس من يدعي أن مثل هذا جاء في كتاب الله كما يذكرونه في قوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، وهذا غلط، مثل هذا لا يجيء في القرآن ولا في كلام فصيح، وغاية ما يذكر منها اختلاف معنى اللفظ، كما ادعى بعضهم أن هذا من قوله(١):

أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ ... وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ

فزعموا أنهما بمعنى واحد، واستشهدوا بذلك على ما ادعوه من أن الشرعة هي المنهاج»(٢).

= ينظر: ديوان عدي بن زيد العبادي، جمع وتحقيق: محمد جبار المعيبد: ص١٨٣ [بدون، شركة دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م].

وعدي هو: عدي بن زيد بن الحمار، العباديّ التميمي الشاعر: جاهلي نصراني من فحول الشعراء، مات قبل الإسلام أو في زمن الخلفاء الراشدين. ذكره محمد بن سلّام في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية.

ينظر: تاريخ الإسلام، وفيات (١١٠هـ): ص١٦٥، وطبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر: ١/ ١٣٧ [دار المدني، جدة: بدون].

(١) قائله الحطيئة. ينظر: ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي، وأبي عمرو الشيباني، شرح أبي سعيد السكري: ص٣٩ [دار صادر، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م].

والحطيئة هو: أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك بن جوية، من بني عبس، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، لقب بالحطيئة لقربه من الأرض؛ فإنه كان قصيرًا، وهو من فحول الشعراء وفصحائهم، كان مداحًا هجاءً، وله شعر جيد، توفي في حدود سنة (٣٠هـ).

ينظر: طبقات فحول الشعراء: ١/ ٩٧، وفوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الكُتبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود: ١/ ٢٧٧ - ٢٨٠ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م]، والبداية والنهاية: ٧/ ٢٢٠.

(٢) الإيمان، أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام المعروف بابن تيمية، علق عليها وصححها جماعة من العلماء بإشراف الناشر: ص١٥٧ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م].

٨ ـ أبو حيان[١]: عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ...﴾ [الأحقاف: ١٥].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ في الكلام حذف تكون ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةً له، تقديره: فعاش بعد ذلك، أو استمرت حياته؛ ... والظاهر ضعف قول من قال: بلوغ الأشد أربعون؛ لعطف ﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ والعطف يقتضي التغاير، إلا إن ادعى أن ذلك توكيد لبلوغ الأشد فيمكن؛ والتأسيس أولى من التأكيد»[٢].

٩ ـ ابن القيم[٣]: عند تفسير قوله تعالى ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النساء: ٨٥].

---

(١) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، الأندلسي، أثير الدين، أبو حيان، النَّـفْريّ، الإمام، العلامة، ذو الفنون، عالم الديار المصرية، وصاحب التصانيف البديعة، شغل الناس مدة طويلة، قرأ عليه أكابر أهل العلم، وطال عمره، وبعد صيته، من مصنفاته: «تفسير البحر المحيط» و«النهر الماد من البحر» و«تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب».

ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى: ٥/ ١٧٥ [دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م]، وذيل تذكرة الحفاظ المطبوع مع تذكرة الحفاظ، محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي: ص٢٣ [دار الكتب العلمية، بيروت، بدون].

(٢) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض: ٨/ ٦١ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م].

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تفقه على مذهب الإمام أحمد وبرع وأفتى، ولازم ابن تيمية وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وله في كل فن اليد الطولى، وكان ذا عبادة وتهجد، وقد امتحن وأوذي مرات، وصنف تصانيف كثيرة منها: «زاد المعاد في هدي خير العباد» و«جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» و«إعلام الموقعين عن رب العالمين»، توفي سنة (٧٥١هـ). الذيل على طبقات الحنابلة: ٥/ ١٧٠ ـ ١٧٩.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «وتأمل قوله تعالى في الشفاعة الحسنة: ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ وفي السيئة: ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ فإن لفظ (الكفل) يشعر بالحِمْل والثِّقل، ولفظ (النصيب) يشعر بالحظ الذي ينصَب طالبه في تحصيله، وإن كان كل منهما يستعمل في الأمرين عند الانفراد، **ولكن لما قرن بينهما** حسُن اختصاص حظِّ الخير بالنصيب وحظِّ الشر بالكفل»[(١)].

١٠ ـ السمين الحلبي[(٢)]: عند بيان معنى ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٥].

قال رَحِمَهُ اللهُ: «﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾، قيل: الذبائح، والطيِّب عند أهل السُّنَّة: المستلذ، وعند المعتزلة[(٣)]: الحلال؛ ويَرِدُ عليهم لزوم التكرار في

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر أيوب الزَّرْعِي: ص٣٧٨ [دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م].

(٢) أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي، شهاب الدين، المقرئ، النحوي، نزيل القاهرة، تعانى النحو فمهر فيه، ولازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، وأخذ القراءات عن التقي الصائغ، ومهر فيها، وسمع الحديث من يونس الدبوسي وغيره، وله من المصنفات: «الدر الصون» و«عمدة الحفاظ» و«شرح التسهيل»، توفي سنة (٧٥٦هـ). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد خان: ١/ ٤٠٣ [ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الهند، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م].

(٣) هم أتباع واصل بن عطاء الغزال الذي كان بينه وبين الحسن البصري خلاف في القدر، وفي المنزلة بين المنزلتين، وانضم إليه عمرو بن عبيد في بدعته، فطردهما الحسن عن مجلسه، فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فقيل لهما ولأتباعهما (معتزلة)؛ لاعتزالهم قول الأمة في دعواهما: أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، ولهم خمسة أصول هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وستروا تحت هذه الأصول معاني باطلة.

ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: ص٩٧ [ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م]، والملل والنحل، محمد بن =

قوله: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]»[١].

١١ ـ الحافظ ابن كثير[٢]: عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمرن: ١٥٩].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(**الفظُّ**): الغليظ؛ **والمراد به هاهنا**: غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾»[٣].

= عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني: ١/ ٣٥ ـ ٣٩ [دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ]، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي: ٢/١٠١٧ ـ ١٠٥٥ [ط٣، دار لينة للنشر والتوزيع، دمنهور، مصر: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م].

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، مادة: (طيب)، باب الطاء فصل الطاء والياء: ٢/ ٤٢٩ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م].

(٢) هو: أبو الفداء عماد الدين، إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي القرشي، ولد سنة (٧٠٠هـ)، الحافظ والمفسر والمؤرخ، الفقيه الشافعي، طلب العلم في صغره ورحل في طلبه، وتلقى العلوم عن كثير من علماء عصره، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير، وكان له صلة وثيقة بابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومناضلة عنه، واتباع له في كثير من آرائه، من مؤلفاته: «البداية والنهاية» و«تفسير القرآن العظيم» و«جامع المسانيد العشرة»، توفي سنة (٧٧٤هـ).

ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط: ٦/ ٢٣١ [ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ]، وطبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد الداوودي، ضبطه ووضع حواشيه: عبد السلام عبد المعين: ص٨٠، ٧٩ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م].

(٣) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي: ١/ ٥٤٧ [ط٥، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م].

وقد نصَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على لفظ القاعدة في موضع واحد من كتابه ـ فيما وقفت عليه ـ إلا أنه عدَّها احتمالًا في الترجيح، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٩] حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اختلف النحاة في قوله: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾. فقال ابن جرير: هو تأكيد، وحكاه عن بعض أهل العربية، وقال آخرون: من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبله؛ =

١٢ ـ **الزركشي**(١): قال رَحِمَهُ اللهُ ـ في سياق كلامه على التأكيد اللفظي، وَيُمَثِّلُهُ النحويون بقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢]: «جَعْلُهُم ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ تأكيدًا لفظيًا مردود؛ فإنه ليس بتأكيد قطعًا بل هو تأسيس، **والمراد**: صفًا بعد صف، ودكًا بعد دك»(٢).

١٣ ـ **ابن عادل الحنبلي**(٣): عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

قال رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ **يحتمل وجهين**:

أحدهما: أنها جملة كررت للتوكيد، **والثاني**: أنه ليس بتأكيد،

= أي: الإنزال لمبلسين، ويحتمل أن يكون ذلك من دلالة التأسيس...).اهـ. تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٧٤.

(١) محمد بن بهادر بن عبد الله، العالم العلامة المصنف المحرر، بدر الدين أبو عبد الله المصري الزركشي، كان فقيها أصوليًا أديبًا فاضلًا في جميع ذلك، ودرس وأفتى، من مؤلفاته: «النكت على البخاري» و«البحر المحيط في أصول الفقه» و«تخريج أحاديث الرافعي»، خطه ضعيف جدًا قل من يحسن استخراجه توفي سنة (٧٩٤هـ).
ينظر: طبقات الشافعية، أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبه، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان: ٣/١٦٧، ١٦٨ [ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ].

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: د. محمد محمد تامر: ١/ ٤٨٤ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م]، **وينظر**: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٤، ٤٧٥.

(٣) عمر بن علي الشهير بابن عادل الحنبلي الدمشقي، الإمام العالم الفاضل، سراج الدين، صنف التفسير المسمى: بـ«اللباب في علوم الكتاب» وهو من أحسن التفاسير في نحو عشر مجلدات، كان مشهورًا مشحونًا بأنواع قواعد العربية والعلوم السائرة في التفسير، ومن مؤلفاته: «حاشية على المحرر في الفقه»، توفي بعد سنة (٨٨٠هـ).
ينظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي: ص٤١٨، ٤١٩ [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م]، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة: ٢/ ١٧٦٢.

وإليه نحا الزمخشري[١]؛ فإنه قال: فإن قلتَ: ما معنى تكرار (رأيت) قلتُ: ليس بتكرار؛ إنما هو كلام مُستأنَف على تقدير سؤال وقع جوابًا له؛ كأنَّ يعقُوب عليه السلام قال لهُ عند قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾: كيف رأيتها؟ سائلًا عن حال رؤيتها، فقال: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾. وهذا أظهر؛ لأنه متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد والتأسيس، فحمله على التَّأسيس أولى»[٢].

١٤ ـ شيخ زاده[٣]: عند تعليقه على قول البيضاوي[٤] رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨]، «﴿طَيِّبٗا﴾ يستطيبه الشرع، أو الشهوة المستقيمة؛ إذ (الحلال) دلَّ على الأول»[٥].

---

(١) الكشاف: ٢/٤١٨.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض: ١١/١٢ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م].

(٣) محمد (محيي الدين) بن مصطفى (مصلح الدين) المشتهر بشيخ زاده، مفسر، من فقهاء الحنفية، كان مدرسًا في اسطنبول، من مؤلفاته: «حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي» و«شرح الوقاية في الفقه» و«شرح الفرائض السراجية»، توفي سنة (٩٥٠هـ) وقيل: سنة (٩٥١هـ).
ينظر: طبقات المفسرين للأدنه وي: ص٣٢٨، والأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: ٧/٩٩ [ط ١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م].

(٤) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، أبو الخير، القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي، المفسر، الأصولي، اللغوي، كان إمامًا مبرزًا نظارًا صالحًا متعبدًا زاهدًا، صنف «المصباح في أصول الدين» و«الغاية القصوى في الفقه» و«المنهاج في أصول الفقه»، توفي سنة (٦٨٥هـ).
ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السُّبكي تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو: ٨/١٥٧ [ط٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٣هـ].

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي: ١/١١٨ [ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م].

قال رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: يستطيبه الشرع، فيكون الطيب بمعنى الحلال، وحينئذ لا يكون لذكر الطيب بعده كثير فائدة، فينبغي أن يفسر بما يستلذه وتستطيبه الشهوة المستقيمة؛ لئلا يكون ذكره تكرارًا»[(١)].

١٥ ـ **شهاب الدين الخفاجي**[(٢)]: عند تعليقه على قول البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]. قال البيضاوي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ ما من شأنه أن يُنسى، وقوله: ﴿مَّنسِيًّا﴾؛ أي: منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم»[(٣)].

قال الشهاب الخفاجي رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ ما من شأنه أن ينسى؛ فقوله: ﴿مَّنسِيًّا﴾ تأسيس لا تأكيد حتى يرد عليه أنه مجاز حينئذ والتأكيد ينافيه... وقوله: ﴿مَّنسِيًّا﴾؛ أي: (منسيَّ الذكر)؛ فسَّره به ليكون **تأسيسًا أبلغ مما قبله**»[(٤)].

١٦ ـ **القونوي**[(٥)]: في معرض ردِّه على من فسَّر الصلاة من الله

(١) حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، محمد (محيي الدين) بن مصطفى (مصلح الدين) المشتهر بشيخ زاده: ١/ ٤٧٧ [مكتبة الحقيقة، اسطنبول، تركيا، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م].

(٢) أحمد بن محمد الخفاجي المصري، العالم الفاضل العلامة المحقق شهاب الدين، كان عالمًا في جميع العلوم، ومصنفاته كثيرة ومشهورة، منها «الحاشية على تفسير البيضاوي» في أربعة مجلدات جمع فيها لب الحواشي وأجاد وأفاد، ومنها «الشرح لشفاء القاضي عياض»، ومنها «شرح درة الغواص للحريري» وغيرها، وكانت وفاته في حدود سنة (١٠٧١هـ). طبقات المفسرين للأدنه وي: ص٤١٥، ٤١٦.

(٣) أنوار التنزيل: ٤/ ٨.

(٤) حاشية الشهاب المسماة «عناية القاضي وكفاية الراضي» على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي: ٦/ ٢٦٣ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م].

(٥) إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي الحنفي، أبو المفدى، عصام الدين، الشيخ العالم، الأصولي المفسر، كان رئيس المعلمين بدار السعادة باسطنبول، من مؤلفاته «حاشية على تفسير القاضي البيضاوي» و«الرسالة العلمية» و«الرسالة الضادية»، توفي بدمشق سنة (١١٩٥م). =

بمعنى الرحمة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فحينئذ يحتاج إلى النكتة في الجمع بينها وبين الرحمة، ولم يرض به المصنِّف(١) لكون التأسيس أولى من التأكيد»(٢).

١٧ ـ **الشيخ سليمان الجمل**(٣): عند تعليقه على قول جلال الدين المحلي(٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢]: «﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ أصحاب الغنى منكم ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾»(٥).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: أي: «أصحاب الغنى»، على هذا التفسير يتكرر

= ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفضل محمد خليل بن علي المرادي: ١/ ٢٨٥ [ط٣، دار ابن حزم، ودار البشائر، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م]. والأعلام: ١/ ٣٢٥.

(١) أي: البيضاوي، وقد فسر الصلاة من الله: بأنها «التزكية والمغفرة».
ينظر: أنوار التنزيل: ١/ ١١٥.

(٢) حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر: ٤/ ٣٧٨ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م].

(٣) سليمان بن عمر بن منصور، العجيلي، الشافعي، الأزهري، المعروف بالجمل، مفسر من فقهاء الشافعية، فاضل من أهل منية عجيل (إحدى قرى مصر الغربية)، درس الحديث والفقه، والتفسير بالمدرسة الأشرفية، من مؤلفاته: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية»، توفي سنة (١٢٠٤هـ).
ينظر: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: ٢/ ٨٨ [دار الجيل، بيروت، بدون].

(٤) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد، الشيخ جلال الدين، المحلي، الشافعي ولد بمصر في سنة (٧٩١هـ)، وبرع في الفنون فقهًا وكلامًا وأصولًا ونحوًا ومنطقًا وغيرها، ومصنفاته كثيرة، وأجلُّ كتبه التي لم تكمل تفسير القرآن، قال الإمام السيوطي: وقد كملته بتكملة على نمطه من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء، وهو المشهور بـ«تفسير الجلالين»، وكانت وفاته في سنة (٨٦٤هـ). طبقات المفسرين للأدنه وي: ص٣٣٦، ٣٣٧.

(٥) تفسير الجلالين: ص٣٥٢.

الفضل مع السعة؛ فالأولى تفسير الفضل بالدين كما صنع غيره»[(١)].

١٨ ـ **الآلوسي**[(٢)]: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ يحتمل أن يكون تكريرًا للجملة السابقة؛ لتقرير معناها في النفوس، وتمكينها في القلوب؛ كما هو شأن التكرير، ويحتمل أن يكون وعدًا مستأنفًا، وأنَّ التنوين على ما سبق، بيد أن المراد باليسر هنا ما تيسر لهم في أيام الخلفاء، أو يسر الآخرة، واحتمال الاستئناف هو الراجح؛ لما عُلم من فضل التأسيس على التأكيد، كيف وكلام الله تعالى محمول على أبلغ الاحتمالين وأوفاهما»[(٣)].

١٩ ـ **الشيخ محمد بن عثيمين**: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الهمزة) و(اللُّمزة) وصفان لموصوف واحد، فهل هما بمعنى واحد أو يختلفان في المعنى؟ قال بعض العلماء: إنهما لفظان

---

(١) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر بن منصور، العجيلي، الشافعي، الأزهري، المعروف بالجمل: ٥/ ٢٨٤ [دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م].

(٢) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين، النحوي، اللغوي، المفسر، نبغ في كثير من العلوم حتى صار علامة القطر العراقي، من مؤلفاته: «روح المعاني في التفسير» و«دقائق التفسير»، توفي سنة (١٢٧٠هـ).
ينظر: أعيان القرن الثالث عشر، خليل مردم بك: ص٤٧ ـ ٥٢ [ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م]، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة: ٣/ ٢٦١٧.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي: ٣٠/ ١٧٠ [دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون].

لمعنى واحد؛ يعني: أن الهمزة هو اللمزة. وقال بعضهم: بل لكل واحد منهما معنى غير المعنى الآخر.

وثم قاعدة أحبُّ أنبه عليها في التفسير وغير التفسير وهي: أنه إذا دار الأمر بين أن تكون الكلمة مع الأخرى بمعنى واحد، أو لكل كلمة معنى، فإنا نجعل لكل واحدة معنى؛ لأننا إذا جعلنا الكلمتين بمعنى واحد صار في هذا تكرار لا داعي له، لكن إذا جعلنا كل واحدة لها معنى صار هذا تأسيسًا وتفريقًا بين الكلمتين»[١].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن الكريم (جزء عم): ص٣١٨، ٣١٩.

رابعًا: مسالك معرفة الفروق بين الألفاظ المتشابهة

القول بالفروق اللغوية؛ يعني: الاشتراك في معنى عام بين اللفظين، ثم يمتاز أحدهما، أو كلاهما بفرق عن الآخر، ولعل بعض من ذهب إلى الترادف ذهب إلى وجود المعنى العام بين اللفظين فحكم به، وليس يعني بترادفهما الاتفاق التام في المعنى[١].

وهناك طرق معينة، ومسالك محددة، ومناهج واضحة، يتعرف بها ومن خلالها على الفروق اللغوية[٢]. وقد ذكر أبو هلال العسكري[٣] في كتابه «الفروق اللغوية»[٤] هذه المسالك التي بها يمكن معرفة الفروق بين معاني الألفاظ المتقاربة الدلالة، والتي يظهر للكثير أنها مترادفة.

وهذه المسالك والطرق هي ذاتها التي يسلكها علماء اللغة القائلون

---

(١) شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: ص١٥٤ [ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م].

(٢) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: ص١١٤.

(٣) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال، اللغوي، المفسر، وصف بالعلم والفقه معًا، وكان يتبزَّز احترازًا من الطمع والدناءة والتبذل، من مصنفاته: «التلخيص في اللغة» و«المحاسن في تفسير القرآن» و«معاني الأدب»، توفي بعد سنة (٣٩٥هـ).
ينظر: معجم الأدباء: ٢/ ٥٦٢، وطبقات المفسرين للسيوطي: ١/ ٣٣، وطبقات المفسرين للداوودي: ص٩٧، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ص٩٦.

(٤) الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، علّق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود: ص٣٧، ٣٩ [ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م].

بالفروق، وإن لم يتحدثوا عنها بمثل الوضوح الذي تحدث عنه أبو هلال العسكري[١] وأهمها:

١ ـ الفرق الذي يعرف من جهة ما تستعمل عليه الكلمتان:

كالفرق بين (العلم) و(المعرفة)؛ «وكلام أهل العلم المحققين يدل على أن بين (العلم) و(المعرفة) فروقًا، وإن اجتمعا في مطلق العلم، هذه الفروق تقتضي أن يكون لكلٍّ منهما موضعه في الاستعمال، بحيث لا يصح أن يستعمل أحدهما مكان الآخر، إلا على وجه من التجوز»[٢].

وذلك أن (العلم) يتعدى إلى مفعولين، و(المعرفة) تتعدى إلى مفعول واحد، فتصرفهما على هذا الوجه، واستعمال أهل اللغة إياهما

---

(١) وقد سبق أبا هلال العسكري ابنُ السرَّاج (ت ٣١٦هـ)؛ حيث ذكر في كتابه «الاشتقاق» جملة من المعايير، التي بها يمكن معرفة الفروق بين الألفاظ، تحت باب: اللفظين المتشابهين إذا أردت أن تعلم أمعناهما سواء أم هما مختلفان؟ وهذه المعايير هي: «افتراقهما في الضد، أو اختلافهما في الجنس، أو قبولهما معنى القلة أو الكثرة، أو أن تتطابق صفات المعنيين من غير تمايز، فإن لم يكن واحدًا منهما ملك الصفات بأعيانها فليس هو هو».
ينظر: كتاب الاشتقاق، محمد بن السري بن سهل المعروف بابن السراج، تحقيق: محمد صالح التكريتي: ص٥٢ ـ ٥٤ [ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٣م].
ومن الدراسات الحديثة، التي اعتمدت عددًا من المقاييس في الفروق اللغوية، كتاب «دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني» د. محمد ياس خضر الدوري، وهذه المقاييس هي: «الذات والصفة، أصل اللفظ وحقيقته، الاشتقاق، مقياس الضد والنقيض، العام والخاص، المطلق والمقيد، الاقتران اللفظي، المدلول الحسي والمدلول الذهني المجرّد، اقتضاء العطف المغايرة، القوة والضعف، مقياس الاستحسان والاستهجان بين الألفاظ».
ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد ياس خضر الدوري: ص٥٩ ـ ٨٣ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م].

(٢) العلم والفقه والمعرفة فقه دلالتها واستعمالها في القرآن الكريم، محمود موسى حمدان: ص١٤ [ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م]. وقد بسط المؤلف القول في ذكر الفروق بين العلم والمعرفة من ص١٤ ـ ٤١.

عليه يدل على الفرق بينهما في المعنى، وهو أن لفظ (المعرفة) يفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ (العلم) لا يفيد ذلك إلا بضرب من التخصيص[١].

٢ ـ الفرق الذي يعرف من جهة صفات المعنيين:

كالفرق بين الحلم والإمهال؛ وذلك أن (الحلم) لا يكون إلا حسنًا و(الإمهال) يكون حسنًا وقبيحًا[٢].

٣ ـ الفرق الذي يعرف من جهة اعتبار ما يؤول إليه المعنيان:

كالفرق بين (المزاح) و(الاستهزاء)؛ وذلك أن (المزاح) لا يقتضي تحقير المازح، ولا اعتقاد ذلك فيه، ألا ترى أن التابع يمازح المتبوع من الرؤساء والملوك، فلا يدل ذلك منه على تحقيرهم، ولا اعتقاد تحقيرهم، ولكن يدل على استئناسه بهم، و(الاستهزاء) يقتضي تحقير المُستهزأ به، فظهر الفرق بين المعنيين بتباين ما دلَّا عليه وأوجباه[٣].

٤ ـ الفرق الذي يعلم من جهة الحروف التي تُعدَّى بها الأفعال:

كالفرق بين (العفو) و(الغفران)، ذلك أن تقول: «عفوتُ عنه» فيقتضي ذلك أنك محوتَ الذم والعقاب عنه. وتقول: «غفرتُ له» فيقتضي ذلك أنك سترت له ذنبه ولم تفضحه[٤].

ومثال ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ «فجاءت العبارة في الحسنات بـ ﴿لَهَا﴾ من حيث هي مما يفرح المرء بكسبه ويسرُّ بها،

---

(١) الفروق اللغوية: ص٣٧، ٩٣، ٩٤.
(٢) المصدر السابق: ص٣٧، ٢٢٧، ٢٢٨.
(٣) المصدر السابق: ص٣٨، ٣٨٤.
(٤) المصدر السابق: ص٣٨، ٢٦٤.

فتضاف إلى مِلكه، وجاءت في السيئات بـ ﴿عَلَيْهَا﴾ من حيث هي أثقال وأوزار ومتحملات صعبة؛ وهذا كما تقول: لي مال وعلي دين»[(١)].

٥ ـ الفرق الذي يعرف من جهة اعتبار النقيض:

كالفرق بين (الحفظ) و(الرعاية)؛ وذلك أن نقيض (الحفظ): الإضاعة، ونقيض (الرعاية): الإهمال، ولهذا يقال للماشية إذا لم يكن لها راع: (هَمَل). والإهمال يؤدي إلى الإضاعة، فعلى هذا يكون (الحفظ) صرف المكاره عن الشيء لئلا يهلك، و(الرعاية) فعل السبب الذي يصرف به المكاره عنه. ولو لم يعتبر في الفرق بين هاتين الكلمتين وما بسبيلهما النقيض لصعُب معرفة الفرق بين ذلك[(٢)].

وقال ابن السَّرَّاج[(٣)] رحمه الله تحت باب: اللفظتين المتشابهين إذا أردت أن تعلم أمعناهما سواء أم هما مختلفان؟:

«فمن ذلك أن يمتحنه بالضدُّ، فينظر هل ضدُّ هذا هو ضد هذا؟ فإن كان كذلك وإلا فليس هو هو، كما لو قال قائل: إن الشجاعة هي الجَلَد، وإنما الشجاعة للنفس، والجَلَد للبدن، فضدُّ الشجاعة الجبن، وضدُّ الجَلَد: الخَوَر، فليست الشجاعة إذن هي الجَلَد»[(٤)].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٣٩٣، والجامع لأحكام القرآن: ٤/ ٥٠٠، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمٰن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: ١/ ٢٣٨ [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون].

(٢) ينظر: الفروق اللغوية: ص٣٨، ٢٣١، ودقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ص٦٧.

(٣) محمد بن السري بن سهل بن السراج البغدادي النحوي، كان أحد العلماء المذكورين، وأئمة النحو المشهورين، وإليه انتهت الرياسة في النحو بعد المبرد، وله من المصنفات: «كتاب الأصول» و«كتاب الاشتقاق» و«كتاب الشعر والشعراء»، توفي سنة (٣١٦هـ). معجم الأدباء: ٥/ ٣٤١ ـ ٣٤٣.

(٤) الاشتقاق: ص٥٢.

ومثال ذلك في القرآن الكريم: (الرُّشْد والرَّشَد): يستعمل (الرُّشْد) بمعنى الصلاح وضده الغي[(١)]، أمّا (الرَّشَد) ـ بالتحريك ـ فيأتي في الاستقامة في الدين وضده الضلال[(٢)].

«ومما يدل على أن (الرُّشْد) الصلاح قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]، وهو نقيض الغي؛ لقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. أمّا الرَّشَد ففي الدين؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤]؛ أي: تحروا بعد إسلامهم الاستقامة في الدين؛ لذا اقترن بالإسلام»[(٣)].

٦ ـ الفرق الذي يعرف من جهة الاشتقاق:

فكالفرق بين (التلاوة) و(القراءة)، وذلك أن (التلاوة) لا تكون في الكلمة الواحدة، و(القراءة) تكون فيها. تقول: قرأ فلان اسمه ولا تقول: تلا اسمه. وذلك أن أصل (التلاوة) من قولك: تلا الشيءُ الشيءَ يتلوه إذا تبعه. فإذا لم تكن الكلمة تتبع أختها لم تستعمل فيها (التلاوة)،

---

(١) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة: (رشد)، باب الشّين والدّال والرّاء، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي: ٦/ ٢٤٢ [ط٢، مؤسسة دار الهجرة، بدون]، وحجة القراءات، عبد الرحمٰن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني: ص٢٩٦ [ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م]، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٩١.

(٢) ينظر: كتاب العين، مادة: (رَشَد)، باب الشّين والدّال والرّاء: ٦/ ٢٤٢، والحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم: ١/ ١٦٤ [ط٤، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م].

(٣) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ص٣٠٥.

وتستعمل فيها (القراءة)؛ لأن (القراءة) اسم الجنس لهذا الفعل(١).

ومثال ذلك من القرآن الكريم: لفظي (الإنس) و(الناس) فالوقوف على لفظ (الإنس) و(الناس) وما بينهما من فرق يعيننا فيه الاشتقاق؛ إذ (الإنس) مأخوذ من الإيناس، قال ابن الأنباري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمّا الإنس فسُمُّوا: إنسًا لإيناسهم»(٢) وهو ضدُّ التوحُّش، في حين أن (الناس) مأخوذ من النَّوْس وهي الحركة، يقال: «ناس يَنوس إذا تدلَّى وتحرَّك»(٣).

«ويمكن أن نبنيَ حكمًا في التفريق بينهما في القرآن الكريم بالاعتماد على أصل اشتقاقهما في اللغة؛ فـ(الإنس) ترد في القرآن مقترنة بالجن، ولا يكاد موضع في القرآن يخلو من هذا الاقتران، أما (الناس) في القرآن الكريم فقد لا يختص بمعشر الإنس بل قد يقع على الاثنين ـ وإن كان غالبًا ما يأتي في الإنس ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥، ٦].

قال الفرَّاء(٤) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالناس ها هنا وقعت على الجِنَّة والناس، كقولك: يوسوس في صدور الناس جِنَّتهم وناسهم»(٥). كما أن لفظ

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية: ص٣٨، ٣٩، ٧٥. ودقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ص٦٥.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/ ٣٢٢. وينظر: الفروق اللغوية: ص٣٠٧.

(٣) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، مادة: (نوس)، باب النون مع الواو وما يماثلها، اعتنى به عادل مرشد ص: ٥١٦ [غير مذكور بيانات النشر]، والفروق اللغوية: ص.٣٠٦

(٤) يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي، أبو زكريا المعروف بالفراء، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، وكان يحب الكلام ويميل إلى الاعتزال، من مصنفاته: «معاني القرآن» و«اللغات» و«المصادر في القرآن»، توفي سنة (٢٠٧هـ). طبقات المفسرين للداودي: ص٥٤٦.

(٥) معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ود. علي النجدي ناصف: ٣/ ٣٠٢ [ط٣، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، مصر، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م].

(الناس) يستعمل في خطاب التكليف من المعاملات والعبادات؛ لما فيه من الحركة[١].

٧ ـ الفرق الذي توجبه صيغة اللفظ:

فكالفرق بين (الاستفهام) و(السؤال)، وذلك أن (الاستفهام) لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه؛ لأن المستفهم طالب لأن يفهم، وقد يجوز أن يسأل فيه السائل عما يعلم، وعما لا يعلم، فصيغة (الاستفهام) هي (استفعال)، والاستفعال للطلب ينبئ عن الفرق بينه وبين السؤال. وكذلك كل ما اختلفت فيه صيغته من الأسماء والأفعال، فمعناه مختلف مثل «الضَّعْف والضُّعف، والجَهد والجُهد» وغير ذلك مما يجري مجراه[٢].

٨ ـ الفرق الذي يعرف من جهة اعتبار أصل اللفظ في اللغة وحقيقته فيها:

فكالفرق بين (الحنين) و(الاشتياق)، وذلك أن أصل (الحنين) في اللغة هو صوت من أصوات الإبل، تُحدثه إذا اشتاقت إلى أوطانها، ثم كثر ذلك حتى أُجري اسم كل واحد منهما على الآخر، كما يجري على السبب وعلى المُسَبَّب اسم السبب[٣].

«ومما وقع فيه الترادف لغياب الأصل لفظ (الإملاق) ففسره بعضهم بالفقر، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم؛ كقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، وبالرجوع إلى أصل اللفظ نجد أنه يدل على

(١) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ص٦٦ و٩١، ٩٠.
(٢) الفروق اللغوية: ص٣٩ و٤٨.
(٣) المصدر السابق: ص٣٩.

الإسراف في الإنفاق، وسمي الفقر إنفاقًا، من حيث إن الإسراف في الإنفاق يؤدي إلى فناء المال وذهابه»[(١)].

قال ابن الأثير[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصل (الإملاق): الإنفاق. يقال: أمْلَقَ ما مَعَهُ إمْلاقًا ومَلَقَهُ مَلْقًا؛ إذا أخرجه من يده ولم يحبسه، والفقر تابع لذلك فاستعملوا لفظ السبب في موضع المسبَّب حتى صار به أشهر»[(٣)].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: مجاز القرآن، معمر بن المثنى التميمي، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين: ١/ ٢٠٨ [ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م]، وجامع البيان: ٨/ ٨٢، ودقائق الفروق اللغوية: ص٦٥.

(٢) هو: مجد الدين أبو السَّعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ثم الموصلي، الكاتب ابن الأثير، القاضي الرئيس العلامة البارع الأوحد البليغ، ولد سنة (٥٤٤هـ)، قرأ الحديث والعلم والأدب، ولي ديوان الإنشاء وعظم قدره، وأنشأ رباطًا في قرية وقف عليه أملاكه، من مصنفاته: «جامع الأصول» و«النهاية في غريب الحديث والأثر» و«شرحًا لمسند الشافعي»، توفي سنة (٦٠٦هـ). سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٨٨ - ٤٩١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، مادة: (مَلَقَ)، باب الميم مع اللام، إشراف: علي حسن عبد الحميد الحلبي: ص٨٨١ [ط١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢١هـ].

التوكيد في القرآن الكريم

أ ـ وقوعه:

القرآن كلام الله سبحانه المنزل على نبينا محمد ﷺ، وقد خصَّه الله ﷻ بخصائص عديدة، «ومن أبرز هذه الخصائص أنه عربي، وأنه معجز ببيانه وبلاغته وفصاحته، حيث عجز العرب وهم أرباب البلاغة والفصاحة عن أن يأتوا بسورة من مثله، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

ومن خصائصه أنه نزل بلغات العرب ولهجاتها حتى يفهموا كل ما جاء به ويعملوا بمقتضاه، وقد تلقاه المسلمون وعقلوا ما فيه وفهموه، وعملوا به وطبقوه، وأذعنوا لفصاحته وإعجازه»[١].

ومن أجل ورود التأكيد من جهة اللفظ والمعنى والتكرير في كتاب الله تعالى ظن بعض[٢] من ضاقت حَوْصَلَتُه، وضعفت بصيرته عن

---

(١) القاعدة الكلية إعمال الكلام أولى من إهماله: ص٣٠١.

(٢) ومن هؤلاء البعض: الزنادقة الملحدون في العصور المتقدمة، وبعض المستشرقين في القرون الحديثة الذين طفقوا يلمزون ويعيبون القرآن الكريم بذلك.
ينظر: المحصول في علم الأصول: ١/ ٣٥٦، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٨٤، وبلاغة الإطناب في سور المفصل، راشد بن حمد الكعبي، إشراف: عبد العزيز بن عبد الرحمٰن الشعلان: ص٣٩ [رسالة ماجستير غير منشورة، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٥هـ]، والتكرار في القرآن الكريم، أحمد جمال العمري: ص٩ [مجلة الجامعة الإسلامية، ع ٣، المدينة المنورة: ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م].

إدراك الحقائق، والتطلع إلى مآخذ الدقائق، أنه خال عن الفائدة، وأنه لا معنى تحته إلا مجرد التكرير لا غير، وهذا خطأ وزلل، فإن كتاب الله لم يبلغ حد الإعجاز في البلاغة والفصاحة سواه من بين سائر الكلمات، ولو كان فيه ما هو خال عن الفائدة بالتكرير لم يكن بالغًا هذه الدرجة ولا كان مختصًا بهذه المزية، فإن سائر الكلمات التي هي دونه في الرتبة قد يوجد فيها التكرير مع اشتمالها الفائدة، فكيف هو؟![(١)]

«وجمهور الأمة على وقوع التأكيد في الكتاب والسُّنَّة»[(٢)]. وأن القرآن نزل على لسان القوم؛ وفي لسانهم التأكيد والتكرار وخطابه أكثر، بل هو عندهم معدود في الفصاحة والبراعة، ومن أنكر وجوده في اللغة فهو مكابر؛ إذ لولا وجوده، لم يكن لتسميته تأكيدًا فائدة؛ فإن الاسم لا يوضع إلا لمسمى معلوم لفائدة فيه[(٣)].

كما أن الله سبحانه خاطب به العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة فكيف يليق بذاته سبحانه أن يخاطبهم بألفاظ لا تؤدي أغراضها، ولا تحقق مناطها من فهم كلامه والعمل بمقتضاه، ولو وجد فيه لفظ مهمل، لكانوا أسرع الناس إلى بيانه؛ لأنهم كانوا حريصين على توجيه المطاعن إليه، فلما لم يؤثر عنهم نعته بمثل هذه النعوت دل ذلك على أنهم فهموا كل ما جاءهم به بل أذعنوا لفصاحته وبلاغته»[(٤)].

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي: ٢/ ١٧٧ [دار الكتب العلمية، بيروت، بدون].

(٢) قال الشوكاني ﷺ في معرض كلامه عن وقوع التأكيد في السُّنَّة: «وقد ثبت عن الصادق المصدوق، وهو من أفصح من نطق بلغة العرب أنه كان إذا تكلم بالكلمة، أعادها ثلاث مرات».
ينظر: فتح القدير: ٥/ ٦٨٤. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه، ح برقم (٩٤) ص٢٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٨٤.

(٤) القاعدة الكلية إعمال الكلام أولى من إهماله: ص٣٠٣.

فثبت أن أسلوب التوكيد سُنَّة من سنن كلام العرب، وطريقة من طرقها في القول، وقد أشار إلى ذلك عدد من أهل العلم منهم: ابن قتيبة(١)، والثعلبي(٢)، والبغوي(٣)، وابن الجوزي(٤)،

---

(١) تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر: ص٢٣٥ [المكتبة العلمية، بيروت، بدون].
وابن قتيبة هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، النحوي اللغوي، الكاتب، نزيل بغداد، كان رأسًا في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، ثقة دينًا فاضلًا، من مؤلفاته: «إعراب القرآن» و«مختلف الحديث» و«تأويل مشكل القرآن»، توفي سنة (٢٧٠هـ) وقيل: سنة (٢٧٦هـ).
ينظر: تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: ١٠/ ١٧٠ [دار الكتب العلمية، بيروت، بدون]، وطبقات المفسرين للداودي: ص١٧٥.

(٢) الكشف والبيان، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي: ١٠/٣١٦ [ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م].
والثعلبي هو: الإمام الحافظ العلامة شيخ التفسير أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، كان أحد أوعية العلم، وكان صادقًا موثقًا، بصيرًا بالعربية، طويل الباع في الوعظ، من مؤلفاته: «كتاب التفسير الكبير»، و«العرائس في قصص الأنبياء»، توفي سنة (٤٢٧هـ).
ينظر: تاريخ الإسلام وفيات سنة (٤٢٧هـ)، وطبقات المفسرين للسيوطي: ص١٧، وطبقات المفسرين للداوودي: ص٥٠.

(٣) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمٰن العك: ٤/ ٥٣٥ [ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ].
والبغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، العلامة البغوي الفقيه الشافعي، يعرف: بابن الفراء، ويلقب «محيي السُّنَّة»، «وركن الدين أيضًا»، كان إمامًا في التفسير، إمامًا في الحديث، إمامًا في الفقه، وله من التصانيف: «معالم التنزيل»، و«شرح السُّنَّة»، و«الجمع بين الصحيحين»، وقد بورك له في تصانيفه ورزق فيها القبول، توفي سنة (٥١٦هـ).
ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ص٣٨، وطبقات المفسرين للداودي: ص١١٣.

(٤) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي: ٨/ ١١٠ [ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ].
وابن الجوزي هو: عبد الرحمٰن بن علي بن محمد، جمال الدين أبو الفرج، الحنبلي، =

والشوكاني[١]، والشنقيطي[٢] رحمهم الله.

فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد ﷺ لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائمًا، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة التي فَضَل بها سائرَ الكلام والبيان[٣].

ب ـ أساليب التوكيد في القرآن الكريم:

ويقصد بها هنا: «طرق التعبير المختلفة التي وردت في القرآن الكريم واستخدمها النحاة والبلاغيون»[٤].

ومن المعلوم أنه يؤتى بالألفاظ المؤكدة بحسب الحاجة إليها، فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر بحسب ما يقتضيه الكلام، وقد راعى القرآن الكريم ذلك أدق المراعاة في جميع ما ورد من مواطن التوكيد. فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قَرُب أو بعُد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به لانعدام موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين، وأكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به بمؤكد واحد لسبب دعا إلى

= المعروف بابن الجوزي، الحافظ المفسر الفقيه، الواعظ الأديب، ولد سنة (٥٠٨هـ)، له في العلوم كلها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والطب، وغير ذلك من اللغة والنحو، من مصنفاته: «زاد المسير في التفسير» و«فنون الأفنان» و«التحقيق في مسائل الخلاف»، توفي سنة (٥٧٩هـ).
ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: ٢/٤٥٨، والبداية والنهاية: ١٣/٢٨، وطبقات المفسرين للداوودي: ص١٩٢.

(١) فتح القدير: ٥/٦٨٤.
(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: ١/١٦٩ و٢٠٨.
(٣) جامع البيان: ١/٧.
(٤) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص١١.

استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له[١].

وسأعرض لهذه الأساليب على التقسيم التالي: التوكيد بالأداة، والتوكيد بغير الأداة.

أولًا: التوكيد بالأداة:

تبدو الأدوات في التوكيد ركنًا رفيع الشأن بما تمنحه للنصوص من تقوية وتمكين في طلائع الكلام أو في أعطافه وأعقابه[٢]. فتستخدم أدوات لإرادة التوكيد، بعضها يختص بالاسم، وبعضها يختص بالفعل، وبعضها أوسع استعمالًا من ذلك[٣]، ومن هذه الأدوات أدوات يلازمها معنى التوكيد في كل ما تستعمل له فتختص به، وبعضها أدوات لم توضع في الأصل لهذا المعنى، بل كانت دلالتها عليه فرعية تشركه في دلالات أخرى[٤].

وبناء على ما تقدم فسيكون تقسيم الأدوات على النحو التالي:

أ ـ توكيد الجملة الاسمية بالأدوات الخاصة بها: وهذه الأدوات هي:

١ ـ **إنَّ**: أداة لتوكيد النسبة في الجملة الاسمية، ولا تتصل إلا بالاسم المسند إليه «المبتدأ»[٥]. **وفائدتها**: التأكيد لمضمون الجملة[٦].

---

(١) التعبير القرآني، د. فاضل بن صالح السامرائي: ص١٢٥ [ط٥، دار عمار، عَمَّان: ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م].

(٢) الأدوات النحوية في كتب التفسير، د. محمود أحمد الصغير: ص٥٧٩ [ط١، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م].

(٣) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، محمد حسين أبو الفتوح: ص١٢٩ [ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م].

(٤) الأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٨٩.

(٥) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٣١.

(٦) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٤١.

قال أبو حيان رحمه الله - عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٦] -: «(إنَّ): حرف توكيد يتشبث[١] بالجملة المتضمنة الإسناد الخبري، فينصب المسند إليه، ويرتفع المسند»[٢].

٢ - **أنَّ**: ذكر العلماء أنَّ «(أنَّ) و(إنَّ) تؤكدان مضمون الجملة وتحققانه، إلا أنَّ المكسورة الجملة معها على استقلالها بفائدتها، والمفتوحة تقلبها إلى حكم المفرد»[٣].

وذكر الرازي[٤] رحمه الله: أنها تفيد معنى التوكيد، في نحو قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]: «فإنه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بألفاظ ثلاثة: أولها قوله: ﴿أَنِّىٓ﴾...»[٥].

٣ - **لكنَّ**: حرف للاستدراك ويأتي للتوكيد[٦]. قال القرطبي رحمه الله:

---

(١) **التشبث**: التعلق. القاموس المحيط، مادة: (شبث)، باب الثاء فصل الشين: ص١٧٠.

(٢) البحر المحيط: ١/ ١٧٠.

(٣) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: د. علي بو ملحم: ص٣٩٠ [ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م]، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: ١/ ٤٩ [المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م].

(٤) **هو**: أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين القرشي، الطبرستاني الأصل، ثم الرازي، المفسر المتكلم، إمام وقته في العلوم العقلية، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية، ولد سنة (٥٤٤هـ)، من مصنفاته: «مفاتيح الغيب» و«تأسيس التقديس» و«المحصول في أصول الفقه»، توفي سنة (٦٠٦هـ).
ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٨/ ٨١، وطبقات المفسرين للداوودي: ص٤٤٤.

(٥) التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي: ١٩/ ١٥٥ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م].

(٦) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٣٢٠، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٤٢، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢٢٥.

«(لكن) حرف تأكيد واستدراك، ولا بد فيه من نفي وإثبات، إن كان قبله نفي كان بعده إيجاب، وإن كان قبله إيجاب كان بعده نفي»(١).

ومثالها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

«فجاءت الجملة بعد الآية في (لو) مثبتة فالمعنى النفي، وهو نفي العلم عنهم، وهو نفس المعنى بعد (لكن) ألا وهو الجهل، فهي مؤكدة لهذا المعنى حيث ذكر قبلها المعنى الذي في الجملة بعدها فالجملة بعدها أكدته لفظًا»(٢)، ومثَّلوا لها في غير القرآن بقولهم: «لو جاءني لأكرمته لكنه لم يجئ؛ فأكَّدت ما أفادته (لو) من الامتناع(٣).

٤ ـ **كأنّ**: تفيد (كأنَّ) التشبيه والتوكيد(٤). أمَّا التشبيه فلا خلاف فيه بين النحويين(٥)، وأما التأكيد فمفهوم من قولهم: إنَّ (كأنَّ) مركبة من كاف التشبيه وإنَّ، فمثلًا: قولهم: كأن زيدًا عمرو، أصل هذا الكلام زيدٌ كعمرو، ثم أرادوا توكيد الخبر فزادوا فيه إنَّ فقالوا: إن زيدًا كعمرو، ثم إنهم بالغوا في توكيد التشبيه فقدَّموا حرفه إلى أول الكلام؛ عنايةً به وإعلامًا أن عقد الكلام عليه، فلما تقدَّمت الكاف وهي جارة لم يجز أن تباشر (إنَّ)؛ لأنها ينقطع عنها ما قبلها من العوامل، فوجب لذلك فتحها فقالوا: كأنَّ زيدًا عمرو(٦).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٣١٠.
(٢) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٤٤.
(٣) مغني اللبيب: ١/ ٣٢٠.
(٤) المصدر السابق: ٢١٦/١. وقد ذكر أن التشبيه هو الغالب عليها والمتفق عليه، وهذا المعنى أطلقه الجمهور لـ(كأنَّ).
(٥) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٤٤، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢٤١.
(٦) الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار: ٣١٧/١ [عالم الكتب، بيروت، بدون].

فتبين من هذا النص: أن (كأنَّ) هي (إنّ) زيدت عليها كاف التشبيه، ويزيد الزركشي معنى التأكيد في (كأنَّ) وضوحًا حين قال: (كأنَّ) للتشبيه المؤكد؛ ولهذا جاء ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢] دون غيرها من أدوات التشبيه، ولليقين كما في قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ﴾ [القصص: ٨٢](١).

ومن هنا يتضح أن (كأنّ) تستعمل عندما يكون الشبه بين المسند والمسند إليه قويًّا حتى يكون التمييز بينهما صعبًا، فالتشبيه بكأنَّ أقوى وأبلغ من الكاف؛ وهذا كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢]؛ «لأن عبارتها ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾: عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه في التغاير بين الأمرين فكاد يقول: هو هو، وهذه كانت حال بلقيس»(٢). ولذا جاء في تفسير «الكشاف»: «فقالت: كأنه هو هو، ولم تقل: هو هو ولا ليس به، وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع»(٣).

٥ ـ **أمّا**: من مؤكدات الجملة الاسمية (أمَّا) مفتوحة الهمزة مشددة الميم، نحو: «أمَّا زيد فَمُنطلق، وأغلب ورودها في القرآن الكريم على هذا النحو»(٤).

قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦] ـ:

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٣١١.
(٢) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٤٥.
(٣) الكشاف: ٣/ ٣٧٣، ٣٧٤.
(٤) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٦٩، والأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٩٣، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢٤٧، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٤٨.

«و(أمَّا) حرف فيه معنى الشرط[(١)] ولذلك يجاب بالفاء، وفائدته في الكلام: أن يعطيه فضل توكيد، تقول: زيد ذاهب، فإذا قصدتَّ توكيد ذاك وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة، قلتَ: أمَّا زيد فذاهب»[(٢)].

٦ ـ **ألَا الاستفتاحية**: «بفتح الهمزة واللام بدون تشديد»[(٣)]، وهي حرف استفتاح يتضمن معنى التوكيد.

قال أبو عبيدة[(٤)] رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [هود: ٥] ـ:

«والعرب تدخل (ألَا) توكيدًا وإيجابًا وتنبيهًا»[(٥)].

---

(١) قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: «فإذا جيء بأداة التفصيل المتضمنة معنى الشرط دلَّ ذلك على مزيد اهتمام المتكلم بذلك التفصيل، فأفاد تقوية الكلام التي سماها الزمخشري: توكيدًا». اهـ. التحرير والتنوير: ١/ ٣٦٤.

(٢) الكشاف: ١/ ١٤٥. قال ابن هشام رحمه الله: «وأما التوكيد فَقَلَّ من ذكره، ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشري». اهـ. مغني اللبيب: ١/ ٦٩.

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٨٠، والأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٩٢، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢٥٥، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٥٠.

(٤) معمر بن المثنى، من كبار أئمة اللغة، وهو مذكور فيمن كان يعتقد مذهب الخوارج من أهل الأهواء، وكان الغالب عليه الشعر والغريب وأخبار العرب، وكان مخلًا بالنحو كثير الخطأ في مقاييس الإعراب، ومتهمًا في رأيه، مقرًّا بنشر مثالب العرب، جامعًا لكل غث وسمين، فهو مذموم من هذه الجهة غير موثوق به. من مصنفاته: «غريب القرآن» و«مجاز القرآن» و«معاني القرآن»، توفي سنة (٢١٠هـ). وقيل سنة (٢١١هـ).

ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات: ٢/ ٥٣٧ [ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م]. وطبقات المفسرين للداوودي: ص٥١٨.

(٥) مجاز القرآن: ١/ ٢٨٥. وينظر: أيضًا: ١/ ٢٨٦ و٢٨٩.

٧ ـ **اللام**: اللامات في العربية ثلاث: لام خفض، ولام أمر، ولام توكيد، لا يخرج شيء عنها[١]. وعن هذه الأخيرة سيكون كلامنا. **وما يختص بتوكيد الاسم منها نوعان:**

النوع الأول: لام الابتداء، **والنوع الثاني**: لام البُعد.

• **النوع الأول: لام الابتداء**[٢]: وسميت لام الابتداء؛ لأنها تدخل على المبتدأ، ولها الصدارة، وهي تؤكد مضمون الجملة الداخلة عليها مثل (إنَّ)، إلا أن الفرق بينها وبين (إنَّ) أن (إنّ) عاملة وهي ليست عاملة، وإنما يشتركان في معنى واحد وهو التوكيد؛ وهو تحقيق معنى الجملة بعدها، وإزالة الشك عن مضمونها[٣].

ومثالها: قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٤، ٥].

قال أبو حيان رحمه الله: «﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ لام ابتداء أكدت مضمون الجملة، وكذا في ﴿وَلَسَوْفَ﴾ على إضمار مبتدأ؛ أي: ولأنت سوف يعطيك»[٤].

• **النوع الثاني: لام البُعد**[٥]: وهي اللام اللاحقة لأسماء الإشارة للدلالة على البعد أو على توكيده[٦].

---

(١) إعراب القرآن، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد: ٢/ ٧٤ [ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م].

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٢٥٤، والأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٨١، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢١٧، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٥٢.

(٣) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٥٢.

(٤) البحر المحيط: ٨/ ٤٨١.

(٥) الأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٨٤.

(٦) مغني اللبيب: ١/ ٢٦٤.

قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: «واللام تزاد مع ذلك للتوكيد، **أعني**: توكيد الاسم؛ لأنها إذا زيدت أسقطت معها «ها». تقول: ذلك الحق وذاك الحق، وها ذاك الحق، ويقبح هذلك الحق؛ لأن اللام قد أكدت معنى الإشارة»(١).

ب ـ توكيد الجملة الفعلية بالأدوات الخاصة بها: وهذه الأدوات هي:

١ ـ **لام الجحود**: تجيء اللام للتوكيد بعد (كان) منفيَّة، وتسمَّى: (لام الجحود)، و(لام الإنكار)، غير أنّ تسميتها بلام الجحود أكثر شيوعًا بين النحويين(٢).

ومثالها قوله تعالى: ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ [النساء: ١٣٧].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: والنفي في قوله: ﴿لَّمْ يَكُنِ﴾ أبلغ من: لا يغفر الله لهم؛ لأنّ أصل وضع هذه الصيغة للدلالة على أنّ اسم كانَ لم يُجعل ليَصْدر منه خبرُها، ولا شكّ أنّ الشيء الذي لم يُجعل لشيء يكون نابيًا عنه؛ لأنّه ضِدّ طبعه، ولقد أبدع النحاة في تسمية اللام التي بعدَ كان المنفية (لامَ الجحود)»(٣).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] ـ:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن محمد بن سهل الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي: ١/ ٦٨ [دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م].
(٢) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٧٥.
(٣) التحرير والتنوير: ٥/ ٢٣٢.

«وجيء بلام الجحود مع (كان) المنفية لإفادة تأكيد نفي كل شيء يحول دون قدرة الله وإرادته؛ فهذه الجملة كالاحتراس»[(١)].

٢ ـ **قد**: وتتمتع هذه الأداة بنصيب واضح في إفادة معنى التوكيد في بعض وجوهها. وقد عبَّر عنه العلماء بالتوكيد مرة وبالتحقيق أخرى، ورأوا أنها تفيد هذين المعنيين مع الفعل الماضي والمضارع بعدها[(٢)].

وتفسير التحقيق بالتأكيد جاء صريحًا في كلام الزركشي عند ذكره لمؤكدات الجملة الفعلية قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأمَّا مؤكدات الفعلية فأنواع: أحدها (قد) فإنها حرف تحقيق وهو معنى التأكيد، وإليه أشار الزمخشري[(٣)] في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]؛ معناه: حصل له الهدى لا محالة»[(٤)].

والباحث في آيات القرآن الكريم يجد (قد) لا تخرج عن كونها مقترنة بالفاء، أو بالواو، أو باللام، أو بالواو واللام معًا، أو مجردة. فأقسامها خمسة»[(٥)].

ومثال دخولها على الفعل الماضي: قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧].

قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإظهار اسم الرب في موضع الإضمار مع الإضافة إلى ضمير المخاطب؛ لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل، وجيء بـ(قد) للتحقيق والتأكيد أيضًا»[(٦)].

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٢/٣٣٩.

(٢) الأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٩٠.

(٣) الكشاف: ١/٤٢٢.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢/٤١٧.

(٥) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٤.

(٦) روح المعاني: ١٦/١٩٨.

أمّا إتيان (قد) للتحقيق مع المضارع فكثير جدًّا في القرآن العظيم[١].. ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(قد) للتحقيق كما قال قبلها: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣][٢]».

وقال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]: «(قَدْ) هنا وشبهه تأتي لتأكيد الشيء وإيجابه وتصديقه»[٣].

٣ ـ **نون التوكيد**: وهي خفيفة وثقيلة، وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]؛ ومعناهما: التوكيد، ويختصان بالفعل[٤]. والفعل الذي يؤكد بهذه النون هو ما يكون فيه معنى الطلب؛ ولذا لا يؤكد بها الفعل الماضي[٥]؛ لأنه حاصل، ولا معنى لطلب حصول حاصل، وكذلك كل فعل مضارع يدل على الحال.

وعلى هذا لا يؤكد بالنون إلا كل فعل فيه معنى الطلب، والمراد من الطلب حدوث الفعل في المستقبل، وهذه النون تخلِّص المضارع للاستقبال، ولذا تدخل على فعل الأمر[٦] إذ هو للطلب، وكذلك الفعل المضارع الذي سبقته (لا) الناهية؛ لأن فيه معنى الطلب، وهو النهي عن الفعل، ومثل النهي: الأمر والاستفهام لما فيهما من معنى الطلب[٧].

---

(١) ينظر: أضواء البيان: ٦/ ٢٨٤، والعذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: ١/ ١٧٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٠٧. (٣) البحر المحيط: ٤/ ١١٣.
(٤) مغني اللبيب: ٢/ ٣٩١.
(٥) قال ابن هشام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا يؤكد بهما الماضي مطلقًا. اهـ. مغني اللبيب: ٢/ ٣٩١.
(٦) «إلا أنه لم يؤكد بهما فعل الأمر في القرآن الكريم في جميع القراءات المتواترة وغيرها». أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٩.
(٧) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٦٦.

ولم يقع التوكيد بالنون الخفيفة في القرآن الكريم إلا في موضعين من كتاب الله[١]:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥].

٤ ـ السين وسوف: الفعل المضارع صالح للحال والمستقبل، وعندما تتصل به السين أو (سوف) تخلصه للاستقبال[٢].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] ـ:

«والسين في ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾. حرف تنفيس؛ أي: استقبال؛ أي: تدخل على المضارع فتمحضه للاستقبال، سواء كان استقبالًا قريبًا أو بعيدًا، وهي مرادفة (سوف)، وقيل: إن (سوف) أوسع زمانًا. وتفيدان في مقام الوعد تحقيق الوعد وكذلك التوعد»[٣].

وقال الراغب الأصفهاني[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(سوف) حرف يخصص أفعال المضارعة بالاستقبال ويجردها عن معنى الحال نحو: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨]، وقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥].

---

(١) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٦٦.
(٢) ينظر: مغني اللبيب: ١/١٥٨، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٧٠، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٤٩.
(٣) التحرير والتنوير: ٤/٢٥٥.
(٤) الحسين بن محمد بن المفضل، الأصفهاني، أو الأصبهاني (بالباء) المعروف بالراغب، أبو القاسم، أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل، متحقق بغير فن من العلوم، وله تصانيف كثيرة منها: «مفردات ألفاظ القرآن» و«الذريعة في مكارم الشريعة» و«رسالة في ذكر الواحد الأحد»، توفي في المائة الخامسة من الهجرة، وقيل: سنة (٥٠٢هـ). ينظر: الوافي بالوفيات: ١٣/٢٩.

تنبيه أن ما يطلبونه - وإن لم يكن في الوقت حاصلًا - فهو مما يكون بعد لا محالة، ويقتضي معنى المماطلة والتأخير»(١).

ج - التوكيد بالأدوات الأخرى:

والمراد بهذه الأدوات: الأدوات التي لم تختص بالدخول على الجملة الاسمية فقط، أو الدخول على الجملة الفعلية فقط، بل تكون أوسع استعمالًا فتدخل على الاسم والفعل معًا، أو أنها لم تستعمل لمعنى التوكيد فقط، وإنما استعملت في معان أخرى أصلية كحروف الصلة (الزيادة)، أو وقع فيها خلاف في دلالتها على التوكيد، أو غير ذلك. **ومن هذه الأدوات ما يلي:**

١ - **الفاء الجوابية**: قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ - عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠] -: «الفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡهُ﴾ ما وجهها؟ نقول: هي تفيد تأكيد الأمر بالتسبيح من الليل؛ وذلك لأنه يتضمن الشرط كأنه يقول: وأمَّا من الليل فسبِّحه»(٢).

٢ - **اللام الموطئة للقسم**(٣): وهي تؤكد الكلام؛ لأن معناها القسم.

قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ عند - قوله تعالى: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨] -: «وقوله: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ هذه اللام لام القسم تدخل توطئة للأمر ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾؛ والكلام بمعنى الشرط والجزاء، كأنه قيل:

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، مادة: (سوف)، كتاب السين: ٢٥٧ [ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م].

(٢) التفسير الكبير: ٢٨/ ١٦٠.

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ١٥٨، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٧٠، والأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٨٣.

من تبعك أعذبه، فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد. ولام ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ لام القسم، ولام ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ توطئة لها»(١).

٣ ـ **لام الجواب**: تأتي لتوكيد آخر الكلام؛ لأن معناها القسم أيضًا(٢).

قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولام جواب (لو) و(لولا) دخولها لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى»(٣).

وقال الأخفش(٤) رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عند قوله تعالى: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١] ـ: «فاللام التي مع (ما) في أول الكلام هي لام الابتداء، واللام التي في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ لام القسم؛ كأنه قال: والله لتؤمنن به؛ فَوَكَّدَ في أول الكلام وفي آخره»(٥).

٤ ـ **إنما**: حرف مركب من (إنَّ) و(ما)، فـ(إنَّ) حرف توكيد دخلت عليه (ما) الزائدة، فكفَّته عن العمل وأزالت اختصاصه بالدخول على الجملة الاسمية، ولكن معنى التوكيد ما زال به(٦).

قال أبو حيان رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٢٦٣.
(٢) الأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٨٤.
(٣) المفصل في صنعة الإعراب: ص٤٥١.
(٤) سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط، كان مولى بني مجاشع، سكن البصرة، وقرأ النحو على سيبويه، وكان أسن منه، ولم يأخذ عن الخليل، وكان معتزليًّا، دخل بغداد وأقام بها مدة، من مصنفاته: «معاني القرآن» و«المقاييس في النحو» و«الاشتقاق»، توفي سنة (٢١٥هـ). **ينظر**: بغية الوعاة: ١/ ٥٩٠، ٥٩١.
(٥) معاني القرآن، سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش الأوسط، تحقيق: إبراهيم شمس الدين: ص١٤٣ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م].
(٦) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٨٢.

عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ [التوبة: ٩٣] ـ: «وليست (إنما) للحصر؛ إنما هي للمبالغة في التوكيد»[١].

وقال الزجاج رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢] ـ: «هذه (إنْ) تدخل واللام على معنى التوكيد واليمين»[٢].

٥ ـ **إذن الجوابية**[٣]: قال الطاهر بن عاشور رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف: ١٤] ـ: «واللام في ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ﴾ موطئة للقسم أرادوا تأكيد الجواب باللام و(إن) ولام الابتداء و(إذن) الجوابية؛ تحقيقًا لحصول خسرانهم على تقدير حصول الشرط»[٤].

٦ ـ **كل**: وتتصل هذه الأداة بمعنى التوكيد في بعض جوانبها، فهي تفيده عندما تقع تابعة، بل هي إحدى الكلمات الأساسية في هذا الأسلوب[٥].

قال أبو حيان رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] ـ: «والتكرار الذي يذكره أهل أصول الفقه والفقهاء في (كُلَّمَا)، إنما ذلك فيها من العموم، لا إن لفظ (كلما) وضع للتكرار، كما يدل عليه كلامهم، وإنما جاءت (كل) توكيدًا للعموم المستفاد من (ما) الظرفية، فإذا قلت: كلما جئتني أكرمتك، **فالمعنى**: أكرمك في كل فرد من جيئاتك إليّ»[٦].

---

(١) البحر المحيط: ٥/ ٩٢.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٢٩٣.
(٣) الأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٨٨.
(٤) التحرير والتنوير: ١٢/ ٢٣٢.
(٥) الأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٨٨.
(٦) البحر المحيط: ١/ ٢٢٨.

٧ ـ **أل التعريف**[١]: قال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عند قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨] ـ: «تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدًا بالاستئناف، وحرف التحقيق، وتكرير الضمير، **وتعريف الخبر**، ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة، وصيغة التفضيل»[٢].

٨ ـ **كاف المخاطبة**[٣]: قال الواحدي[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عند قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢] ـ: «﴿أَرَءَيْتَكَ﴾؛ **أي**: أرأيت، والكاف توكيد للمخاطبة»[٥].

٩ ـ **التوكيد بضمير الفصل**[٦]: وفائدة ضمير الفصل الدلالة على اختصاص المسند إليه بالمسند دون غيره[٧]. ويسميه البصريون فصلًا، والكوفيون عمادًا[٨].

---

(١) الأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٩٠.

(٢) أنوار التنزيل: ٤/ ٣٢.

(٣) الأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٨٩.

(٤) علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسن الواحدي النيسابوري، كان واحد عصره في التفسير، لازم أبا إسحاق الثعلبي، وتصدر للإفادة وللتدريس مدة، وله شعر حسن، صنف التفاسير الثلاثة «البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز»، ومنه أخذ أبو حامد الغزالي أسماء كتبه الثلاثة، توفي سنة (٤٦٨هـ).
ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ص٦٦، وطبقات المفسرين للداوودي: ص٢٦٩.

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي: ٢/ ٦٤٠. [ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ].

(٦) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ١٤٦، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٤١.

(٧) فتح القدير: ١/ ١١٧.

(٨) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمٰن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢/ ٧٠٦ [دار الفكر، دمشق، بدون].

قال المُنتَجَب الهمذاني[١] رَحِمَهُ اللهُ - عند قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧] -: «وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ يجوز أن يكون ﴿هُمُ﴾ مبتدأ، وأن يكون توكيدًا لقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، وأن يكون فصلًا، ويسميه أهل الكوفة عِمادًا، فاعرفه وقس عليه نظائره»[٢].

١٠ - **التوكيد بالقسم**: وأدواته: الباء والتاء والواو. والمتتبع لآيات الله البينات يجد القسم الوارد في القرآن غالبًا ما يكون بالواو ولا يكون إلا من الله تعالى في الأعم الغالب، وأن القسم بالتاء لم يرد في القرآن الكريم إلا مع لفظ الجلالة، أمَّا القسم بالباء فيكون بلفظ الجلالة وبغيره»[٣]. والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه[٤].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥

---

(١) المنتجب بن أبي العز بن رشيد منتجب الدين، أبو يوسف الهمذاني، المقرئ النحوي، كان رأسًا في القراءات والعربية، صالحًا، متواضعًا، صوفيًا، من مصنفاته: «إعراب القرآن» و«شرح المفصل للزمخشري» و«شرح الشاطبية»، توفي سنة (٦٤٣هـ).
ينظر: معرفة القرآء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن عثمان بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عوَّاد معروف وآخرين: ٢/ ٦٣٧ [ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م]، وغاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد الجزري، عني بنشره: برجستراسر: ٢/ ٣١٠ [ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م].

(٢) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب بن أبي العز بن رشيد الهمذاني، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح: ١/ ٤١٥ [ط١، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م].

(٣) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٣.

(٤) ينظر: التفسير الكبير، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. عبد الرحمٰن عميرة: ٢/ ٧٤ [دار الكتب العلمية، بيروت، بدون]. والتبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية: ص٦ [دار الفكر، بيروت، بدون].

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور الآيات: ١ ـ ٧] ـ: «القسم للتأكيد وتحقيق الوعيد، ومناسبة الأمور المقسَم بها للمقسَم عليه أن هذه الأشياء المقسَم بها من شؤون بعثة موسى ﷺ إلى فرعون، وكان هلاك فرعون ومن معه من جراء تكذيبهم موسى ﷺ»[(١)].

١١ ـ التوكيد بحروف الصلة (الزوائد):

لقد حقق القرآن الكريم من الفصاحة والبلاغة غايتها، وهذا من أعظم الوجوه في كونه معجزًا. وإذا كان كذلك فإنه ينزَّه عن الحشو والتطويل من غير ما طائل؛ لأن هذا الأمر مناقض للبلاغة بل هو عِيٌّ وضعف في الكلام[(٢)].

ومن أجل ذلك فإن وصف هذه الحروف بالزيادة أنكره أكثر العلماء.

قال الزركشي رحمه الله: «والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله ويسمونه التأكيد، ومنهم من يسميه بالصلة، ومنهم من يسميه المقحم»[(٣)].

وهذا الاستنكار مبعثه أمور أهمها:

ـ الغيرة على القرآن الكريم؛ لأن نسبة الزيادة إلى كلام الله تنافي الآية الكريمة: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

ـ أنَّ هذا يفتح المجال لأعداء الإسلام، والذين يكيدون له

(١) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٣٦.
(٢) قواعد التفسير جمعًا ودراسة، خالد بن عثمان السبت: ١/ ٣٥٠ [ط١، دار ابن عفان، القاهرة، دار ابن القيم، الرياض، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م].
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٧٠. وقال في موضع آخر: «اعلم أن الزيادة واللغو من عبارة البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين». البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٧٢.

فيفترون على القرآن افتراءات تخدُم مزاعمهم وأهواءهم[١].

ومما ينبغي التنبه له أنّ مجيء الزيادة في اللغة مسألة مشهورة ولها مباحث في أبواب النحو متعددة، وهي دون شك مقولة قديمة لكنَّ معناها لا يوافق ضرورة المعنى اللغوي للكلمة. وقد يظن بعض المطلعين أنَّ هذه المسألة تعني أنه قد زيد في القرآن شيء من تلك الألفاظ الموسومة بالزيادة، وهذا قول لم يقل به أحد ممن بحث المسألة من علماء المسلمين عليهم رحمة الله، وإنما مدار حديثهم على المعنى النحوي وما يقتضيه من وجوه إعراب لكل لفظة ترد في الآية[٢].

فاللفظ الزائد: هو اللفظ الذي يستقيم الإعراب بإسقاطه، سواء أكان معترضًا بين شيئين أم لم يكن، وسواء أصح المعنى بإسقاطه أم لم يصح، وسواء أكان عاملًا أم غير عامل. فمدار الأمر على الإعراب؛ **وهذا يعني:** أن الزيادة لا تَسْلُب اللفظ الذي اتصلت به مكانته في الجملة؛ فإن كان مبتدأ بقي كذلك، وإن كان فاعلًا بقي على حالته. وإن كان الإعراب هو المقدم فإن المعنى يليه رتبة[٣].

«فكل حروف الزيادة في القرآن، أو في السُّنَّة، أو في كلام العرب للتوكيد»[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ـ بعد أن بيَّن وجوه الزيادة في

---

(١) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٩٥.

(٢) اختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم، د. صالح بن سليمان الوهيبي: ص٤ [مجلة جامعة الملك سعود، م ١٣، الآداب، ع ١، الرياض، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م].

(٣) اختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٧.

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح العثيمين: ٧/١٥ [ط١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م].

كلام العرب ـ: «فليس في القرآن من هذا شيء، ولا يذكر فيه لفظ زائد إلا لمعنى زائد، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد، وما يجيء من زيادة اللفظ في مثل قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]؛ فالمعنى مع هذا أزيد من المعنى بدونه، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى»(١).

وقال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى كونه زائدًا: أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد، فبوجوده حصل فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة»(٢).

وقال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع؛ فإن القرآن كله هدى وبيان، بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه، وإنما وضعت لأن تُذكر مع غيرها فتفيد له وثاقةً وقوةً، وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه»(٣).

وقد تنوعت المصطلحات التي أطلقها العلماء على الزيادة النحوية؛ كزائد، ولغو، وصلة، وحشو، وإلغاء، وإسقاط، ومقحم، وكلها تصف ما يسمى بالزيادة في المصطلح البصري المشهور.

ولعل مصطلح (الصلة) الكوفي هو الذي نال استحسان جمهرة من المفسرين؛ نظرًا لحياد معناه وبُعده عن وسم شيء من التنزيل العزيز بزيادة قد يساء فهمها(٤).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وابنه محمد: ١٦/ ٥٣٧ [١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م].

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٧٤.

(٣) أنوار التنزيل: ١/ ٦٢.

(٤) ينظر: اختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص١٣، وقواعد التفسير: ١/ ٣٥٤.

وبناء على ما تقدم يمكن تصنيف العلماء من حيث القول بالزيادة في اللغة عامة، وفي القرآن الكريم بشكل أخص إلى الأصناف التالية:

- **الفئة الأولى:** القائلون بالزيادة في القرآن الكريم وغيره مطلقًا.

وهم جمهور النحاة والمفسرين. وقد نقل الزركشي عن الطَرَسُوْسي(١) قوله: «زعم المُبَرِدُ(٢) وثعلب(٣) ألا صلة في القرآن، والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات في القرآن، وقد وجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره»(٤).

- **الفئة الثانية:** المتحرجون من لفظ (الزيادة) في القرآن. فالخلاف

---

(١) كذا في المطبوع من البرهان (الطرطوسي) والذي ذكر في نسبة والده في كتب التراجم: (الطَرَسُوسي) قال القرشي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية: ٢/٣٢٦: (الطَرَسُوسي): بفتح الطاء والراء، وضم السين المهملة، وسكون الواو، وفي آخرها سين ثانية؛ نسبة إلى طرسوس مدينة مشهورة كانت ثغرًا من ناحية بلاد الروم على ساحل البحر الشامي». اهـ.
والطَرَسُوسي: هو: القاضي إبراهيم بن علي بن أحمد، نجم الدين، أبو إسحاق الدمشقي، ولي منصب القضاء بدمشق بعد والده قاضي القضاة عماد الدين، فأفتى ودرس وشيد وأسس. ونظم الفوائد وشرحها وصنف الفتاوى الطرسوسية، توفي سنة (٧٥٨هـ). تاج التراجم في طبقات الحنفية: ص٨٩، ٩٠.

(٢) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، أبو العباس المُبَرَّد (بالفتح)، وقيل: المُبَرِّد (بالكسر)، إمام العربية ببغداد في زمانه، وكان فصيحًا بليغًا مفوهًا، ثقةً إخباريًا علامة، صاحب نوادر وظرافة، من مصنفاته: «معاني القرآن» وكتاب «الكامل» وكتاب «أسماء الدواهي»، توفي سنة (٢٨٥هـ).
ينظر: بغية الوعاة: ١/٢٦٩. وطبقات المفسرين للداوودي: ص٤٧٩.

(٣) أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني الملقب بثعلب، أبو العباس النحوي الشيباني، إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان حجة ثقة صالحًا دينًا مشهورًا بالحفظ، من مؤلفاته: كتاب «معاني القرآن» و«غريب القرآن» و«الفصيح»، توفي سنة (٢٩١هـ).
ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري: ص٦٥ [ط١، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت: ١٤٠٧هـ]. وطبقات المفسرين للداوودي: ص٦٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٧٢.

بينها وبين الفئة الأولى إنما هو في الاصطلاح لا في ذات الموضوع، وهؤلاء يتجنبون المصطلحات التي توهم إضافة شيء إلى القرآن أو عدم وجود وظيفة للفظ فيه. وإمام هؤلاء هو الفراء الذي استعمل لفظ (الصِّلة) كثيرًا، ضاربًا صفحًا عن مصطلحات أخرى؛ كالزيادة واللغو والحشو، وتبعه على ذلك كثير من المفسرين وعلى رأسهم ابن جرير الطبري، ومع هذا فإن الفراء والطبري استعملا مصطلح (الزيادة) و(الزائد) في بعض المواطن.

• **الفئة الثالثة**: المنكرون لوجود لفظ زائد في القرآن. ويبدو أن هؤلاء لا ينكرون وجود الزيادة في كلام العرب، لكن لا يقبلون أن يوسم حرف في القرآن بالزيادة. وقد تقدم النقل عن الزركشي قريبًا أن من هؤلاء المبرد وثعلب(١).

• **وخلاصة الأمر**: أن وجود الزائد في القرآن مما يصعب إنكاره، والزيادة هنا تشير إلى الوظيفة النحوية للكلمة بالدرجة الأولى، وإلى الدلالة في المرتبة الثانية. فإن لم يكن للفظ وجه إعراب وكان المعنى يستقيم بإسقاطه جاز وسمه بالزيادة. والله تعالى أعلم(٢).

وفيما يلي ذكر لحروف الصلة (الزائدة) في القرآن الكريم(٣):

---

(١) ينظر: اختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص١٨ ـ ٢٠، والقاعدة الكلية إعمال الكلام أولى من إهماله: ص٣٠٧، وحروف الجر الزائدة، د. رشيدة عبد الحميد اللقاني: ص١٧ [دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م]، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د. هيفاء عثمان عباس فدا: ص٢٣ [ط١، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م].

(٢) اختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٢٠.

(٣) تنبيه: وقع خلاف بين العلماء في عدد هذه الحروف فالمشهور أنها ستة، هي: من، والباء، ولا، وما، وأنْ، واللام، وعند النظر في كتب إعراب القرآن وتفسيره، وكتب النحو، والمؤلفات في أساليب توكيد القرآن، والمؤلفات التي تتحدث عن الحروف =

١ ـ **الباء**: أحد حروف الصلة، وقد ورد في كتاب الله في آيات كثيرة[(١)].

قال الزجاج رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] ـ: «دخلت الباء مؤكدة لعموم النفي؛ لأنك إذا قلت: «ما زيد أخوك» فلم يسمع السامع «ما» ظن أنك مُوجِب، فإذا قلت: «ما زيد بأخيك»، ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ علم السامع أنك تنفي، وكذلك جميع ما في كتاب الله عز وجل»[(٢)].

٢ ـ **من**: تأتي مزيدة للتأكيد[(٣)].

قال الأخفش رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] ﴿مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ ـ: «إنما هو: ما جعل الله

= الزائدة في القرآن نجد أن العلماء أضافوا إليها حروفًا أخرى زيدت في كلام العرب أو في القرآن الكريم. فعلى سبيل المثال: ذكر عبد الرحمٰن المطردي في كتابه أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٥٥: أن جملتها ثمانية، ونظمها بقوله:

فَهَاكَ حُرُوفًا بِالزَّوَائِدِ سُمِّيَتْ ... وَجَاءَتْ لِتَوْكِيدٍ كَمَا نَصَّ أَهْلُ فَنْ
فَبَاءٌ وَلَامٌ ثُمَّ كَافٌ وَمَا وَمَنْ ... وَزِيدَ عَلَيْهَا لَا وَقَالُوا بِإِنْ وَأَنْ

وسأذكر ما وقفت عليه من هذه الحروف ورد ذكره في القرآن الكريم، معتمدًا على ما تقدم ذكره من الكتب.

(١) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ١٢٣، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٥٧، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢٠٣، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٣٦١، وحروف الجر الزائدة: ص١٤٩، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٢١، والأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٦٠٠.

(٢) معاني القرآن: ١/ ٨٢.

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٣٥٣، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٦٣، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢١٢، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٥٩١، وحروف الجر الزائدة: ص٦٠، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٢٢. والأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٦٠٠.

لرجل قلبين في جوفه، وجاءت ﴿مِّن﴾ توكيدًا كما تقول: رأيت زيدًا نفسه. فأدخل ﴿مِّن﴾ توكيدًا»[١].

٣ ـ **اللام**: وهي تفيد التوكيد[٢].

قال النحاس[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في إعراب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٤٣] ـ: «اسم (إن) وخبرها، واللام زائدة للتوكيد»[٤].

٤ ـ **أن المفتوحة المخففة**:

من حروف الصلة[٥]، ولا تفيد (أن) الزائدة ـ عند جمهور النحويين ـ غير التوكيد[٦].

---

(١) معاني القرآن: ص٢٦٨.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ١/٣٥٣، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٦٣، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢١٢، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٥٩١، وحروف الجر الزائدة: ص٦٠، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٢٢. والأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٦٠٠.

(٣) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد النَحَّاس، وهذه النسبة إلى من يعمل النحاس، المصري، من أهل الفضل الشائع، والعلم الذائع، رحل إلى بغداد، وأخذ عن الأخفش الأصغر، والمبرد، ونفطويه، والزجاج، وعاد إلى مصر فانتفع به التلاميذ، من مؤلفاته: «إعراب القرآن» و«معاني القرآن» و«الكافي في العربية»، توفي سنة (٣٣٨هـ).

ينظر: وفيات الأعيان: ١/٩٩ ـ ١٠٠، وبغية الوعاة: ١/٣٦٢.

(٤) إعراب القرآن ١/٣٢٤.

(٥) ينظر: مغني اللبيب: ١/٤٣، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٧٥، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٩٧، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٦٢١، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٣٠. والأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٩٨.

(٦) (أن) الزائدة عند النحويين والمفسرين مواضعها ومعناها وأحكامها، أ. د. حسن محمود هنداوي: ص١٥٤ [مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع ١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م].

قال ابن هشام[١] رحمه الله: «ولا معنى لـ(أن) الزائدة غيرُ التوكيد كسائر الزوائد»[٢].

وقال الشوكاني رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ [العنكبوت: ٣٣] ـ: «و(أَنْ) في ﴿أَن جَآءَتۡ﴾ زائدة للتأكيد»[٣].

٥ ـ **إن المكسورة المخففة:** من حروف الصلة المُؤكدة[٤]. والمشهور أنَّ (إنْ) تزاد بعد (ما) النافية، ويبدو ـ والله أعلم ـ أنها لم ترد مزيدة في القرآن الكريم إلا في آية واحدة تحتملها على بعد[٥]، وهذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

٦ ـ **ما:** من حروف الصلة التي تزاد للتوكيد[٦]. ولذلك كان

---

(١) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، الأنصاري الشيخ جمال الدين، النحوي الفاضل، العلامة المشهور، انفرد بالفوائد الغريبة، والمباحث الدقيقة، والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البارع والاطلاع المفرط، من مصنفاته: «قطر الندى» و«مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» و«الجامع الصغير»، توفي سنة (٧٦١هـ). ينظر: الدرر الكامنة: ٣/ ٩٣، وبغية الوعاة: ٢/ ٦٨.

(٢) مغني اللبيب: ١/ ٤٣.

(٣) فتح القدير: ٤/ ٢٦٥.

(٤) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٣٢، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٧٦، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢٠٢، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٧٤٦، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٣١.

(٥) ينظر: أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٧٦، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٣١.

(٦) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٣٣٦، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٧٢، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢٠٨، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٦٦٩، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٢٧. والأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٦٠١.

التوكيد أولى تسمياتها؛ لأنه أقوى دلالاتها. فتسمى (ما) المؤكِّدَة[(١)].

قال الطبري رحمه الله ـ عند قوله تعالى ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] ـ: قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ فإن يأتِكُم، و(ما) التي مع (إن) توكيد للكلام، ولدخولها مع (إن) أدخلت النون المشددة في ﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾ تفرقةً بدخولها بين (ما) التي تأتي بمعنى توكيد الكلام ـ التي تسميها أهل العربية صلة وحشوًا ـ وبين (ما) التي تأتي بمعنى (الذي) فتؤذن بدخولها في الفعل أنَّ (ما) التي مع (إن) التي بمعنى الجزاء توكيد، وليست (ما) التي بمعنى الذي»[(٢)].

٧ ـ لا: الزائدة الداخلة في الكلام لمجرد تقويته وتوكيده[(٣)].

قال أبو البقاء العُكْبَري[(٤)] رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ـ: «﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ لا زائدة للتوكيد، وفائدتها: أنها لو حذفت، لاحتمل الكلام أن يكون: لا تأخذه سِنَة ولا نوم في حال

---

(١) أصول (ما) في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية على سورة يس، د. إبراهيم بن سعيد الدوسري: ص٣٨ [ط١، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م].

(٢) جامع البيان: ١/ ٢٤٦.

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٢٧٥، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٧٧، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢١٥، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٦٧٤، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٢٣. والأدوات النحوية في كتب التفسير: ص٥٩٨.

(٤) هو: عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين، الإمام، محب الدين أبو البقاء العكبري، البغدادي، الضرير، النحوي الحنبلي، تفقه بالقاضي أبي يعلى الفراء، ولازمه حتى برع في المذهب والخلاف والأصول، وقرأ العربية على يحيى بن نَجَاح وابن الخشاب؛ حتى حاز قصب السبق، وصار فيها من الرؤساء المتقدمين، وقصده الناس من الأقطار، وأقرأ النحو واللغة والمذهب، من مصنفاته: «التبيان في إعراب القرآن» و«إعراب الشواذ» و«التلخيص»، توفي سنة (٦١٦هـ).

ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: ٣/ ٢٢٩، وبغية الوعاة: ٢/ ٣٨.

واحدة، فإذا قال: ولا نوم، نفاهما على كل حال»[١].

٨ ـ **الكاف**: حرف جرٍّ يدل على التشبيه[٢].

«فإذا اجتمع هو وكلمة (مثل) الدَّالَّة على التشبيه خُرِّجَ الكلام على نحو يبعد به عن تقديرات غير صحيحة؛ كقوله تعالى: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فلو لم يقل بزيادة الكاف هنا لأدى التركيب إلى معنى غير صحيح ولا مراد، وهو ليس مثل مثله شيء. ونحن نعلم يقينًا أن المعنى هو نفي وجود مثيل لله جلَّ وعلا»[٣].

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣] ـ: «والأمثال: الأشباه. ودخول كاف التشبيه على (أمثال) للتأكيد، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ والمعنى: هنَّ أمثال اللؤلؤ المكنون»[٤].

٩ ـ **الواو**: من حروف الصلة التي تدل على التأكيد على خلاف في وقوعها زائدة[٥].

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي: ١/٢٠٣ [عيسى البابي الحلبي، مصر: بدون].

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ١/٢٠٣، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٨٠، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٧١٧، وحروف الجر الزائدة: ص٩٥، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٣٤.

(٣) اختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٣٤.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٧/٢٩٦.

(٥) ينظر: مغني اللبيب: ١/٤١٧، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢٢٣، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٤٧٥، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٣٢، والفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيلكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي الشافعي، تحقيق: د. حسن موسى الشاعر: ص٣٧ [ط١، دار البشير، =

قال النسفي[(١)] رحمه الله ـ عند قوله تعالى ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨] ـ: «رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد إلا كما في ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الحجر: ٤]؛ لأن الأصل عدم الواو إذ الجملة صفة لقرية، وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف»[(٢)].

١٠ ـ في: من الحروف التي قال بعض العلماء بزيادتها في مواضع قليلة من القرآن الكريم[(٣)].

قال أبو حيان رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: ٤١] ـ: «وعُدِّي (اركبوا) بـ(في) لتضمينه معنى: صيروا فيها، أو معنى: ادخلوا فيها. وقيل: التقدير اركبوا الماء فيها. وقيل: (في) زائدة للتوكيد؛ أي: اركبوها»[(٤)].

= عَمَّان: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م]، واختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعًا ودراسة، د. بدر بن ناصر البدر: ٢/ ٥٨٠ [ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م].

(١) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، حافظ الدين أبو البركات، أحد الزهاد المتأخرين، صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول، من كبار أئمة الحنفية، وأهم أعيان الماتريدية، تفقه على شمس الأئمة الكردري وروى الزيادات عن العتابي، من مصنفاته: «المنار في أصول الفقه» و«مدارك التنزيل» و«كنز الدقائق»، توفي سنة (٧١٠هـ).

ينظر: الجواهر المضية: ١/ ٢٧١، والدرر الكامنة: ٣/ ١٧، وتاج التراجم: ١/ ١٧٥، والماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، الشمس السلفي الأفغاني: ١/ ٣١٧ [ط٢، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م].

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار: ٣/ ٢٨٩، ٢٩٠ [ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م].

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ١٩٢، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٧٠١، وحروف الجر الزائدة: ص١٦٩، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٣٧.

(٤) البحر المحيط: ٥/ ٢٢٥.

١١ ـ عن: مجيء هذا الحرف زائدًا غير مشهور(١).

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى إمكان زيادته في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣](٢).

١٢ ـ الفاء: عدَّها بعض أهل العلم في الحروف الزائدة(٣).

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥] ـ: «وإنما عطف ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ بالفاء على ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ مع أن إغراقهم هو عين الانتقام منهم، إمّا لأن فعل ﴿ٱنتَقَمْنَا﴾ مؤوَّل بـ: قدَّرنا الانتقامَ منهم؛ فيكون عطفُ ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ بالفاء كالعطف في قوله: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وإما أن تُجعل الفاء زائدة لتأكيد تسبب ﴿ءَاسَفُونَا﴾ في الإغراق، وأصل التركيب: انتقمنا منهم أغرقناهم؛ على أن جملة ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ مبيِّنة لجملة ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾، فزيدت الفاء لتأكيد معنى التبيين»(٤).

١٣ ـ ثُمَّ: ذكر بعض أهل النحو أن (ثُمَّ) تجيء زائدة في الكلام(٥).

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤/٣٦، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٧٥٤، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٣٩، ومن أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، د. محمد الأمين الخضري: ص٣٠٢ [ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م].

(٢) ينظر: مجاز القرآن: ٢/٦٩، والتفسير الكبير: ٢٤/٣٦، ومغني اللبيب: ١/١٩٢، وحروف الجر الزائدة: ص١٦٨.

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ١/١٨٨، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٥٥٥، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٣٧.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٥/٢٣٤، ٢٣٥.

(٥) ينظر: مغني اللبيب: ١/١٣٥، وزيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٧٣٣، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في =

كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. فإنَّ جواب ﴿إِذَا﴾ قوله: ﴿صَرَفَكُمۡ﴾ و﴿ثُمَّ﴾ زائدة[١].

١٤ ـ **إلى**: قال ابن هشام رَحِمَهُ اللَّهُ عند ذكره لمعاني (إلى): «الثامن التوكيد، وهي الزائدة. أثبت ذلك الفراء[٢] مستدلًا بقراءة[٣] بعضهم: ﴿فاجعَلْ أفئدةً منَ الناسِ تَهْوَى إليهِم﴾ [إبراهيم: ٣٧] بفتح الواو، وقال: إنه بمعنى تهواهم، كما قال ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]. يريد: رَدِفَكُم، وكما قالوا: نقدتُ لها مائة؛ أي: نقدتُّها»[٤].

١٥ ـ **إلا**: ذكر بعض أهل العلم أنَّ (إلَّا) تجيء زائدة في الكلام[٥].

وحملوا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ﴾ [البقرة: ١٧١]. «والدعاء والنداء منفيٌّ سماعُهما، والتقدير: بما لا يسمع دعاء ونداء»[٦].

= القرآن الكريم: ص٣٨، واختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط: ٢/ ٥٩٥.

(١) اختيارات أبي حيان النحوية في البحر: ٢/ ٥٩٥ «وذكر أنَّ مذهب الجمهور عدم وقوع (ثُمَّ) زائدة في الكلام».

(٢) معاني القرآن: ٢/ ٧٨.

(٣) وهي قراءة علي بن أبي طالب، وأبي جعفر محمد بن جعفر، وجعفر بن محمد، ومجاهد. ينظر: المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا: ٢/ ٣٨/ ٣٩. [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م].

(٤) مغني اللبيب: ١/ ٨٩. وينظر: زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ص٧٥١، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٣٩. ومن أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: ص٢٦٥.

(٥) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٨٦، واختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم: ص٣٩، واختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط: ١/ ١٧٤.

(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١/ ١٤٠، والبحر المحيط: ١/ ٦٥٨.

ثانيًا: التوكيد بغير الأداة:

يذكر العلماء بعض الأساليب الدالة على التوكيد بألفاظ تفيد التوكيد؛ كالتوكيد اللفظي، والتوكيد المعنوي، ويلتحق بالتوكيد اللفظي بعض الأنواع الدالة على التوكيد؛ لأن فيها نوعًا من التكرار الذي يفيد التوكيد؛ لأن توكيد الفعل بالمصدر مثلًا تكرار للحدث مرتين؛ مرة في الفعل ومرة أخرى في المصدر، وهذا التكرار مراد به التوكيد. وكذلك بالنسبة للحال؛ لأن الفعل دل عليها قبل ذكرها فكانت كالتكرار، وبالنسبة للمعطوف؛ فإنه عطف على ما هو بمعناه وبهذا عُدَّ المعطوف مكررًا. وهكذا بقية الأنواع[١].

وفيما يلي ذكر لأنواع التوكيد المتعلقة بهذه الأسلوب:

أ ـ التوكيد اللفظي[٢]:

تقدم معنا في تعريف التوكيد اللفظي: أنه تقرير المعنى الأول بلفظه أو مرادفه[٣]. وهذا هو مدار بحثنا. لكن أحببت التنبيه على أمر يتعلق بالتوكيد اللفظي، وهو التكرار، لكونه أحد أركان هذا البحث، وكثيرًا ما يرد في كلام المفسرين بعض العبارات التي تدل على أن التكرار للتوكيد؛ كقولهم: والتكرير للتأكيد، أَوْ: وكرر باختلاف اللفظين تأكيدًا، أَوْ: هما بمعنى والتكرير للتأكيد. فهل التكرار منحصر في إفادة التوكيد؟ أو أنه يكون للتوكيد وغيره؟

نَصَّ أهل العلم عند ذكرهم لفوائد التكرار: أنّ التوكيد من فوائده[٤].

---

(١) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٧٩، ٨٠، ٨١.

(٢) ينظر: أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ٢٧٩، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢١.

(٣) ص: ٢٦.

(٤) ينظر: البرهان: ٣/ ١١، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين =

فالتكرار يفيد التوكيد لكنه غير مقصور عليه، فقد يأتي التكرار لغير التوكيد؛ لذا فعلى متدبر القرآن أن يطلب ما وراء ذلك الأسلوب من دقيق المعاني؛ فلو قلت في قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٥، ٣٤]: هذا التكرار لمجرد التوكيد، فقد حجبت نفسك عمَّا هو أولى بالاعتبار في معنى الآية.

ومن هذا القبيل تكرار القصة في القرآن، فلها في كل موضع من الدلالة ما يختلف عن الموضع الآخر، وأدنى ما يفيده تكرارها تمكين العبرة بتلك القصة من نفس المخاطب. ولا تجد في القرآن إعادة مجردة للقصة، وعلامة ذلك أنك لا ترى قصة يتفق سياقها في الموضعين، فضلًا عن الاتفاق في الدلالة والمقصود(١).

وقد يتجوَّز بعض أهل العلم في إطلاق كل منهما على الآخر كما يفهم من كلام بعضهم، قال البيضاوي رحمه الله ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢] ـ: «ولا يحلف ﴿أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ في الدين ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ في المال. وفيه دليل على فضل أبي بكر وشرفه رضي الله عنه»(٢).

قال شيخ زاده رحمه الله: قوله: «وفيه دليل على فضل أبي بكر...» وذلك لأن الفضل المذكور في الآية إمَّا في الدنيا، وإما في الدين.

= نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢/ ١٦٢ [المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م]، والإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، تحقيق: بهيج غزاوي: ص١٨٨ [ط٤، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م].

(١) المقدمات الأساسية في علوم القرآن، د. عبد الله بن يوسف الجديع: ص٤١٩، ٤٢٠ [ط١، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م].

(٢) أنوار التنزيل: ٤/ ١٠٢.

والأول باطل؛ لأنه لو جاز ذلك لكان قوله: ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ تكريرًا لا تأسيسًا، فتعين أن يكون المراد منه الفضل في الدين والمنزلة عند الله تعالى»[١]. والله تعالى أعلم.

ويمكن تقسيم ما قيل التكرار فيه للتأكيد إلى قسمين:

القسم الأول: تكرار الاسم بلفظه مرة أخرى من غير عطف. **ويمكن أن يمثل لهذا القسم بقوله تعالى:** ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١].

قال ابن خالويه[٢] رَحِمَهُ اللهُ في إعرابهما: «مصدر، وكررت[٣] الثاني تأكيدًا»[٤].

القسم الثاني: تكرار الاسم معطوفًا على الاسم الأول. **ويمكن أن يمثل لهذا القسم بقوله تعالى:** ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٦].

---

(١) حاشية زاده: ٣/ ٤١٩.

(٢) الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، النحوي اللغوي، أصله من همذان، دخل بغداد فأدرك بها مشايخ هذا الشأن؛ كابن دريد وابن مجاهد وأبي عمر الزاهد، ثم قدم الشام، فصحب سيف الدولة، وله مع المتنبي مناظرات، كان إماميًا عالمًا بالمذهب، وقد ذكر في كتابه ليس من كلام العرب ما يدل على ذلك، من مؤلفاته: «ليس في كلام العرب» و«إعراب ثلاثين سورة من القرآن» و«شرح الجمل»، توفي سنة (٣٧٠هـ).

ينظر: البداية والنهاية: ١١/ ٢٩٧، ولسان الميزان: ٢/ ١١١٤، وطبقات المفسرين للداوودي: ص١٠٦.

(٣) كذا في المطبوع، وفي حاشية المصحح: عبارة م: «وكرر تأكيدًا».اهـ. قلت: ولعلها الصواب. وستأتي دراسة مفصلة لهذا المثال في المبحث الأول من الفصل الأول.

(٤) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه: ص٨٢ [دار الكتب العلمية، بيروت، بدون].

قال أبو البركات ابن الأنباري(١) رحمه الله: «﴿مُصَدِّقًا﴾ الأول منصوب على الحال من عيسى، ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ الثاني، منصوب على الحال من الإنجيل، وقيل: مصدقًا الثاني عطف على الأول؛ فيكون منصوبًا على الحال من عيسى أيضًا للتأكيد»(٢).

ب ـ التوكيد المعنوي(٣):

تقدم معنا: أنّ التوكيد المعنوي يكون بألفاظ محصورة عبَّر عنها النحاة بأنها ألفاظ التوكيد المعنوي، وكونها ألفاظًا للتوكيد؛ لأنها ترفع المجاز مع التوكيد بالنفس أو بالعين، فيؤكد بهما ما يثبت حقيقة المؤكد، وترفع توهم عدم إرادة الإحاطة والشمول مع التوكيد بـ (كل) و(أجمع) وتوابعها، فلا يؤكد بها إلا ما يتبعَّض ويتجزَّأ، بخلاف النفس والعين، فهما لإثبات حقيقة الشيء(٤).

وأمَّا كونها معنوية: فلأنها في الحقيقة ذات الكلمة التي قبلها في

---

(١) عبد الرحمٰن بن محمد بن عبيد الله، الإمام أبو البركات، كمال الدين الأنباري النحوي، كان إمامًا ثقة، صدوقًا، فقيهًا مناظرًا، غزير العلم، ورعًا زاهدًا عابدًا، تقيًّا عفيفًا، من مصنفاته: «النور اللامح في اعتقاد السلف الصالح» و«الإنصاف في الخلاف بين البصريين والكوفيين» و«الجمل في علم الجدل»، توفي سنة (٥٧٧هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/١١٣، وبغية الوعاة: ٢/٨٦.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات عبد الرحمٰن بن محمد بن عبيد الله الأنباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه ١/٢٩٣ [ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر: ١٤٢٦/٢٠٠٦م]. وستأتي دراسة مفصلة لهذا المثال في المبحث الأول من الفصل الأول.

(٣) ينظر: أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ٢٦٩، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ٥٣.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية مالك، عبد الله بن عقيل العقيلي المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢/١٩١، ١٩٢ [المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م]، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٥٣، ٥٤.

المعنى؛ فعندما تقول: جاء زيد زيد، فتكرر (زيد) لقصد أن الذي جاء هو زيد، لرفع توهم الخطأ أو السهو أو النسيان، أمَّا إذا قلنا: جاء زيد نفسه، فإننا نقصد الذي جاء زيد لا نائبًا عنه، فهذا رفع لتوهم المجاز بالحذف(١).

ج ـ توكيد الفعل بالمصدر (المفعول المطلق)(٢) أو المصدر المؤكِّد لعامله(٣):

كقوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥]؛ فـ ﴿تَسۡلِيمٗا﴾ مصدر مؤكد لفعله.

قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسۡلِيمٗا﴾؛ أي: ينقادوا لأمرك ويذعنوا له بظاهرهم وباطنهم؛ كما يشعر به التأكيد»(٤).

د ـ التوكيد بالحال(٥):

تنقسم الحال المؤكدة إلى قسمين:

القسم الأول: ما أكدت عاملها، وهي كل وصف دل على معنى عامله، وخالفه لفظًا، وهو الأكثر.

أو وافقه لفظًا وهو دون الأول في الكثرة(٦). **فمثال ما جاء في القرآن الكريم من الحال المؤكدة لعاملها ولم توافقه لفظًا قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَعۡثَوۡا۟ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]. «فـ ﴿مُفۡسِدِينَ﴾

---

(١) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٥٤.
(٢) المصدر السابق: ص٨٠.
(٣) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣١٩.
(٤) روح المعاني: ٥/ ٧١.
(٥) ينظر: أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ٣٣١، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٩٦.
(٦) شرح ابن عقيل على ألفية مالك: ١/ ٥٩٢.

حال مؤكدة لعاملها»[١].

أمّا الحال المؤكدة لعاملها ووافقته لفظًا؛ فكقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ﴾ [النحل: ١٢]. على قراء النصب في (مُسَخَّرَاتٍ)[٢].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأظهر أوجه الإعراب في قوله: (مُسَخَّرَاتٍ) على قراءة النصب أنها حال مؤكدة لعاملها»[٣].

والقسم الثاني: الحال المؤكدة لمضمون الجملة، وشرط الجملة أن تكون اسمية، وجزءاها معرفتان جامدان[٤].

قال أبو السعود[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١] ـ: «وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة لمضمون الجملة»[٦].

---

(١) تفسير الجلالين: ص٩.

(٢) وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بالرفع.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة: ص٣٩٩ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م].

(٣) أضواء البيان: ٣/ ٢٧٥.

(٤) شرح ابن عقيل على ألفية مالك: ١/ ٥٩٣.

(٥) **هو**: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، من المفسرين الفقهاء، عارف باللغات الفارسية والعربية والتركية، قرأ على والده كثيرًا، تنقل في المدارس، ثم ولي قضاء القسطنطينية، ثم الفتيا، من مؤلفاته: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» و«بضاعة القاضي في الصكوك» و«تهافت الأمجاد في فروع الفقه الحنفي»، توفي سنة (٩٨٢هـ).
ينظر: البدر الطالع: ١/ ٢٦١، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ص٣٩٨.

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي: ١/ ١٣٠ [ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م].

هـ - التوكيد بالنعت (الوصف)[١]:

يجيء النعت للتوكيد في بعض أحواله[٢]؛ وذلك لأن النعت أو الصفة قد يكون للتخصيص وذلك عند وصف النكرة، أو للتوضيح والبيان عند وصف المعرفة، وقد يجيء لمجرد الثناء والمدح. فإذا ما جاءت الصفة ومدلولها مستفاد مما في الموصوف، فيصير ذكر الصفة كالتكرار، إذ ليس فيه زيادة معنى، وبهذا تكون الصفة هنا لا للتخصيص ولا للتوضيح وإنما للتوكيد، وطريق التوكيد في هذا المعنى هو أن المعنى كرِّر مرتين[٣].

وذلك في مثل: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣].

قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿نَفْخَةٌ﴾ مصدر محدود، ونعته ليس بنعت تخصيص، إنما هو نعت توكيد»[٤].

و - التوكيد بالبدل:

ويشمل: بدل الكل من الكل، والبعض من الكل، وبدل الاشتمال؛ فأنواع البدل الثلاثة تكون توكيدًا[٥].

ووجه التوكيد في البدل: «أنه على نية تكرار العامل، فكأنه من جملتين، ولأنه دل على ما دل عليه الأول: إما بالمطابقة في بدل الكل،

---

(١) ينظر: أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ٣٨٩، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١١١.
(٢) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٨٩.
(٣) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١١٣.
(٤) البحر المحيط: ٨/ ٣١٧.
(٥) ينظر: أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٨٣. وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٢٣.

أو بالتضمن في بدل البعض، أو بالالتزام في بدل الاشتمال»[١].

قال الزمخشري رحمه الله ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] ـ: «بدل من الصراط المستقيم، وهو في حكم تكرير العامل؛ كأنه قيل: اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، كما قال: ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]، فإن قلت: ما فائدة البدل؟ وهَلَّا قيل: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم؟ قلت: فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير، والإشعار بأنّ الطريق المستقيم بيانه وتفسيره: صراط المسلمين؛ ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده، كما تقول: هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم؟ فلان؛ فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك: هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل؛ لأنك ثنيت ذكره مجملًا أولًا، ومفصلًا ثانيًا، وأوقعت فلانًا تفسيرًا وإيضاحًا للأكرم الأفضل، فجعلته علمًا في الكرم والفضل، فكأنك قلت: من أراد رجلًا جامعًا للخصلتين فعليه بفلان، فهو الشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع»[٢].

ز ـ التوكيد بالظرف[٣]:

سواء أكان ذلك الظرف زمان أم ظرف مكان.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. مصطفى ديب البُغا: ٢/٨٥٨ [ط٢، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار العلوم الإنسانية: دمشق، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٢م].

(٢) الكشاف: ١/٥٨.

(٣) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٨٧.

أمّا ظرف الزمان؛ فكقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]. «فهو ظرف مؤكد لا مؤسس؛ لأن قوله: ﴿لَيْلًا﴾ لم يأت بمعنى جديد؛ لأن الإسراء لا يكون إلا ليلًا»(١).

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذ قد كان السُّرَى خاصًا بسير الليل كان قوله: ﴿لَيْلًا﴾ إشارة إلى أن السير به إلى المسجد الأقصى كان في جُزء ليلة، وإلا لم يَكن ذكره إلا تأكيدًا، على أن الإفادة كما يقولون خير من الإعادة»(٢).

وأمّا ظرف المكان؛ فكقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦].

قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ **ففيه سؤال:** وهو أن السقف لا يخر إلا من فوقهم، فما معنى هذا الكلام.

جوابه من وجهين: الأول: أن يكون المقصود التأكيد. **والثاني:** ربما خر السقف، ولا يكون تحته أحد، فلما قال: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ دل هذا الكلام على أنهم كانوا تحته، وحينئذ يفيد هذا الكلام أن الأبنية قد تهدمت وهم ماتوا تحتها»(٣).

ح ـ التوكيد بالجملة الاعتراضية:

وهي: «الجملة المعترضة بين شيئين متلازمين؛ لتوكيد الكلام، أو توضيحه، أو تحسينه، وتكون ذات علاقة معنوية بالكلام الذي اعترضت

---

(١) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٨٧. وينظر: القاموس المحيط: مادة: (سرى)، باب الواو والياء، فصل السين.

(٢) التحرير والتنوير: ١٥/١١.

(٣) التفسير الكبير: ٢٠/١٧، ١٨. رجح القول الثاني أبو حيان في البحر المحيط: ٥/٤٧١. ولعل القول بالتأسيس هو الأولى في هذه الأمثلة. وما ذكرته مجرد تمثيل على هذا الأسلوب.

بين أجزائه، وليست معمولة لشيء منه»[١]. وهي كثيرة المجيء في كلام الله ﷻ، وفي كلام العرب.

قال ابن جِنِّي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ في باب الاعتراض: «اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير، وقد جاء في القرآن، وفصيح الشِّعر، ومنثور الكلام، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد؛ فلذلك لا يُشَنع عليهم، ولا يُستنكَر عندهم أن يُعتَرض بهِ بين الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره، وغير ذلك ممَّا لا يجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذًا أو مُتأوَّلًا»[٣].

قال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف: ٢١] ـ:

قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾؛ أي: الرسل، جمع نذير بمعنى المُنْذِر، ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾؛ أي: من قبله ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾؛ أي: من بعده، والجملة اعتراض مقرِّر لما قبله مؤكِّد لوجوب العمل بموجب الإنذار، وسِّط بين ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُۥ﴾ وبين قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ مسارعة إلى ما ذكر من التقرير والتأكيد، وإيذانًا باشتراكهم في العبارة المحكية، والمعنى: واذكر لقومك إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم، وقد أنذر من تقدمه

---

(١) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي: تحقيق: عبد الحميد هنداوي: ٢/ ٣٢٧ [المكتبة التوقيفية: مصر، بدون]، ومغني اللبيب: ٢/ ٤٤٦، واختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط: ١/ ١٣٣.

(٢) هو: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، تلميذ أبي علي الفارسي، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو، كان معتزليًا، من مؤلفاته: «الخصائص» و«اللمع» و«سر صناعة الإعراب»، توفي سنة (٣٩٢هـ).
ينظر: وفيات الأعيان: ٣/ ٢٤٦، وبغية الوعاة: ٢/ ١٣٢.

(٣) الخصائص: ١/ ٣٣٥.

من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم»[١].

ط ـ التوكيد بالمعطوف عطف نسق:

وعطف النَّسق قيل في تعريفه: هو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف، وهي (الواو، وثم، والفاء، وحتى، وأم، وأو، وبل، ولا، ولكن)[٢].

وشرط المعطوف عطف نسق أن يكون مغايرًا للأول؛ لأنه لا يصح عطف الشيء على نفسه، وهذا كله ليس به تكرار ولا تأكيد؛ لأنها ألفاظ وجمل متغايرة قد عطفت بأداة من أدوات العطف، أمّا إذا لم يكن بين المعطوف والمعطوف عليه تغاير فإنه يكون من نوع التكرار؛ لأنه قد ذُكر الشيء مرتين والغرض منه التأكيد[٣].

وأنواع العطف التي يشملها هذا الأسلوب ثلاثة أنواع هي:

١ ـ عطف العام على الخاص.

٢ ـ عطف الخاص على العام.

٣ ـ عطف أحد المترادفين على الآخر.

• **أمّا النوع الأول: عطف العام على الخاص:** فإنه يدل على التعميم وعلى أهمية الأول، وذلك إذ ذكر العام بعد الخاص، فإن هذا داع إلى الاهتمام به، وفي هذا حظٌّ من التوكيد[٤].

كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٨/ ٨٥.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢/٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١١٧.

(٤) **ينظر:** قواعد التفسير: ١/ ٤٢٩، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٢٢.

قال أبو حيان رحمه الله: «وفي ذلك دليل على أنه وأمه عبدان من عباد الله؛ لا يقدران على رفع الهلاك عنهما، بل تَنْفُذُ فيهما إرادة الله تعالى، ومن تنفذ فيه لا يكون إلهًا، وعطف عليهما: ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ﴾ عطف العام على الخاص؛ ليكونا قد ذكرا مرَّتين: مرّة بالنص عليهما، ومرَّة بالاندراج في العام، وذلك على سبيل التوكيد والمبالغة في تعلُّق نفاذ الإرادة فيهما»[1].

• **وأمّا النوع الثاني: فإن عطف الخاص على العام منبه على فضله** وأهميته، حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلًا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات[2].

كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

قال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير هذه الآية: «والصلاة الوسطى هي صلاة العصر خصَّها الله بالذكر بعد التعميم. واختلف العلماء رحمهم الله تعالى[3] إذا ذكر الله تعالى شيئًا خاصًا بعد العام، وهو مما يدخل في أفراد العام، هل يكون ذكر مرتين؟ أو مرة واحدة ويكون اللفظ العام الذي قبله قد استثني من ما نُصَّ عليه بعده؟ على قولين: **القول الأول**: إنها داخلة في العموم، فتكون ذكرت مرتين: مرة عن طريق العموم، ومرة

---

(١) البحر المحيط: ٣/ ٤٦٥.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٦٤، والمدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بالحدادي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي: ص٢٩٥ [ط١، دار القلم، دمشق، دار العلوم، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م]، وقواعد التفسير: ١/ ٤٣٠.

(٣) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه: ٢/ ٣٧٩، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأثري: ١/ ٦٠٤ [ط١، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م].

عن طريق الخصوص، والقول الثاني: إنها مستثناة من العموم وذكرت وحدها، وهذا يدل على مِيزتها وفضلها. ولكن على كل حال، سواء قلنا بهذا، أو بهذا، فإن تخصيصها بالذكر يدل على مِيزتها وفضلها»(١).

• **وأمَّا النوع الثالث: عطف أحد المترادفين على الآخر.** فقد تقدم معنا في تعريف التوكيد اللفظي بأنه: تقرير المعنى الأول بلفظه أو مرادفه(٢).

فالتوكيد بالمرادف أحد ركني التوكيد اللفظي(٣)، وعطف أحد المترادفين على الآخر ذكره الزركشي في القسم السابع من أساليب القرآن وفنونه البليغة حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «القسم السابع: عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى، والقصد منه التأكيد»(٤). ثم ذكر أمثلة على ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦](٥).

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] ـ: «وتأكيدُ ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ بعطف ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ الذي هو آيل إلى معناه وإن اختلف مفهومه، فهو كالتأكيد بالمرادف»(٦).

---

(١) أحكام من القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين: ٢/ ١٩١ [دار الوطن، الرياض، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م].

(٢) ص٢٦.

(٣) وسيأتي مزيد إيضاح لقضية التوكيد بالمرادف في التمهيد للمبحث الأول من الفصل الثاني.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) التحرير والتنوير: ١/ ٦٩٥.

ي ـ التوكيد بالنداء[١]:

وذلك كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(أي) وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه، يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء، فالذي يعمل فيه حرف النداء هو (أي) والاسم التابع له صفته؛ كقولك: يا زيد الظريف، إلا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفكَّ من الصفة.

وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد، وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين؛ معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضًا مما يستحقه (أي) من الإضافة. فإن قلت: لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة؛ لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره، ووعده ووعيده، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم، وغير ذلك مما أنطق به كتابه ـ أمور عظام وخطوب جسام، ومعان عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ»[٢].

ك ـ التوكيد بالإضافة:

أي: «إضافة الاسم إلى اسم يوافقه في المعنى إذا اختلف اللفظان»[٣].

---

(١) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٩٣.
(٢) الكشاف: ١/١٢١، ١٢٢.
(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ٢/٤٣٦.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يظهر ـ والله تعالى أعلم ـ أن التحقيق جواز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلفت الألفاظ؛ لأن المغايرة بين الألفاظ ربما كفت في المغايرة بين المضاف والمضاف إليه، فالذي يظهر فيه بعد البحث أنه لا حاجة إلى تأويله مع كثرته في القرآن واللغة العربية، فالظاهر أنه أسلوب من أساليب العربية بدليل كثرة وروده؛ كقولنا هنا: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]. والمكر هو السيئ بدليل قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ﴾ الآية، وكقوله: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ [الأعراف: ١٦٩] والدار هي الآخرة، وكقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة: ١٨٥] والشهر هو رمضان على التحقيق، وكقوله: ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] والحبل هو الوريد»[(١)].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]: «وإضافة ﴿حَقُّ﴾ إلى ﴿ٱلْيَقِينِ﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي: لهو اليقين الحق؛ وذلك أن الشيء إذا كان كاملًا في نوعه وُصف بأنه حقُّ ذلك الجنس، فالمعنى: أن الذي قصصنا عليك في هذه السورة هو اليقين حقُّ اليقين، كما يقال: زيد العالم حقُّ عالم، ومآل هذا الوصف إلى توكيد اليقين، فهو بمنزلة ذكر مرادف الشيء، وإضافة المترادفين تفيد معنى التوكيد، فلذلك فسروه بمعنى: أن هذا يقينُ اليقين وصوابُ الصواب، نريد: أنه نهاية الصواب»[(٢)].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد: ص٢٦٧ [ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ].

(٢) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٣٥٠.

ج ـ أغراض التوكيد ودواعيه في القرآن الكريم:

للتوكيد أغراضه: «فالكلام إذا تأكد تقرر، وصار حقيقة لا مراء فيها، وبات لا شك ولا نزاع يدور حوله، **والقصد منه:** الحمل على ما لم يثبت في ذهن المخاطب ليصير ثابتًا»[(١)].

وجاء التوكيد في كتاب الله لأغراض كثيرة ذكرها المفسرون في أثناء تفاسيرهم، وممن اعتنى بذكرها الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ في مواطن متفرقة[(٢)] من تفسيره، وذكر الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ بعضًا منها، **فإلى ذكر هذه الأغراض:**

١ ـ الرد على اعتقاد غير صحيح، وادّعاءٍ باطل[(٣)].

كالرد على منكري البعث، فقيام الساعة أمر يهم البشرية كلها، ووقف المكذبون يجادلون في هذه القضية التي كثر فيها الجدل قديمًا وحديثًا، فأكد الله عَزَّ وَجَلَّ أنَّ قيام الساعة آت لا ريب فيه، جاء هذا التأكيد على لسان محمد بن عبد الله ﷺ في قسم قرآني مأمور به[(٤)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣] ـ: هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن مما

---

(١) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٤.

(٢) وقد استفدت في الوقوف عليها مجتمعة من كتاب: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد محمد أبو موسى: ص٤١٣ ـ ٤١٧ [ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م].

(٣) البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، عبد الرحمٰن حسن حَبَنَّكَة الميداني: ١/٤٦٦ [ط١، دار القلم: دمشق، الدار الشامية: بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م].

(٤) أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ص١٤٧.

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لمَّا أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد؛ فإحداهن في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]. والثانية هذه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾. والثالثة في سورة التغابن، وهي قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

فقال تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1].

٢ ـ التكرير لأجل التعجيب:

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]: «وجملة ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ مؤكدة لجملة ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ فلذلك فصلت، والغرض من التوكيد في مثل هذا المقام هو التكرير لأجل التعجيب كما يقال: نعم اتخذوه، ولتُبنى عليه جملة ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فيظهر أنها متعلقة باتخاذ العجل، وذلك لبعد جملة ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ بما وليها من الجملة، وهذا كقوله: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. إلى قوله ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾؛ أُعيد ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ لتُبنى عليه جملة ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وهذا التكرير يفيد مع ذلك التوكيد وما يترتب على التوكيد»[2].

٣ ـ أن التوكيد قد يكون لتقرير المعنى في نفس المخاطب وتثبيته

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣/٦٨٨. (٢) التحرير والتنوير: ٩/١١١.

وإن كانت خالية من كل أثر للإنكار أو الشك[١]، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

قال الزمخشري رحمه الله: «تكرير الضمير بعد إيقاعه اسمًا لـ(إنَّ)؛ تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل، ليتقرّر في نفس رسول الله ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمة وصوابًا، ولقد دعتني حكمة بالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالمكافَّة والمثابرة، وسأنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين»[٢].

وقال الزركشي رحمه الله في معرض ذكره لأغراض التوكيد: «ومنها: قصد تحقيق المخبر به؛ كقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؛ فأكد بـ(إنَّ) وباسم الفاعل مع أنهم ليسوا بشاكِّين في الخبر»[٣]، ومثله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقال حاكيًا عن نوح: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ [نوح: ٢٧].

٤ ـ **أنَّ التوكيد قد يكون لتحقيق المعنى عند المتكلم**، وهو يريد أن يوطن نفس المخاطب لتلقيه وقبوله[٤].

كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]. قال الزمخشري: «لما وجد منه الإيناس فكان مقطوعًا متيقنًا، حققه لهم بكلمة (إنّ) ليوطن أنفسهم، ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقَّبين متوقَّعين، بني الأمر فيهما على الرجاء والطمع»[٥].

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: ص٤١٣، ٤١٤.
(٢) الكشاف: ٤/ ٦٧٤.
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٨٩.
(٤) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: ص٤١٤.
(٥) الكشاف: ٣/ ٥٥٥.

٥ ـ **مواجهة إنكار المخاطب**، وتكون أدوات التوكيد بمقدار الإنكار قوةً أو ضعفًا(١).

يقول تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤ ـ ١٦].

قال الزمخشري رحمه الله: «فإن قلت: لم قيل: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ أوّلًا و﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ آخرًا؟ قلت: لأنّ الأوّل ابتداء إخبار، والثاني جواب عن إنكار»(٢).

٦ ـ **إماطة الشبهة**؛ لغرابة الخبر وحاجته إلى التقرير والتحقيق(٣).

كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١، ١٢].

قال الزمخشري رحمه الله: «تكرير الضمير في ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة»(٤).

٧ ـ **العناية بالشيء والاهتمام به:**

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: «وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤] ثناء عليهم بعنايتهم بالصلاة من أن يعتريها شيء يخل بكمالها؛ لأن مادة المُفَاعَلَةِ هنا للمبالغة في الحفظ مثل: عافاه الله، وقاتله الله، فالمحافظة راجعة إلى استكمال أركان الصلاة وشروطها وأوقاتها. وإيثار الفعل المضارع لافادة تجدد ذلك الحفاظ

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: ص٤١٤.
(٢) الكشاف: ٤/ ١١.
(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: ص٤١٥.
(٤) الكشاف: ٣/ ٥٥.

وعدم التهاون به، وبذلك تعلم أن هذه الجملة ليست مجرد تأكيد لجملة ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]؛ بل فيها زيادة معنى مع حصول الغرض من التأكيد بإعادة ما يفيد عنايتهم بالصلاة في كلتا الجملتين»[1].

٨ ـ **قصد إغاظة السامع بذلك الخبر**[2]؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٣].

٩ ـ **الترغيب**[3]؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]. أكده بأربع تأكيدات وهي: (إن) وضمير الفصل والمبالغتان مع الصفتين له؛ ليدل على ترغيب الله العبد في التوبة؛ فإنه إذا علم ذلك طمع في عفوه، وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

١٠ ـ **الإعلام بأن المخبر به كله من عند المتكلم**؛ كقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨] دون الاقتصار على: يأتينّكم هدى؛ قال المفسرون[4]: فيه إشارة إلى أن الخير كله منه[5].

١١ ـ **التعريض بأمر آخر**[6]؛ كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ [القصص: ١٦]. وقول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]. تعريضًا بسؤال قبولها، فإنها كانت تطلب للنذر ذكرًا.

فهذه بعض أغراض التوكيد التي ذكرها أهل العلم حاولت ذكر ما تيسير لي الوقوف عليه منها. والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٩/ ١٧٤.
(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٨٩.
(٣) المصدر السابق: ٢/ ٣٨٩.
(٤) البحر المحيط: ١/ ٣٢١.
(٥) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٨٩.
(٦) المصدر السابق: ٢/ ٣٩٠.

د ـ فوائد التأكيد:

تكاد تتفق عبارات العلماء في أن جدوى التأكيد وفائدته هي: «أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع، ومكَّنته في قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجته، أو تَوَهَّمْتَ غفلةً أو ذهابًا عما أنت بصدده فأزلته»(١).

وقد ذكر العلماء بعضًا من فوائد التأكيد سواء كان ذلك في سائر الكلام أم في القرآن الكريم، ومن هذه الفوائد:

١ ـ أنَّ التوكيد ينفي احتمال المجاز(٢).

«فالتوكيد يرفع الوهم عن الفعل أو الفاعل بحسب نوع التأكيد. فإذا قلت: «ضرب الأمير» احتمل مجازين ـ عند القائلين بالمجاز ـ وهما:

الأول: إطلاق الضرب على مقدماته

الثاني: إطلاق الأمير على أمره.

فإذا أردتَّ رفع الأول أتيت بالمصدر، فقلت: «ضربًا». وإن أردتَّ رفع الثاني، قلت: «نفسه» أو «عينه»(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «إذا تأمل من بصَّره الله طريقة القرآن والسُّنَّة

---

(١) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ص١٤٦، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢/١٧٦، والبحر المحيط في أصول الفقه: ١/ ٤٨٥، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٨٩، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: عبد العليم الطحاوي: ٥/ ٢٦٤ [المكتبة العلمية، بيروت، بدون]، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٢٥، ٢٦.

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي: ١/ ٣٧ [ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م]، وفتح الباري: ١٣/ ٥٨٥.

(٣) قواعد التفسير: ١/ ٤٥٣.

وجدها متضمنة لرفع ما يوهمه الكلام من خلاف ظاهره، وهذا موضع لطيف جدًّا في فهم القرآن نشير إلى بعضه فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، رفع سبحانه توهم المجاز في تكليمه لكليمه بالمصدر المؤكِّد، الذي لا يشك عربيُّ القلب واللسان أن المراد به إثبات تلك الحقيقة، كما تقول العرب: مات موتًا، ونزل نزولًا. ونظيره التأكيد بالنفس والعين، وكل، وأجمع، والتأكيد بقوله حقًّا ونظائره»[١].

٢ ـ أن السامع إذا سمع اللفظ بدون تأكيد جوَّز مجازفة المتكلم، فإذا أكده صار ذلك التجويز أبعد[٢].

٣ ـ تقوية بعض ألفاظ العموم ببعض[٣].

٤ ـ أنه ربما حصل هناك ما يقتضي تخصيص العام، فإذا اقترن به التأكيد كان احتمال الخصوص أبعد[٤].

قال ابن تيمية رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠] ـ: «فلو لم يكن الاسم الأول يقتضي الاستيعاب والاستغراق لكان توكيده بصيغة (كل) موجبة لذلك ومقتضية له، ثم لو لم يفد تلك الإفادة، لكان قوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ توكيدًا وتحقيقًا بعد توكيد وتحقيق، ومن نازع في موجب الأسماء العامة فإنه لا ينازع فيها بعد توكيدها بما يفيد العموم؛ بل إنما يُجاء بصيغة التوكيد قطعًا لاحتمال الخصوص وأشباهه»[٥]. والله تعالى أعلم.

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله: ١/ ٣٨٩ [ط٣، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م].

(٢) المحصول من علم الأصول: ١/ ٣٥٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مجموع الفتاوى: ٤/ ٣٦٣.

هـ ـ طرق العلماء في التعبير عن التوكيد:

للعلماء في تفاسيرهم طرقٌ يعبرون بها عن وقوع التأكيد بين ألفاظ القرآن الكريم، ومن خلال النظر في الألفاظ التي قيل بوقوع التأكيد بينها ظهر لي ـ والعلم عند الله ـ **أن لأهل العلم مسلكين في التعبير عن التأكيد بين هذه الألفاظ:**

المسلك الأول: تفسير اللفظين بمعنى دال على التوكيد دون التنصيص على لفظ التوكيد، أو لفظ آخر يدل على التوكيد. **وهذا المسلك للعلماء في التعبير عنه طريقان:**

الطريق الأول: تفسير اللفظين بمعنى واحد، أو بعبارة واحدة.

ومثاله: قول ابن عطية ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢] ـ: «والفضل والسَّعة هنا هي المال»[(١)].

وقول جلال الدين المحلي رحمه الله ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩] ـ: قوله: ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾: «من رحمة الله»[(٢)].

قال الجمل رحمه الله: «وصنيع الشارح[(٣)] يقتضي ترادفهما، وبه قال بعضهم، فالجمع بينهما للتأكيد»[(٤)].

الطريق الثاني: تفسير أحد اللفظين بالآخر.

وذلك كتفسير مجاهد[(٥)] رحمه الله لقول الله تعالى: ﴿أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/ ١٧٣.
(٢) تفسير الجلالين: ص٤٨٢.
(٣) يعني: جلال الدين المحلي رحمه الله.
(٤) الفتوحات الإلهية: ٧/ ٣٤.
(٥) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، المكي، المقرئ، المفسر، أحد الأعلام، أخذ التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما بعد أن عرض القرآن عليه ثلاث عرضات يسأله عن كل آية، تنقل وارتحل حتى استقر بالكوفة. توفي سنة (١٠٢هـ)، وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٤٩.

حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]. قال: «الأثاث: المتاع»[١]. وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واستُعير الهضم للظلم، قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]»[٢].

المسلك الثاني: ذكر بعض الألفاظ أو الصيغ الدالة على التوكيد، سواء أكان ذلك بالتنصيص على لفظ التوكيد، أم بذكر لفظ آخر دال على التوكيد. **وفيما يلي ذكر لبعض هذه الألفاظ والصيغ التي ذكرها العلماء**[٣]:

١ ـ التعبير بلفظ: «توكيد» أو «تأكيد»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النساء: ٣٠]. قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما نهي عنه ﴿عُدْوَٰنًا﴾ تجاوزًا للحلال، حال، ﴿وَظُلْمًا﴾ تأكيد»[٤].

ويتفرع عن هذه الصيغة بعض الصيغ الدالة على التوكيد مثل:

أ ـ «توكيد لفظي»: ومثالها: قوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٦].

فـ ﴿سَلَٰمًا﴾ بدل، و﴿سَلَٰمًا﴾ الثاني توكيد لفظي[٥].

---

(١) تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي، تحقيق: عبد الرحمٰن الطاهر السورتي: ١/ ٣٥٠ [المنشورات العلمية، بيروت، ١٩٧٦م].

(٢) المفردات، مادة هضم، كتاب الهاء: ٥٦٩.

(٣) سأقتصر في الصيغ التي تكون متقاربة في الألفاظ، وتدل على معنى واحد على مثال واحد فقط، واكتفي بالإحالة على بقية المواضع. مثل: جمع بينهما تأكيدًا، أو جمع بينهما من قبيل التوكيد اللفظي، أو جمع بينهما تأكيدًا لتغاير اللفظين.

(٤) تفسير الجلالين: ص٨٣.

(٥) ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم، أ. د. أحمد بن محمد الخرَّاط: ٤/ ١٢٧٦ [ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م]، والياقوت والمرجان في إعراب القرآن، محمد نوري بن محمد بارتجي: ص٥٤٣ [ط١، دار الأعلام، عَمّان: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م].

وما تفرع عن هذه الصيغة مثل: «تأكيد لفظي»[(١)]. أو «توكيد لفظي لنظيره»[(٢)].

ب ـ «تأكيدًا وإشباعًا للمعنى»: ومثاله: قوله تعالى: «﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]. قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وصلاة الله على عبده: عفوه ورحمته وبركته، وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة. وكرر (الرحمة) لما اختلف اللفظ تأكيدًا وإشباعًا للمعنى»[(٣)].

ج ـ «تأكيد لفظي بالمرادف»:

ومثالها: قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]. قال جلال الدين المحلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: كثير الهمز واللمز؛ أي: الغيبة»[(٤)].

قال الجمل رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: أي: الغيبة، تفسير لهما على بعض الأقوال، فعلى هذا يكون الثاني تأكيدًا لفظيًا للأول بالمرادف»[(٥)].

وما تفرع عن هذه الصيغة مثل: «توكيدًا بالمرادف»[(٦)] أو «كالتأكيد بالمرادف»[(٧)].

أو «توكيد لفظي بلفظ مرادف»[(٨)] أو «تأكيد لفظي بمرادف المؤكَّد»[(٩)].

د ـ «أتى باللفظين على التأكيد».

ومثاله: قوله تعالى: ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]. فقد قيل: «أتى باللفظين على التأكيد»؛ ذكر ذلك الراغب الأصفهاني،

---

(١) روح المعاني: ٣/ ١٦٠.
(٢) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٣١١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ٤٦٨.
(٤) تفسير الجلالين: ص٦٠١.
(٥) الفتوحات الإلهية: ٨/ ٤٢١.
وينظر: حاشية القونوي: ١٦/ ٥٦، والتحرير والتنوير: ٣/ ٣٠٥، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ص٣٩.
(٦) ينظر: روح المعاني: ٣/ ١٦٠، والتحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٠٠ و٢٧/ ٣٢.
(٧) التحرير والتنوير: ١/ ٦٩٥.
(٨) المصدر السابق: ١١/ ٤٠.
(٩) المصدر السابق: ٢٩/ ١٢٦.

والسمين الحلبي، والفيروزآبادي[(١)] رحمهم الله[(٢)].

هـ ـ «حصل من ذكر الوصفين التأكيد»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما ذكر (البائس) مع أنّ (الفقير) مغنٍ عنه؛ لترقيق أفئدة الناس على الفقير بتذكيرهم أنه في بؤس؛ لأن وصف فقير لشيوع تداوله على الألسن صار كاللقب غيرَ مُشعِرٍ بمعنى الحاجة، وقد حصل من ذكر الوصفين التأكيد»[(٣)].

و ـ «جمع بينهما تأكيدًا»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النساء: ٣٠].

قال العز بن عبد السلام[(٤)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ جمع بينهما

---

(١) هو: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي العلامة، مجد الدين أبو الطاهر، ولد بكازرون من بلاد فارس، وبها تفقه، ونظر في اللغة فكانت جل قصده في التحصيل، فمهر فيها إلى أن بهر وفاق أقرانه، من مصنفاته «القاموس المحيط» و«بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» و«البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة»، توفي سنة (٨١٧هـ).
ينظر: إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان: ٧/ ١٦٠ [ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م]، وبغية الوعاة: ١/ ٢٧٣ وطبقات المفسرين للداوودي: ص٤٨٤.

(٢) ينظر: المفردات، مادة: (ضعف)، كتاب الضاد: ص٣٠٨، وعمدة الحفاظ، مادة: (ضعف)، باب الضاد، فصل الضاد والعين: ٢/ ٣٧٩، وبصائر ذوي التمييز: ٣/ ٤٧٨.

(٣) التحرير والتنوير: ١٧/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٤) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم، أبو محمد السُّلَمي، الدمشقي، الشافعي، شيخ المذهب ومفيد أهله، برع في المذهب، وجمع علومًا كثيرة، وأفاد الطلبة ودرَّس بعدة مدارس بدمشق وولي خطابتها، ثم سافر إلى مصر ودرَّس بها وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية هناك، من مصنفاته: «تفسير القرآن» و«مجاز القرآن» و«مناسك الحج»، توفي سنة (٦٦٠هـ). =

تأكيدًا؛ لتقارب معناهما»[(١)].

وما تفرع عن هذه الصيغة؛ مثل: «جمع بينهما من قبيل التوكيد اللفظي»[(٢)]، أو «جمع بينهما تأكيدًا لتغاير اللفظين»[(٣)]، أو «حسن الجمع بينهما مع اختلاف اللفظ تأكيدًا»[(٤)]

ي ـ «متقاربان من حيث المعنى، جاء ذلك على سبيل التأكيد»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

قال أبو حيان رحمه الله: «و(ذنوبنا) و(إسرافنا) متقاربان من حيث المعنى، فجاء ذلك على سبيل التأكيد»[(٥)].

٢ ـ التعبير بصيغة التكرار الدالة على التوكيد وما تفرع عنها؛ مثل:

أ ـ «التكرار للتأكيد»:

ومثالها: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١].

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: «قال ﷻ: ﴿كَلَّآ﴾؛ يعني: حقًّا، ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: زلزلت الأرض زلزالها، والتكرار للتأكيد»[(٦)].

= ينظر: البداية والنهاية: ٣١/ ٢٣٥، وطبقات المفسرين للداوودي: ص٢١٧.

(١) تفسير القرآن، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي: ١/ ٣١٧ [ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م].
وينظر: النكت والعيون، علي بن محمد بن حبيب الماوردي تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم: ١/ ٤٧٥ [دار الكتب العلمية ـ بيروت، بدون]، والفتوحات الإلهية: ٧/ ٣٤.

(٢) التحرير والتنوير: ١/ ١٧٢.

(٣) النكت والعيون: ٢/ ٣٥٥.

(٤) المصدر السابق: ١/ ٤٧٥.

(٥) البحر المحيط: ٣/ ٨١.

(٦) بحر العلوم: ٣/ ٥٧٧.

ب ـ «كرر توكيدًا»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

قال أبو البقاء العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكرر (الهدى) توكيدًا»[(١)].

ج ـ «التكرير للتأكيد»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قال الخازن[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال بعضهم: (الشريعة) و(المنهاج) عبارتان عن معنى واحد، والتكرير للتأكيد»[(٣)].

د ـ «كرر لاختلاف اللفظ تأكيدًا»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قال مكي بن أبي طالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى حَرِج[(٤)]؛ كمعنى ضيِّق؛

---

(١) التبيان في إعراب القرآن: ١/ ٤٤٠.
وينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ص٨٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٣٠٦، والبحر المحيط: ٣/ ٥١٤.

(٢) علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الصوفي، علاء الدين، أبو الحسن، الشافعي، خازن الكتب بالخانقاه السميساطية، واشتهر بالخازن بسبب ذلك، كان صالحًا خيرًا، بشوش الوجه ذا تودد وسمت حسن، من مصنفاته: تفسيره «لباب التأويل في معالم التنزيل» و«شرح العمدة» للحافظ عبد الغني المقدسي، و«سيرة نبوية مطولة»، توفي سنة (٧٤١هـ).
ينظر: الوفيات، محمد بن رافع السلامي أبو المعالي، تحقيق: صالح مهدي عباس، د. بشار عواد معروف: ١/ ٣٧١ [ط١: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ]. وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه: ٣/ ٤٢.

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: ٢/ ٦٠ [دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م].
وينظر: التفسير الكبير للرازي: ١٢/ ١٢، وروح المعاني: ٢١/ ٥٣.

(٤) على قراءة: الكسر في (حَرِجًا) وهي قراءة: نافع وأبي بكر عن عاصم. وقرأ الجمهور بفتح الراء.
=

كرر لاختلاف لفظه للتأكيد»[١].

وما تفرع عن هذه الصيغة مثل: «كرر باختلاف اللفظين تأكيدًا»[٢] أو «كرر المعنى تأكيدًا، وحسَّن ذلك اختلاف اللفظ»[٣].

٣ ـ التعبير بلفظ «بمعنى واحد».

ومثاله: قوله تعالى: ﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥]. قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتحية من الله، والسلام من الملائكة، وقيل: التحية: البقاء الدائم والملك العظيم؛ والأظهر أنهما بمعنى واحد، وأنهما من قِبَلِ الله تعالى، دليله قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]»[٤].

ويتفرع عن هذه الصيغة بعض الصيغ الدالة على أن اللفظين بمعنى واحد؛ مثل:

أ ـ «هما بمعنى»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

قال المنتجب الهمذاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهما صفتان مشتقتان من الرحمة، فالرحمٰن (فَعْلانُ) من رَحِم؛ كغضبان وسكران من غَضِب وسَكِر، وكذلك الرحيم (فعيلٌ) منه؛ كمريض وسقيم، من مَرِض وسَقِم، وهما

= ينظر: السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف: ص٢٦٨ [ط٢، دار المعارف، مصر: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م].

(١) مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن: ١/ ٢٦٩ [ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ].
وينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محيي الدين رمضان: ١/ ٤٥٠ [ط١، من مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م]، والمحرر الوجيز: ٢/ ١١١، والجامع لأحكام القرآن: ٧/ ١٢١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/ ١٥٠، والجامع لأحكام القرآن: ٧/ ٢٦٨.

(٣) فتح القدير: ٢/ ٢٢٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٤٩٢.

بمعنًى، كما أنَّ ندمانًا ونديمًا كذلك»[١].

ب ـ «معناهما واحد»، أو: «ومعناهما واحد»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

قال ابن الهائم[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ معناهما واحد؛ أي: عيَّاب»[٣].

ج ـ «اختلف اللفظ مع اتفاق المعنى»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

قال ابن جُزَي[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قيل: لم قال: ﴿أَلۡفَ سَنَةٍ﴾ ثم قال:

---

(١) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ١/ ٦٧.
وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/ ٤٦٧، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٤٨٨ وفتح القدير: ٥/ ٦٦٣.

(٢) أحمد بن محمد بن عماد بن علي، الشهاب، أبو العباس القرافي، المصري ثم المقدسي، الشافعي، ويعرف بابن الهائم، كان خيرًا مهابًا معظمًا قوامًا بالحق، علامة في الفقه وفرائضه، والحساب وأنواعه، والنحو وإعرابه، وغير ذلك، انتهت إليه الرياسة في الحساب والفرائض، وجمع في ذلك عدة تآليف عليها معول من بعده، ارتحل إلى بيت المقدس فانقطع به للتدريس والإفتاء وانتفع به الناس، واستمر كذلك حتى مات، من مصنفاته: «الفصول المهمة في علم مواريث الأمة» و«نظم قواعد الإعراب لابن هشام» و«المغرب من استحباب ركعتين قبل المغرب»، توفي سنة (٨١٥هـ).
ينظر: الضوء اللامع: ٢/ ١٥٧، والبدر الطالع ١/ ١١٧، وطبقات المفسرين للداوودي: ص٦١.

(٣) التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي: ٤٧٥ [ط١، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م].
وينظر: معالم التنزيل: ٤/ ٥٢٣، والتفسير الكبير للرازي: ٢٨/ ١٥٣، ولباب التأويل: ٧/ ٢٨٩.

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَي، الكلبي، من أهل غرناطة، ويعرف بابن جزي، من أهل الفضل والنزاهة، والهمة، وحسن السمت، واستقامة الطريقة، =

﴿إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾، فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟ فالجواب: أن ذلك كراهة لتكرار لفظ السنة؛ فإن التكرار مكروه إلا إذا قصد به تفخيم أو تهويل»[١].

د ـ «لفظان لمعنى واحد»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ [فاطر: ٢٧].

قال الثعالبي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ لفظان لمعنى واحد»[٣].

= كان فقيهًا حافظًا قائمًا على التدريس، مشاركًا في فنون: من عربية، وأصول، وقراءات، وحديث، وأدب، حافظًا للتفسير مستوعبًا للأقوال، من مصنفاته: «التسهيل لعلوم التنزيل» و«وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم» و«القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية»، توفي سنة (٧٤١هـ) في معركة طريف التي دارت بين المسلمين وعبدة الصليب.

ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب أبو عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني، تحقيق: د. يوسف علي طويل: ١/ ٥٢ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م]، والديباج المذهب: ص٢٩٥.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي: ٣/ ١١٤ [ط١، دار الكتاب العربي، لبنان: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م]. وقد عقد أبو الحسن الهنائي المعروف بـ (كراع النمل) بابًا بعنوان: باب: إعادة المعنى إذا اختلف اللفظان. ذكر فيه أمثلة من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾ [طه: ١٠٧]. قال: والأَمْتُ أيضًا العِوَج.

ينظر: المنتخب من غريب كلام العرب، علي بن الحسن بن حسين الهنائي المعروف بـ (كراع النمل)، تحقيق: د. يحيى مراد: ص٣٤١ [دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م].

(٢) عبد الرحمٰن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المغربي المالكي، كان إمامًا علامةً مصنفًا، من مصنفاته: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» و«الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز» و«الإرشاد في مصالح العباد»، توفي سنة (٨٧٥هـ).

ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي: ٤/ ١٥٢ [مكتبة الحياة، بيروت، بدون]، والأعلام: ٣/ ٣٣١.

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٣/ ٢٥٦. =

هـ - «صفتان بمعنى واحد»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤].

قال البيضاوي رحمه الله: «والهنيء والمريء صفتان من: هَنَأ الطعامُ ومَرَأ؛ إذا ساغ من غير غَصَص»(١).

قال شيخ زاده رحمه الله «قوله: ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التَّبِعَة، ثم أشار أنهما صفتان بمعنى واحد، وهو السائغ بلا غائلة، وإن فرق البعض بينهما بأن الهنيء ما يلذُّه الآكل، والمريء ما تُحمد عاقبته»(٢).

و - «بمعنى واحد تأكيدًا»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «فأما (الغليظ القلب) فقيل: هو القاسي القلب، فيكون ذكر (الفظاظة) و(الغلظ) وإن كانا بمعنًى واحد توكيدًا»(٣).

٤ - التعبير بلفظ «هما سواء»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

قال السيوطي رحمه الله: «وأخرج ابن المنذر(٤) عن مجاهد رضي الله عنه، في

= **وينظر:** المحرر الوجيز: ٤/٤٣٧، والبحر المحيط ٣/٥١٤، وفتح القدير: ٢/١١، وتفسير القرآن الكريم (جزء عم) للشيخ محمد العثيمين: ٣١٨، ٣١٩.

(١) أنوار التنزيل: ٢/٦٠.

(٢) حاشية زاده: ٢/١١٠.

(٣) زاد المسير: ١/٤٨٦.

(٤) محمد بن إبراهيم بن المنذر، الإمام أبو بكر النيسابوري، الفقيه نزيل مكة، وأحد الأعلام، كان إمامًا حافظًا ورعًا، على نهاية من معرفة الحديث والاختلاف، وكان مجتهدًا لا يقلد أحدًا، من مصنفاته: «كتاب الإجماع» و«المبسوط» و«تفسير القرآن» قال الذهبي رحمه الله عن هذا التفسير: ولابن المنذر تفسير كبير في بضعة عشر مجلدًا يقضي له بالإمامة في علم التأويل أيضًا. توفي سنة (٣١٨).

قوله: ﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ قال: هما سواء»[(١)].

٥ ـ تفسير اللفظ الأول بمعنى، والنص على اللفظ الثاني بعبارة «مثله»:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الهُمَزَة): العيَّاب الطعَّان، و(اللُّمَزَة): مثله»[(٢)].

٦ ـ التعبير بلفظ التشديد الذي هو بمعنى التأكيد:

استخدم هذا التعبير الفراء في مواضع من كتابه «معاني القرآن»، ومنها عند ذكره أوجه الإعراب في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]. فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن شئت جعلت الثانية تشديدًا للأولى، ورفعت بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١]»[(٣)].

= ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٤٩٠، وطبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ١٠٢، وطبقات المفسرين للداوودي: ص٣٣٧.

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية: ١٠/ ٤٧٧ [ط١، دار هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م].

(٢) تفسير غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، شرح ومراجعة: إبراهيم محمد رمضان: ٤٧٠ [ط١، دار الهلال، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م].

وينظر: تفسير المشكل من غريب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. علي حسين البواب: ص٣٠٧ [مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م]، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي: ٨/ ٥٢٦ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م].

(٣) معاني القرآن: ٣/ ١٢٢.

وينظر: ١/ ١٧٧ و١٨٦ و٣/ ١١٩.

وهذا أحد الأوجه الإعرابية فيها؛ وهو كون ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الأولى مبتدأ و﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثانية تأكيدًا للأولى، والخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[1].

فهذه بعض الصيغ والألفاظ التي عبَّر بها العلماء في وقوع التوكيد بين الألفاظ المتشابهة ولم أقصد الاستيعاب في ذكرها، وإنما الإشارة إليها على وجه الإجمال؛ لأن بعضها سيأتي ذكره في أثناء الدراسة التطبيقية للآيات. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) ستأتي دراسة هذا المثال مفصلة في المبحث الأول من الفصل الأول.

ٱلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ

الأسماء المتشابهة من حيث التماثل في بنائها اللفظي

وتحته مبحثان:

- المبحث الأول: الأسماء المتوافقة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة.
- المبحث الثاني: الأسماء المتقاربة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة.

المَبْحَثُ ٱلْأَوَّلُ

الأسماء المتوافقة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة

وتحته مطلبان:

- ▫ المطلب الأول: تكرار الاسم بلفظه من غير عطف.
- ▫ المطلب الثاني: تكرار الاسم بلفظه معطوفًا على الاسم الأول.

المبحث الأول

الأسماء المتوافقة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة

تقدم أن تكرير المعنى الأول بلفظه هو أحد ركني التعريف في التوكيد اللفظي؛ بحيث تتماثل بعض الأسماء في بنائها اللفظي تماثلًا تامًّا، فيتكرر الاسم بلفظه مرة أخرى دون زيادة أو نقص في حروفه، وهذه ما أعني به بالتوافق، الأمر الذي يجعل بعض أهل العلم، من المفسرين، والنحاة، والمعربين لكتاب الله تعالى يقولون: بأن تكرار الاسم الثاني للتأكيد. **ويمكن تقسيم ما قيل التكرار فيه للتأكيد في هذا المبحث إلى مطلبين:**

المطلب الأول: تكرار الاسم بلفظه من غير عطف.

ويمكن أن يمثل له بقوله تعالى: ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١].

قال ابن خالويه رَحِمَهُ اللَّهُ في إعرابهما: «﴿دَكًّا دَكًّا﴾ مصدر، وكررت[١] الثاني تأكيدًا»[٢].

المطلب الثاني: تكرار الاسم بلفظه معطوفًا على الاسم الأول.

ويمكن أن يمثل له بقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٦].

---

(١) كذا في المطبوع، وفي حاشية المصحح: عبارة م: «وكرر تأكيدًا».اهـ. قلت: ولعلها الصواب.

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ص٨٢.

قال أبو البركات ابن الأنباري رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مُصَدِّقًا﴾ الأول منصوب على الحال من (عيسى)، و﴿لِمَا﴾ الثاني، منصوب على الحال من (الإنجيل)، وقيل: (مصدقًا) الثاني عطف على الأول؛ فيكون منصوبًا على الحال من (عيسى) أيضًا للتأكيد»[١].

ومع ما تقدم تقريره إلا أنه يمكن الوقوف على معنى دقيق في سر التكرار بين اللفظين في ضوء قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) البيان في غريب إعراب القرآن: ١/ ٢٩٣.

المطلب الأول

تكرار الاسم بلفظه من غير عطف

وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي أربع آيات) مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم:

❁ الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

حيث تكرر لفظ ﴿السَّابِقُونَ﴾ في الآية الكريمة مرتين، وفي فائدة هذا التكرار وجهان نقف عليهما من خلال ذكر أقوال أهل العلم ـ رحمهم الله ـ في إعراب الآية:

الوجه الأول: أن يكون ﴿السَّابِقُونَ﴾ الثاني تأكيدًا للأول تأكيدًا لفظيًا ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ الأول مبتدأ، وجملة: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ هي الخبر.

فيكون معنى ﴿السَّابِقُونَ﴾ الأول: مستعملًا في المبادرة والإسراع إلى الخير في الدين، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ويجوز أن يكون مستعملًا في المغالبة في تحصيل الخير؛ كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١][(١)].

ويكون ﴿السَّابِقُونَ﴾ الثاني: «تأكيد؛ أي: والسابقون السابقون حقًا، أو والسابقون هم السابقون حقًا، أو هم هم لا من عداهم»[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٨٧.

(٢) تنوير العقول والأذهان في تفسير مفصل القرآن، أ. د. سليمان بن إبراهيم اللاحم: ١/ ٤٠٠ [ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م].

وكـون ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثاني تأكيدًا. هو ما اختاره الزجاج، والنيسابوري[(١)]، وجلال الدين المحلي، والخطيب الشربيني[(٢)] رحمهم الله[(٣)].

وهو ما أجازه: الفراء، والمنتجب الهمذاني، وشيخ زاده، والطاهر بن عاشور رحمهم الله[(٤)]، وهو ما رجحه بعض المعاصرين من

---

(١) حسن بن محمد الشهير بابن القُمِّي النيسابوري، العالم الفاضل العلامة الشيخ نظام الدين وكان يعرف بنظام الأعرج، صنف: «غرائب القرآن ورغائب الفرقان في التفسير» وهو مؤلف جليل القدر والشأن، ومن مصنفاته أيضًا: «أوقاف القرآن» و«شرح الشافية»، توفي بعد سنة (٨٥٠هـ).

ينظر: بغية الوعاة: ١/ ٥٢٥، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ص٤٢٠، والأعلام: ٢/ ٢١٦. وحول اتهام القمي بالتشيع ينظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة: ١/ ٧١٩ ـ ٧٣٨. حيث نفى مؤلفو الموسوعة تهمة التشيع عنه معتمدين على مصنفه: «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» في التفسير؛ فتوجه لديهم مما نقلو منه: أنه سُنِّي، معتقده على طريقة أهل الكلام من الأشعرية والماتريدية، وهو أقرب للأشعرية، مع ما يورده من نصوص للمعتزلة في تفسيره». والله تعالى أعلم.

(٢) محمد بن أحمد الشربيني، القاهري، الشافعي، الخطيب، العلامة، أجمع أهل مصر على صلاحه، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة النسك والعبادة، من مصنفاته: «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير» و«الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع» و«شرح كتاب المنهاج»، توفي سنة (٩٧٧هـ).

ينظر: شذرات الذهب: ٨/ ٣٨٤، والأعلام: ٦/ ٦.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٨٧، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات: ٦/ ١٠٥٩ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م]، وتفسير الجلالين: ص٥٣٤، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، خرج آياته وأحاديثه وعلق حواشيه: إبراهيم شمس الدين: ٤/ ١٨٧ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م].

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ١٢٢، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٦/ ٨١، وحاشية زاده: ٤/ ٣٤٣، والتحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٨٧.

المعربين لكتاب الله تعالى[١].

الوجه الثاني: أنهما مبتدأ وخبر. **وفي ذلك تأويلان**:

التأويل الأول: **التعظيم والتفخيم**: ويكون معنى ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾؛ أي: الذين انتهوا في السبق في الطاعات، وبرعوا فيها وعرفت حالهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأظهر في إعرابه أنه مبتدأ وخبر، على عادة العرب في تكريرهم اللفظ وقصدهم الإخبار بالثاني عن الأول، يعنون أن اللفظ المخبر عنه هو المعروف خبره الذي لا يحتاج إلى تعريف ومنه قول أبي النجم[٢]:

---

(١) ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم: ٤/ ١٢٧٤، وإعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش: ٧/ ٣٩٤ [ط ٨، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م].
وينظر: تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم: ٥/ ٣٤٣ [ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م]، والكشاف: ٤/ ٤٥٧، وزاد المسير: ٨/ ١٠٥٩، والتبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١٢٠٣، وإملاء ما منَّ به الرحمٰن من وجوه الإعراب والقراءات، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض: ٢/ ٢٥٣ [المكتبة العلمية، لاهور، باكستان: بدون]، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ١٨٣، ومدارك التنزيل: ٤/ ٣١٨، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤/ ٨٨، والبحر المحيط: ٨/ ٢٠٤، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي الشربجي، وقاسم النوري: ص١٥٧ [ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م]، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخرَّاط: ٩/ ١٩٦ [ط١، دار القلم: دمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م]، واللباب في علوم الكتاب: ١٨/ ١٢٥، والمقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: شريف أبو العلاء العذوي: ص٧٦٠ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م]، وروح المعاني: ٢٧/ ١٠٥٩. ومحاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: ٩/ ٧ [ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م].

(٢) الفضل بن قدامة العجلي، من طبقة العجَّاج في الرجز، وربما قدمه بعضهم =

أَنا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي   لِلَّهِ دَرِّي مَا أَجَنَّ[١] صَدْرِي![٢]

فقوله: وشعري شعري؛ يعني: شعري هو الذي بلغك خبره، وانتهى إليك وصفه»[٣]. «فالشعر الأول مبتدأ: والمراد به الذات لا وصف الكمال والاشتهار، والثاني خبر: والمراد به وصف الكمال والاشتهار به؛ كأنه قيل: شعري الموصوف بالكمال ومشهور به، وكذا الكلام في: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾»[٤].

وهذا التأويل: هو اختيار الزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي، وابن جزي، والآلوسي رحمهم الله[٥].

وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو الأعدل الأصح»[٦].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الأولى لما فيه من الدلالة على التفخيم والتعظيم»[٧].

= على العجّاج، أحد رجاز الإسلام المتقدمين في الطبقة الأولى، له مدائح في هشام بن عبد الملك وغيره، توفي في حدود سنة (١٢٠هـ).
ينظر: تاريخ الإسلام وفيات سنة: ١٢٠: ٤٤٤، والوافي بالوفيات: ٢٤/ ٤٣.

(١) وردت هذه اللفظة هكذا (أجن) في أضواء البيان، وخزانة الأدب.
ينظر: أضواء البيان: ٧/ ٨٢٢، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب: ١/ ٤١٨ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
والذي في ديوان الشاعر: (يُجِنُّ).
ينظر: ديوان أبي النجم، الفضل بن قدامة العجلي، جمعه وشرحه: د. سجيع جميل الجبيلي: ١٠٧ [ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م].

(٢) ديوان أبي النجم: ص١٠٦، ١٠٧.

(٣) أضواء البيان: ٧/ ٨٢٢.

(٤) حاشية القونوي: ١٨/ ٣٩١.

(٥) ينظر: الكشاف: ٤/ ٤٥٦، والمحرر الوجيز: ٥/ ٢٤٠، وأنوار التنزيل: ٥/ ١٧٨، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤/ ٨٨، وروح المعاني: ٢٧/ ١٠٥٩.

(٦) التفسير الكبير: ٢٩/ ٢٠٠.

(٧) فتح القدير: ٥/ ١٩٧.

=

وقال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرجح هذا القول: أنه ذكر أصحاب الميمنة متعجبًا منهم في سعادتهم، وأصحاب المشأمة متعجبًا منهم في شقاوتهم، فناسب أن يذكر ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ مثبتًا حالهم معظمًا، وذلك بالإخبار أنهم نهاية في العظمة والسعادة»[(١)].

فذكر ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ بعد قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة: ٨، ٩]. ليحسن المقابلة بينه وبين ما تقدمه، بخلاف غير هذا الوجه؛ فإنه يفوت فيه المقابلة لقوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ﴾ إلخ. ولأن القسمة لا تكون مستوفاة حينئذ، ولفوات المبالغة المفهومة من نحو هذا التركيب على ما سمعت، مع أنهم ـ أعني: السابقين ـ أحق بالمدح والتعجيب من حالهم من السابقين، وكذلك يفوت ما في الاستئناف بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ من الفخامة. وإنما لم يقل: السابقون ما السابقون، على منوال الأولين؛ لأنه جعل أمرًا مفروغًا مسلمًا مستقلًا في المدح والتعجيب»[(٢)].

التأويل الثاني: أن يكون متعلق السبق الأول مخالفًا للسبق الثاني:

وقدّره أهل العلم بتقديرات هي من باب اختلاف التنوع، وليست من باب التضاد، **ومن هذه التقديرات قولهم:**

ـ «السابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله»[(٣)].

= **وينظر:** المحرر الوجيز: ٥/ ٢٤٠، وحادي الأرواح ١٥٧، والدر المصون ٩/ ١٩٥، واللباب في علوم الكتاب: ١٨/ ١٢٥، وحاشية زاده: ٤/ ٣٤٢، وإرشاد العقل السليم: ٨/ ١٩٠، وعناية القاضي: ٩/ ٦٧، ومحاسن التأويل: ٧/ ٩، والتحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٨٧.

(١) البحر المحيط: ٨/ ٢٠٥.
وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤/ ٨٨.

(٢) **ينظر:** حاشية القونوي: ١٨/ ٣٩١، وروح المعاني: ٢٧/ ١٠٥٩.

(٣) **ينظر:** معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٨٧، وإعراب القرآن: ٤/ ٣٢٤، ومشكل إعراب =

ـ أو «السابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنة»[1].

ـ أو «السابقون بالخيرات هم السابقون إلى الجنات»[2].

ـ أو «السابقون إلى الأعمال الصالحة هم السابقون إلى الجنة والثواب في الآخرة»[3].

ـ أو «أنهم المؤمنون بالأنبياء في زمانهم، وسابقوهم بالإيمان هم المقربون المقدمون منهم»[4].

وكل هذه المعاني يحتملها العموم في لفظة ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ كما ذكر أهل العلم رحمهم الله.

= القرآن: ٢/ ٧١١، والبيان في غريب إعراب القرآن: ٢/ ٤١٤، ٤١٥، وزاد المسير: ٨/ ١٠٥٩، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ١٨٣. الدر المصون: ٩/ ١٩٦، والمقصد لتلخيص ما في المرشد: ص٧٦٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٨/ ١٢٥.

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تحقيق: أحمد فريد: ٣/ ١٠٥٩ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م]، وبحر العلوم: ٣/ ٣٧٠، والنكت والعيون: ٥/ ٧٦٠، والوجيز للواحدي: ٢/ ١٠٥٩، والمحرر الوجيز: ٥/ ٢٤٠، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ٣/ ١٧١، والبحر المحيط: ٨/ ٢٠٤، وحادي الأرواح: ١٥٧، والدر المصون: ٩/ ١٦٩، وفتح القدير: ٥/ ١٩٧.

(٢) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ٥/ ٣٤٣، والتبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١٢٠٣، وإملاء ما مَنَّ به الرحمٰن من وجوه الإعراب والقراءات: ٢/ ٢٥٣، ومدارك التنزيل: ٤/ ٣١٨، وحادي الأرواح: ص١٥٧، والدر المصون: ٩/ ١٦٩، واللباب في علوم الكتاب: ١٨/ ١٢٥، وتيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق: ص٨٣٣ [ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م]، والقواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، اعتنى به: خالد بن عثمان السبت: ٨٣٣ [ط٢، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م].

(٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٦/ ٨١، وتفسير القرآن الكريم: الحجرات ـ ق ـ الذاريات ـ الطور ـ النجم ـ القمر ـ الرحمٰن ـ الواقعة ـ الحديد، محمد بن صالح العثيمين: ٣٢٩ [ط١، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م].

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٣/ ١٠٥٩، والنكت والعيون: ٥/ ٧٦٠.

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ عموم في السبق إلى أعمال الطاعات، وإلى ترك المعاصي»[1].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بعد أن حكى تقديرات أهل العلم في متعلَّق السبق في الآية الكريمة ـ: «وهذه الأقوال كلها صحيحة؛ فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١]. فمن سابق إلى هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١، ١٢]»[2].

وقال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ورجحه بعضهم بالعموم، وجعل ما ذُكر في أكثر الأقوال من باب التمثيل»[3].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحذف متعلق ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ في الآية لقصد جعل وصف ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ بمنزلة اللقب لهم، وليفيد العموم؛ أي: أنهم سابقون في كل ميدان تتسابق إليه النفوس الزكية؛ كقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، فهؤلاء هم السابقون إلى الإيمان بالرسل، وهم الذين صحبوا الرسل والأنبياء وتلقَّوا منهم شرائعهم، وهذا الصنف يوجد في جميع العصور من القدم، ومستمر في

(١) البحر المحيط: ٨/ ٢٠٥. وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤/ ٨٨، وحاشية القونوي: ١٨/ ٣٩١، وروح المعاني: ٢٧/ ١٠٥٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٦١.
(٣) روح المعاني: ٢٧/ ١٠٥٩.

الأمم إلى الأمة المحمدية وليس صنفًا قد انقضى وسبق الأمة المحمدية»[(١)].

«ومتى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها؛ من قبيل التفسير بالمثال، أو بالجزء، أو بالثمرة، أو بنحو ذلك، ولا معارض له، وتشهد الأدلة لصحته ـ فهو أولى بتفسير الآية؛ حملًا لها على عموم ألفاظها، ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير، إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتمًا، أو يقوم الدليل على ذلك»[(٢)].

وهذا التأويل: وهو كون متعلق السبق الأول مخالفًا للسبق الثاني: قال عنه النسفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنه أوجه»[(٣)]، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا أظهر»[(٤)]، واختاره ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[(٥)].

• **وخلاصة القول**: أنَّ كلا التأويلين على الوجه الثاني يتسق مع قاعدة التأسيس أولى من التأكيد في إفادة كل منهما معنى جديدًا:

▪ **فعلى التأويل الأول**: يكون ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الأول المراد به الذات، و﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثاني المراد به وصف الكمال والاشتهار به؛ **يعني**: الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت فخامتهم.

▪ **وعلى التأويل الثاني**: يكون متعلَّق السبق الأول مخالفًا للسبق الثاني، كما تقدم في التقديرات التي قدرها أهل العلم في معنى الآية.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) ينظر: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ، عبد الرحمٰن حسن حبنكة الميداني: ٥٩ [ط٢، دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م]. وقواعد الترجيح عند المفسرين: ٢/ ٥٢٧.

(٣) مدارك التنزيل: ٤/ ٣١٨.

(٤) حادي الأرواح: ١٥٧.

(٥) تفسير القرآن الكريم (الحجرات ـ الحديد): ٣٢٩.

فليس التكرار على كلا التأويلين للتأكيد، وإن كان التأويل الثاني أظهر؛ حملًا للآية على عمومها.

أمَّا الوجه الأول: وهو أن ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثاني تأكيدٌ لفظيٌّ للأول، فقد ردَّه عدد من أهل العلم: قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد جُعِلَ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ تأكيدًا، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ خبرًا، وليس بذاك»(١). وتبعه الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ أصح الأعاريب فيها أن قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾»(٣)، وهذا الإعراب لا يتمشى مع القول بالتأكيد. والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ ❁ ❁

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

فقد تكرر لفظ ﴿سَلَٰمًا﴾ في الآية الكريمة مرتين في سياق الحديث عن أهل الجنة، وما أنعم الله به عليهم من إكرامهم بعدم سماع اللغو، وأن ما يسمعونه ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾.

ومن خلال جمع كلام أهل العلم على الآية، **وجدتُ أنَّ ثمة رأيين في هذا التكرار:**

الرأي الأول: أن هذا التكرار يفيد التأكيد:

قال المنتجب الهمذاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكرر ﴿سَلَٰمًا﴾ للتأكيد»(٤).

---

(١) الكشاف: ٤/٤٥٧. (٢) روح المعاني: ٢٧/١٠٥٩.
(٣) تفسير القرآن الكريم (الحجرات - الحديد): ٣٢٩.
(٤) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٦/٨٣.

وهو ما اختاره بعض المعاصرين(١).

الرأي الثاني: أن التكرار في لفظ ﴿سَلَٰمًا﴾ ليس للتأكيد وفي فائدته وجهان:

الوجه الأول: إفادة فُشُوِّ السلام ودوامه وتعاقبه وتداعيه بينهم؛ أي: سلام بعد سلام.

قال السمعاني(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾؛ معناه: إلا قولهم: السلام بعد السلام، والتحية بعد التحية»(٣).

وقال البقاعي(٤) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودل على دوامه بتكريره»(٥).

وقال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يسمع كل من المُسَلِّم والمُسَلَّم عليه،

---

(١) ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم: ٤/ ١٢٧٦، والياقوت والمرجان في إعراب القرآن: ٥٤٣، والتوكيد في القرآن الكريم، فخر صالح سليمان قداره، إشراف: د. طه الزيني: ٧٤ [رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغويات، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م].

(٢) منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو المظفر السمعاني، الحنفي ثم الشافعي، الإمام العلامة، الورع الزاهد، مفتي خراسان، من أعلام أهل السُّنَّة في عصره، من مصنفاته: «التفسير» و«قواطع الأدلة في أصول الفقه» و«منهاج أهل السُّنَّة»، توفي سنة (٤٨٩هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ١١٤، وطبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٣٣٥، وطبقات المفسرين للداوودي: ٥٢٦.

(٣) تفسير القرآن: ٥/ ٣٤٧. وينظر: النكت والعيون: ٥/ ١٥٠، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ٣/ ٣٧١، وتفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٦٧.

(٤) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، البقاعي الشافعي، أخذ القراءات عن ابن الجزري وغيره، والحديث عن الحافظ ابن حجر، مهر وبرع في الفنون ودأب في الحديث، من مصنفاته: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» و«النكت على شرح ألفية العراقي» و«القول المفيد في أصول التجويد»، توفي سنة (٨٨٥هـ).
ينظر: نظم العقيان في أعيان الأعيان، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فيليب حتي: ٢٤ [المكتبة العلمية، بيروت، بدون]، وشذرات الذهب: ٧/ ٣٣٩.

(٥) نظم الدرر: ٧/ ١٥٠.

إلا سلام الآخر بدءًا أو ردًا»[١].

وقال القاسمي[٢] رحمه الله: «والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وكثرته؛ لأن المراد به: سلام بعد سلام؛ كقرأت النحو بابًا بابًا، فيدل على تكرره وكثرته»[٣].

واختار هذا الوجه من غير ما تقدم: الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، وابن جزي، وشيخ زاده، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، والقونوي، والآلوسي رحمهم الله[٤].

الوجه الثاني: الإشارة إلى كثرة المسلِّمين عليهم:

قال ابن عادل رحمه الله: «وكرر السلام إشارة إلى كثرة السلام عليهم»[٥]، ومعلوم أن كثرة السلام يستلزم كثرة المسلِّمين.

وذلك أن الله تعالى يسلم عليهم[٦]، كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٨/ ١٩٢.

(٢) جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي، الحلاق، إمام الشام في عصره، علمًا بالدين، وتضلعًا من فنون الأدب، له أبيات كثيرة، وتعاليق فوائدها غزيرة، ورسائل لطيفة، وتحقيقات شريفة، من مؤلفاته: «محاسن التأويل في تفسير القرآن» و«إصلاح المساجد من البدع والعوائد» و«قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث»، توفي سنة (١٣٣٢هـ).

ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الرابع عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق: محمد بهجت البيطار: ١/ ٤٣٩ [ط١، من مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ]، والأعلام: ٢/ ١٣٥.

(٣) محاسن التأويل: ٧/ ١١.

(٤) ينظر: الكشاف: ٤/ ٢٨٢، وأنوار التنزيل: ٥/ ١٧٩، ومدارك التنزيل: ٤/ ٣٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٨٩، وحاشية زاده: ٤/ ٣٤٤، وإرشاد العقل السليم: ٨/ ١٩٢، وعناية القاضي: ٩/ ٧٠، وحاشية القونوي: ١٨/ ٣٩٨، وروح المعاني: ٢٧/ ١٣٩.

(٥) اللباب في علوم الكتاب: ١٨/ ٣٩٤.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٣/ ٣٧١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ١٩٣، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٧/ ١٧.

رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] والملائكة يسلِّمون عليهم أيضًا[1]، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. وهم أيضًا يحيي بعضهم بعضًا بالسلام[2]، كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

وقد صاغ الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذين الوجهين في غرض تكرار لفظ (السلام) في الآية الكريمة بكلام جميل يحسن إيراده:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و﴿سَلَٰمًا﴾ الثاني تكرير لـ ﴿سَلَٰمًا﴾ الأول، تكريرًا ليس للتأكيد؛ بل لإفادة التعاقب؛ أي: سلامًا إثر سلام؛ كقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١]، وقولهم: قرأت النحو بابًا بابًا، أو مشارًا به إلى كثرة المسلِّمين، فهو مؤذن مع الكرامة بأنهم معظَّمون مبجَّلون.

والفرق بين الوجهين: أن الأول يفيد التكرير بتكرير الأزمنة، والثاني يفيد التكرار بتكرار المسلِّمين. وهذا القيل يتلقَّونه من الملائكة الموكلين بالجنة، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، ويتلقاه بعضهم من بعض، كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]»[3].

• **وخلاصة القول**: أنَّ كلا الوجهين مستلزم للآخر؛ إذ كثرة السلام

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٣/ ٢٠٨، وبحر العلوم: ٣/ ٣٧١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ١٩٣، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٧/ ١٧.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ١٩٣، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٧/ ١٧. والدر المنثور: ١٤/ ٢٤٩.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٩٧. وينظر: بلاغة النظم في آيات التحية، أ. د. محمد بن علي الصامل: ١٠٦ [ط١، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م].

وفشوُّه وتعاقبه يلزم منه كثرة المسلمين، فالآية شاملة للوجهين، فتحمل عليهما جميعًا، وكلا الوجهين يتسق مع القول بالتأسيس في إفادة كل منهما معنى جديدًا، والقول بالتأكيد يفوت هذين الوجهين؛ فلا يصار إليه. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١].

فقد تكرر لفظ ﴿دَكًّا﴾ في الآية الكريمة مرتين، **وفي تكراره لأهل العلم رأيان:**

الرأي الأول: أن ﴿دَكًّا﴾ الثاني تأكيد لفظيٌّ للأول:

قال أبو الليث السمرقندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾؛ يعني: زلزلت الأرض زلزلة، والتكرار للتأكيد»(١).

وقال ابن خالويه في إعرابهما: «مصدر، وكررت(٢) الثاني تأكيدًا»(٣).

ونص على ما ذكر ابن خالويه رَحِمَهُ اللَّهُ: أبو البركات الأنباري، والمنتجب الهمذاني رحمهما الله(٤).

واختاره عدد من النحاة: منهم ابن عصفور(٥)، وابن عقيل(٦)

(١) بحر العلوم: ٣/ ٥٥٧.
(٢) كذا في المطبوع، وفي حاشية المصحح: عبارة م: «وكرر تأكيدًا». اهـ. قلت: ولعلها الصواب.
(٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ٨٢.
(٤) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ٢/ ٥١٢، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٦/ ٣٩٧.
(٥) علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الإشبيلي، أخذ عن الدباج، والشَّلَوْبين، ولازمه مدة، ثم كانت بينهما مقاطعة، جال في بلاد الأندلس، وأقبل عليه الطلبة، كان أصبر الناس على المطالعة، لا يمل من ذلك، من مصنفاته: «شرح الجمل» و«المقرب» و«الممتع في التصريف» وغيرها. توفي سنة (٦٦٩هـ).
ينظر: بغية الوعاة: ٢/ ٢١٠، وشذرات الذهب: ٥/ ٣٣٠.
(٦) عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عقيل، بهاء الدين، القرشي، الهاشمي، العقيلي، =

رحمهما الله[١].

وهو ما رجحته بنت الشاطئ بقولها: «والأقرب أن يكون من التأكيد»[٢].

وهو ما رجحه أيضًا بعض المعاصرين[٣].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: ولعل تأكيده هنا؛ لأن هذه الآية أول آية ذُكر فيها دكُّ الجبال، وإذ قد كان أمرًا خارقًا للعادة كان المقام مقتضيًا تحقيق وقوعه حقيقة دون مجاز ولا مبالغة، فأكد مرتين هنا ولم يؤكد نظيره في قوله: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] في سورة الحاقة.

فـ ﴿دَكًّا﴾ الأول مقصود به رفع احتمال المجاز عن (دُكّتا) الدك؛ أي: هو دك حقيقي، و﴿دَكًّا﴾ الثاني منصوبًا على التوكيد اللفظي لـ ﴿دَكًّا﴾ الأول؛ لزيادة تحقيق إرادة مدلول الدَّكِّ الحقيقي؛ لأن دَكَّ الأرض العظيمة أمر عجيب؛ فلغرابته اقتضى إثباته زيادة تحقيق لمعناه الحقيقي»[٤].

= الشافعي، نحويّ الديار المصرية، كان إمامًا في العربية والبيان، وكان يتكلم في الأصول والفقه كلامًا حسنًا، حاد الخلق، جوادًا مهيبًا، لا يتردد إلى أحد، من مصنفاته: «التعليق الوجيز على تفسير الكتاب العزيز» و«الجامع النفيس في الفقه» و«شرح الألفية»، توفي سنة (٧٦٩هـ).
ينظر: بغية الوعاة: ٢/ ٤٧، وطبقات المفسرين للداوودي: ١٦٧.

(١) ينظر: شرح جمل الزجاجي، علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور، تحقيق: د. صاحب أبو جناح: ١/ ٢٦٢ [بدون] والمقرب، علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور، تحقيق: أحمد الجواري، وعبد الله الجبوري: ١/ ٢٣٨ [ط١، مطبعة العاني، بغداد: ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م]، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢/ ١٩٨.

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمٰن بنت الشاطئ: ٢/ ١٥٤ [ط٤، دار المعارف، مصر: ١٣٩٤هـ].

(٣) ينظر: الياقوت والمرجان في إعراب القرآن: ص٦٠١، وإعراب القرآن وبيانه: ٨/ ٣١٠، والجدول في إعراب القرآن وصرفه، محمود صافي، مراجعة: لينة الحمصي: ١٣/ ٢٧٥ [ط١، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م].

(٤) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٣٦.

وسيأتي النقل عن الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ في مَيْلِه إلى القول بالتأسيس مع جمهور أهل العلم من أصحاب الرأي الثاني.

الرأي الثاني: أن التكرار في الآية الكريمة للدلالة على التتابع والاستيعاب:

ومنع القائلون بهذا القول أن يكون التكرار في الآية الكريمة من قبيل التوكيد اللفظي، وعللوا ذلك بـ: «أن التوكيد اللفظي يشترط أن يكون اللفظ الثاني دالًّا على ما يدل عليه اللفظ الأول، والأمر في الآية الكريمة ليس كذلك، فإن الدَّكَّ الثاني غيرُ الدَّكِّ الأول، والمعنى: دكًّا حاصلًا بعد دَكٍّ، وجعلوه نظير قولهم: جاءوا رجلًا رجلًا، وعلَّمته الحساب بابًا بابًا»[(١)].

وكون التكرار في الآية الكريمة للدلالة على التتابع والاستيعاب، هو ما اختاره: جمهور المفسرين[(٢)].

ولعل هذا الرأي هو الأظهر، وهو الموافق للقاعدة التأسيس أولى من التأكيد، **وعلى هذا نص أهل العلم:**

---

(١) منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل المطبوع بحاشية شرح ابن عقيل، محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢/ ١٩٨ [المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م].

(٢) ينظر: جامع البيان: ٣٠/ ١٨٥، ومعالم التنزيل: ٤/ ٤٨٥، والكشاف: ٤/ ١٢١، وزاد المسير: ٩/ ١٢١، والتفسير الكبير: ٣١/ ٥٥، والجامع لأحكام القرآن: ٢٢/ ٢٨١، وأنوار التنزيل: ٥/ ٣١١، ومدارك التنزيل: ٤/ ٥٢١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/ ١٢٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤/ ١٩٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٧/ ١٢١، والبحر المحيط: ٨/ ٥١١، والدر المصون: ١٠/ ٧٩١، والبحر المحيط في أصول الفقه: ١/ ٤٨٤، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٩٦، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ١٢١، ونظم الدرر: ٨/ ١٢١، وحاشية زاده: ٤/ ٥٦٢، والسراج المنير: ٤/ ٦١٤، وإرشاد العقل السليم: ٩/ ١٥٧، وعناية القاضي: ٩/ ٤٨٩، وحاشية القونوي: ٢٠/ ٢٦٢، والفتوحات الإلهية: ٨/ ٣٣٣، وفتح القدير: ٥/ ٥٨٧، وروح المعاني: ٣٠/ ٤٨٣، ومحاسن التأويل: ٧/ ٣٢١، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم: ٤/ ١٤٥٢، وإعراب القرآن وبيانه: ٨/ ٣١٠، والتوكيد في القرآن الكريم: ٧٥.

قال ابن هشام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس من تأكيد الاسم قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢] خلافًا لكثير من النحويين؛ لأنه جاء في التفسير أن معناه: دَكًّا بعد دَكٍّ، وأن الدَّكَّ كرِّر عليها حتى صارت هباءً منبثًا، وأن معنى ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أنه تنزل ملائكة كلِّ سماء فيصطفُّون صفًّا بعد صفٍّ، محدقين بالجن والإنس؛ وعلى هذا فليس الثاني فيه تأكيدًا للأول بل المراد به التكرير، كما يقال: علمته الحساب بابًا بابًا»(١).

وقال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق كلامه على التأكيد اللفظي: «وَيُمَثِّلُهُ النحويون بقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢]. جَعْلُهُمْ ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ تأكيدًا لفظيًّا مردود؛ فإنه ليس بتأكيد قطعًا بل هو تأسيس، والمراد: صفًّا بعد صف، ودكًّا بعد دك»(٢).

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الوجه أوفى بحق البلاغة؛ فإن فيه معنًى زائدًا على التوكيد، والتوكيد حاصل بالمصدر الأول»(٣).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويحتمل أن يكون تكرار الدك تأسيسًا لا تأكيدًا، ويكون المعنى: دَكًّا بعد دَكٍّ»(٤). والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢٩٢ [ط١١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م].

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه: ١/ ٤٨٤.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٣٧.

(٤) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان: ٢٣٢ [ط١، دار الثريا، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

فقد تكرر لفظ ﴿صَفًّا﴾ في الآية الكريمة مرتين، والكلام على هذا الموضع هو كالكلام على الموضع السابق لارتباطه به في النظم؛ حيث إنَّ هذه الآية تتلوا الآية السابقة في ترتيب آيات السورة. وبعض أهل العلم يجمع الكلام عليهما في موضع واحد، الغالب هو الأول منهما، وهو قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١].

ولأهل العلم رأيان أيضًا كما تقدم في غرض التكرار في الآية السابقة، **أمَّا في هذه الآية فهناك شبه اتفاق بين المفسرين على أن التكرار ليس للتأكيد كما سيأتي:**

الرأي الأول: أن ﴿صَفًّا﴾ الثاني تأكيد لفظيٌّ للأول:

ولم أقف على قائل بالتأكيد سوى ابن عصفور رحمه الله[(١)] من المتقدمين، واختاره بعض المعاصرين ممن ألَّف في إعراب القرآن الكريم[(٢)].

الرأي الثاني: أن المراد بالتكرار الترتيب والتصنيف:

اتفق المفسرون على هذا الرأي[(٣)]، وقد حكى الطاهر بن

(١) شرح جمل الزجاجي: ١/ ٢٦٢.

(٢) ينظر: الياقوت والمرجان في إعراب القرآن: ص٦٠١، والجدول في إعراب القرآن وصرفه: ١٣/ ٢٧٥.

(٣) ينظر: جامع البيان: ٣٠/ ١٨٥، وبحر العلوم: ٣/ ٥٥٧، والوجيز للواحدي: ٢/ ١٢٠١، وتفسير القرآن للسمعاني: ٦/ ٢٢٢، ومعالم التنزيل: ٤/ ٤٨٦، والكشاف: ٤/ ١٢١، وزاد المسير: ٩/ ١٢١، والتفسير الكبير: ٣١/ ٥٥، والجامع لأحكام القرآن: ٢٢/ ٢٨١، وأنوار التنزيل: ٥/ ٣١١، ومدارك التنزيل: ٤/ ٥٢٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/ ١٢٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤/ ١٩٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٧/ ١٢١، والبحر المحيط: ٨/ ٥١١، والدر المصون: ١٠/ ٧٩١، وتفسير القرآن العظيم: ٤/ ٦٥٨، والبحر المحيط في أصول الفقه: ١/ ٤٨٤، والبرهان =

عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ اتفاقهم بقوله: «لم يختلف المفسرون في أنه من التكرير المراد به الترتيب والتصنيف؛ أي: صفًا بعد صفٍّ، أو خلفَ صفٍّ، أو صنفًا من الملائكة دون صنف، قيل: ملائكة كل سماء يكونون صفًا حول الأرض على حدة. . ، وشذ من المفسرين من سكت عنه»(١).

فإن قيل: هذا يتعارض مع ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]؛ فإنه قد يتبادر إلى الذهن أن الملائكة يقفون صفًا واحدًا؟

فالجواب: أن المراد ﴿صَفًّا﴾ مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول؛ أي: صافين أو مصفوفين، **كما ذكر ذلك أهل العلم**:

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٤] ـ: «الصفّ: مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول؛ أي: صافّين أو مصفوفين، إذا ترتبوا واحد حذو الآخر بانتظام بحيث لا يكونون مختلطين؛ لأنهم إذا كانوا الواحد حذو الآخر وكان الصف منهم تلو الآخر كانوا أبهر منظرًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: ٤]، وكان جميع سحرة البلاد المصريّة قد أحضروا بأمر فرعون فكانوا عددًا كثيرًا؛ فالصفّ هنا مراد به الجنس لا الواحدة؛ أي: ثم ائتوا صفوفًا، فهو كقوله

= في علوم القرآن: ٢/٣٩٦، وتفسير الجلالين: ص٥٩٣، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/١٢١، ونظم الدرر: ٨/١٢١، والسراج المنير: ٤/٦١٤، وإرشاد العقل السليم: ٩/١٥٧، والفتوحات الإلٰهية: ٨/٣٣٣، وفتح القدير: ٥/٥٨٨، وروح المعاني: ٣٠/٤٨٣، ومحاسن التأويل: ٧/٣٢١، وتيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان: ٩٢٤، وتفسير القرآن الكريم (جزء عم) للشيخ ابن عثيمين: ٢٠٣، وشرح العقيدة الواسطية: ٢٣٢، والتوكيد في القرآن الكريم: ٧٥.

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٣٣٧.

تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال: ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾»[1].

وقال الشنقيطي رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨] -: «ذكر جلَّ وعلا - في هذه الآية الكريمة - أن الخلائق يوم القيامة يعرضون على ربهم صفًّا؛ أي: في حال كونهم مصطفين، فـ ﴿صَفًّا﴾ في هذه الآية يراد به صفوفًا؛ كقوله في الملائكة: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. ونظير الآية قوله في الملائكة: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]»[2].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾؛ أي: صفوفًا. صفًّا بعد صف»[3].

فظهر تلاؤم الآيتين وألَّا تعارض بينهما. والله أعلم.

وكون التكرار في الآية الكريمة ليس للتأكيد هو الأظهر، وهو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد؛ **وعلى هذا نص أهل العلم:**

قال الرَّضِي[4] رحمه الله: «وأما تكرير المُنكَّر نحو قولك: قرأت الكتاب سورةً سورةً، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٦/ ٢٥٧. (٢) أضواء البيان: ٤/ ١٤٥، ١٤٦.

(٣) تفسير القرآن الكريم (جزء عم) للشيخ ابن عثيمين: ٣٦.

(٤) محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين، صاحب «شرح الكافية لابن الحاجب»، الذي لم يؤلف عليها بل ولا في غالب كتب النحو مثله جمعًا وتحقيقًا، وحسن تعليل. وقد أكبَّ الناس عليه، وتداولوه واعتمده شيوخ هذا العصر فمن قبلهم في مصنفاتهم ودروسهم، وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة، واختيارات جمة، ومذاهب ينفرد بها. ومن مصنفاته أيضًا: «شرح مقدمة ابن الحاجب» وهي المسماة بالشافية في علم الصرف، توفي سنة (٦٨٦هـ) وقيل: سنة (٦٨٤هـ).
ينظر: بغية الوعاة: ١/ ٥٦٧، وشذرات الذهب: ٥/ ٣٩٥.

فليس في الحقيقة تأكيدًا؛ إذ ليس الثاني لتقرير ما سبق، بل هو لتكرير المعنى؛ لأن الثاني غير الأول معنًى، والمعنى: جميع السُّور، وصفوفًا مختلفة»(١).

وقال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الصف: جعل الشيء على خط مستوٍ كالناس والأحجار، والمعنى صفًّا بعد صف، فلا يراد به واحدًا أبدًا، ولهذا كان قول من قال: إن صفًّا الثاني تأكيد لفظي ساقطًا؛ كما بيَّنَّاه في غير هذا»(٢).

وقال ابن هشام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس من تأكيد الاسم قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾... وأن معنى ﴿صَفًّا صَفًّا﴾: أنه تنزل ملائكة كل سماء فيصطفُّون صفًّا بعد صفٍّ، محدقين بالجن والإنس، وعلى هذا فليس الثاني فيه تأكيدًا للأول بل المراد به التكرير، كما يقال: علمته الحساب بابًا بابًا»(٣).

وقال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَعْلُهُمْ ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ تأكيدًا لفظيًّا مردود؛ فإنه ليس بتأكيد قطعًا بل هو تأسيس، والمراد: صفًّا بعد صف»(٤). والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ ❁ ❁

---

(١) شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم: ٣/١٠٧، ١٠٨ [ط١، دار عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م].

(٢) عمدة الحفاظ، مادة: (صفف)، باب الصاد، فصل الصاد والفاء: ٢/٣٤٣.

(٣) شرح قطر الندى وبل الصدى: ٢٩٢.

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه: ١/٤٨٤.

المطلب الثاني

تكرار الاسم بلفظه معطوفًا على الاسم الأول

وفيه آية واحدة هي:

❁ قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

وقد تكرر في الآية الكريمة اسمان بلفظهما مع عطف الاسم الثاني على الأول في موضعين منها:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

فقد تكرر لفظ التصديق في هذا الموضع مرتين بعطف ﴿مُصَدِّقًا﴾ الثاني على ﴿مُصَدِّقًا﴾ الأول.

والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ حيث تكرر لفظ (الهدى) أيضًا في هذا الموضع مرتين بعطف ﴿هُدًى﴾ الثاني على ﴿هُدًى﴾ الأول.

وسأتناول دراسة كل موضع منهما على حدة، فأقول وبالله التوفيق:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

فقد تكرر لفظ ﴿مُصَدِّقًا﴾ في الآية الكريمة مرتين:

الأول: على إثر ذكر عيسى ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ فإعراب ﴿مُصَدِّقًا﴾ هنا حال من عيسى ﷺ[(١)].

والثاني: جاء على إثر ذكر الإنجيل، وهو قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ فهل ﴿مُصَدِّقًا﴾ الثانية حال من عيسى فتكون مؤكدة لـ ﴿مُصَدِّقًا﴾ الأولى، أو أنها حال من الإنجيل، فتكون مُؤَسِّسَةً معنًى جديدًا.

لأهل العلم رأيان في ﴿مُصَدِّقًا﴾ الثانية بناءً على ما تقدم:

الرأي الأول: أنَّ ﴿مُصَدِّقًا﴾ الثاني حال من عيسى، عطفًا على ﴿مُصَدِّقًا﴾ الأول، كرره عل سبيل التوكيد:

قال أبو البركات ابن الأنباري ﷺ: «﴿مُصَدِّقًا﴾ الأول منصوب على الحال من عيسى، و﴿مُصَدِّقًا﴾ الثاني، منصوب على الحال من الإنجيل، وقيل: مصدقًا الثاني عطف على الأول؛ فيكون منصوبًا على الحال من عيسى أيضًا للتأكيد»[(٢)].

وكون ﴿مُصَدِّقًا﴾ الثانية حال من عيسى، هو ما أجازه: النحاس،

---

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١/ ٢٢٨، والمحرر الوجيز ٢/ ١٩٩، والبيان في غريب إعراب القرآن: ١/ ٢٩٣، والتبيان في إعراب القرآن: ١/ ٤٣٩، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢/ ٤٤٥، والجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٤، والدر المصون: ٤/ ٢٨٢، وروح المعاني: ٦/ ١٥٠، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم: ١/ ٢٣٠، والياقوت والمرجان في إعراب القرآن: ص١٢٤، وإعراب القرآن وبيانه: ٢/ ٢٤٠.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن: ١/ ٢٩٣.

ومكي بن أبي طالب، وأبو البقاء العكبري، والمنتجب الهمذاني، والقرطبي رحمهم الله[١].

ولعل مما يستأنس به لهذا القول أن تصديق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للتوراة جاء في غير موضع من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الصف: ٦]. «والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدَّم على ما عدم ذلك»[٢].

الرأي الثاني: أنَّ ﴿مُصَدِّقًا﴾ الثاني حال من الإنجيل عطفًا على محل ﴿فِيهِ هُدًى﴾ فإنها جملة في محل النصب على الحال من الإنجيل، على قول جمهور أهل العلم[٣].

فعلى هذا الرأي يكون المعنى: أن الإنجيل يصدق التوراة، فيكون ﴿مُصَدِّقًا﴾ الثاني تأسيسًا لا توكيدًا، وعلى هذا رأي جمهور أهل العلم، وفيما يلي ذكر لأقوالهم:

قال مقاتل بن سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾

---

(١) ينظر: إعراب القرآن: ٢/ ٢٣، ومشكل إعراب القرآن: ١/ ٢٢٨، والتبيان في إعراب القرآن: ١/ ٤٣٩، وإملاء ما منَّ به الرحمٰن من وجوه الإعراب والقراءات: ١/ ٢١٧، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢/ ٤٤٥، والجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٤.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/ ٣١٢.

(٣) ينظر: إعراب القرآن: ٢/ ٢٣، والكشاف: ١/ ٦٧٢، والمحرر الوجيز: ٢/ ١٩٩، والبيان في غريب إعراب القرآن: ١/ ٢٩٣، والتبيان في إعراب القرآن: ١/ ٤٣٩، وإملاء ما مَنَّ به الرحمٰن من وجوه الإعراب والقراءات: ١/ ٢١٧، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢/ ٤٤٥، وأنوار التنزيل: ٢/ ١٢٩، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ١٧٩، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم: ١/ ٢٣١، والياقوت والمرجان في إعراب القرآن: ص١٢٤، وإعراب القرآن وبيانه: ٢/ ٢٤١.

يقول: الإنجيل يصدق التوراة»(١). وهذا المعنى ذكره: السمعاني، والبغوي رحمهما الله(٢).

وقال أبو الليث السمرقندي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ يعني: الإنجيل موافقًا للتوراة في التوحيد، وفي بعض الشرائع»(٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ مقررًا هذا المعنى: «قوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ أي: متبعًا لها غير مخالف لما فيها إلا في القليل مما بيَّن لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخبارًا عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]، ولهذا كان المشهور من قولي العلماء: أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة»(٤).

وقال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ مرجحًا القول الثاني: «و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة معطوفة على موضع الجملة التي هي ﴿فِيهِ هُدًى﴾ فإنها جملة في موضع الحال، وقال مكي وغيره: ﴿مُصَدِّقًا﴾ معطوف على الأول. وفي هذا قلق من جهة اتساق المعاني»(٥).

وقال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكونُ ﴿مُصَدِّقًا﴾ هذا حالًا مِنَ الإنجيل هو الظاهر»(٦).

ونَصَّ: الواحدي، وابن الجوزي، والرازي، والخازن، وابن عادل، والبقاعي، والخطيب الشربيني رحمهم الله: على أنَّ قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٤٠٢.
(٢) ينظر: تفسير القرآن: ٢/ ٤٣، ومعالم التنزيل: ٢/ ٤٢.
(٣) بحر العلوم: ١/ ٤١٨.
(٤) تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٩١.
(٥) المحرر الوجيز: ٢/ ١٩٩.
(٦) الدر المصون: ٤/ ٢٨٣.

الثاني، ليس بتكرار لـ ﴿مُصَدِّقًا﴾ الأول؛ لأن في الأول الإخبار بأن عيسى مصدق للتوراة، وفي الثاني: الإخبار بأن الإنجيل مصدق للتوراة، فظهر الفرق بين اللفظين وأنه ليس بتكرار[١].

وهو ما رجحه الطاهر بن عاشور رحمه الله بقوله: «﴿مُصَدِّقًا﴾ حال أيضًا من الإنجيل فلا تكرير بينها وبين قوله: ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾ لاختلاف صاحب الحال ولاختلاف كيفية التّصديق؛ فتصديق عيسى التّوراةَ أمره بإحياء أحكامها؛ وهو تصديق حقيقي، وتصديق الإنجيل التّوراة اشتماله على ما وافق أحكامَها؛ فهو تصديق مجازي. وهذا التّصديق لا ينافي أنّه نَسخَ بعض أحكام التّوراة؛ كما حكى الله عنه: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]»[٢].

وقال محمد رشيد رضا رحمه الله: «قوله: ﴿لِّمَا﴾؛ أي: للتوراة التي تقدمته؛ أي: مشتملًا على النص بتصديق التوراة، وهذا غير تصديق المسيح لها بقوله وعمله أو حاله، وصفه بمثل ما وصف به التوراة وبكونه مصدقًا لها»[٣].

ونص الشوكاني أن التأسيس خير من التأكيد في هذا الموضع، فقال رحمه الله: «﴿لِّمَا﴾ معطوف على محل ﴿فِيهِ هُدًى﴾؛ أي: أن الإنجيل أوتيه عيسى حال كونه مشتملًا على الهدى والنور ﴿لِّمَا﴾ لما بين يديه من التوراة، وقيل: إن ﴿مُصَدِّقًا﴾ معطوف على ﴿مُصَدِّقًا﴾ الأول فيكون حالًا

---

(١) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين: ٢/ ١٩٤ [ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م]، وزاد المسير: ٢/ ٣٦٩، والتفسير الكبير: ١٢/ ٩، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٢/ ٥٩، واللباب في علوم الكتاب: ٧/ ٢٦١، ونظم الدرر: ٢/ ٤٦٧، والسراج المنير: ١/ ٤٣٧، ٤٣٨.

(٢) التحرير والتنوير: ٦/ ٢١٩.

(٣) تفسير المنار: ٦/ ٤٠١.

من عيسى مؤكدًا للحال الأول ومقررًا له، والأول أولى؛ لأن التأسيس خير من التأكيد»[١].

والذي يظهر من قولي أهل العلم هو القول الثاني؛ لأن التأسيس أولى من التأكيد، ولأن السياق في ذكر الثناء والمدح للإنجيل، «وحمل الآية على التفسير الذي يجعلها داخلة في معاني ما قبلها وما بعدها أولى وأحسن؛ لأنه أوفق للنظم وأليق بالسياق»[٢].

والله تعالى أعلم بكتابه.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

حيث تكررت لفظة ﴿هُدًى﴾ مرتين في سياق المدح والثناء على الإنجيل فهل لفظ ﴿هُدًى﴾ الثاني تأكيد لـ ﴿هُدًى﴾ الأول؟ أم أنه للتأسيس؟

الكلام على هذا الموضع مرتبط بما تقدمه من الحديث عن لفظة ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حيث عطف عليها لفظ ﴿وَهُدًى﴾.

فإعراب لفظ ﴿هُدًى﴾ الثاني: حال من الإنجيل معطوف على ﴿وَمُصَدِّقًا﴾. على قول جمهور أهل العلم[٣].

وجوّز العكبري، والمنتجب الهمذاني، والسمين الحلبي: أن يكون

---

(١) فتح القدير: ٢/ ٦٧.
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/ ١٢٥.
(٣) ينظر: الكشاف: ١/ ٦٧٢، والمحرر الوجيز: ٢/ ١٩٩، والبيان في غريب إعراب القرآن: ١/ ٢٩٣، وأنوار التنزيل: ٢/ ١٢٩، والبحر المحيط: ٣/ ٥١١، وإرشاد العقل السليم: ٣/ ٤٣، وفتح القدير: ٢/ ٦٧، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم: ١/ ٢٣١، والياقوت والمرجان في إعراب القرآن: ص١٢٤.

إعراب ﴿هُدًى﴾: حال من عيسى ﷺ، ويكون المعنى: ذا هدى أو هاديًا[(١)].

وسيكون الكلام على التكرار في لفظة ﴿هُدًى﴾ بناء على قول الجمهور، كما تقدم في الترجيح في الموضع السابق من أن ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ الثانية حال من الإنجيل عطفت عليها لفظة ﴿هُدًى﴾. وهي حال من الإنجيل أيضًا.

فما غرض تكرارها في قوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقد تقدم وصف الإنجيل بأنه ﴿هُدًى وَنُورٌ﴾؟ **لأهل العلم رأيان أيضًا في هذا التكرار:**

الرأي الأول: أن التكرار لغرض التوكيد:

قال العكبري رحمه الله: «وكرر (الهدى) توكيدًا»[(٢)].

وهو ما اختاره مقاتل بن سليمان رحمه الله، حيث فسَّر لفظ ﴿هُدًى﴾ في كلا الموضعين بقوله: ﴿هُدًى﴾ من الضلالة[(٣)].

واختار الطبري رحمه الله أن يكون معنى ﴿وَهُدًى﴾ في كلا الموضعين: هو بيان ما جهله الناس من حكم الله الذي ارتضاه لعباده المتقين في زمان عيسى[(٤)].

وفسَّر ابن كثير رحمه الله لفظ ﴿هُدًى﴾ الأولى بقوله: هدى إلى الحق

---

(١) ينظر: التبيان إعراب القرآن: ١/٤٣٩، وإملاء ما مَنَّ به الرحمٰن من وجوه الإعراب والقراءات: ١/٢١٧، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢/٤٤٥، والدر المصون: ٤/٢٨٤.

(٢) ينظر: التبيان إعراب القرآن: ١/٤٣٩، وإملاء ما مَنَّ به الرحمٰن من وجوه الإعراب والقراءات: ١/٢١٧.

(٣) تفسير مقاتل: ١/٤٠٢.

(٤) جامع البيان: ٦/٢٦٤.

و﴿هُدًى﴾ الثانية: يُهتدى به(١). وعند التأمل نجد أن معناهما واحد في كون الإنجيل هدى يُهتدى به.

الرأي الثاني: أن تكرار لفظة ﴿وَهُدًى﴾ ليس لغرض التوكيد، بل تحت التكرار معنًى دقيقٌ نقف عليه من خلال ذكر كلام أهل العلم عن غرض التكرار في لفظة ﴿وَهُدًى﴾:

فلفظ ﴿هُدًى﴾ الأولى: فسرها أهل العلم: بأصول الديانات والتوحيد.

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والهدى**: الإرشاد والدعاء إلى توحيد الله وإحياء أحكامه»(٢).

وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإنجيل ﴿هُدًى﴾ **بمعنى**: أنه اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه، وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوّة وعلى المعاد، فهذا هو المراد بكونه هدى»(٣). وتبعه على هذا القول: ابن عادل الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤).

وقال النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والهدى الأول أصول الديانات؛ كالتوحيد والنبوات والمعاد»(٥).

أمّا لفظة ﴿هُدًى﴾ الثانية:

فالمراد بها: اشتمال الإنجيل على البشارة بمجيء محمد ﷺ؛ لأن ذلك سبب اهتداء الناس إلى نبوته.

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما كونه ﴿هُدًى﴾ مرة أخرى؛ فلأن اشتماله على البشارة بمجيء محمد ﷺ سبب لاهتداء الناس إلى نبوّة محمد ﷺ، ولما كان أشد وجوه المنازعة بين المسلمين وبين اليهود والنصارى في

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٩١.
(٢) المحرر الوجيز: ٢/ ١٩٩.
(٣) التفسير الكبير: ١٢/ ٢٦٤.
(٤) اللباب في علوم الكتاب: ٧/ ١٥٠.
(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٥٩٧.

ذلك لا جرم أعاده الله تعالى مرة أخرى؛ تنبيهًا على أن الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوّة محمد ﷺ، فكان ﴿هُدًى﴾ في هذه المسألة التي هي أشد المسائل احتياجًا إلى البيان والتقرير»(١). وهذا ما نص عليه: النيسابوري، والخازن، وأبو حيان، وابن عادل، والآلوسي رحمهم الله(٢).

ولعل مما يؤيد هذا القول ما ذكره الشنقيطي رحمه الله تعالى عند تفسير الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].

قال رحمه الله: «لم يبيِّن هنا شيئًا مما أنزل في الإنجيل الذي أمر أهل الإنجيل بالحكم به، وبيَّن في مواضع أُخر أن من ذلك البشارة بمبعث نبيِّنا محمد ﷺ، ووجوب اتباعه، والإيمان به؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الصف: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. إلى غير ذلك من الآيات»(٣).

والذي يظهر ـ والعلم عند الله ـ: أن غرض التكرار بين هذين اللفظين ليس التأكيد، وإنما هو ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني: بناء على قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وتفسير لفظة ﴿هُدًى﴾ الثانية بما فسرت به يعضده آيات أخرى من كتاب الله تعالى دلت عليه. «والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك»(٤).

والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) التفسير الكبير: ١٢/ ٢٦٤.

(٢) ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٥٩٧، ولباب التأويل: ٢/ ١٥٠، والبحرالمحيط: ٣/ ٥١١، واللباب في علوم الكتاب: ٧/ ١٥٠، وروح المعاني: ٦/ ١٥٠.

(٣) أضواء البيان: ٢/ ١٢٩.

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/ ٣١٢.

المَبْحَثُ ٱلثَّانِي

الأسماء المتقاربة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة

وتحته مطلبان:

- المطلب الأول: تكرار الاسم بلفظ مقارب من غير عطف.
- المطلب الثاني: تكرار الاسم بلفظ مقارب معطوفًا على الاسم الأول.

المَبحثُ الثَّاني

الأسماء المتقاربة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة

كان الكلام في المبحث السابق عن تكرار الاسم بلفظه مرة أخرى دون زيادة أو نقص في حروفه؛ إلا أن هناك نوعًا من التكرار، يختص بإعادة اللفظ مع اختلاف يسير في المبنى؛ كأن يكون اللفظ مركبًا من اللفظ الذي قبله في أكثر الحروف؛ كقوله تعالى: ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

أو يكون بينهما اختلاف يسير في المبنى بزيادة حرف أو حركة أو نحوه وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤][(١)]، وقوله تعالى: ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]. قال الآلوسي رحمه الله: «ومن عادة العرب أن يصفوا الشيء بما يُشتق منه للمبالغة وهو كثير، وذكر منها قوله تعالى: ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]»[(٢)].

وقد يكون هذا التكرار بلفظ مقارب مع عطفه على الاسم الأول، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]. فلفظ

---

(١) وقد ذكر عبد الرحمٰن المطردي هذا المثال في باب التوكيد اللفظي.
ينظر: أساليب التوكيد في القرآن الكريم: ٢٩٣.

(٢) روح المعاني: ٣/٩٩، ١٠٠.
وينظر: التكرير بين المُثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد: ٢٠٦ [ط٢، دار عالم الكتب بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م].

(الميثاق) تكرر في الآية الكريمة مرتين، مع اختلاف يسير في آخر اللفظتين، بالإضافة إلى عطف الميثاق الثاني على الأول.

يضاف إلى ذلك أنَّ هذا التقارب في البناء اللفظي بين هذه الأسماء قد يعضده أمر آخر؛ وهو الاشتراك في أصل المعنى بين اللفظين.

ويمكن تقسيم ما قيل التكرار فيه للتأكيد بلفظ مقارب في هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: تكرار الاسم بلفظ مقارب من غير عطف.

المطلب الثاني: تكرار الاسم بلفظ مقارب معطوفًا على الاسم الأول.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول

تكرار الاسم بلفظ مقارب من غير عطف

وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي ثلاث آيات) مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤].

فقد ورد لفظ ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ مركبًا من اللفظ الذي قبله في أكثر حروفه وهو لفظ ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾. وقد عدَّ بعض أهل العلم هذا نوعًا من التأكيد؛ «فإن من شأن العرب أن يشتقُّوا من لفظ الشيء الذي يرون المبالغة في وصفه ما يتبعونه؛ تأكيدًا أو تنبيهًا على تناهيه في وصفه؛ كقولهم: شعر شاعر، وداهية دهيا، وألوف مؤلَّفة»[١].

ولأهل العلم في التعبير عن وقوع التأكيد بين هاتين اللفظتين طريقان:

الطريق الأول: من رأى أن ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ مأخوذة من لفظ القنطار للتوكيد.

قال الجمل رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا على قول السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: المُجَمَّعَة»[٢]: «وقوله: (المجمعة): إشارة إلى أنه تأكيد مشتق من المؤكد كبدرة مبدرة»[٣].

---

(١) ينظر: حاشية زاده: ٢/ ١٢، وعناية القاضي: ٣/ ٢٠، وحاشية القونوي: ٦/ ٥٢.

(٢) تفسير الجلالين: ص٥١.

(٣) الفتوحات الإلهية: ١/ ٤١٢.

وقد اختار هذا الرأي جمع من أهل العلم منهم: الزمخشري، والرازي، والمنتجب الهمذاني، والبيضاوي، وابن جزي، وابن عادل، وأبو السعود، والقاسمي، وابن عاشور رحمهم الله[(١)].

فـ (القناطير): جمع قنطار، و**(القنطار) في اللغة**: «مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، و(القنطرة) مأخوذة من ذلك، فكأن القنطار هو الجملة من المال التي تكون عقدة وثيقة منه»[(٢)].

و﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ مأخوذة من لفظ (القنطار) للتوكيد[(٣)].

قال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أمَّا لفظ (القنطار) فمعناه**: العقدة المحكمة من المال، هذا هو الأصل فيه عندي، وسائر الأقوال في معناه ترجع إليه، ومنها: المال الكثير بعضه على بعض، وقيل: ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ المحكمة العقدة»[(٤)].

الطريق الثاني: من فسر ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ بمعنى واحد.

وقد تقدم معنا في طرق العلماء في التعبير عن التوكيد أن يُفَسَّرَ اللفظان بمعنى واحد، وممن فسر اللفظين بمعنى واحد: مقاتل بن سليمان، والثعلبي، والواحدي رحمهم الله. فمعنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ عندهم: «المال الكثير بعضه على بعض»[(٥)].

---

(١) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٧١، والتفسير الكبير: ٧/ ٣٠٠، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢/ ٢٢، وأنوار التنزيل: ٢/ ٨، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ١٠٢، اللباب في علوم الكتاب: ٥/ ٧٥، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١٥، ومحاسن التأويل: ٢/ ٤١، والتحرير والتنوير: ٣/ ١٨٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٣٢٤.

(٣) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢/ ٢٢.

(٤) تفسير المنار: ٣/ ٢٤٤.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ٢٠١، والكشف والبيان: ٣/ ٢٣، والوجيز للواحدي: ١/ ٢٠١.

وقبل الشروع في بيان معنى ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ لا بد من الوقوف على معنى ﴿ٱلْقَنَـٰطِيرِ﴾ في الآية الكريمة؛ حتى يتضح المراد في معنى ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾؛ **فأقول وبالله التوفيق:**

جمهور المفسرين على أن ﴿ٱلْقَنَـٰطِيرِ﴾ واحدها قنطار: «والعرب لا تحد القنطار بمقدار معلوم من الوزن»[(١)].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير؛ كما قال الربيع بن أنس[(٢)]، ولا يحدُّ قدر وزنه بحدٍّ على تعسف»[(٣)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**القنطار**: المال الكثير بعضه على بعض، وهذا هو المعروف عند العرب، ومنه قوله: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠]؛ **أي**: مالًا كثيرًا»[(٤)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اختلف المفسرون في مقدار (القنطار) على أقوال، **وحاصلها**: أنه المال الجزيل؛ كما قاله: الضحاك[(٥)] وغيره»[(٦)].

(١) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٨٨، ومعاني القرآن للنحاس: ١/ ٣٦٧، والنكت والعيون: ١/ ٣٠١، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٠٠، وزاد المسير: ١/ ٣٥٩، والتفسير الكبير: ٧/ ٣٠٠، وأنوار التنزيل: ٢/ ٨، ومدارك التنزيل: ١/ ٢٢٥، وتفسير الجلالين: ص٥١، والسراج المنير: ١/ ٢٣١، وحاشية زاده: ٢/ ١٢، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١٥، وعناية القاضي: ٣/ ٢٠، وحاشية القونوي: ٦/ ٥٢.

(٢) الربيع بن أنس بن زياد البكري، الخراساني، المروزي، سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي وأكثر عنه، سجنه أبو مسلم تسعة أعوام، وتحيل ابن المبارك حتى دخل إليه فسمع منه. توفي سنة (١٣٩هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٦٩.

(٣) جامع البيان: ٣/ ٢٠١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٤٨.

(٥) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بالمجوِّد لحديثه، وهو صدوق في نفسه، له باع كبير في التفسير والقصص، توفي سنة (١٠٢هـ). سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٩٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٤٥٩.

وبعد أن بينت أن المراد بالقناطير المالُ الكثيرُ بعضه على بعض، أشرعُ في ذكر أقوال أهل العلم في معنى لفظة ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾، **وحاصل هذه الأقوال ما يلي:**

١ - **قيل:** المُنَضَّدَة بعضها فوق بعض؛ وهذا مروي عن قتادة رحمه الله[1]، وذكره النسفي، وأبو السعود، والآلوسي رحمهم الله[2].

٢ - **وقيل:** المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم؛ وهذا مروي عن السُدِّي[3] رحمه الله[4].

٣ - **وقيل:** المُكَمَّلة؛ اختاره النحاس، ومكي بن أبي طالب رحمهما الله[5].

٤ - **وقيل:** المَكِيلة؛ ذكره أبو الليث السمرقندي رحمه الله[6].

٥ - **وقيل:** المجموعة المُمَلَّكة؛ اختاره السمعاني رحمه الله[7].

٦ - **وقيل:** المجموعة قناطر قناطر؛ اختاره الراغب الأصفهاني رحمه الله[8].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان: ٣/ ٢٣، ومعالم التنزيل: ١/ ٢٨٤.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل: ١/ ٢٢٥، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١٥، وروح المعاني: ٣/ ١٠٠.

(٣) إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أبي كريمة، الإمام المفسر، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي الأعور السُدِّي، أحد موالي قريش، روى عن ابن عباس، وأنس، وطائفة. توفي سنة (١٢٧هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٦٤، وطبقات المفسرين للداوودي: ٧٩.

(٤) جامع البيان: ٣/ ٢٠١.

(٥) ينظر: معاني القرآن: ١/ ١٩٥، وتفسير المشكل من غريب القرآن: ص٤٨، والنكت والعيون: ١/ ٣٠١.

(٦) بحر العلوم: ١/ ٢٤.

(٧) تفسير القرآن: ١/ ٣٠٠.

(٨) تفسير الراغب الأصفهاني من سورة آل عمران وحتى نهاية الآية (١١٢) من سورة النساء، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشدي: ١/ ٤٥٠ [ط١، مدار الوطن، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م]. =

٧ - **وقيل**: الحاضرة العتيدة؛ اختاره ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

٨ - **وقيل**: المدفونة(٢)، أو المكنوزة المدفونة(٣).

٩ - **وقيل**: المعتنى بها؛ اختاره ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ(٤).

وأغلب هذه الأقوال هي مأخوذة من لفظ ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾؛ فهي تفيد أن القناطير، وهي المال الكثير بعضه على بعضه، حصل فيها عملٌ، فبسبب هذه الكثرة يكون قد نضد بعضه فوق بعض، وإذا كان مضاعفًا، لا بد من جمعه وكيله، وتجزئته قناطر قناطر، والاعتناء به، ويكون محكمًا محصنًا، حاضرًا عتيدًا مملكًا بين يدي صاحبه فلا يكون عقارًا، ولا ماشية؛ لأن هذه الأنواع من المال شيء متفرق ولا يصلح أن يقال فيه مقنطر؛ لأن في الآية ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾.

«ومتى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها؛ من قبيل التفسير بالمثال، أو بالجزء، أو بالثمرة، أو بنحو ذلك ولا معارض له، وتشهد الأدلة لصحته - فهو أولى

= ووقع في المفردات: المجموعة قنطارًا قنطارًا. وتبعه على ذلك السمين الحلبي، والفيروزآبادي.
ينظر: المفردات، مادة: (قطر)، كتاب القاف: ٤٢٤، وعمدة الحفاظ، مادة: (قطر)، باب القاف، فصل القاف والطاء: ٣/ ٣٢٠، وبصائر ذوي التمييز: ٤/ ٢٨١.
قال الدكتور عادل الشدي - وفقه الله -: «في المفردات قال: المجموعة قنطارًا قنطارًا، وفي الأصل: قناطرًا قناطرًا. والصواب ما أثبته».
ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: ١/ ٤٥٠.

(١) المحرر الوجيز: ١/ ٤٠٩.

(٢) ينظر: الكشف والبيان: ٣/ ٢٣، ومعالم التنزيل: ١/ ٢٨٤، ومدارك التنزيل: ١/ ٢٢٥، والبحر المحيط: ٢/ ٢٧٨، وروح المعاني: ٣/ ١٠٠.

(٣) روح المعاني: ٣/ ١٠٠.

(٤) تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)، محمد بن صالح العثيمين: ١/ ٨٧ [ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م].

بتفسير الآية حملًا لها على عموم ألفاظها، ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير، إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتمًا، أو يقوم الدليل على ذلك»(١).

غير أن بعض الأقوال بعيدة عمّا تفيده لفظة ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾؛ كقول من فسرها بأنها المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم. فقد قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن قال: إنه المسكوك أشهى للنفوس، ولكن لا تعطي ذلك لفظة ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾»(٢)، وكذا من فسرها بأنها المدفونة؛ لأنه بعيد عما تفيده لفظة ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾.

• **وخلاصة القول:** أنَّ هناك فرقًا بين لفظتي ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ و﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ فليس الجمع بينهما للتأكيد؛ فلفظ ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ معناه: المال الكثير بعضه على بعض، ولفظ ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ مخرَّج على الأقوال المعتبرة المتقدمة، وهذا يتمشى مع قاعدة التأسيس أولى من التأكيد في إفادة كل من اللفظين معنًى جديدًا. والله أعلم بكتابه.

***

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

نهى الله ﷻ في الآية الكريمة المؤمنين عن أكل الربا ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾، ومن خلال النظر في أقوال أهل العلم في معنى قوله تعالى: ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ **تبين لي أن لأهل العلم رأيين في ذلك:**

الرأي الأول: أنه جمع بينهما للتأكيد:

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن قيل: لم قال: ﴿أَضْعَٰفًا

---

(١) ينظر: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ: ٥٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين: ٢/ ٥٢٧.
(٢) المحرر الوجيز: ١/ ٤٠٩.

﴿مُضَاعَفَةً﴾ فجمع بين اللفظتين؟ قيل: قال بعضهم: ذلك للتأكيد»[١].

وقال مرة: «فقد قيل: أتى باللفظين على التأكيد»[٢]. وتبعه على العبارة الثانية السمين الحلبي، والفيروزآبادي رحمهما الله[٣].

وقال ابن عطية رحمه الله: «قوله: ﴿مُضَاعَفَةً﴾ إشارة إلى تكرار التضعيف عامًا بعد عام كما كانوا يصنعون؛ فدلت هذه العبارة المُؤَكِّدة على شُنعة فعلهم وقبحه»[٤].

الرأي الثاني: أن الجمع بين اللفظتين ليس للتأكيد:

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بقوله تعالى: ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾.

فقوله: ﴿أَضْعَافًا﴾ جمع قلة[٥] لضِعف ـ بكسر الضاد ـ[٦] وضعف

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني: ٢/ ٨٥٠، ٨٥١.

(٢) المفردات، مادة: (ضعف)، كتاب الضاد: ٣٠٨.

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ، مادة: (ضعف)، باب الضاد، فصل الضاد والعين: ٢/ ٣٧٩، وبصائر ذوي التمييز: ٣/ ٤٧٨.
تنبيه: يقول د. مساعد الطيار وفقه الله: «يمكن الاستفادة في باب الفروق بين الألفاظ من الكتب الآتية: وذكر منها: مفردات ألفاظ غريب القرآن للراغب الأصفهاني، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، ويلاحظ أنه اعتمد في بيان معاني الألفاظ على كتاب الراغب الأصفهاني».
ينظر: شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٣٥.
قلت: وكذلك السمين الحلبي رحمه الله في كتابه عمدة الحفاظ يعتمد في بيان معاني الألفاظ على كتاب الراغب الأصفهاني إلا أنه يتعقب الراغب في بعض المواضع. والله تعالى أعلم.

(٤) المحرر الوجيز: ١/ ٥٠٧.
وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٣١١، وفتح القدير: ١/ ٦٦٢.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٣/ ٥٨، والدر المصون: ٣/ ٣٩٣.

(٦) ينظر: القاموس المحيط، مادة: (ضعف)، باب الفاء فصل الضاد: ٨٢٩، والتحرير والتنوير: ٤/ ٨٥، وتفسير المنار: ٤/ ١٣١.

الشيء: مثله[(١)]؛ بمعنى: «أنك تكرره مرتين فيكون ضعفًا كالدرهم بدرهمين»[(٢)].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: «الأضعاف جمع ضِعف ـ بكسر الضّاد ـ وهو معادل الشيء في المقدار إذا كان الشيء ومماثله متلازمين، لا تقول: عندي ضعف درهمك، إذ ليس الأصل عندك، بل يحسن أن تقول: عندي درهمان، وإنَّما تقول: عندي درهم وضعفه، إذا كان أصل الدرهم عندك، وتقول: لك درهم وضِعفه، إذا فعلت كذا»[(٣)].

وقوله: ﴿مُّضَـٰعَفَةً﴾؛ أي: هي أضعاف يدخلها التضعيف[(٤)]؛ يعني: مزيدة على الضعف الأول[(٥)]. وذلك يكون في الأثمان وسببه زيادة الآجال.

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللهُ: «وقيل: المضاعفة منصرفة إلى الأموال؛ فإن كان الربا في السن يرفعونها: مَخاض[(٦)] بابنة لَبون[(٧)]، ثم حِقَّة[(٨)]، ثم

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، مادة: (ضعف)، باب الفاء فصل الضاد: ٨٢٩، وروح المعاني: ٤/ ٥٥، والتحرير والتنوير: ٤/ ٨٥، وتفسير المنار: ٤/ ١٣١.

(٢) تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)، محمد بن صالح العثيمين: ٢/ ١٥٦.

(٣) التحرير والتنوير: ٤/ ٨٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)، محمد بن صالح العثيمين: ٢/ ١٥٦.

(٦) **المخاض**: اسم للنوق الحوامل، وبنت المخاض وابن المخاض: ما دخل في السنة الثانية؛ لأن أمه قد لحقت بالمخاض؛ أي: الحوامل. النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (مخض)، باب الميم مع الخاء: ٨٦٠.

(٧) **بنت اللبون وابن اللبون**: هما من الإبل ما أتى عليه سنتان، ودخل في الثالثة فصارت أمه لبونًا؛ أي ذات لبن؛ لأنها تكون قد حملت حملًا آخر ووضعته. النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (لبن)، باب اللام مع الباء: ٨٢٦.

(٨) **الحِقُّ والحِقَّة**: وهو من الإبل ما دخل في السنة الرابعة إلى آخرها، وسمي بذلك لأنه استحق الركوب والتحميل، ويجمع على حِقَاق وحقائق. النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (حقق)، باب الحاء مع القاف: ٢٢١.

جَذَعَة[١]، هكذا إلى فوق. وإن كان في النقود فمائة إلى قابل بمائتين، فإن لم يوفِّهما فأربعمائة»[٢].

وهذا هو صنيع أهل الجاهلية؛ فعن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ «قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا﴾؛ يعني: ربا الجاهلية»[٣].

وذلك أنّهم كانوا إذا دَاينوا أحدًا إلى أجل داينوه بزيادة، ومتى أعسر عند الأجل أو رام التأخير زاد مثل تلك الزيادة، فيصير الضِّعف ضعفًا، ويزيد بصورة أن يجعلوا الدّين مضاعفًا بمثله إلى الأجل، وإذا ازداد أجلًا ثانيًا زاد مثل جميع ذلك. وهذا ما ذكره عامة المفسرين في معنى الآية الكريمة[٤].

وبناء على ما تقدم فقد فرق أهل العلم بين اللفظتين، فليست

---

(١) أصل الجذع من أسنان الدواب، وهو ما كان منها شابًا فتيًّا، وهو من الإبل ما دخل في السنة الخامسة. النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (جذع)، باب الجيم مع الذال: ١٤٣.

(٢) البحر المحيط: ٣/ ٥٧.

(٣) تفسير مجاهد: ١/ ١٣٤.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ١٩١، وجامع البيان: ٤/ ٩٠، ومعاني القرآن للنحاس: ١/ ٤٧٤، وبحر العلوم: ١/ ٢٧٠، وأحكام القرآن للجصاص: ٢/ ٣٢٥، وتفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز: ١/ ٣١٨ [ط١، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م]، وتفسير المشكل من غريب القرآن: ص٥٢، والنكت والعيون: ١/ ٤٢٤، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٥٦، ومعالم التنزيل: ١/ ٣٥٠، والكشاف: ١/ ٤٤٢، وزاد المسير: ١/ ٤٥٨، والتفسير الكبير: ٩/ ٤٥٨، وأنوار التنزيل: ٢/ ٣٨، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢/ ١٢٨، ومدارك التنزيل: ١/ ٢٧٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ١١٨، ولباب التأويل: ١/ ١٧٨، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٢٦، واللباب في علوم الكتاب: ٥/ ٤٠٥، وتفسير الجلالين: ص٦٦، والسراج المنير: ١/ ٢٨٣، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ٨٤، وفتح القدير: ١/ ٦٢٢، وروح المعاني: ٤/ ٥٥، ومحاسن التأويل: ٢/ ٤١، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص١٤٨، والتحرير والتنوير: ٤/ ٨٥، وتفسير المنار: ٤/ ١٣١، وتفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)، محمد بن صالح العثيمين: ٢/ ١٥٦.

﴿مُّضَٰعَفَةً﴾ تأكيدًا لقوله: ﴿أَضْعَٰفًا﴾، وفيما يلي ذكر لأقوالهم:

قال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد قال ﴿مُّضَٰعَفَةً﴾ بعد ذكر (الأضعاف)؛ كأن العقد يكون ابتداء على الأضعاف، ثم تأتي المضاعفة بعد ذلك بتأخير الأجل وزيادة المال»(١).

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالأضعاف من أوّل التداين للأجل الأوّل، ومضاعفتها في الآجال الموالية»(٢).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿مُّضَٰعَفَةً﴾؛ يعني: مزيدة على الضعف الأول، مثلًا كدرهم بدرهمين، وبعد سنة نجعله بثلاثة دراهم، وبعد سنة نجعله بأربعة دراهم»(٣).

وبهذا يتضح الفرق بين اللفظتين وسر الجمع بينهما، وما ذكره أهل العلم تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ ❁ ❁

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣].

ذكر الله ﷻ في الآية الكريمة تمنِّي مريم بنت عمران لما جاءها المخاض: أن لو كانت ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾؛ من شدَّة الأمر الذي نزل بها خوفًا من الفضيحة، وما تمنَّته مريم بنت عمران تمنَّته أم المؤمنين عائشة(٤) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ لمَّا رماها أهل الإفك بما رموها به زورًا وبهتانًا

---

(١) تفسير المنار: ٤/١٣١.
(٢) التحرير والتنوير: ٤/٨٦.
(٣) تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)، محمد بن صالح العثيمين: ٢/١٥٦.
(٤) هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وعن أبيها - أم المؤمنين، كانت من أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا، توفيت سنة (٥٨هـ) وقيل: سنة (٥٧هـ). ينظر: الإصابة: ٨/١٦.

قالت رضي الله عنها: «وَدِدتُّ أني كنت نَسْيًا مَنْسِيًّا»(١).

ومن خلال النظر في أقوال أهل العلم في المراد بهذين اللفظين تبين لي أن لهم رأيين في ذلك:

الرأي الأول: أن اللفظين بمعنى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا:

قال الجمل رحمه الله: «و(النِّسْيُ) بمعنى المَنْسِي، كالذِّبْح بمعنى المذبوح، فقوله: ﴿مَنسِيًّا﴾ تأكيد»(٢).

وقال الماوردي(٣) رحمه الله: «النَّسْيُ المَنْسِي: السَّقَطُ؛ قاله الربيع، وأبو العالية(٤)»(٥).

والمراد بالسَّقَطُ: رَدِيءُ المتاع(٦)، فعلى هذا التفسير يكون النَّسْيُ والمَنْسِي بمعنًى واحد، جمع بينهما تأكيدًا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور: ١٦] ح برقم (٤٧٥٣) ٨٣٢.

(٢) الفتوحات الإلهية: ٥/ ١٥.

(٣) علي بن محمد بن حبيب، القاضي أبو الحسن، الماوردي البصري، الشافعي، له مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير، وأصول الفقه والأدب، وكان حافظًا للمذهب، من مصنفاته: «الحاوي في الفقه» و«النكت والعيون في التفسير» و«الأحكام السلطانية»، توفي سنة (٤٥٠هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٦٥، وطبقات المفسرين للداوودي: ص٢٩٢.

(٤) رفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أحد الأعلام، كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، توفي سنة (٩٠هـ) وقيل: (٩٣هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٠٧، وطبقات المفسرين للداوودي: ص١٢٥.

(٥) النكت والعيون: ٣/ ٣٦٤.

(٦) القاموس المحيط، مادة: (سقط)، باب الطاء فصل السين: ٦٧١.

الرأي الثاني: أن قوله ﴿مَنسِيًّا﴾ ليس تأكيدًا لقوله: ﴿نَسْيًا﴾:

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بهذين اللفظين، وسر الجمع بينهما؛ **فأقول وبالله التوفيق:**

أمّا قوله: ﴿نَسْيًا﴾. ففيه قراءتان: ﴿نَسْيًا﴾ بنصب النون، و(نِسْيًا) بكسرها[(١)]، «وهما قراءتان بمعنى واحد»[(٢)].

وأمّا معنى: ﴿نَسْيًا﴾ فقد قال النحاس رَحِمَهُ اللهُ: «**والنَّسْيُ عند أهل اللغة على ضربين: أحدهما:** ما طال مُكثه فَنُسِي، **والآخر:** الشيء الحقير الذي لا يُعبأ به»[(٣)].

وأقوال أهل العلم في معنى ﴿نَسْيًا﴾ راجعة إلى ما ذكره النحاس رَحِمَهُ اللهُ عن أهل اللغة، وما ذكروه هو من باب اختلاف التنوع، وليست من باب التضاد، **ومن هذه الأقوال التي ذكروها في معنى** ﴿نَسْيًا﴾ **قولهم:**

- الشيء المَنْسِي الذي لا يذكر[(٤)].
- أو شيئًا متروكًا لا يُعرف ولا يُذكر[(٥)].
- أو لا أعرف ولا يُدْرَى من أنا[(٦)].

---

(١) قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص بنصب النون، وقرأ الجمهور بالكسر. **ينظر:** السبعة لابن مجاهد: ٤٠٨.

(٢) **ينظر:** الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ٨٦.

(٣) معاني القرآن: ٤/ ٣٢٤.

(٤) **ينظر:** كتاب العين، مادة: (نسي)، باب السين والنون: ٧/ ٣٠٤، وبحر العلوم: ٢/ ٣٧٢، والنكت والعيون: ٣/ ٣٦٤، وزاد المسير: ٥/ ٢٢١، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ٢/ ٢٧٤.

(٥) **ينظر:** الكشف والبيان: ٦/ ٢١١، والوجيز للواحدي: ٢/ ٦٧٨، ومعالم التنزيل: ٣/ ١٩٢، ومدارك التنزيل: ٣/ ٥٣، وتفسير الجلالين: ص٣٠٦.

(٦) **ينظر:** بحر العلوم: ٢/ ٣٧٢، والنكت والعيون: ٣/ ٣٦٤، وزاد المسير: ٥/ ٢٢١، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ٢/ ٢٧٤.

- أو جِيفة ملقاة[١].

- أو الشيء الحقير الذي شأنه أن يُنسى، ولا يُؤْبَه له، ولا يُتَألم لفقده[٢].

- أو ما تلقيه المرأة من خِرَق اعتلالها[٣].

- أو حِيضَة مُلقاة[٤]؛ بمعنى خِرَق الحيض[٥].

- أو ما نُسي مِن عصًا، أو حبل، أو وتد أو غير ذلك[٦].

«**والعرب إذا ارتحلوا من المنزل قالوا:** انظروا أنساءكم، تريد الأشياء الحقيرة التي ليست عندهم ببال مثل: العصا، والقدح[٧]؛ **أي:**

---

(١) **ينظر**: بحر العلوم: ٢/ ٣٧٢، ومعالم التنزيل: ٣/ ١٩٢، ولباب التأويل: ٤/ ٢٤٢.

(٢) **ينظر**: معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٢٦٥، وبحر العلوم: ٢/ ٣٧٢، وتفسير ابن زمنين: ٣/ ٩٢، والنكت والعيون: ٣/ ٣٦٤، ومعالم التنزيل: ٣/ ١٩٢، والكشاف: ٣/ ١٣، والمحرر الوجيز: ٤/ ١٠، وزاد المسير: ٥/ ٢٢١، والتفسير الكبير: ٢١/ ٤٧١، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ٢/ ٢٧٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ٤٣٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ٤، والبحر المحيط: ٦/ ١٧٢، والدر المصون: ٧/ ٥٨٢، وتفسير القرآن العظيم: ٣/ ١٥٧، وإرشاد العقل السليم: ٥/ ٢٦١، وفتح القدير: ٣/ ٤٥٣، وروح المعاني: ١٦/ ٨٢، ومحاسن التأويل: ٥/ ٧٤، والتحرير والتنوير: ١٦/ ٨٦.

(٣) **ينظر**: كتاب العين، مادة: (نسي)، باب السين والنون: ٧/ ٣٠٤، ومعاني القرآن للفراء: ٢/ ١٦٤، ١٦٥، وجامع البيان: ١٦/٦٦، والكشف والبيان: ٦/ ٢١١، والكشاف: ٣/ ١٣، وزاد المسير: ٥/ ٢٢١، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٤/ ٣٥١، ٣٥٢، والبحر المحيط: ٦/ ١٧٢.

(٤) **ينظر**: الكشف والبيان: ٦/ ٢١١، والنكت والعيون: ٣/ ٣٦٤، وزاد المسير: ٥/ ٢٢١، وفتح القدير: ٣/ ٤٥٣.

(٥) النكت والعيون: ٣/ ٣٦٤.

(٦) **ينظر**: مجاز القرآن: ٢/ ٤، والمحرر الوجيز: ٤/ ١٠، وزاد المسير: ٥/ ٢٢١، والجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ٤٣٢، والبحر المحيط: ٦/ ١٧٢، والدر المصون: ٧/ ٥٨٢، وفتح القدير: ٣/ ٤٥٣.

(٧) آنية تروي الرجلين. **ينظر**: القاموس المحيط، مادة: (قدح)، باب الحاء فصل القاف: ٢٣٥.

اعتبروها لئلا تنسوها في المنزل»[١].

وأمّا قوله: ﴿مَّنسِيًّا﴾؛ فمعناه: أن ذلك الشيء التافه الذي من عادته أن يُتْركُ ويُنْسَى قد نُسي وطُرح بالفعل، فوجد فيه النسيان الذي هو حقُّه؛ وهذا قول جمهور المفسرين[٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿مَّنسِيًّا﴾ مفعول من نسيت الشيء؛ كأنها قالت: ليتني كنت الشيء الذي ألقي فترك ونسي»[٣].

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿نَسْيًا﴾؛ أي: جاريًا مجرى النَّسْي القليل الاعتداد به وإن لم يُنْسَ، ولهذا عقَّبه بقوله: ﴿مَّنسِيًّا﴾؛ لأن النَّسْي قد يقال لما يَقِلُّ الاعتداد به وإن لم يُنْسَ»[٤].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووصف (النَّسْي) بِ(مَنْسي) مبالغة في نسيان ذكرها؛ أي: ليتني كنت شيئًا غير متذكّر، وقد نَسِيَه أهله وتركوه؛ فلا يلتفتون إلى ما يحل به»[٥].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله في الآية الكريمة عنها: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ **النَّسْي والنِّسي ـ بالكسر وبالفتح ـ**: هو ما من حقه أن يطرح وينسى لحقارته؛ كخِرَق الحَيض، وكالوتد والعصا، ونحو ذلك.

---

(١) لسان العرب، مادة: (نسا): ١٥/ ٣٢٤.

(٢) ينظر: جامع البيان: ١٦/ ٦٦، والكشاف: ٣/ ١٣، وأنوار التنزيل: ٤/ ٨، ونظم الدرر: ٤/ ٥٢٩، والسراج المنير: ٢/ ٤٦٤، وإرشاد العقل السليم: ٥/ ٢٦٢، وعناية القاضي: ٦/ ٢٦٣، وحاشية القونوي: ١٢/ ٢١٦، ومحاسن التأويل: ٥/ ٧٤، والتحرير والتنوير: ١٦/ ٨٦، وأضواء البيان: ٥/ ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) جامع البيان: ١٦/ ٦٦.

(٤) المفردات، مادة: (نسي)، كتاب النون: ص٥١٤.
وينظر: عمدة الحفاظ، مادة: (نسي)، باب النون فصل النون والسين: ٤/ ١٧٤، وبصائر ذوي التمييز: ٥/ ٥٠، ٥١.

(٥) التحرير والتنوير: ١٦/ ٨٦.

ومن كلام العرب إذا ارتحلوا عن الدار قولهم: «انظروا أنساءكم» جمع نَسْي، أي: الأشياء الحقيرة التي من شأنها أن تترك وتنسى كالعصا والوتد، ونحو ذلك. فقولها: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾؛ أي: شيئًا تافهًا حقيرًا من حقِّه أن يترك وينسى عادة. وقولها: ﴿مَّنسِيًّا﴾ تعني: أن ذلك الشيء التافه الذي من عادته أن يترك ويُنْسى قد نُسِي وطُرح بالفعل، فوجد فيه النسيان الذي هو حقه. وأقوال المفسرين في الآية راجعة إلى ما ذكرنا»[١].

وما ذكره أهل العلم من التفريق بين ﴿نَسْيًا﴾ و﴿مَّنسِيًّا﴾ هو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد كما نص على ذلك بعضهم:

قال البيضاوي رحمه الله «﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ ما من شأنه أن يُنْسى ﴿مَّنسِيًّا﴾؛ أي: منسي الذكر بحيث لا يخطُر ببالهم»[٢].

قال الشهاب الخفاجي رحمه الله: «وقوله: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ ما من شأنه أن ينسى، فقوله: ﴿مَّنسِيًّا﴾ **تأسيس لا تأكيد**، وقوله: ﴿مَّنسِيًّا﴾؛ **أي**: منسي الذكر؛ فسَّره به ليكون **تأسيسًا أبلغ مما قبله**»[٣].

وقال القونوي رحمه الله: «قوله: منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم: ففيه مبالغة فلا يكون تأكيدًا لما قبله، بل يكون تأسيسًا؛ فإن المعنى الأول ما من شأنه أن يُنْسى، ولا يلزم من كونه أن ينسى»[٤]. والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) أضواء البيان: ٤/ ٣٠٥، ٣٠٦.

(٢) أنوار التنزيل: ٤/ ٨.

(٣) عناية القاضي: ٦/ ٢٦٣.

(٤) حاشية القونوي ١٢/ ٢١٦.

المَطْلَبُ الثَّانِي

تكرار الاسم بلفظ مقارب معطوفًا على الاسم الأول

وفيه آية واحدة هي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

فلفظ (الميثاق) تكرر في الآية الكريمة مرتين مع اختلاف في البناء اللفظي للكلمتين، ووصف الميثاق الثاني بالغِلَظ، بالإضافة إلى عطف الميثاق الثاني على الأول.

وقبل ذكر أقوال العلماء في المراد بالميثاق الثاني: وهل هو الميثاق الأول بعينه، أُعيدَ ذكره تأكيدًا؟ يحسن بنا الوقوف على كلام أهل العلم في المراد بالميثاق الأول؛ **فأقول ـ ومن الله وحده استمد العون والتوفيق ـ:**

أمَّا معنى (الميثاق) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾:

فقد قال جمهور المفسرين: «إنه أخذ العهد والميثاق عليهم في إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق»[(١)].

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٢١/ ١٢٥، ومعاني القرآن للنحاس: ٥/ ٣٢٧، وبحر العلوم: ٣/ ٤٢، والكشف والبيان: ٨/ ٣٨٩، والنكت والعيون: ٤/ ٣٨٩، والوجيز للواحدي: ٢/ ٨٥٩، وتفسير القرآن للسمعاني: ٤/ ٢٦١، ومعالم التنزيل: ٣/ ٥٠٨، والكشاف: ٣/ ٥٣٢، والمحرر الوجيز: ٤/ ٣٧١، وزاد المسير: ٦/ ٣٥٥، التفسير الكبير: =

وهذا العهد والميثاق أخذه عليهم بعد إرسالهم[(١)].

فالميثاق الوارد في الآية الكريمة جاء مجملًا، وقد بيَّنته آيات عدة في كتاب الله[(٢)] تدل على ما ذكره جمهور المفسرين في معنى الميثاق:

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا الميثاق مجمل هنا بيَّنته آيات كثيرة. وجِمَاعها أن يقولوا الحق ويبلِّغوا ما أمروا به، دون ملاينة للكافرين والمنافقين، ولا خشية منهم، ولا مجاراة للأهواء، ولا مشاطرة مع أهل الضلال في الإبقاء على بعض ضلالهم. وأن الله واثَقهم ووعدَهم على ذلك بالنصر»[(٣)].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه

= ٢٥/ ١٧٠، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ٢/ ٥٦١، والجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٦٨، وأنوار التنزيل: ٤/ ٢٢٥، ومدارك التنزيل: ٣/ ٤٣٠، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ١٣٣، ولباب التأويل: ٥/ ٢٩٨، والبحر المحيط: ٧/ ٢٠٩، وتفسير القرآن العظيم: ٣/ ٦١٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٥/ ٥٠٧، ونظم الدرر: ٦/ ٧٦، والسراج المنير: ٣/ ٢٨٦، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ٨٤، وفتح القدير: ٤/ ٣٤٧، وروح المعاني: ٢١/ ١٥٤، ومحاسن التأويل: ص٤٩٤، ٤٩٥، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٦٥٩.

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٦١٤. وقيل: إن المراد بهذا الميثاق الذي أخذه عليهم حين أخرجوا في صورة الذر من صلب آدم ﷺ.
ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٦١٤.
وقد رده بعض أهل العلم. قال ابن جزي رحمه الله بعد أن ذكر القولين: «والأول أرجح؛ لأنه هو المختص بالأنبياء».
ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ١٣٣.
وقال الآلوسي رحمه الله: «وتعظم الفائدة: إذا كان ذلك الأخذ عليهم في كتبهم لا في عالم الذر؛ فإنه بعيد كبعد ذلك الزمان، كما عليه البعض».
ينظر: روح المعاني: ٣/ ٢١٠.

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله: «وأشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله».
ينظر: أضواء البيان: ١/ ٨.

(٣) التحرير والتنوير: ٢١/ ٢٧٤.

أخذ من النبيّين ميثاقهم، ثم خصّ منهم بذلك خمسة، هم أولوا العزم من الرسل، وهم: محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى. ولم يبيّن هنا الميثاق الذي أخذه عليهم، ولكنه جلَّ وعلا بيَّن ذلك في غير هذا الموضع؛ فبيّن الميثاق المأخوذ على جميع النبيين بقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢]. وقد بيَّن جلَّ وعلا الميثاق الذي أخذه على خصوص الخمسة الذين هم أُولوا العزم من الرسل في سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]. وبما ذكرنا تعلم أن آية آل عمران، وآية الشورى، فيهما بيان لآية (الأحزاب) هذه»[١].

وبهذا البيان من أهل العلم يتضح معنى (الميثاق) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾.

وأما معنى (الميثاق) في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾:

فقد اختلف أهل العلم في المراد به، هل هو الميثاق الأول بعينه، وكرر لأجل وصفه بالغلظ تأكيدًا؟ أم أنه غير الميثاق الأول؟

لأهل العلم رأيان في ذلك:

الرأي الأول: أن الميثاق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾. هو الميثاق الأول بعينه، وفي المراد بتكريره وجهان:

الوجه الأول: أنه كرره لزيادة تأكيده، وليبنى عليه وصف الميثاق

---

(١) أضواء البيان: ٦/ ٦٣٠، ٦٣١.

بالغليظ، وليُعلق به التعليل في قوله: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨].

قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن قُلْتَ: فماذا أراد بالميثاق الغليظ؟ قُلْتُ: أراد به ذلك الميثاق بعينه. معناه: وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقًا غليظًا. والغلظ: استعارة من وصف الأجرام، والمراد: عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه»(١).

وقال ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾؛ يعني: الميثاق المذكور، وإنما كرره تأكيدًا وليصفه بأنه غليظ؛ أي: وثيق ثابت يجب الوفاء به»(٢).

وقال أبو السعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾؛ أي: عهدًا عظيم الشأن. . .، وهذا هو الميثاق الأول بعينه، وأخذه هو أخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني، منزلة التغاير الذاتي؛ تفخيمًا لشأنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨] إثر قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٥٨]»(٣).

«فالميثاق هنا هو الميثاق الأول بعينه، وكرر لزيادة تأكيده، وليبنى عليه وصف الميثاق بالغليظ؛ أي: عظيمًا جليل الشأن في جنسه؛ فإن كل ميثاق له عِظَمٌ، فلما وصف هذا بـ ﴿غَلِيظًا﴾ أفاد أن له عِظَمًا خاصًا، وليُعَلَّق به لام التعليل من قوله: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]»(٤).

---

(١) الكشاف: ٣/ ٥٣٣.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ١٣٣.
وينظر: المحرر الوجيز: ٤/ ٣٧١، والبحر المحيط: ٧/ ٢٠٩، واللباب في علوم الكتاب: ١٥/ ٥٠٧.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٢/ ٨٤.
وينظر: روح المعاني: ٢١/ ١٥٤.

(٤) التحرير والتنوير: ٢١/ ٢٧٥.
وينظر: مدارك التنزيل: ٣/ ٤٣٠، والسراج المنير: ٣/ ٢٨٦.

وبناء على ما تقدم نجد من أهل العلم من فسر (الميثاق) في كلا الموضعين بمعنًى واحد فقوله: ﴿مِيثَـٰقَهُمْ﴾؛ أي: عهدهم على الوفاء بما حمّلوا، وأن يبشِّر بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضًا، وقوله: ﴿مِّيثَـٰقًا غَلِيظًـا﴾؛ أي: عهدًا وثيقًا عظيمًا على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالة وأن يصدق بعضهم بعضًا؛ وهو اختيار الطبري، وأبو الليث السمرقندي، والسمعاني، والبغوي، والخازن رحمهم الله[(١)].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًـا﴾؛ أي: عهدًا شديدًا على الوفاء بما حملوا، وما أخذه الله عليهم، ويجوز أن يكون قد أخذ الله عليهم الميثاق مرتين: فأخذ عليهم في المرة الأولى مجرد الميثاق بدون تغليظ ولا تشديد، ثم أخذه عليهم ثانيًا مغلظًا مشددًا»[(٢)].

غير أن الشهاب الخفاجي لم يرتضِ القول بأن تكرار الميثاق ليوصف بقوله: ﴿غَلِيظًـا﴾ الدال على عظمته ووثاقته؛ فَعلق على قول البيضاوي: «والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيمًا له»[(٣)] بقوله: «وقوله: والتكرير؛ أي: ذكر الميثاق ثانيًا ليوصف بقوله: ﴿غَلِيظًـا﴾ الدال على عظمته ووثاقته، **أُورِدَ عليه أن الوصف لا يستلزم تكراره**؛ إذ لو اقتصر على الثاني، أو ذكر الأول منكرًا موصوفًا حصل المقصود»[(٤)].

الوجه الثاني: أنه كرره من أجل توكيد الميثاق باليمين:

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والميثاق هو اليمين بالله تعالى، فالميثاق الثاني تأكيد للميثاق الأول باليمين»[(٥)].

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٢١/ ١٢٥، وبحر العلوم: ٣/ ٤٢، وتفسير القرآن للسمعاني: ٤/ ٢٦١، ومعالم التنزيل: ٣/ ٥٠٨، ولباب التأويل: ٥/ ٢٩٨.

(٢) فتح القدير: ٤/ ٣٤٧.

(٣) أنوار التنزيل: ٤/ ٢٢٥.

(٤) عناية القاضي: ٧/ ٤٦٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٦٩.

=

وقال ابن التمجيد[١] ﷺ - معلقًا على قول البيضاوي رحمه الله: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾. عظيم الشأن، أو مؤكدًا باليمين؛ والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيمًا له[٢] -: «قوله: «أو مؤكدًا باليمين» بقرينة وصف اليمين بالغِلَظ يقال: أكَّد عهده بأيمان مغلظة، **فالمعنى**: أخذنا منهم ميثاقًا مؤكدًا باليمين»[٣].

وقال الفيروزآبادي رحمه الله: «**والميثاق**: عقد مُؤَكَّدُ بيمين وعهد، قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٨١]؛ **أي**: أخذ العهد عليهم بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأخذ الميثاق: بمعنى الاستحلاف»[٤].

الرأي الثاني: أن الميثاق في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ ليس هو الميثاق الأول، وليس تكراره للتأكيد:

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وقوله: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾؛ **أي**: شديدًا على الوفاء بما حملوا، وذكر المفسرون أن ذلك العهد الشديد اليمين بالله ﷻ»[٥].

واختاره جلال الدين المحلي رحمه الله[٦].

= **وينظر**: أنوار التنزيل: ٤/ ٢٢٥، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ٨٤.

(١) مصطفى بن إبراهيم، مصلح الدين ابن التمجيد، مفسر من علماء الدولة العثمانية، كان معلم السلطان محمد الفاتح، له حاشية على تفسير البيضاوي بهامش حاشية القونوي، توفي في حدود سنة (٨٨٠هـ). **ينظر**: طبقات المفسرين للأدنه وي: ٣٠٥، والأعلام: ٧/ ٢٢٨.

(٢) أنوار التنزيل: ٤/ ٢٢٥.

(٣) حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي المطبوعة بهامش حاشية القونوي: ١٥/ ٣١٠.

(٤) بصائر ذوي التمييز: ٥/ ١٥٨.
وينظر: المفردات، مادة: (وثق)، كتاب الواو: ٥٣٥، وعمدة الحفاظ، مادة: (وثق)، باب الواو، فصل الواو والثاء: ٤/ ٢٨٢.

(٥) **ينظر**: زاد المسير: ٦/ ٣٥٥.
وينظر: الكشاف: ٣/ ٥٣٣، والبحر المحيط: ٧/ ٢٠٩، والسراج المنير: ٣/ ٢٨٦.

(٦) تفسير الجلالين: ص٤١٩.

وقال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: (الميثاق الغليظ): اليمين بالله تعالى، فيكون بعد ما أخذ الله سبحانه من النبيين الميثاق بتبليغ الرسالة، والدعوة إلى الحق، أكده باليمين بالله تعالى على الوفاء بما حُملوا، فالميثاقان متغايران بالذات»[١].

وقال ابن التمجيد رَحِمَهُ اللَّهُ ـ معلقًا على قول البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عظيم الشأن، أو مؤكدًا باليمين؛ والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيمًا له»[٢] ـ: «قوله: «أو مؤكدًا باليمين»: بقرينة وصف اليمين بالغلظ يقال: أكد عهده بأيمان مغلظة، **فالمعنى**: أخذنا منهم ميثاقًا مؤكدًا باليمين، وعلى التقديرين يكون تكرير قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ لبيان هذا الوصف؛ **أي**: وصف الميثاق بالغلظ على أحد معنييه، فيكون الميثاق عين الأول وتكريره ليناط به (غليظًا) توكيدًا، وتعليلًا بقوله: ﴿لِّيَسْأَلَ﴾ [الأحزاب: ٨]، وقيل: الميثاق الغليظ اليمين بالله، فيكون الميثاق بمعنى ما يُوَثَّقُ به، لا بمعنى المصدر الذي هو العهد، بخلافه في الوجه الأول فإنه بمعنى المصدر، **فالمعنى**: بعد ما أخذنا من النبيين (الميثاق)؛ **أي**: العهد بتبليغ الرسالة؛ أكدناه باليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا. فعلى هذا لا يكون تكريرًا؛ إذ المراد بالميثاق الأول حينئذ العهد، وبالثاني اليمين بالله على وفاء العهد، **والمعنى**: أخذنا من النبيين عهدهم بتبليغ الرسالة وأخذنا منهم يمينًا على الوفاء به. وليس المراد بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: أو مؤكدًا باليمين هذا الوجه، وإلا لا يحسن ترتيب قوله: والتكرير لبيان هذا الوصف عليه فلْيُتدبر»[٣].

• **وخلاصة القول**: أن (الميثاق) في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم

---

(١) روح المعاني: ٢١/ ١٥٤. (٢) أنوار التنزيل: ٤/ ٢٢٥.

(٣) حاشية ابن التمجيد: ١٥/ ٣١٠.

﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ ليس هو الميثاق الأول، وليس تكراره للتأكيد، فما ذكره أصحاب الرأي الثاني، في الوجه الأول: من أن تكرار الميثاق ليوصف بقوله: ﴿غَلِيظًا﴾ تعظيمًا له. «أُورِدَ عليه أن الوصف لا يستلزم تكراره؛ إذ لو اقتصر على الثاني، أو ذُكِرَ الأول منكرًا موصوفًا حصل المقصود»(١).

وما ذكروه في الوجه الثاني: من أنه كرره من أجل توكيد الميثاق باليمين، يكون فيه تكرارٌ للميثاق، وحمل الميثاق الغليظ على اليمين بالله، لا يكون فيه تكرار؛ إذ المراد بالميثاق الأول حينئذ العهد، وبالثاني اليمين بالله على وفاء العهد، فلا يكون تكرارًا في معنى الميثاق، وهو أيضًا لا يتعارض مع التعليل بقوله: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]، وهو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ ❁ ❁

(١) عناية القاضي: ٧/ ٤٦٦.

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي

الأسماء المتشابهة من حيث الاشتراك في أصل المعنى

وتحته مبحثان:

- المبحث الأول: الأسماء الموهمة بالترادف في الآية الواحدة.
- المبحث الثاني: الأسماء المتقاربة المعنى في الآية الواحدة.

المَبْحَثُ ٱلْأَوَّلُ

الأسماء الموهمة بالترادف في الآية الواحدة

وتحته مطلبان:

- المطلب الأول: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها باللفظ المرادف من غير عطف.
- المطلب الثاني: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بعطف أحد المترادفين على الآخر.

المبحث الأول

الأسماء الموهمة بالترادف في الآية الواحدة

التوكيد بالمرادف أحد ركني التعريف في التوكيد اللفظي الذي هو مدار بحثنا، وقد جعل الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ التوكيد بالمرادف نوعًا من أساليب التفنن في القرآن الكريم، حتى لا يثقل على القارئ والسامع تكرير الكلم إذ قال: «ومن أساليبه ما أسميه بالتفنن، وهو براعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتذييل **والإتيان بالمترادفات عند التكرير**، تجنبًا لثقل الكلم»[1].

ففي الجمع بين المترادفين نوع من التأكيد للمعنى؛ «وذلك أن الشيء إذا كان لاسمين مختلفين جاز ذكرهما معًا على وجه التأكيد، وقيل: إذا اختلف اللفظان استُمْلِح ذكرهما تأكيدًا، وذلك من النهاية في البلاغة؛ كقولهم: سحقًا وَبُعْدًا، وكذب ومين، وحرام وحرج، وحلال وطيِّب»[2].

«وقد قسم العلماء التوكيد بالمرادف إلى قسمين من التوكيد: توكيد باللفظ المرادف، وتوكيد بعطف المرادف»[3].

أمَّا التوكيد باللفظ المرادف: فكقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

(١) التحرير والتنوير: ١/١٦٦.

(٢) المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى: ٢٣٦ ـ ٢٣٨.

(٣) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد: ١١٦.

قال جلال الدين المحلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: كثير الهمز واللمز؛ أي: الغيبة»[١].

قال الجمل رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «أي: الغيبة»، تفسير لهما على بعض الأقوال، فعلى هذا يكون الثاني تأكيدًا لفظيًا للأول بالمرادف»[٢].

وأما التوكيد بعطف المرادف: فإن من شرط المعطوف عطف نسق أن يكون مغايرًا للأول؛ لأنه لا يصح عطف الشيء على نفسه، وهذا كله ليس به تكرار ولا تأكيد؛ لأنها ألفاظ وجمل متغايرة قد عُطفت بأداة من أدوات العطف، أمّا إذا لم يكن بين المعطوف والمعطوف عليه تغاير فإنه يكون من نوع التكرار؛ لأنه قد ذُكر الشيء مرتين والغرض منه التأكيد[٣].

وعطف أحد المترادفين على الآخر ذكره الزركشي في القسم السابع من أساليب القرآن وفنونه البليغة حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «القسم السابع: عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى، والقصد منه التأكيد»[٤].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] ـ: «وتأكيدُ ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ بعطف ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ الذي هو آيل إلى معناه وإن اختلف مفهومه، فهو كالتأكيد بالمرادف»[٥].

وقد تفنن أهل العلم في التعبير عن التأكيد بالمرادف، **ومن**

---

(١) تفسير الجلالين: ص٦٠١.
(٢) الفتوحات الإلهية: ٨/ ٤٢١.
(٣) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ١١٧.
(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٢.
(٥) التحرير والتنوير: ١/ ٦٩٥.

العبارات التي ذكروها: «تأكيد لفظي بالمرادف»[(١)]، أو «توكيد بالمرادف»[(٢)]، أو «كالتأكيد بالمرادف»[(٣)]، أو«توكيد لفظي بلفظ مرادف»[(٤)]، أو «تأكيد لفظي بمرادف المُؤكَّد»[(٥)].

وقد عدلت عن مصطلح الأسماء المترادفة إلى مصطلح الأسماء الموهمة بالترادف؛ ذلك لأن وجود الترادف ووقوعه في القرآن الكريم استبعده كثير من أهل العلم[(٦)]، ولذا نجد أن بعض أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين عَبَّرَ عن الأسماء المترادفة ببعض العبارات تجنبًا لإطلاق لفظ (الترادف) بين ألفاظ القرآن الكريم، **ومن العبارات التي استخدمت في ذلك قولهم**: «قريبان من المُترادف»[(٧)]، أو «قريبان من الترادف»[(٨)]، أو «شِبْه المترادفين»[(٩)]، أو «كأنهما مترادفان»[(١٠)]، أو «ظاهرها الترادف»[(١١)] أو «الموهمة بالترادف»[(١٢)].

---

(١) ينظر: حاشية القونوي: ١٦/٥٦، والتحرير والتنوير: ٣/ ٣٠٥، وأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ٣٩.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٣/ ١٦٠، والتحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٠٠، و٢٧/ ٣٢.

(٣) التحرير والتنوير: ١/ ٦٩٥.

(٤) المصدر السابق: ١١/ ٤٠.

(٥) المصدر السابق: ٢٩/ ١٢٦.

(٦) وقد أُفْرِدتْ قضية الترادف بمؤلفات مستقلة وبعضها رسائل جامعية، ومما أفرد في هذا الباب:
- كتاب الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، د. محمد الشايع.
- كتاب الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد.
- كتاب دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، د. محمد ياسين خضر الدوري.
وكلها في الأصل رسائل جامعية متخصصة.

(٧) ينظر: الدر المصون: ٨/ ١٠٥، واللباب في علوم الكتاب: ١٣/ ٣٨٩.

(٨) السراج المنير: ٢/ ٥٣٦.

(٩) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٣٥٠.

(١٠) البحر المحيط: ٦/ ٤٧٠.

(١١) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: ٢١٣.

(١٢) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: ص٢٢٩.

وأنا في اختيار مصطلح (الأسماء الموهمة بالترادف) تبع لمحمد نور الدين المنجد؛ فقد عمل في خاتمة كتابه «الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق» كشَّافًا إحصائيًّا للألفاظ الموهمة بالترادف في القرآن الكريم ورتبها على حروف المعجم[١]، وحيث إن كثيرًا من هذه الألفاظ هي من الألفاظ التي سأتناولها بالدراسة في هذا المبحث آثرتُ اختيار هذا المصطلح.

ومع كل ما تقدم تقريره إلا أنه قد يمكن الوقوف على معنًى دقيق في سر الجمع بين اللفظين الموهمين بالترادف في ضوء قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وهو ما قرره بعض أهل العلم بقولهم: «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[٢]. والله تعالى أعلم.

وبناء على ما تقدم يمكن تقسيم الأسماء الموهمة بالترادف في هذا المبحث إلى مطلبين:

* **المطلب الأول: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بالمرادف من غير عطف.**

* **المطلب الثاني: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بعطف أحد المترادفين على الآخر.**

❁ ❁ ❁

---

(١) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: ص٢٢٩ ـ ٢٥١.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

المطلب الأول

الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بالمرادف من غير عطف

وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي أربع عشرة آية) مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

(الحلال) و(الطيب) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اقترنا في هذه الآية الكريمة التي جاءت في مقام امتنان الله على الخلق بأنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالًا من الله طيبًا، وقد يتبادر إلى الذهن أن لفظي ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ بمعنى واحد، والجمع بينهما للتأكيد، لذا لا بد من بيان معنى كل واحد من اللفظين حال انفراده، ثم ذكر سر الجمع بينهما في الآية الكريمة؛ **فأقول وبالله التوفيق:**

أمَّا قوله: ﴿حَلَٰلًا﴾ **فالمراد بالحلال:** المباح الذي أحله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه، وأصله من الحَلِّ الذي هو نقيض العقد[(١)].

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(الحلال)**: الذي انحلت عنه عقدة الحظر،

(١) ينظر: جامع البيان: ٧٦/٢، وتفسير القرآن للسمعاني: ١٦٧/١، ومعالم التنزيل: ١٣٨/١، والتفسير الكبير: ٣/٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤٦٤/١، ولباب التأويل: ١٣٨/١، وفتح القدير: ٣١٠/١.

إما لكونه حرامًا لجنسه كالميتة، وإما لا لجنسه كملك الغير؛ إذ لم يأذن في أكله»[١].

فقوله ﴿حَلَٰلًا﴾ في الآية الكريمة؛ أي: محللًا لكم تناوله، ليس بغصب ولا سرقة، ولا محصلًا بمعاملة محرَّمة، أو على وجه محرَّم، أو مُعِينًا على محرَّم»[٢]؛ أي: ما انتفى عنه حكم التحريم[٣].

وأمَّا قوله: ﴿طَيِّبًا﴾ فلأهل العلم فيه رأيان:

الرأي الأول: أن قوله: ﴿طَيِّبًا﴾ بمعنى: ﴿حَلَٰلًا﴾ وجمع بينهما تأكيدًا لاختلاف اللفظ:

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(الطيب) عند مالك[٤]: الحلال، فهو هنا تأكيد لاختلاف اللفظ»[٥].

وقد عدَّ بعض أهل العلم التوكيد احتمالًا في معنى ﴿طَيِّبًا﴾:

قال ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿طَيِّبًا﴾ يحتمل أن يريد الحلال»[٦].

وقال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿طَيِّبًا﴾ يستطيبه الشرع، أو الشهوة المستقيمة؛ إذ (الحلال) دل على الأول»[٧].

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٦٥٣.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٨٠.
(٣) محاسن التأويل: ١/ ٤٢٨.
(٤) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، الفقيه، إمام دار الهجرة، ومن أئمة المذاهب المتبوعين، كان موصوفًا بكمال الإدراك والفهم، معروفًا بالعلم والديانة والإصابة، وتجنب الابتداع، مكين المعرفة والدراية، فقيه عصره وعالم دهره، ومفسر مصره، من مصنفاته: «الموطأ» و«رسالة في الأقضية» و«التفسير المسند»، توفي سنة (١٧٩هـ).
ينظر: طبقات المفسرين للداوودي: ٤٩٦، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ٢٣.
(٥) المحرر الوجيز: ١/ ٢٣٧.
وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ١١، والبحر المحيط: ١/ ٦٥٣، والجواهر الحسان ١/ ١٢٨، وفتح القدير: ١/ ٣١٠.
(٦) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ٦٨.
(٧) أنوار التنزيل: ١/ ١١٨.

قال شيخ زاده رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «يستطيبه الشرع»، فيكون (الطيب) بمعنى (الحلال)»[1]. وقال ابن التمجيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «إذ (الحلال) دل على الأول»؛ أي: دل على ما يستطيبه الشرع، وهو تعليل لتفسير (الطيب) بما تستطيبه الشهوة المستقيمة؛ من حيث إنه لو لم يفسر به، بل فسر بما يستطيبه الشرع لزم التكرار؛ لأن الحلال لا يكون إلا طيبًا، ولمَن فسَّره بالأول حملُه على التأكيد»[2].

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿طَيِّبًا﴾: صفة مُؤَكِّدة، أو مستلذًّا»[3].

قال الجمل رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: «مؤكِّدة»؛ أي: فيكون معنى الطيب هو معنى الحلال وإن لم يُستلذ»[4].

وقال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفسر الجَلال (الطيب) بالحلال على أنه تأكيد، أو بالمُستلذ»[5].

الرأي الثاني: أن قوله: ﴿طَيِّبًا﴾ ليس تأكيدًا لقوله: ﴿حَلَالًا﴾ وفي المراد به قولان:

القول الأول: أن المراد بقوله: ﴿طَيِّبًا﴾؛ أي: طاهرًا غير نجس[6] ولا خبيث[7]، وكذلك طاهرًا من كل شبهة[8].

---

(١) حاشية زاده: ١/ ٤٧٧.
(٢) حاشية ابن التمجيد: ٤/ ٤٢٢، ٤٢٣.
(٣) تفسير الجلالين: ص٢٥.
وينظر: السراج المنير: ١/ ١٢٨.
(٤) الفتوحات الإلهية: ١/ ٢١٨.
(٥) تفسير المنار: ٢/ ٨٧.
(٦) جامع البيان: ٢/ ٧٦.
وينظر: الكشف والبيان: ١/ ٣٧، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ١٦٧، ومعالم التنزيل: ١/ ١٣٨، ولباب التأويل: ١/ ١٣٨.
(٧) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٨٠.
(٨) **ينظر**: الكشاف ١/ ٢٣٨، ومدارك التنزيل: ١/ ١٤٣، والسراج المنير: ١/ ١٢٨.

قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والثابت في اللغة: أن (الطيب) هو الطاهر من الدنس»[(١)].

القول الثاني: أن المراد بقوله: ﴿طَيِّبًا﴾ ما يُسْتَلَذُّ وتستطيبه الشهوة المستقيمة.

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأصل (الطيب)**: ما تستلذُّه الحواس، وما تستلذُّه النفس»[(٢)].

وقال الخازن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(الطيب) ما يستلذُّ»[(٣)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿طَيِّبًا﴾؛ **أي**: مستطابًا في نفسه؛ غير ضار للأبدان ولا للعقول»[(٤)].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والمراد بالطيب هنا**: ما تستطيبه النفوس بالإدراك المستقيم السليم من الشذوذ؛ وهي النفوس التي تشتهي الملائم الكامل أو الراجح بحيث لا يعود تناوله بضرٍّ جثماني أو روحاني»[(٥)].

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٦٥٣.

(٢) المفردات، كتاب الطاء، مادة: (طيب): ٣٢١.
وينظر: التفسير الكبير: ٥/ ٣، والبحر المحيط: ١/ ٦٥٣، وبصائر ذوي التمييز: ٣/ ٥٣١.

(٣) لباب التأويل: ١/ ١٣٨.
وينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ١/ ١٦٧، ومعالم التنزيل: ١/ ١٣٨، والمحرر الوجيز: ١/ ٢٣٧، والجامع لأحكام القرآن: ٣/ ١١، والجواهر الحسان: ١/ ١٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٦٧.
وينظر: محاسن التأويل: ١/ ٤٢٨.

(٥) التحرير والتنوير: ٢/ ١٠٢.

وتفسير (الطيب) بالمستلذ هو قول الإمام الشافعي[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «(والطيب) هنا هو المستلذ؛ كما قاله الشافعي وغيره»[(٣)].

ويمكن حمل قوله: ﴿طَيِّبًا﴾ في الآية الكريمة على كلا القولين: فيكون معنى ﴿طَيِّبًا﴾: طاهرًا غير نجس، ولا خبيث، طاهرًا من كل شبهة، مستلذًّا، مستطابًا في نفسه، غير ضار للأبدان ولا للعقول.

وهذان الرأيان في معنى ﴿طَيِّبًا﴾ كلاهما صحيح من حيث اللغة؛ فإن (الطيب) لغة يأتي بمعنى الحلال كما عليه أصحاب الرأي الأول، ويأتي بمعنى المستلذ كما عليه أصحاب الرأي الثاني[(٤)].

قال الجصاص رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(الطيبات) اسم يتناول معنيين: أحدهما**: الطيب المستلذ، **والآخر**: الحلال؛ وذلك لأن ضدَّ الطيب هو الخبيث، والخبيث حرام؛ فإذا الطيب حلال والأصل فيه الاستلذاذ، فشبه الحلال به في انتفاء المضرة منهما جميعًا»[(٥)].

---

(١) محمد بن إدريس القرشي المطلبي الشافعي، ، إمام المذهب الشافعي، عالم عصره، برع في الشعر واللغة وأيام العرب، وصنَّف في أصول الفقه وفروعه، وبعُد صيته وتكاثر عليه الطلبة، من مصنفاته: «كتاب الأم» و«الرسالة» و«جماع العلم»، توفي سنة (٢٠٤هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥، وطبقات المفسرين للداوودي: ٣٦٨.

(٢) الحاوي الكبير، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض: ١٥/ ١٣٣ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م].

(٣) فتح القدير: ١/ ٣١٠.

وينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٢٣٧، والجامع لأحكام القرآن: ٣/ ١١، والبحر المحيط: ١/ ٦٥٣، والجواهر الحسان: ١/ ١٢٨، والتحرير والتنوير: ٦/ ١١١.

(٤) **ينظر**: مقاييس اللغة، مادة: (طيب)، كتاب الطاء، باب الطاء والياء وما يثلثهما: ٣/ ٤٣٥، ولسان العرب مادة: (طيب): ١/ ٥٦٤.

(٥) أحكام القرآن: ٣/ ٣٠٧.

وقال أبو حيان رحمه الله: «و(الطيب) في لسان العرب يستعمل للحلال وللمستلذ»(١).

وثمرة الخلاف بين الرأيين تظهر في حكم الحيوانات المستقذرة، أحلال هي أم حرام؟

قال أبو حيان رحمه الله: «﴿طَيِّبًا﴾ انتصب صفة لقوله: ﴿حَلَٰلًا﴾ إما مؤكدة؛ لأن معناه ومعنى ﴿حَلَٰلًا﴾ واحد، وهو قول مالك وغيره، وإما مخصصة؛ لأن معناه مغاير لمعنى (الحلال) وهو المستلذ، وهو قول الشافعي وغيره. ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر وكل ما هو خبيث»(٢).

● **وخلاصة القول**: أنَّ هناك فرقًا بين لفظتي ﴿حَلَٰلًا﴾ و﴿طَيِّبًا﴾ فليس الجمع بينهما للتأكيد، وأن المراد بقوله: ﴿طَيِّبًا﴾ ما يُسْتَلَذُّ وتستطيبه الشهوة المستقيمة. وعلى هذا القول جمهور أهل العلم؛ كما تقدم ذكر أقوالهم، **وقد رجحوا هذا القول من وجوه**:

الوجه الأول: السياقات القرآنية التي ورد فيها الجمع بين (الحلال) و(الطيب)، فقد اقترن لفظا (حلالًا) و(طيبًا) في أكثر من موضع في كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٥].

---

(١) البحر المحيط: ٣/ ٤٤٤.

(٢) المصدر السابق: ١/ ٦٥٣.

فإذا فُسِّرَ (الطيب) بالحلال في هذا المواضع لزم التكرار من غير فائدة، والقرآن منزه عن مثل هذا كما نص على ذلك أهل العلم:

قال الرازي رحمه الله: «وفي المراد بالطيب وجهان، الأول: أنه المستلذ؛ لأنا لو حملناه على الحلال لزم التكرار»[١].

وقال أبو حيان رحمه الله: «... قرر هنا أنّ الذي أحل هي الطيبات. ويقوي قول الشافعي: أن المعنى المستلذَّات، ويضعف أن المعنى: قل أحل لكم المحللات، ويدل عليه قوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ كالخنافس[٢] والوزغ[٣] وغيرهما. و(الطيب) في لسان العرب يستعمل للحلال وللمستلذ»[٤].

وقال البيضاوي رحمه الله: «﴿طَيِّبًا﴾ يستطيبه الشرع، أو الشهوة المستقيمة. إذ الحلال دل على الأول»[٥].

قال شيخ زاده رحمه الله: «قوله ـ أي: البيضاوي ـ: «يستطيبه الشرع»، فيكون الطيب بمعنى الحلال، وحينئذ لا يكون لذكر الطيب بعده كثير فائدة، فينبغي أن يفسر بما يستلذُّه وتستطيبه الشهوة المستقيمة؛ لئلا يكون ذكره تكرارًا»[٦].

---

(١) التفسير الكبير: ٥/ ٤.

(٢) الخنفساء: دويبة سوداء أصغر من الجعل منتنة الريحة، والخُنْفُس اسم للكثير من الخنافس.
ينظر: حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري، تحقيق: أحمد حسن بسج: ١/ ٤٢٩ [ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م].

(٣) الوَزَغَة: بفتح الواو والزاي والغين المعجمة: دويبَّة معروفة، وهي سام أبرص، من الحشرات المؤذية.
ينظر: حياة الحيوان الكبرى: ٢/ ٥٤٤.

(٤) البحر المحيط: ٣/ ٤٤٤.

(٥) أنوار التنزيل: ١/ ١١٨.

(٦) حاشية زاده: ١/ ٤٧٧.

وقال السمين الحلبي ـ عند قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ﴾ [المائدة: ٥] ـ: «﴿ٱلطَّيِّبَٰتُۖ﴾ قيل: الذبائح، و(الطيب) عند أهل السُّنَّة المستلذ، وعند المعتزلة الحلال[١]، ويَرِدُ عليهم لزوم التكرار في قوله: ﴿حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾»[٢].

وقال ابن عادل رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يمكن أن يكون المراد بالطيبات هنا المحللات؛ وإلا لصار تقديرُ الآية: قل أحل لكم المحللات، وهذا ركيك، فوجب حمل الطيبات على المستلذِّ المشتهى»[٣].

وقال ابن قدامة[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ: «فما استطابته العرب فهو حلال؛ لقول الله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ يعني: ما يستطيبونه دون الحلال؛ بدليل قوله في الآية الأخرى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ

---

(١) وهذا بناء على معتقد المعتزلة في مسألة الرزق؛ لأنهم فرقوا بين الرزق الحلال والحرام، فأضافوا رزق الحلال إلى الله، ومنعوا أن يكون الله رازقًا للحرام؛ لأنه غير محبوب لله فلا يضاف إلى الله بزعمهم.
قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢] «قوله: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾؛ أي: من مستلذاته؛ لأن كل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالًا». ينظر: الكشاف: ١/ ٢٤٠.
وللرد على شبهة المعتزلة في ذلك ينظر: التميز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز، علي بن عمر بن حمد السَّكُوني، تحقيق: السيد يوسف أحمد: ١/ ٣٦٠ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م]، والمسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير عرض ونقد، صالح بن غرم الله الغامدي: ١/ ١٦٨ [ط١، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨].

(٢) عمدة الحفاظ، مادة: (طيب)، باب الطاء فصل الطاء والياء: ٢/ ٤٢٩.

(٣) اللباب في علوم الكتاب: ٧/ ٢٠٤.

(٤) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المقدسي ثم الدمشقي، الإمام، الفقيه، الزاهد، كان إمامًا في فنون، حسن الأخلاق، جوادًا سخيًا، من مصنفاته: «المغني» و«الكافي» و«ذم الوسواس»، توفي سنة (٦٢٠هـ).
ينظر: الذيل عل طبقات الحنابلة: ٣/ ٢٨١ ـ ٢٩٩.

لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤] ولو أراد الحلال لم يكن ذلك جوابًا لهم»[(١)].

وقال النووي[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤]. قال أصحابنا وغيرهم: وليس المراد بالطيب هنا الحلال؛ لأنه لو كان المراد الحلال لكان تقديره: أحل لكم الحلال، وليس فيه بيان، **وإنما المراد بالطيبات**: ما يستطيبه العرب»[(٣)].

الوجه الثاني: استدلوا بالقاعدة التي ذكرها بعض أهل العلم في الطيبات: «**أنه إذا جاء ذكر (الطيبات) في معرض الإنعام فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال والحرام**»[(٤)].

والآية موضع الدراسة جاءت في سياق الامتنان والإنعام، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بيَّن تعالى أنه لا إلٰه إلا هو، وأنه المستقلُّ بالخلق، شرع يبيِّن أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر ذلك في مقام الامتنان أنه أباح

(١) المغني، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو: ٣١٦/١٣ [ط٥، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م].

(٢) يحيى بن شرف بن حسن بن حسين، محيي الدين، أبو زكريا النووي، ثم الدمشقي، الشافعي، العلامة، شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه، صاحب التصانيف النافعة مثل: «منهاج الطالبين» و«رياض الصالحين» و«تهذيب الأسماء واللغات»، توفي سنة (٦٧٦هـ).
ينظر: تذكرة الحفاظ: ١٤٧٠/٤، والبداية والنهاية: ٢٧٨/١٣.

(٣) المجموع شرح المهذب، يحيى بن شرف النووي، حققه وعلق عليه وأكمله بعد نقصانه: محمد نجيب المطيعي: ٢٧/٩ [مكتبة الإرشاد، جدة: بدون].

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ٨/٤.
وينظر: المحرر الوجيز: ٥٦٧/٤، وقواعد التفسير: ٨٧٨/٢.
قلت: «القاعدة قد يرد عليها إشكال في بعض المواضع كما في ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤]. فالآية في معرض التحليل والتحريم، ولم يرتض أهل العلم تفسيرها بالحلال؛ لأنه يؤدي إلى التكرار، فلا بد من مراعاة كل آية في سياقها، وسبب نزولها حتى يتضح المراد». والله أعلم بكتابه.

لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالًا طيبًا»[١].

وهذا ما تنبه له الإمام الطبري عند تفسيره (الطيبات) في قوله تعالى: «﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعنى جلَّ ذكره بقوله: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ كلوا من مشتهيات رزقنا الذي رزقناكموه. وقد قيل: عنى بقوله: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: من حلاله الذي أبحناه لكم فجعلناه لكم رزقًا، والأول من القولين أولى بالتأويل؛ لأنه وصف ما كان القوم فيه من هنيء العيش الذي أعطاهم، فَوَصْفُ ذلك بالطيب الذي هو بمعنى اللذة أحرى من وصفه بأنه حلال مباح»[٢].

الوجه الثالث: أن التأسيس أولى من التأكيد كما نص على ذلك بعض أهل العلم.

قال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفسر الجلال[٣] الطيب بالحلال على أنه تأكيد، أو بالمستلذ، والأول لا محل له، والتأسيس مقدم على التأكيد»[٤].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و﴿طَيِّبًا﴾ حال أخرى؛ يعني: حال كونه طيبًا مؤكد لقوله تعالى: ﴿حَلَالًا﴾ ويحتمل أن يكون المراد بـ (الحلال) ما كان حلالًا في كسبه؛ وبـ(الطيب) ما كان طيبًا في ذاته... وهذا أولى؛ لأن حمل الكلام على التأسيس أولى من حمله على التوكيد»[٥]. والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٦٧.
(٢) جامع البيان: ١/ ٢٩٨.
(٣) تفسير الجلالين: ص٢٥.
(٤) تفسير المنار: ٢/ ٨٧.
(٥) تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة)، محمد بن صالح العثيمين: ٢/ ٢٣٣ [ط١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٣هـ].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

(الكفَّار) و(الأثيم) من الألفاظ الموهمة بالترادف وقد اقترنا في هذه الآية الكريمة التي أخبر الله تعالى فيها أنه يمحق الربا؛ أي: يذهبه، إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يَحْرِمَه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة.

فالمرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة؛ فهو جَحود لما عليه من النعمة، ظَلوم آثم بأكل أموال الناس بالباطل[(١)].

وختم الله ﷻ الآية الكريمة بنفي محبته عن كل كفَّار أثيم، **ومن خلال النظر في معنى هذين الوصفين تبين لي أن لأهل العلم فيهما رأيين:**

الرأي الأول: أن ذكر ﴿أَثِيمٍ﴾ على سبيل المبالغة والتوكيد لـ ﴿كَفَّارٍ﴾ من حيث اختلف اللفظان:

قال أبو حيان رحمه الله: «وذكر (الأثيم) على سبيل المبالغة والتوكيد من حيث اختلف اللفظان»[(٢)].

وقال القرطبي رحمه الله: «ووصف (كَفَّار) بـ(أثيم) مبالغة، من حيث اختلف اللفظان»[(٣)].

الرأي الثاني: التفريق بين ﴿أَثِيمٍ﴾ و﴿كَفَّارٍ﴾ في المعنى، فليس الجمع بينهما للتوكيد. وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن المراد بالكفَّار: كل مصرٍّ على كفره، مقيم عليه،

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ١/٤٢٩، ٤٣١. (٢) البحر المحيط: ٢/٣٧٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٤/٤٠٣.

مستحلٌّ لأكل الربا، **والأثيم**: المتمادي في الإثم، المُنْهمك فيما نهاه عنه من أكل الربا. وهو اختيار جمهور المفسرين(١).

قال ابن جرير رحمه الله: «وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ فإنه يعني به: والله لا يحب كل مصرٍّ على كفر بربه، مقيم عليه، مستحلٍّ أكل الربا وإطعامه، ﴿أَثِيمٍ﴾ متماد في الإثم فيما نهاه عنه، من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه، لا ينزجر عن ذلك، ولا يرعوي عنه، ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيله وآي كتابه»(٢).

وقال الرازي رحمه الله: «اعلم أن **(الكَفَّار)** فَعَّال من الكفر، **ومعناه**: من كان ذلك منه عادة، والعرب تسمِّي المقيم على الشيء بهذا، فتقول: فلان فَعَّال للخير أمَّارٌ به، و**(الأثيم)**: فعيل بمعنى فاعل، وهو الآثم، وهو أيضًا مبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام والتمادي فيه، وذلك لا يليق إلا بمن ينكر تحريم الربا فيكون جاحدًا»(٣).

وقال القونوي رحمه الله: «والفرق بين المصرِّ والمنهمك، **أن الإصرار** عدم الترك، ولو فَعَل في بعض الأحيان، **والانهماك**: الإكثار من الفعل فهو أخص من الإصرار»(٤).

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٣/١٤٨، والكشف والبيان: ٢/ ٢٦٥، والنكت والعيون: ١/ ٣٥١، والوجيز للواحدي: ١/ ١٩٢، ومعالم التنزيل: ١/ ٢٨٠، وزاد المسير: ١/ ٣٣١، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: ٨٤، والتفسير الكبير: ٧/ ٨٤، وأنوار التنزيل: ١/ ١٦٢، ومدارك التنزيل: ١/ ٢١١، ولباب التأويل: ١/ ١٣٤، واللباب في علوم الكتاب: ٤/ ١٤٠، وتفسير الجلالين: ص٤٧، والسراج المنير: ١/ ٢١٣، وإرشاد العقل السليم: ١/ ٢٦٧، وروح المعاني: ٣/ ٥٢.

(٢) جامع البيان: ٣/ ١٤٨.

(٣) التفسير الكبير: ٧/ ٨٤.
وينظر: لباب التأويل: ١/ ١٣٤، واللباب في علوم الكتاب: ٤/ ١٤٠.

(٤) حاشية القونوي: ٥/ ٤٦٨.

القول الثاني: أن **(الكفَّار)**: راجع إلى المستحلّ، و**(الأثيم)** راجع إلى من يفعله مع اعتقاد التحريم.

قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه وجه آخر: وهو أن يكون (الكفَّار) راجعًا إلى المُسْتَحل، و(الأثيم) يكون راجعًا إلى من يفعله مع اعتقاد التحريم، فتكون الآية جامعة للفريقين»[(١)].

وقال أبو الليث السمرقندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَفَّارٍ﴾ جاحد تحريم الربا، ﴿أَثِيمٍ﴾ عاص بأكله»[(٢)].

ويمكن القول بأنه لا منافاة بين القولين فيحمل المعنى عليهما جميعًا.

القول الثالث: أن ذكر (الأثيم) ليزول الاشتراك الذي في (كفَّار)؛ إذ يقع على الزارع الذي يستر الأرض؛ نسبه ابن عطية[(٣)] إلى ابن فُورَك[(٤)] رَحِمَهُ اللَّهُ[(٥)].

وتعقبه أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «وقال ابن فورك: ذكر (الأثيم) ليزول الاشتراك الذي في (كفَّار)؛ إذ يقع على الزارع الذي يستر الأرض. انتهى.

وهذا فيه بُعد؛ إذ إطلاق القرآن: (الكافر، والكافرون، والكفار)،

---

(١) التفسير الكبير: ٧/ ٨٤. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٤/ ١٤٠.

(٢) بحر العلوم: ١/ ٢٠٧.

(٣) المحرر الوجيز: ١/ ٣٧٣. وينظر: البحر المحيط: ٢/ ٣٧٣، والجامع لأحكام القرآن: ٤/ ٤٠٣.

(٤) محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، الأصولي، الأديب، النحوي، الواعظ، كان أشعريًا، رأسًا في فن الكلام، بلغت مصنفاته في الأصلين، ومعاني القرآن، قريبًا من مائة مصنف، توفي سنة (٤٠٦هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢١٤، وطبقات المفسرين للداوودي: ٣٨٩.

(٥) المحرر الوجيز: ١/ ٣٧٣.

إنما هو على من كفر بالله، وأما إطلاقه على الزارع فبقرينة لفظية؛ كقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠]»(١).

• **وخلاصة القول**: إن التفريق بين (الكفَّار) و(الأثيم) في المعنى؛ أولى من القول بأنهما بمعنًى واحد، والجمع بينهما للتوكيد والمبالغة من حيث اختلف اللفظان. وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(الفظاظة) و(الغلظة) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد جاء الكتاب والسُّنَّة بنفي الفظاظة والغلظة عنه ﷺ، كما في هذه الآية الكريمة، وكما قال عبد الله بن عمرو بن العاص(٢) رضي الله عنهما: «**إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة**: أنه ليس بفَظٍّ، ولا غليظ، ولا سَخَّاب(٣) في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»(٤).

---

(١) البحر المحيط: ٢/ ٣٧٣.

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمٰن، الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، توفي سنة (٦٨هـ) وقيل: (٦٩هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٨٠، وتقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة: ٢٥٧ [ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق ح برقم (٢١٢٥) ٣٤١.

(٤) **السَّخَب والصَّخَب**: بمعنى: الصياح، وقد تكرر في الحديث. النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (سخب)، باب السين مع الخاء: ٤٢١.

قال ابن حجر[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «ليس بفظّ ولا غليظ»: هو موافق لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾»[٢].

وكما جاء في استئذان عمر بن الخطاب[٣] رضي الله عنه على رسول الله ﷺ والنساء حوله: «فأذن له رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سِنَّكَ يا رسول الله[٤]، قال: (**عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ**)، قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحقَّ أن يهبنَ، ثم قال: أي عَدُواتِ أنفسهنَّ، أتهبنَني ولا تهبنَ رسول الله ﷺ؟! قلن: نعم. أنت أفظُّ وأغلظ من رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**)»[٥].

---

(١) أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر، الكناني العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل، المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة، برع في الفقه والعربية، وصار حافظ الإسلام، وانتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم، ومعرفة العالي والنازل، وعلل الأحاديث وغير ذلك، وصار هو المعول عليه في هذا الشأن في سائر الأقطار، وولي منصب قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية، من مصنفاته: «فتح الباري» و«تقريب التهذيب» و«تغليق التعليق»، توفي سنة (٨٥٢هـ).
ينظر: شذرات الذهب: ٧/ ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) فتح الباري: ٨/ ٧٤٥.

(٣) عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزى، القرشي، العَدَوي، أمير المؤمنين، مشهور، جم المناقب، استشهد في ذي الحجة سنة (٢٣هـ)، وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا.
ينظر: تقريب التهذيب: ٣٥٠.

(٤) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله: «أضحك الله سنك»: لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك؛ بل لازِمُه، وهو السرور، أو نفي ضدِّ لازِمِه وهو الحُزن. فتح الباري: ٧/ ٦٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العَدَوِيِّ رضي الله عنه، ح برقم (٣٦٨٣) ٦١٩، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، ح برقم (٢٣٩٦) ١٣٠٥.

ومن خلال النظر في معنى هاتين اللفظتين، وسر الجمع بينهما في الآية الكريمة، وفي الحديث الشريف: **تبين لي أن لأهل العلم فيهما رأيين:**

الرأي الأول: أن (الفظاظة) و(الغلظة) بمعنًى واحد، وجمع بينهما للتأكيد:

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**(الفظُّ)**: الجافي، و**(الغليظ القلب)**: القاسي، وجمع بين الصفتين، وإن كان معناهما واحدًا للتأكيد»[١].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما (الغليظ القلب) فقيل: هو القاسي القلب، فيكون ذكر (الفظاظة) و(الغلظ) وإن كانا بمعنًى واحد توكيدًا»[٢].

وقال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والوصفان قيل: بمعنى واحد، فجمعا للتأكيد»[٣].

وقال عبد القاهر الجرجاني[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و**(الفَظُّ) في الأصل**: ما في الكَرِشِ من الفَرْثِ[٥]، ورجلٌ فظٌّ: سيِّئ العشرة والخُلق، وإنما زاد غِلَظ القلب في الوصف **للتأكيد**»[٦].

---

(١) النكت والعيون: ١/ ٤٣٣.

(٢) زاد المسير: ١/ ٤٨٦.

(٣) البحر المحيط: ٣/ ١٠٤.

(٤) عبد القاهر بن عبد الرحمٰن الجرجاني، من كبار أئمة العربية والبيان، كان شافعيًّا، أشعريًّا، أخذ النحو عن ابن أخت الفارسي، ولم يأخذ عن غيره؛ لأنه لم يخرج من جرجان، وصار الإمام المشهور، المقصود من جميع الجهات، مع الدين المتين والورع والسكون، من مصنفاته: «دلائل الإعجاز» و«شرح الفاتحة» و«المفتاح»، توفي سنة (٤٧١هـ) وقيل: (٤٧٤هـ).
ينظر: بغية الوعاة: ٢/ ١٠٦، وطبقات المفسرين للداوودي: ٢٣٢.

(٥) القاموس المحيط، مادة: (فرث)، باب الثاء فصل الفاء: ١٧٤.

(٦) درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر بن عبد الرحمٰن الجرجاني، تحقيق: وليد بن أحمد الحسين: ١/ ٣٣٤ [ط١، صادرة عن مجلة الحكمة، بريطانيا: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م].

وهذا ما ذكره بعض أهل العلم أيضًا في سر الجمع بين (الفظاظة) و(الغلظة) فيما وصف به النساء عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قال النووي رحمه الله: «قوله: «قلن: أنت أفظُّ وأغلظُ من رسول الله ﷺ»، (الفظُّ) و(الغليظ) بمعنى، وهو عبارة عن شدَّة الخُلق وخشونة الجانب»[1].

الرأي الثاني: أن (الفظاظة) و(الغلظة) ليستا بمعنى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بكل منهما، **فأقول وبالله التوفيق:**

أمَّا قوله: ﴿فَظًّا﴾ فراجع إلى عدم اللين في الكلام، وإلى سوء الأخلاق. **ومما ذكره المفسرون في معنى ﴿فَظًّا﴾ قولهم:**

- «الغليظ الجافي»[2].
- أو «السيِّئ الخُلق»[3].
- أو «الكريه الخُلق»[4].
- أو «الغليظ الجانب السيِّئ الخُلق»[5].
- أو «الجافي الطبع السيئ الخُلق»[6].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، تحقيق: خليل مأمون شيحا: ١٥/ ١٦١ [ط٦، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م].

(٢) ينظر: جامع البيان: ٥/ ١٥١، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٧٢، والكشاف: ١/ ٤٥٩، والجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٣٧٨، وأنوار التنزيل: ٢/ ٤٥، ومدارك التنزيل: / ١٢٨٥، ولباب التأويل: ١/ ٤٤٩، وفتح القدير: ١/ ٦٤٠.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٩/ ٩٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٢٩٣، وتفسير الجلالين: ص٧١، والسراج المنير: ١/ ٢٩٨، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص١٥٤.

(٤) المفردات، مادة: (فظ)، كتاب الفاء: ٣٩٨.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٤٠٥، ومعاني القرآن للنحاس: ١/ ٥٠١.

(٦) ينظر: الكشف والبيان: ١/ ٢٨٥، والتحرير والتنوير: ٤/ ١٤٦.

- أو «جافيًا سيِّئ الخلق قليل الاحتمال»[١].
- أو «الخشن القول»[٢].
- أو «الغليظ القول»[٣].
- أو «غليظ الكلام»[٤].
- أو «الجافي في منطقه ومقاطعه»[٥].
- أو «سيِّئ الخُلق خشن الكلام»[٦].
- أو «الجافي الشديد القول»[٧].

ويجمع هذه الأقوال ما ذكره بعض أهل العلم رحمهم الله بقولهم: «**الفظاظة**: الجفوة في المعاشرة قولًا وفعلًا»[٨].

قال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَظًّا﴾؛ أي: خشن الجانب، شرس الأخلاق، جافيًا في المعاشرة قولًا وفعلًا»[٩].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الفظُّ): الجافي في مقاله، الذي يصعِّر خدَّه للناس، جافيًا أيضًا في قوله عنيفًا شديدًا»[١٠].

وأمَّا قوله: ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾؛ أي: قاسي القلب. وعلى هذا القول

---

(١) معالم التنزيل: ١/ ٣٦٥.
(٢) بحر العلوم: ١/ ٢٨٥.
(٣) الوجيز للواحدي: ١/ ٢٤٠.
(٤) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٤٧.
(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٥٣٣، والجواهر الحسان: ١/ ٣٦٤.
(٦) محاسن التأويل: ٢/ ١٦٦.
(٧) تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران: ٢/ ٣٦٤.
(٨) ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٥٣٣، والبحر المحيط: ٣/ ١٠٤، والدر المصون: ٣/ ٤٦٢، واللباب في علوم الكتاب: ٦/ ١٧، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١٠٥.
(٩) روح المعاني: ٤/ ١٠٦.
(١٠) تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران: ٢/ ٣٦٤.

جمهور المفسرين[(١)].

وتفسير الغليظ بالقاسي هو المشهور من كلام العرب.

قال ابن منظور[(٢)] رَحِمَهُ اللهُ: «والغِلَظُ: ضدُّ الرِّقَّة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك، ورجل غليظ: فيه غلظة وفظاظة وقساوة وشدَّة. وفي التنزيل: ﴿فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾»[(٣)].

ومنه قول الشاعر[(٤)]:

يُبْكَى عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ ... لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ

وعلى هذا المعنى حمل بعض المفسرين معنى (الغلظة) في وصف خزنة جهنم في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]؛ أي: «غلاظ القلوب»[(٥)].

(١) ينظر: جامع البيان: ٥/ ١٥١، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٧٢، والكشاف: ١/ ٤٥٩، وأنوار التنزيل: ٢/ ٤٥، ومدارك التنزيل: / ١٢٨٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٢٩٣، ولباب التأويل: ١/ ٤٤٩، والدر المصون: ٣/ ٤٦٢، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٤٧، وفتح القدير: ١/ ٦٤٠، وروح المعاني: ٤/ ١٠٦، ومحاسن التأويل: ٢/ ١٦٦، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص١٥٤، والتحرير والتنوير: ٤/ ١٤٦، وتفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران): ٢/ ٣٦٤.

(٢) محمد بن مكرم بن علي - وقيل: رضوان - بن أحمد بن منظور، الأنصاري الأفريقي، المصري، جمال الدين أبو الفضل، خدم في ديوان الإنشاء مدة عمره، وولي قضاء طرابلس، وكان صدرًا رئيسًا، فاضلًا في الأدب، مليح الإنشاء، عارفًا بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة، من مصنفاته: «لسان العرب» و«مختصر تاريخ دمشق»، توفي سنة (٧١١هـ). ينظر: بغية الوعاة: ١/ ٢٤٨.

(٣) لسان العرب: مادة: (غلظ): ٧/ ٤٤٩.

(٤) البيت في المحرر الوجيز: ١/ ٥٣٣، والجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٣٧٨، والدر المصون: ٣/ ٤٦٢. من غير نسبة، ونسبه في خزانة الأدب: ٢/ ١٨٠. إلى مهلهل.

(٥) ينظر: النكت والعيون: ٦/ ٤٥، وتفسير القرآن للسمعاني: ٥/ ٤٧٦، والجامع لأحكام القرآن: ٢١/ ٩٤.

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ [التحريم: ٦] هي الزبانية التسعة عشر وأعوانهم، ووصفهم بالغِلظ، إما لشدة أجسامهم وقوتها، وإما لفظاظتهم لقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾؛ أي: ليس فيهم رقة ولا حَنَّة على العُصاة»[1].

وقد ذكر بعض أهل العلم تفسيرات لقوله: ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ راجعة لمعنى القسوة في القلب **ومما ذكروه من ذلك:**

- «**غِلَظ القلب**: عبارة عن قلة الرحمة»[2].

- أو «عبارة عن تجهُّم الوجه، وقلة الانفعال في الرغائب، وقلة الإشفاق والرحمة»[3].

- أو «عبارة عن كونه خُلِقَ صلبًا لا يلين ولا يتأثر»[4].

ومما تقدم يتضح لنا الفرق بين (الفظاظة) و(الغلظة) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾. **فالفظاظة**: الجفوة في المعاشرة قولًا وفعلًا.

وغِلَظ القلب: قساوته.

وما ذكره أهل العلم في معناهما من الأقوال راجعة لما ذكر. فالجمع بينهما ليس للتأكيد **كما نص على ذلك بعضهم:**

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(الفظ): الغليظ، **والمراد به هاهنا**: غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾»[5].

---

(١) البحر المحيط: ٨/ ١٩٦.

(٢) تفسير الراغب: ٢/ ٩٤٩. وينظر: التفسير الكبير: ٩/ ٩٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٥٣٣، والجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٣٧٨، وروح المعاني: ٤/ ١٠٦.

(٤) البحر المحيط: ٣/ ١٠٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٤٧.

وقال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الفظاظة): الجفوة في العِشْرَة قولًا وفعلًا، و(الغِلَظُ): قساوة القلب، وهذا أحسن مِنْ قول من جعلهما بمعنًى، وجمع بينهما تأكيدًا»[١].

وما ذكر هو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله أعلم بكتابه.

ومما ينبغي الإشارة إليه في ختام الكلام على الآية الكريمة: أن قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾، لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ؛ في معرض شرحه لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: أنه ليس بفَظٍّ، ولا غليظ»[٢]: قوله: «ليس بفظٍّ ولا غليظ»: هو موافق لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾، ولا يعارض قوله تعالى: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [التوبة: ٧٣]، لأن النفي محمول على طبعه الذي جُبل عليه والأمر محمول على المعالجة، أو النفي بالنسبة للمؤمنين والأمر بالنسبة للكفار والمنافقين، كما هو مصرَّح به في نفس الآية»[٣].

وكذلك ما ورد في استئذان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله ﷺ ونساء قريش عنده، وفيه: «قلن: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ»[٤]؛ فإنَّه يفهم منه الاشتراك بين النبي ﷺ وعمر بن

---

(١) الدر المصون: ٣/ ٤٦٣.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) فتح الباري: ٨/ ٧٤٥.
(٤) تقدم تخريجه.

الخطاب ﷺ في أصل الفعل وهو الفظاظة والغلظة، وهذا أيضًا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «أنت أفظّ وأغلظ»: بالمعجمتين بصيغة أفعل التفضيل من الفظاظة والغلظة؛ وهو يقتضي الشركة في أصل الفعل، ويعارضه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. فإنه يقتضي أنه لم يكن فظًّا ولا غليظًا، والجواب: أن الذي في الآية يقتضي نفي وجود ذلك له صفة لازمة فلا يستلزم ما في الحديث ذلك، بل مجرد وجود الصفة له في بعض الأحوال وهو عند إنكار المنكر مثلًا. والله أعلم»(١).

وكذلك فظاظة عمر بن الخطاب ﷺ وغلظته الواردة في الحديث محمولة على نصرة الحق والدين.

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الجواري لعمر بن الخطاب: «أنت أفظّ وأغلظ من رسول الله»؛ الحديث، وفظاظة عمر بن الخطاب ﷺ إنما كانت مستعملة منه آلةً لعضد الحق، والشدة في الدين»(٢). والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

(الهنيء) و(المريء) من الألفاظ الموهمة بالترادف، «ولم يستعمل ﴿مَّرِيئًا﴾ إلا تابعًا لـ ﴿هَنِيئًا﴾»(٣)، وهما من أوصاف الطعام والشراب في الأصل، كما قال تعالى في جزاء أهل الجنة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ

(١) فتح الباري: ٧/ ٦٠.
(٢) المحرر الوجيز: ١/ ٥٣٣.
(٣) الدر المصون: ٣/ ٥٧٨.

تَعۡمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩، والمرسلات: ٤٣]، وقوله: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤][1]. وكما جاء في حديث أنس[2]: أن رسول الله ﷺ: «كَانَ إِذَا شَرِبَ تَنَفَّسَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: (هُوَ أَهْنَأُ، وَأَمْرَأُ، وَأَبْرَأُ)»[3].

ويستعمل (الهنيء) و(المريء) كذلك في كل أمر فيه البشارة بما يسرُّ، ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «نزل على النبي ﷺ ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] مرجعنا من الحديبية، فقال النبي ﷺ: (لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ)، ثم قرأها عليهم النبي ﷺ، فقالوا: هنيئًا مريئًا يا رسول الله، قد بيَّن الله ﷻ لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليهم ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾ حتى بلغ ﴿فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ [الفتح: ٥]»[4].

---

(١) المفردات، مادة: (هنأ)، كتاب الهاء: ٥٧١.

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام، أبو حمزة الأنصاري، الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ، وتلميذه، وآخر أصحابه موتًا. توفي بالبصرة سنة (٩١هـ)، وقيل: (٩٣هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٩٥، والإصابة: ١/ ١٢٦.

(٣) ينظر: مسند الطيالسي، ح برقم (٢٢٣٢) ٣/ ٥٨٥، ٥٨٦، ومسند أحمد، ح برقم (١٢٢١٠) ٨٦١، وسنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ، كتاب الأشربة، باب الساقي متى يشرب، ح برقم (٣٧٢٧) ٣/ ٣٣٨ [دار الفكر، بيروت، بدون]، وصحيح ابن حبان، ح برقم (٥٣٣٠) ١٢/ ١٤٧.
وأخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، كراهة التنفس في الإناء ثلاثًا واستحباب التنفس ثلاثًا، ح برقم (٢٠٢٨) ١١٢٠، إلا أنه اقتصر على إسناده دون متنه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ح برقم (١٧٨٦) ٩٨٧، وأحمد في المسند، ح برقم (١٣٠٦٦)، ٩١٨، ٩١٩. واللفظ له.

ومن ذلك أيضًا: **قول الإمام الشاطبي**[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ **في مدح حافظ القرآن:**

فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكًا ... مُجِلًّا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلَا
هَنِيئًا مَرِيئًا وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا ... مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلَى[(٢)]

ويستعمل (الهنيء) و(المريء) كذلك في المبالغة في الإباحة وإزالة التَّبِعَة[(٣)]، كما في الآية الكريمة محل الدراسة؛ فهي بيان أن ما وهبته النساء للرجال، سواء أكانوا أزواجًا أم أولياءَ؟ من الصداق طيبة بذلك أنفسهن؛ فليأكلوه ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾، فيكون أكله حلالًا طيبًا لا شائبة فيه، ولا شبهة فيه بوجه من الوجوه.

وعند النظر فيما ذكره المفسرون في المراد بهما في الآية الكريمة، سواء أكان ذلك في بيان المراد بهما في الآية الكريمة، أم في بيان المراد بهما على أصل استعمالهما في كونهما يستعملان في الطعام والشراب **تبين لي أن لهم فيهما رأيين:**

---

(١) القاسم بن فِيرُّه بن خلف الشاطبي، الرُّعيني، الضرير، الإمام، العلَّامة، كان أعجوبة في الذكاء، كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات، حافظًا للحديث، بصيرًا بالعربية، إمامًا في اللغة، رأسًا في الأدب، مع الزهد والعبادة، شافعي المذهب، مواظبًا على السُّنَّة، من مصنفاته: «حرز الأماني» و«عقيلة أتراب القصائد»، توفي سنة (٥٩٠هـ).

ينظر: معرفة القراء الكبار: ٢/ ٦٦٨، وغاية النهاية: ٢/ ٢٠.

(٢) حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فِيرُّه بن خلف الشاطبي، تحقيق: محمد تميم الزُّعبي: ٢ [ط٤، دار الهدى للنشر والتوزيع، المدينة المنورة: ١٤١٢٥هـ - ٢٠٠٤م].

(٣) **ينظر**: الكشاف: ١/ ٥٠٢، والتفسير الكبير: ٩/ ١٢، ومدارك التنزيل: ٢/ ٣٠٧، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ١٣٠، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١٤٤، ومحاسن التأويل: ٢/ ٢٢٨.

الرأي الأول: أنهما بمعنى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا:

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال اللغويون: الطعام الهنيء**؛ هو السائغ المستحسن، الحميد المغبَّة، وكذلك المريء»[١].

وقال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(الهنيء) و(المريء) صفتان من هنأ الطعام ومرأ؛ إذا ساغ من غير غصص، وقيل: (الهنيء): ما يلذُّه الإنسان، و(المريء): ما تُحمد عاقبته»[٢].

قال شيخ زاده رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة، ثم أشار أنهما **صفتان بمعنى واحد**، وهو السائغ بلا غائلة[٣]، وإن فرق البعض بينهما بأن (الهنيء): ما يلذُّه الآكل، و(المريء): ما تُحمد عاقبته»[٤].

وقال ابن التمجيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «وقيل الهنيء... إلخ»: هذه بيان تفرقة بينهما، وما تقدم مبنيٌّ على أنهما واحد من غير تفرقة»[٥].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «و﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ صفتان مُشَبَّهتان من **هَنَأَ وهَنِئَ، بفتح النون وكسرها**: بمعنى ساغ ولم يُعقب نغصًا، **والمريء** من مَرُؤَ الطعام مثلث الراء، بمعنى هنئ، **فهو تأكيد** يشبه الإتباع»[٦].

---

(١) المحرر الوجيز: ٢/ ٩. قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وطعام مريء: هنيء حميد المغبة». لسان العرب، مادة: (مرأ): ١/ ١٥٥. وينظر: القاموس المحيط، مادة: (مرؤ)، باب الهمزة فصل الميم: ٥٢.

(٢) أنوار التنزيل: ٢/ ٦٠.

(٣) **الغائلة**: صفة لخصلة مهلكة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (غول)، باب الغين مع الواو: ٦٨٣.

(٤) حاشية زاده على تفسير البيضاوي: ٢/ ١١٠.

(٥) حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي: ٧/ ٣٠.
وينظر: حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: ٧/ ٣٠)

(٦) التحرير والتنوير: ٤/ ٢٣٢.

الرأي الثاني: أنهما ليسا بمعنى واحد والجمع بينهما ليس للتأكيد:

فالهنيء من الطعام: يكون حال الأكل؛ بكونه طيبًا مستساغًا لا ينغِّصه شيء، **والمريء:** يكون بعد الأكل؛ بكونه محمود العاقبة، تام الهضم، ينفع ولا يضر(١).

قال كُثَيِّر عَزَّة(٢):

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ(٣)

وقيل: المريء: هو ما ينساغ في مجراه، وقيل: لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة (المَرِيء)؛ لمروء الطعام فيه؛ وهو انسياغه(٤).

قال أبو هلال العسكري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفرق بين (الهنيء) و(المريء): **أن (الهنيء)**: هو الخالص الذي لا تكدير فيه، ويقال ذلك في الطعام، وفي كل فائدة لم يعترض عليها ما يفسدها، و**(المريء)**: المحمود العاقبة، يقال: مَريءٌ ما فعلت؛ **أي**: أشرفت على سلامة عاقبته»(٥).

---

(١) ينظر: الكشف والبيان: ٣/ ١٢٤، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٩٧، ومعالم التنزيل: ١/ ٣٩٣، والكشاف: ١/ ٥٠٢، وزاد المسير: ٢/ ١٢، والتفسير الكبير: ٩/ ١٢، والجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٥٠، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ١٨٥، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١٤٤، وفتح القدير: ١/ ٦٨١، وروح المعاني: ٤/ ١٩٩، وتفسير المنار: ٤/ ٣٧٧، والتحرير والتنوير: ٤/ ٢٣٢.

(٢) هو: كُثَيِّر بن عبد الرحمٰن بن الأسود، أبو صخر، الخزاعي المدني، من فحول الشعراء، امتدح عبد الملك والكبار، وقيل: كان شيعيًا، يقول بتناسخ الأرواح، ويؤمن بالرجعة، وكان قد تَتَيَّم بعَزَّة، وشبب بها، وبعضهم يقدمه على الفرزدق والكبار، توفي سنة (١٠٧هـ). سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٥٢.

(٣) ديوان كُثَيِّر عزة، تحقيق: إحسان عباس: ١٠٣ [ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م].

(٤) ينظر: الكشاف: ١/ ٥٠٢، والتفسير الكبير: ٩/ ١٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ١٨٥، والدر المصون: ٣/ ٥٧٩، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١٤٤، وروح المعاني: ٤/ ١٩٩.

(٥) الفروق اللغوية: ٣٣٢.

وعلى التفريق بين (الهنيء) و(المريء) في أصل استعمالهما في الطعام والشراب؛ يمكن الوقوف على المراد بهما في قوله: ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ في الآية الكريمة، فالآية كما تقدم في المبالغة في الإباحة وإزالة التبعة فيما وهبته النساء للرجال، سواء أكانوا أزواجًا أم أولياءَ، من الصداق، طيِّبة بذلك أنفسهن، فيكون أكله حلالًا طيبًا لا شائبة فيه، ولا شبهة فيه بوجه من الوجوه.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود: هنا أنه حلال لهم خالص عن الشوائب، وخص الأكل؛ لأنه معظم ما يراد بالمال وإن كان سائر الانتفاعات به جائزة كالأكل»(١).

ومما ذكره أهل العلم في معناهما:

١ - ﴿هَنِيٓـًٔا﴾؛ يعني: حلالًا، ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾؛ يعني: طيبًا(٢).

٢ - ﴿هَنِيٓـًٔا﴾؛ يعني: بلا إثم منه، ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾؛ يعني: بلا أذى فيه، أو بلا داء فيه(٣).

٣ - ﴿هَنِيٓـًٔا﴾؛ يعني: في الدنيا بلا مطالبة، ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ في الآخرة بلا تبعة(٤).

٤ - ﴿هَنِيٓـًٔا﴾؛ يعني: دواء أو علاجًا، ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ شافيًا.

---

(١) فتح القدير: ١/ ٦٨١. وينظر: محاسن التأويل: ٢/ ٢٢٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٢١٥.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ١/ ٣٠٦، ومدارك التنزيل: ٢/ ٣٠٧، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ص١٦٣.

(٤) ينظر: الكشف والبيان: ٣/ ١٢٤، والتفسير الكبير: ٩/ ١٢، والجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٥٠، ومدارك التنزيل: ٢/ ٣٠٧، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ١٨٥، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ص١٦٣، وتفسير الجلالين: ص٧٧، والسراج المنير: ١/ ٣٢٤، وتفسير المنار: ٤/ ٣٧٧، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص١٦٤.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ فإنه مأخوذ من هنأت البعير بالقَطِران[(١)]؛ إذا جَرِبَ فعُولج به، كما قال الشاعر:

مُتَبَذِّلًا تَبْدُو مَحَاسِنُهُ   يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ[(٢)]

فكان معنى قوله: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ فكلوه دواءً شافيًا يقال: من هنأني الطعام ومرأني؛ أي: صار لي دواءً وعلاجًا شافيًا»[(٣)].

• **وخلاصة القول**: أن ما ذكر من أقوال على الرأي الثاني تفيد أن هناك فرقًا بين (الهنيء) و(المريء) في المعنى، وجميع هذه الأقوال دالة

---

(١) **القطران**: دهن من تركيب كيمياوي قديم عند البشر يصنعونه من إغلاء شجر الأرز، وشجر السَّرو وشجر الأَبْهُل ـ بضم الهمزة والهاء وبينهما موحدة ساكنة ـ وهو شجر من فصيلة العرعر، ويتخذ للتداوي من الجرب للإبل.
ينظر: لسان العرب، مادة: (قطر): ٥/ ١٠٥، والتحرير والتنوير: ١٣/ ٢٥٣.

(٢) البيت لدُريد بن الصِّمَّة، من قصيدة قالها: حين مر بالخنساء، وهي تهنأ بعيرًا لها، وقد تبذلت حتى فرغت منه، ثم نضَّت عنها ثيابها. ودريد يراها وهي لا تشعر به، فأعجبته فانصرف إلى رحله فأنشأ القصيدة.
ينظر: الأغاني، لعلي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: علي مهنا، وسمير جابر: ١٥/ ٧٣ [ط٢، دار الفكر، بيروت، بدون]، ولسان العرب، مادة: (نقب): ١/ ٧٦٦.
النُّقب: القطع المتفرقة من الجرب، وقيل: هي أول ما يبدو من الجرب. لسان العرب، مادة: (نقب): ١/ ٧٦٦.
ودريد بن الصِّمة هو: دريد بن الصِّمة، من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، يكنى أبا قرة، أحد الشجعاء المشهورين، وذوي الرأي في الجاهلية، شهد يوم حنين مع هوازن وهو شيخ كبير وقتل فيمن قتل من المشركين.
ينظر: الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: د. عمر الطباع: ٥٤٣ [ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م].

(٣) جامع البيان: ٤/ ٢٤٤. وينظر: الكشف والبيان: ٣/ ١٢٤، والنكت والعيون: ١/ ١٢٤، والتفسير الكبير: ٩/ ١٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ١٨٥، والبحر المحيط: ٣/ ١٦١، واللباب في علوم الكتاب: ٦/ ١٦٣.

على ما تقدم ذكره من أن الآية الكريمة في المبالغة في الإباحة وإزالة التبعة فيما وهبته النساء للرجال، سواء أكانوا أزواجًا أم أولياءَ، من الصداق طيبة بذلك أنفسهن، فيكون أكله حلالًا طيبًا لا شائبة فيه، ولا شبهة فيه بوجه من الوجوه.

وهو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد، ولقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»(١). والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ذكر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أن الصلاة كانت ولم تزل على المؤمنين كتابًا موقوتًا، وقد عد بعض أهل العلم قوله: ﴿مَّوْقُوتًا﴾ بمعنى ﴿كِتَـٰبًا﴾، وهذا يستدعي عرض آراء أهل العلم في المراد بهما، **فأقول ومن الله وحده أستمد العون والتوفيق:**

الرأي الأول: أنهما لفظان بمعنى واحد، وكرر مبالغة وتوكيدًا:

وهذا الرأي: توجيه من بعض أهل العلم لما روي عن ابن عباس(٢) رضي الله عنهما في تفسير قوله: ﴿كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾؛ قال: «أي: فرضًا مفروضًا»(٣).

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٢) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، صحب النبي ﷺ نحوًا من ثلاثين شهرًا، وحدث عنه بجملة صالحة، توفي سنة (٦٨هـ)، وقيل: (٦٧هـ). سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣١ ـ ٣٥٩.

(٣) ينظر: جامع البيان: ٥/ ٢٦١.

قال ابن عطية رحمه الله: «وروي عن ابن عباس أن المعنى: فرضًا مفروضًا، فهما لفظان بمعنى واحد وكرر مبالغة»(١).

وقال أبو حيان رحمه الله: «وروي عن ابن عباس: أن المعنى فرضًا مفروضًا، فهما لفظان بمعنى واحد»(٢).

الرأي الثاني: التفريق بين اللفظين في المعنى، وأنهما ليسا بمعنى واحد:

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بقوله تعالى ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾.

أمَّا قوله: ﴿كِتَٰبًا﴾: **فالمراد به**: الفرض(٣)؛ أي: شيئًا مكتوبًا عليهم واجبًا حتمًا(٤).

قال ابن رجب(٥) رحمه الله في معرض كلامه على هذه الآية: «أما (الكتاب): **فالمراد به**: الفرض، ولم يذكر في القرآن لفظ (الكتاب) وما تصرف منه إلا فيما هو لازم: إما شرعًا، مثل قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقوله

(١) المحرر الوجيز: ٢/١٠٨. وينظر: الجواهر الحسان: ١/٤١٠.
(٢) البحر المحيط: ٣/١٥٦.
(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣/٢٤٨، وزاد المسير: ٢/١٨٨.
(٤) أضواء البيان: ١/٤٤٥.
(٥) عبد الرحمٰن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، الشيخ، المحدث، الحافظ، زين الدين، الشهير بابن رجب، كان أحد الأئمة الكبار، والحفاظ العلماء، وكانت مجالس تذكيره للقلوب صادعة، لازم مجالس ابن القيم إلى مات، من مصنفاته: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» و«جامع العلوم والحكم» و«ذيل طبقات الحنابلة»، توفي سنة (٧٩٥هـ).
ينظر: الدرر الكامنة: ٣/١٠٨، والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبد الله بن حميد النجدي، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد ود. عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين: ٢/٤٧٤ [ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م].

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٤]. وإما قدرًا، نحو قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقوله: ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ﴾ [الحشر: ٣]»[1].

وأما قوله: ﴿مَّوۡقُوتٗا﴾: فلأهل العلم فيه قولان:

القول الأول: أن (الموقوت) بمعنى: المفروض؛ وهو المقدر المحدد، ويكون ذلك في أفعال الصلاة، وعددها، وعملها. كما في قوله تعالى في آية المواريث: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [النساء: ١١]، وقوله تعالى في قسمة الصدقات ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠].

فقوله: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾؛ أي: «حكمًا مقدرًا بتقدير الله وفَرْضِه وقَسْمه»[2].

وهذا القول مرويٌّ عن جماعة من السلف منهم: ابن عباس، ومجاهد، والحسن[3][4].

قال ابن العربي رحمه الله: «وقد قال قوم: إن ﴿مَّوۡقُوتٗا﴾: محدودًا

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، عبد الرحمٰن بن أحمد ابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد: ٣/٧: [ط٢، دار ابن الجوزي: ١٤٢٢هـ].

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٢/٤٨١.

(٣) الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد، البصري، مولى زيد بن ثابت، كان من سادات التابعين، وأفتى في زمن الصحابة، بالغ الفصاحة، وبليغ المواعظ، كثير العلم بالقرآن ومعانيه، توفي سنة (١١٠هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٤/٥٦٣، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ص١٣.

(٤) ينظر: جامع البيان: ٥/٢٦١، وتفسير القرآن العظيم مسندًا عن الصحابة والتابعين، عبد الرحمٰن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب: ٤/١٠٥٧ [المكتبة العصرية، صيدا، بدون]، والنكت والعيون: ١/٤٠٣.

بأقوال وأفعال وسنن وفرائض؛ وكل ذلك سائغ لغة، مُحتمَل معنًى»[١].

وقال الخازن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: ﴿مَّوۡقُوتٗا﴾؛ معناه: فرضًا واجبًا مقدرًا، في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين»[٢].

وقال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: المعنى كانت عليهم أمرًا مفروضًا مقدرًا في الحضر بأربع ركعات، وفي السفر بركعتين؛ فلا بد أن تؤدى في كل وقت حسبما قُدر فيه»[٣].

القول الثاني: أن (الموقوت) بمعنى: المؤقت في أوقات معلومة، المُنجَّم[٤] عليها، كلما مضى وقت جاء وقت؛ وهذه القول مروي عن ابن مسعود[٥]، وقتادة، وزيد بن أسلم[٦]، وهو اختيار جمهور المفسرين[٧].

---

(١) أحكام القرآن: ١/٥١٦.

(٢) لباب التأويل: ١/٢٤٦. وينظر: الكشف والبيان: ٣/٤٠٣، ومعالم التنزيل: ١/٤٧٦.

(٣) روح المعاني: ٥/١٣٨.

(٤) النجم: الوقت المضروب. ينظر: القاموس المحيط: مادة: (نجم)، باب الميم فصل النون: ص١١٦١.

(٥) عبد الله بن مسعود بن غافل، الهذلي أبو عبد الرحمٰن، أحد السابقين الأولين، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ، وكان صاحب نعليه، وحدث عن النبي ﷺ بالكثير، أمَّره عمر على الكوفة، ومات سنة (٣٢هـ) بالمدينة، وقيل بالكوفة. ينظر: الإصابة: ٤/٢٣٣.

(٦) ينظر: جامع البيان: ٥/٢٦١، ٥٦٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ٤/١٠٥٧، والنكت والعيون: ١/٤٠٣.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل: ١/٢٥٤، ومجاز القرآن: ١/١٣٩، وتفسير غريب القرآن: ١٣٥، وجامع البيان: ٥/٥٦٢، ومعاني القرآن وإعرابه: ٢/٨١، وبحر العلوم: ١/٣٦٠، وأحكام القرآن للجصاص: ٣/٢٤٨، والوجيز للواحدي: ١/٢٨٦، والكشاف: ١/٥٩٤، والمحرر الوجيز: ٢/١٠٨، والتفسير الكبير: ١١/١٨٨، وأنوار التنزيل: ٢/٩٤، ومدارك التنزيل: ١/٣٦٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/٢٤٦، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٥٦، والبحر المحيط: ٣/١٥٦، والدر المصون: ٤/٨٦، واللباب في علوم الكتاب: ٦/٥٥١، والسراج المنير: ١/٣٨١، =

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والموقوت**: المحدود بأوقات، والمُنـجَّم عليها، وقد يستعمل بمعنى المفروض على طريق المجاز. والأول أظهر هنا»(١).

وقد يقال: لا منافاة بين القولين، فيحمل عليهما جميعًا؛ كما اختار ذلك بعض أهل العلم:

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**و(الموقوت)** - والله أعلم -: الوقت الذي نصلي فيه، وعددها»(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**و(الموقوت)**: قد فسَّره السلف بالمفروض وفسروه بما له وقت، **والمفروض**: هو المقدر المحدد؛ فإن التوقيت والتقدير والتحديد والفرض: ألفاظ متقاربة، وذلك يوجب أن الصلاة مقدرة محددة مفروضة موقوتة، وذلك في زمانها وأفعالها، وكما أن زمانها محدود؛ فأفعالها أولى أن تكون محدودة موقوتة، وهو يتناول تقدير عددها؛ بأن جعله خمسًا، وجَعْلَ بعضها أربعًا في الحضر واثنتين في السفر، وبعضها ثلاثًا، وبعضها اثنتين في الحضر والسفر، وتقدير عملها أيضًا. ولهذا يجوز عند العذر الجمع المتضمن لنوع من التقديم والتأخير في الزمان، كما يجوز أيضا القصر من عددها، ومن صفتها بحسب ما جاءت به الشريعة»(٣).

• **وخلاصة القول**: أن المراد بالكتاب في قوله: ﴿كِتَٰبًا﴾؛ **أي**: مكتوبًا، **بمعنى**، مفروض؛ **أي**: أن الصلاة كانت شيئًا مكتوبًا عليهم واجبًا حتمًا.

= وروح المعاني: ٥/١٣٨، ومحاسن التأويل: ٢/٤٦٥، وتفسير المنار: ٥/٣٨٣، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص١٩٩، والتحرير والتنوير: ٥/١٨٩، وأضواء البيان: ١/٤٤٥.

(١) التحرير والتنوير: ٥/١٨٩.

(٢) أحكام القرآن: ١/٥٧.

(٣) مجموع الفتاوى: ٢٢/٥٤٣، ٥٤٤.

وقوله: ﴿مَّوْقُوتًا﴾ يحتمل أن يكون بمعنى: المؤقت في أوقات معلومة، أو بمعنى: المقدر المحدد، ويكون ذلك في أفعال الصلاة، وعددها، وصفتها. ويمكن حمل المعنى عليهما جميعًا كما تقدم.

وعلى كلا القولين: فإن ﴿مَّوْقُوتًا﴾ أفاد معنًى جديدًا غير المعنى الذي أفاده معنى ﴿كِتَٰبًا﴾، وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله أعلم بكتابه.

***

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

(الضيّق) و(الحرج) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة التي أخبر الله فيها جلَّ ثناؤه عن نفسه أنه يشرح صدر من أراد هدايته للإسلام، ويجعل صدر من أراد إضلاله ضيقًا عن الإسلام حرجًا كأنما يصعَّد في السماء.

وقبل البدأ بذكر آراء أهل العلم في سر الجمع بينهما في الآية الكريمة، أحبُّ التنبيه أن في قوله تعالى: ﴿حَرَجًا﴾ قراءتين: ﴿حَرَجًا﴾ بفتح الراء و(حَرِجًا) بكسر الراء[(١)].

وهما قراءتان بمعنى واحد عند أكثر أهل العلم.

قال الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو في كسره وفتحه بمنزلة: الوَحَد والوَحِد، والفَرَد والفَرِد، والدَّنَف[(٢)] والدَّنِف؛ تقوله العرب في معنى واحد»[(٣)].

---

(١) قرأ الجمهور بفتح الراء، وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم بكسر الراء. ينظر: السبعة: ٢٦٨.

(٢) الدَّنَف: المرض اللازم المخامر، ورجل دنف، براه المرض حتى أشفى على الموت. ينظر: لسان العرب، مادة: (دنف): ٩/ ١٠٧.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٣٥٣، ٣٥٤. وينظر: جامع البيان: ٨/ ٢٩، والدر المصون: ٥/ ١٤٢.

وأمَّا عن سرِّ الجمع بين (الحرج) و(الضيِّق) في الآية الكريمة **فلأهل العلم فيه رأيان:**

الرأي الأول: أن (الضيِّق) و(الحرج) بمعنًى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا:

قال ابن خالويه رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿حَرَجًا﴾ يقرأ بفتح الراء وكسرها؛ فالحجة لمن فتح الراء أنه أراد المصدر ولمن كسرها أنه أراد الاسم، **ومعناهما**: الضيِّق.

فإن قيل: فما وجه إعادته؟ **فقل**: في ذلك وجوه أولها: أنه أعاده لاختلاف اللفظين، والثاني: أنه أعاده تأكيدًا...»[(١)].

وقال ابن أبي زمنين[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الحرج) و(الضيق) معناهما واحد»[(٣)].

وقال مكي بن أبي طالب: «ومعنى (حَرِج) كمعنى (ضيِّق) كرر لاختلاف لفظه للتأكيد»[(٤)].

وقال أبو البقاء العكبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «(حَرِجًا) بكسر الراء صفة لـ(ضيِّق)، أو مفعول ثالث، وعلى كل تقدير هو مؤكد للمعنى»[(٥)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُرِئَ (حَرِجًا) بالكسر؛ **ومعناه**: الضيق. كرر المعنى، وحَسُن ذلك لاختلاف اللفظ»[(٦)].

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ١٤٩.

(٢) محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد، ابن أبي زمنين، أبو عبد الله، الأندلسي الألبيري، شيخ قرطبة، كان من كبار الفقهاء والمحدثين والراسخين في العلم، متفننًا في الأدب، وله قرض في الشعر إلى زهد وورع واقتفاء لآثار السلف، من مصنفاته: «تفسير القرآن العزيز» و«المنتخب في الأحكام» و«أصول السُّنَّة»، توفي سنة (٣٩٩هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٨٨، وطبقات المفسرين للداوودي: ص٤١٠.

(٣) تفسير القرآن العزيز: ٢/ ٩٦.

(٤) **ينظر**: مشكل إعراب القرآن: ١/ ٢٦٩، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/ ٤٥٠.

(٥) التبيان في إعراب القرآن: ١/ ٥٣٧.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٢٣.

وقال محمد رشيد رضا رحمه الله «﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾: يجد صدره ضيقًا حرجًا أو ذا حرج شديد وهو تأكيد للضيق؛ لأنه بمعناه»[(١)].

الرأي الثاني: أن (الضيّق) و(الحرج) ليسا بمعنى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بقوله تعالى: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾؛ **فأقول وبالله التوفيق:**

أمَّا قوله: ﴿ضَيِّقًا﴾ فالضِّيق في الأصل ضد السَّعة[(٢)]، **ويستعمل في الصفة في المكان**[(٣)].

قال الفراء رحمه الله: «**الضِّيق**: ما يكون في الذي يتَّسع، مثل الدار والثوب وأشباه ذلك»[(٤)]. ويقال: ضاق المكان فهو ضيق[(٥)]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]. فمعنى قوله: ﴿ضَيِّقًا﴾؛ أي: لا يتسع لدخول الإسلام إليه[(٦)].

وأمَّا قوله: ﴿حَرَجًا﴾ فيفيد الصفة في مداخل المكان ومنافذه[(٧)].

يقال: حَرِجَت العين؛ غارت فضاقت عليها منافذ البصر[(٨)]، ويقال: وادٍ حرج؛ أي: أحدقت به الأشجار، وسدَّت طرقه ومداخله؛

---

(١) تفسير المنار: ٨/ ٤٣.
(٢) ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (ضيق)، كتاب الضاد، باب الضاد والياء وما يثلثهما: ٣/ ٣٨٣، ولسان العرب، مادة: (ضيق): ١٠/ ٢٠٨.
(٣) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٢٩.
(٤) معاني القرآن: ٢/ ١١٥.
(٥) لسان العرب، مادة: (ضيق): ١٠/ ٢٠٨.
(٦) ينظر: النكت والعيون: ٢/ ٢٧١، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/ ٤٦٠.
(٧) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٢٩.
(٨) أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري: ١١٩ [دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م].

فلا ينفذ إليه أحد[١]، ومنه الحَرَجَة وهي الشجرة، الملتف بها الأشجار، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدَّة التفافها بها[٢].

قال السمين الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصل المادة من التشابك وشدة التضايق؛ فإن الحَرَجَة غَيْضَة من شجر السَّلَم ملتفَّة، لا يقدر أحد أن يصل إليها»[٣].

وقد ذكر أهل التفسير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أعرابيًّا عن الحَرَجَة؟ فقال: «الحَرَجَةُ فينا الشجرةُ تكون بين الأشجار، لا تصل إليها راعية، ولا وحشية ولا شيء، فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير»[٤].

قال السمين الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا تشبيه عمر بن الخطاب؛ فلإبرازه المعاني في قوالب الأعيان مبالغةً في البيان»[٥].

وقال مكي بن أبي طالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فيكون المعنى**: أن الله جلَّ ذكره وصف صدر الكافر بشدة الضيق، عن وصول الموعظة إليه، ودخول الإيمان فيه، فشبهه في امتناع وصول المواعظ إليه بالحَرَجَة؛ وهي الشجرة التي لا يوصل إليها لرعي ولا لغيره»[٦].

---

(١) التفسير الكبير: ١٣/ ١٥٠، والدر المصون: ٥/ ١٤٣.

(٢) ينظر: كتاب العين، مادة: (حرج)، باب الحاء والجيم والراء: ٣/ ٧٧، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ٣٥٣، وجامع البيان: ٨/ ٢٨، وتهذيب اللغة، مادة: (حرج)، أبواب الحاء والجيم: ٤/ ٨٤، ومقاييس اللغة: كتاب الحاء، باب الحاء والراء وما يثلثهما: ٢/ ٥٠، ولسان العرب، مادة: (حرج): ٢/ ٢٣٤.

(٣) الدر المصون: ٥/ ١٤٣.

(٤) ينظر: جامع البيان: ٨/ ٢٨، وتفسير القرآن للسمعاني: ٢/ ١٤٣، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٢٣٦. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ. ينظر: الدر المنثور: ٦/ ١٩٩.

(٥) الدر المصون: ٥/ ١٤٤.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/ ٤٥١.

وقال ابن عباس ﷺ: «الحَرَج موضع الشجر الملتف؛ فكأن قلب الكافر لا تصل إليه الحكمة، كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي التف شجره»(١).

قال الزجاج ﷺ: «والذي قال ابن عباس صحيح حسن؛ **فالمعنى عند أهل اللغة**: أنه ضيق جدًّا»(٢)، وقال السمين الحلبي ﷺ: «وما أنور هذا التفسير وأنعمه!»(٣).

وجاء في السير: «أن أبا جهل جاء في غزوة بدر مثل الحَرَجَة»(٤)؛ **يعني**: لشدة ازدحام قريش عليه وصيانتهم له؛ كالشجرة الملتف عليها الشجر لا يمكن أن يوصل لها(٥).

وعلى هذا المعنى حمل جمهور المفسرين معنى قوله: ﴿حَرَجًا﴾ في الآية الكريمة **ومما ذكروه في ذلك قولهم**:

- الحرج الذي ضاق فلم يجد منفذًا إلا أن يصعَّد في السماء وليس يقدر على ذلك(٦).

- أو الحرج أشد الضيق، وهو الذي لا ينفذ من شدة ضيقه(٧).

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٥٣، وبحر العلوم: ١/ ٤٩٩، والجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٢٤.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٢٣٤.
(٣) عمدة الحفاظ، مادة: (حرج)، باب الحاء، فصل الحاء والراء: ٢/ ٣٨٨.
(٤) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد: ٣/ ١٨٣ [ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ].
(٥) العذب النمير: ٣/ ١٤.
(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ١٦٠.
(٧) ينظر: جامع البيان: ٨/ ٢٨، والزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٧٣، وإعراب القرآن للنحاس: ٢/ ٩٥، ومعاني القرآن للنحاس: ٢/ ٤٨٦، والنكت والعيون: ٢/ ٢٧١، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٣٧٤، وأنوار التنزيل: ٢/ ١٨١، وشفاء العليل: ونظم الدرر: ٢/ ٧١٢، وتفسير الجلالين: ص١٤٤، والسراج المنير: ١/ ٥١٨، =

- أو أضيق الضيق[1].

- أو بالغًا في الضيق[2].

- أو المتزايد في الضيق[3].

- أو في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين[4].

• **وخلاصة القول:** أن هناك فرقًا بين (الحرج) و(الضيق) في الآية الكريمة.

فقوله: ﴿ضَيِّقًا﴾ يدل على أن الله جعل صدر الكافر ضيقًا فلا موضع للهداية فيه، وقوله: ﴿حَرَجًا﴾؛ أي: جعله حرجًا فلا مدخل للهداية فيه. وبذلك يتحقق فيه تمام الضلال بعد أن فقد الهداية من داخله والهداية من خارجه[5].

والقول بالتفريق بينهما هو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد.

قال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللهُ: «قال مكي[6]: ومعنى (حَرِج) - يعني: بالكسر - كمعنى (ضيّق) كرر لاختلاف لفظه للتأكيد. قلت: إنما يكون للتأكيد حيث لم يظهر بينها فارق فتقول: كرر لاختلاف اللفظ كقوله: ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧].

= وإرشاد العقل السليم: ٣/ ١٨٣، وروح المعاني: ٨/ ١٦٠، ومحاسن التأويل: ٣/ ٤٣٢، وأضواء البيان: ٢/ ٣٣٨.

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٢٣٤.

(٢) مدارك التنزيل: ٢/ ٤٨.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٥/ ١٤٢، وحاشية زاده: ٢/ ٣٠٧، والفتوحات الإلهية: ٢/ ٤٦٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن: ص٢٧٢.

(٥) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٣٠.

(٦) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١/ ٢٦٩، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/ ٤٥٠.

وقوله:

.... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا[(١)]

وقوله:

.... وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ[(٢)]

وأمَّا هنا فقد تقدم الفرق بينهما بالعموم والخصوص أو غير ذلك»[(٣)].

وهو الموافق أيضًا قاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[(٤)].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإتباع (الضيق) بـ(الحرج): لتأكيد معنى الضيق؛ لأن في (الحرج) من معنى شدَّة الضيق ما ليس في ضَيِّق»[(٥)]. والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

(الغضب) و(الأسف) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في موضعين من كتاب الله في الإخبار عن حال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد رجوعه من مناجاة ربه.

الأول منهما: في هذه الآية الكريمة، **والموضع الثاني:** قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦].

---

(١) البيت لعدي بن زيد وهو في ديوانه: ص١٨٣. وقد تقدم.

(٢) قائله الحطيئة وهو في ديوانه: ص٣٩. وقد تقدم.

(٣) الدر المصون: ٥/١٤٢. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٨/٤٢٨.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/٤٧٠.

(٥) التحرير والتنوير: ٨/٥٩.

ولأهل العلم في سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان:

الرأي الأول: أن (الغضب) و(الأسف) بمعنى واحد، وجمع بينهما توكيدًا:

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «وقوله: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾. و(**الأَسِفُ**): الغضبان»[١].

قال محمد رشيد رضا رحمه الله معلقًا على كلام الراغب: «ذكر أن (الأسف) في الآية التي نفسّرها هو الغضبان؛ فهو إذًا مترادف»[٢].

وقال البيضاوي رحمه الله: «قوله: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾. شديد الغضب، وقيل: حزينًا»[٣]. وعلق القونوي رحمه الله على قوله: شديد الغضب بقوله: «ما اختاره هنا يوهم التكرار؛ إذ الغضبان يدل على شدة الغضب»[٤].

وقال الآلوسي رحمه الله: «وقال أبو مسلم[٥]: الغضب والأسف بمعنى والتكرير للتأكيد»[٦].

وقال الشنقيطي رحمه الله: «قوله: ﴿أَسِفًا﴾. **والتحقيق أن ﴿أَسِفًا﴾ هنا معناه**: شديد الغضب، فهو كالتوكيد لغضبان. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]؛ أي: فلما أغضبونا انتقمنا منهم وأغرقناهم»[٧].

---

(١) المفردات، مادة: (أسف)، كتاب الألف: ٢٢.

(٢) تفسير المنار: ٩/٢٠٦.

(٣) أنوار التنزيل: ٣/٣٥.

(٤) حاشية القونوي: ٨/٥٠٧.

(٥) محمد بن بحر الأصفهاني الكاتب أبو مسلم، كان نحويًا كاتبًا بليغًا، مترسلًا جدلًا، متكلمًا معتزليًا، عالمًا بالتفسير وغيره من صنوف العلم، وصار عالم أصبهان وفارس، من مصنفاته: «جامع التأويل لمحكم التنزيل على مذهب المعتزلة» و«الناسخ والمنسوخ»، توفي سنة (٣٢٢هـ).
ينظر: بغية الوعاة: ١/٥٩، وطبقات المفسرين للداوودي: ٣٧٣.

(٦) روح المعاني: ٩/٦٥، ٦٦.

(٧) العذب النمير: ٤/١٧٧.

وقال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: ٥٥]. أغضبونا، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾. و(الأسيف) و(الأسِفُ): الغضبان»[(٢)].

وقد يطلق (الأسف) على الغضب عند انفراد أحدهما عن الآخر؛ كما في قوله عليه الصلاة والسلام في موت الفجأة: (**أَخْذَةُ أَسَفٍ**)[(٣)].

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أخذة غَضَب أو غَضْبان. يقال: أسِفَ يأسَفُ أسَفًا فهو آسِفٌ إذا غَضب»[(٤)].

الرأي الثاني: أن (الغضب) و(الأسف) ليسا بمعنى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد. وفي المراد بـ(الأسف) أقوال:

القول الأول: أن معنى (الأسِف): الشديد الغضب. وهو اختيار جمهور المفسرين[(٥)].

---

(١) محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور، الأزهري، اللغوي الأديب، الهروي الشافعي، كان إمامًا في اللغة، بصيرًا في الفقه، عارفًا بالمذهب، كثير العبادة والمراقبة، شديد الانتصار لألفاظ الشافعي، من مصنفاته: «علل القراءات» و«تهذيب اللغة» و«تفسير ألفاظ مختصر المزني»، توفي سنة (٣٧٠هـ).
ينظر: بغية الوعاة: ١/ ١٩، وطبقات المفسرين للداوودي: ٣٤٤.

(٢) تهذيب اللغة، مادة: (أسف)، باب السين والفاء: ١٣/ ١٦٦.
وينظر: مقاييس اللغة، كتاب الهمزة، مادة: (أسف)، باب الهمزة والسين وما يثلثهما: ١/ ١٠٣، ولسان العرب، مادة: (أسف): ٥/ ٩.

(٣) أخرجه: أحمد في المسند، ح برقم (١٥٥٧٧) ١٠٥٨، وأبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب موت الفجأة، ح برقم (٣١١٠) ٣/ ١١٣، من حديث عبيد بن خالد السلمي رضي الله عنه. وصححه الألباني.
ينظر: صحيح الجامع، ح برقم (٦٦٣١) ٢/ ١١٢٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (أسف)، باب الهمزة مع السين: ٣٨.

(٥) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٢٢٨، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ١٧٣، ٢٨١، وجامع البيان: ٩/ ٦٣، ومعاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣٠٢، وغريب القرآن للسجستاني: ٥٩، ومعاني القرآن للنحاس: ٣/ ٨٢، وتفسير القرآن العزيز: ٢/ ١٤٤، والكشاف: ٢/ ١٥٢ =

قال أبو الدرداء رضي الله عنه[(١)]: «الأسف منزلة وراء الغضب أشد من ذلك»[(٢)].

فعلى هذا التفسير يكون معنى ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾؛ «أي: غضبان شديد الغضب»[(٣)]، فيكون ذكر (الأسف) بعد (الغضب) من باب ذكر الأخص بعد الأعم؛ فلا يكون تكرارًا كما توهمه البعض.

قال الرازي رحمه الله: «ذكروا في الأسف وجوهًا، أحدها: أنه شدة الغضب، وعلى هذا التقدير لا يلزم التكرار؛ لأن قوله: ﴿غَضْبَٰنَ﴾ يفيد أصل الغضب، وقوله: ﴿أَسِفًا﴾ يفيد كماله»[(٤)].

وقال البيضاوي رحمه الله: «قوله: ﴿أَسِفًاۚ﴾ [طه: ٨٦]. حزينًا بما فعلوا»[(٥)].

علَّق القونوي رحمه الله على قوله: «حزينًا بما فعلوا» بقوله: «فسره بالحزن هنا، وفسره في سورة الأعراف بشدة الغضب[(٦)]. . .، ولعل ما

= و٣/ ٨٢، والجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٣٣٦، والبحر المحيط: ٦/ ٢٤٨، وتفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢١٧، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ص٢١٠، وإرشاد العقل السليم: ٣/ ٢٧٤ و٦/ ٣٥، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٣٠٣ و٥١١، وأضواء البيان: ٤/ ٦١٢ و٧/ ٢٧٣.

(١) عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، أبو الدرداء، مختلف في اسم أبيه، وأما هو فمشهور بكنيته، وقيل: اسمه عامر وعويمر لقب، الإمام القدوة، قاضي دمشق، وصاحب رسول الله ﷺ، معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ، وتصدر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان، وقبل ذلك، أول مشاهده أحد، وكان عابدًا، مات في أواخر خلافة عثمان، وقيل: بعد ذلك.
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٣٥، والإصابة: ٤/ ٤٧٤.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٩/ ٦٣، وزاد المسير: ٥/ ٣١٣.

(٣) أضواء البيان: ٤/ ٦١٢.

(٤) التفسير الكبير: ٢٢/ ٥٨. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٣/ ٣٥٢.

(٥) أنوار التنزيل: ٤/ ٣٤.

(٦) أنوار التنزيل: ٣/ ٣٥.

قاله هناك أولى، ولا يتكرر مع قوله: ﴿غَضْبَنَ﴾؛ لأنه أخص، وذكر الأخص بعد الأعم شائع، ولا يعد تكرارًا»(١).

القول الثاني: أن معنى (الأسف): الحزن، أو أشد الحزن.

وهذا القول مروي عن ابن عباس، والحسن، والسدي(٢). وهو اختيار: مقاتل بن سليمان، وأبي الليث السمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن جزي، وجلال الدين المحلي، والسيوطي، ومحمد رشيد رضا، وابن عاشور رحمهم الله(٣).

وقد ذكر بعض أهل العلم أن من إطلاقات (الأسف) على الحزن في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤](٤)، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦](٥).

وكما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة فأذِّن، فقال: (**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**)، فقيل له: إن أبا بكر رجل أَسِيف؛ إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصليَ بالناس»(٦).

---

(١) حاشية القونوي: ١٢/ ٤٠٧.
(٢) ينظر: جامع البيان: ٩/ ٦٣، ٦٤، وتفسير ابن أبي حاتم: ٥/ ١٥٦٩.
(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ٤١٦، وبحر العلوم: ١/ ٥٦٦ و٢/ ٤٠٨، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٤١٤ و٢/ ٧٠٢، وتفسير القرآن للسمعاني: ٢/ ٢١٧ و٣/ ٣٤٧، ومعالم التنزيل: ٢/ ٢٠١ و٣/ ٣٢٧، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٤٥، وتفسير الجلالين: ص١٦٩ و٣١٧، وتفسير المنار: ٩/ ٢٠٦، والتحرير والتنوير: ٩/ ١١٤ و١٦/ ٢٨١.
(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/ ١٦١، وجامع البيان: ١٣/ ٣٨، وتفسير القرآن العزيز: ٢/ ٣٣٧، والجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٤٣٠.
(٥) ينظر: جامع البيان: ١٥/ ١٩٥، وبحر العلوم: ٢/ ٣٣٥، وتفسير القرآن العزيز: ٣/ ٤٨، والنكت والعيون: ٣/ ٢٨٥.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، =

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «أسيف» بوزن فعيل، وهو بمعنى فاعل، من الأسف وهو شدة الحزن، والمراد: أنه رقيق القلب»[١].

ومما يستدل به لهذا القول: قول ابن فارس[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل ما في كتاب الله من ذكر (الأسف) **فمعناه** الحزن؛ كقوله تعالى في قصة يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] إلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥]؛ **فإن معناه:** أغضبونا»[٣].

القول الثالث: أن (الأسف) بمعنى الجزع. وهذا القول مروي عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤].

= ح برقم (٦٦٤) ١٠٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر ونحوهما، ح برقم (٤١٨) ٢٢٠.

(١) فتح الباري: ٢/١٩٩.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، أبو الحسين، اللغوي القزويني، كان نحويًا على طريقة الكوفيين، شافعيًا فتحول مالكيًا، وكان كريمًا جوادًا، ربما سُئل فيهب ثيابه وفرش بيته، من مصنفاته: «مقاييس اللغة» و«مقدمة في النحو» و«جامع التأويل في تفسير القرآن»، توفي سنة (٣٩٥هـ).
ينظر: بغية الوعاة: ١/٣٥٢، وطبقات المفسرين للداوودي: ٤٦.

(٣) أفراد كلمات القرآن الكريم، أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق د. حاتم الضامن: ١٣٣ [مجلة الحكمة، ع: ٢٢، بريطانيا: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م].
وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/١٠٥، والكليات للكفوي: ٨٢.
وقال صاحب رسالة «كليات الألفاظ في التفسير» في نتيجة دراسته لهذه الكلية: «قولهم: إن كل ما في كتاب الله من ذكر (الأسف) بمعنى الحزن غير موطن الزخرف لا ينضبط؛ إذ خرجت اللفظ عن مفهوم الكلية، وإنما كان للأسف في القرآن الكريم معنيان: الغضب (**يعني**: شدة الغضب)، ومثاله: آية الأعراف، الزخرف، طه، والحزن ومثاله: آية الكهف، ويوسف. والله أعلم».
ينظر: كليات الألفاظ في التفسير دراسة نظرية تطبيقية، بريك بن سعيد القرني: ٢/٥٩٩ [ط١، مركز عالم الطباعة، ١٤٢٦هـ].

(٤) ينظر: تفسير مجاهد: ١/٣٩٩، وتفسير ابن أبي حاتم: ٥/١٥٦٩، والنكت والعيون: ٣/٤١٧.

القول الرابع: من حمل معنى (الأسف) على أكثر من معنى، وهم صنفان من أهل العلم:

الصنف الأول: من حمل معنى (الأسف) على الحزن والغضب:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «و(الأسف) على وجهين: الغضب، والحزن»(١).

وقال الخليل بن أحمد(٢) رحمه الله: «(الأسف): الحزن في حال، والغضب في حال؛ فإذا جاءك أمر ممن هو دونك فأنت أَسِف؛ أي: غضبان، وإذا جاءك ممن فوقك أو من مثلك فأنت أَسِف؛ أي: حزين»(٣).

وقال الراغب الأصفهاني: «(الأسف): الحزن والغضب معًا. وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد»(٤).

وقال ابن عطية رحمه الله: «قوله: ﴿غَضْبَنَ أَسِفًا﴾. و(الأسف) قد يكون بمعنى الغضب الشديد، وأكثر ما يكون بمعنى الحزن والمعنيان مترتبان هاهنا»(٥).

وقال الطبري رحمه الله: «قوله: ﴿أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦]، متغيظًا على قومه حزينًا؛ لما أحدثوه بعده من الكفر بالله»(٦).

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٩/ ٦٤، وتفسير ابن أبي حاتم: ٥/ ١٥٦٩.
وينظر: معاني القرآن للنحاس: ٣/ ٨٢.

(٢) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن، الفراهيدي، البصري، كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتعليله، وهو أول من استخرج العروض، وحصر أشعار العرب بها، كان من الزهاد في الدنيا، والمنقطعين إلى العلم، من مصنفاته: «كتاب الإيقاع» «والعين» و«العروض»، توفي سنة (١٦٠هـ) وقيل: سنة (١٧٠هـ).
ينظر: معجم الأدباء: ٣/ ٣٠١، وبغية الوعاة: ١/ ٥٥٧.

(٣) كتاب العين، مادة: (أسف)، باب السين والفاء: ٧/ ٣١١.

(٤) المفردات، مادة: (أسف)، كتاب الألف: ٢١.

(٥) المحرر الوجيز: ٢/ ٤٥٦.

(٦) جامع البيان: ١٦/ ١٩٦.

وقال الزجاج رحمه الله: «قوله: ﴿أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦]؛ أي: شديد الحزن مع غضبه»[١].

وقال النسفي رحمه الله: «قوله: ﴿أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦]: شديد الغضب أو حزينًا»[٢].

الصنف الثاني: من حمل معنى (الأسف) على الحزن والجَزَع.

قال الثعلبي رحمه الله: «قوله: ﴿أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦]. حزينًا جَزِعًا[٣].

• **وخلاصة القول:** أن هناك فرقًا بين (الأسف) و(الغضب) في المعنى، وتفسير (الأسف) بشدة الغضب يدل عليه أن الله تعالى ذكر أشياء من آثار غضب موسى عليه السلام؛ كإلقائه الألواح التي فيها التوراة، وأخذه برأس أخيه يجره إليه، كما قال في «الأعراف»: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠]. وقال في «طه» مشيرًا لأخذه برأس أخيه: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [طه: ٩٤]»[٤].

وتفسير (الأسف) بمعنى الحزن يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

وكلا القولين يفيدان معنى جديدًا غير معنى الغضب، ولا تعارض بينهما؛ فيحمل معنى (الأسف) عليهما جميعًا. والقول بالتفريق بينهما هو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد. ولقاعدة «مما يدفع وهم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣٠٢. وينظر: نظم الدرر: ٣/ ١١٤ و٥/ ٣٨.
(٢) مدارك التنزيل: ٣/ ٩٦. وينظر: محاسن التأويل: ٣/ ٦٤٠.
(٣) الكشف والبيان: ٦/ ٢٥٧. وينظر: لباب التأويل: ٤/ ٢٧٧.
(٤) أضواء البيان: ٤/ ٦١٢، ٦١٣.

التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»(١). والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦].

(القاع) و(الصفصف) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة التي جاءت في سياق ما يجري يوم القيامة من نسف الجبال ودكها حتى تصبح قاعًا صفصفًا. **ولأهل العلم في الجمع بينهما في آية واحدة رأيان:**

الرأي الأول: أن (القاع) و(الصفصف) بمعنًى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ قال: «مستويًا لا نبات فيه»(٢). وعن مجاهد رحمه الله مثله(٣).

قال الآلوسي رحمه الله: «وعن ابن عباس ومجاهد جعل (القاع) و(الصفصف) بمعنًى واحد، وهو المستوي الذي لا نبات فيه»(٤).

وقال الرازي رحمه الله: «وقال أبو مسلم: **(القاع)**: الأرض الملساء المستوية، وكذلك **(الصفصف)**»(٥).

وقال القرطبي رحمه الله: «والمعنى واحد في (القاع) و(الصفصف)، فـ **(القاع)**: الموضع المُنْكَشِف: و**(الصفصف)**: المستوي الأملس»(٦).

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.
(٢) ينظر: جامع البيان: ١٦/ ١٢، والنكت والعيون: ٣٦/ ٤٢٦.
(٣) ينظر: تفسير مجاهد: ١/ ٤٠٢، وجامع البيان: ١٦/ ١٢، والنكت والعيون: ٣٦/ ٤٢٦.
(٤) روح المعاني: ١٦/ ٢٦٣.
(٥) التفسير الكبير: ٢٢/ ١٠٢.
(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ١٣٧.

وقال ابن كثير رحمه الله: «و(القاع): هو المستوي من الأرض، و(**الصفصف**) **تأكيد** لمعنى ذلك»[١].

وقال السمين الحلبي رحمه الله: «و(القاع) و(الصفصف) قريبان من المترادف»[٢].

الرأي الثاني: التفريق بين (القاع) و(الصفصف) في المعنى:

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن (القاع): التي لا تراب فيها، و(**الصفصف**): التي لا نبت فيها؛ وهو اختيار: مقاتل بن سليمان رحمه الله[٣].

القول الثاني: أن القاع: مستنقَعُ الماءِ، **والصفصف**: الأملس الذي لا نبات فيه؛ وهو اختيار الفراء رحمه الله[٤].

ويَرِدُ على تفسير (القاع) هنا بأنها مستنقع الماء، قوله عليه الصلاة السلام في الحديث الذي ذكر فيه أقسام الخلائق بالنسبة الى دعوته وما بعث به من الهدى: (**وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى؛ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً**)[٥].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: **قِيعان** ـ بكسر القاف ـ جمع قاع، وهو الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت»[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٢١.

(٢) الدر المصون: ٨/ ١٠٥، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٣/ ٣٨٩، والسراج المنير: ٢/ ٥٣٦.

(٣) تفسير مقاتل: ٢/ ٣٤١.

(٤) معاني القرآن: ٢/ ١٩١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من عَلِمَ وعلَّم، ح برقم (٧٩) ١٨، ١٩. ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم، ح برقم (٢٢٨٢) ١٢٥٣. من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) فتح الباري: ١/ ٢٣٢.

ومما يرد على الفراء في تفسير القاع هنا بأنها مستنقع الماء، قوله في تفسير القيعة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩] بأنها: «جماع القَاعِ، واحدها: قاع؛ كما قالوا: جارٌ وجِيرة[١]. والقاع منَ الأرض: المنبسِط الذي لا نبت فيه، وفيه يكون السَّراب»[٢].

ولذا لم يرتض السمين الحلبي تفسير (القاع) هنا بأنها مستنقع الماء. فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي القاع أقوالٌ فقيل: هو مستنقعُ الماء، ولا يليقُ معناه هنا»[٣]. والله تعالى أعلم.

القول الثالث: (القاع) من الأرض: المستوي الذي يعلوه الماء، و(**الصفصف**): المستوي، يريد لا نبت فيها؛ وهو اختيار ابن قتيبة، والزجاج رحمهما الله[٤].

القول الرابع: (القاع): الأرض الملساء، و(**الصفصف**): المستوية لا نبات فيها ولا نشز ولا ارتفاع؛ وهو اختيار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥].

القول الخامس: (القاع): الخالية، و(**الصفصف**): المستوية كأن أجزاءها على صف واحد؛ وهو اختيار البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦].

القول السادس: (القاع): المنبسطة، و(**الصفصف**): المستوية؛ وهو اختيار جلال الدين المحلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٧].

---

(١) قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: قيعة جمع قاع، مثل جيرة جمع جار، ولعله غلب لفظ الجمع فيه حتى ساوى المفرد». التحرير والتنوير: ١٨/ ٢٥٢.

(٢) معاني القرآن: ٢/ ٢٥٤.

(٣) الدر المصون: ٨/ ١٠٥.

(٤) ينظر: تفسير غريب القرآن: ص٢٨٢، ومعاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣٠٧.

(٥) جامع البيان: ١٦/ ١٢. وينظر: الكشف والبيان: ٦/ ٢٦٠، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ١٩، ولباب التأويل: ٤/ ٨٦.

(٦) أنوار التنزيل: ٤/ ٣٩. وينظر: تفسير القرآن العزيز: ٣/ ١٢٨.

(٧) تفسير الجلالين: ص٣١٩. وينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ٣/ ٣٥٥، ومعالم التنزيل: ٣/ ٢٣١.

القول السابع: (**القاع**): الأرض السهلة، و(**الصفصف**): الأرض المستوية التي لا نتوء فيها؛ وهو اختيار الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

فهذه مجمل الأقوال التي ذكرها أهل العلم في معنى (القاع) و(الصفصف)، وظاهر كلام أهل العلم يفيد أنهما يشتركان في التسوية. ولعل مما يعين على التفريق بينهما الرجوع إلى الأصل اللغوي لكل منهما.

فالقاع: في الأصل يدل على توسع وانبساط.

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاف والواو والعين أصلٌ يدلُّ على تبسُّط في مكان. **من ذلك القاع**: الأرض المَلْساء»[٢].

وقال النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والقاع والقِيْعَة عند أهل اللغة**: ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبت»[٣].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ [النور: ٣٩]. «وقوله: ﴿بِقِيعَةٖ﴾ وهي جمع قاع؛ كالجِيرَة جمع جار، و(**القاع**): ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب»[٤].

وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والقاع والقاعة والقِيعُ**: أرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية حُرَّة، لا حُزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط، تنفرج عنها الجبال والآكام، ولا حصى فيها ولا حجارة، ولا تنبت الشجر، وما حواليها أرفع منها»[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٦/ ٣٠٧. وينظر: محاسن التأويل: ٥/ ١١٨.
(٢) مقاييس اللغة، مادة: (قوع)، كتاب القاف، باب القاف والواو وما يثلثهما: ٥/ ٤٢.
(٣) معاني القرآن: ٤/ ٥٤٠. (٤) جامع البيان: ١٨/ ١٤٨.
(٥) لسان العرب مادة: (قوع): ٨/ ٣٠٤.
وينظر: القاموس المحيط، مادة: (قوع)، كتاب العين فصل القاف: ٧٥٧.

والصفصف: في الأصل يدل على الاستواء في الشيء.

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصاد والفاء يدلُّ على أصل واحد، وهو استواءٌ في الشيء وتساوٍ بين شَيئين في المَقَرّ. من ذلك الصَّف، يقال: وقفَا صفًّا، إذا وقَفَ كلُّ واحدٍ إلى جنْب صاحبه. واصطفَّ القومُ وتصافُّوا. والأصل في ذلك الصَّفْصَف، وهو المستوي من الأرض»[(١)]. وقال الخليل بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والصفصف**: الفلاة المستوية الملساء[(٢)]»[(٣)].

ومن معاني (الصفصف) أيضًا: الخلاء[(٤)].

قال الفيروزآبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والصفصف**: المستوي من الأرض، وصفصف: سار وحده فيه»[(٥)].

فالأرض الصفصف: أرض مستوية على صف واحد في استوائها، وخالية لا نبات فيه ولا بناء.

● **وخلاصة القول:** أن (القاع) يدل على انبساط في الأرض مع استواء، و(الصفصف) يدل على استواء تام، مع خلو مكان. وهذه الأوصاف هي التي تكون عليها أرض المحشر؛ فهي منبسطة واسعة لكثرة الخلائق الذين يحشرون عليها، وهي أرض مستوية على صف واحد في استوائها خالية من أي معلم.

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: (صفَّ)، كتاب الصاد، باب الصاد وما معها في الذي يقال في المضاعف والمطابق: ٣/ ٢٧٥.

(٢) قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأرض ملَسٌ ومَلَسى ومَلْساءُ وإمْلِيسٌ**: لا تُنْبِت، وسنة ملساءُ - وجمعها: أمالِس وأماليسُ على غير قياس -: جَدْبَة.
ينظر: لسان العرب، مادة: (ملس): ٦/ ٢٢١.

(٣) كتاب العين، مادة: (صف)، باب الصاد والفاء: ٧/ ٨٨.
وينظر: لسان العرب، مادة: (صفف): ٩/ ١٩٤.

(٤) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، د. عائشة عبد الرحمٰن بنت الشاطئ: ٣٣١ [ط٣، دار المعارف، القاهرة، بدون].

(٥) القاموس المحيط، مادة: (صفف)، كتاب الفاء فصل الصاد: ٨٢٨.

ومع القول بالتفريق بين (الصفصف) و(القاع) في المعنى؛ إلا أنه يبقى القول بالتأكيد له حظ من النظر؛ لاشتراك اللفظين في معنى التسوية.

قال ابن عطية رحمه الله: «و(**القاع**): المستوي من الأرض المعتدل الذي لا نشز فيه، و(**الصفصف**) نحوه في المعنى»(١).

وقال ابن كثير رحمه الله: «و(**القاع**): هو المستوي من الأرض، و(**الصفصف**) **تأكيد** لمعنى ذلك، وقيل: الذي لا نبات فيه؛ والأول أولى، وإن كان الآخر مرادًا أيضًا باللازم»(٢).

وقال البيضاوي رحمه الله: «﴿قَاعًا﴾: خاليًا»(٣).

قال القونوي رحمه الله: «قوله: «خاليًا»؛ **أي**: من الأشياء المرتفعة، في «القاموس»: **القاع**: أرض سهلة مطمئنَّة قد انفرجت عنها الجبال والآكام(٤). ففي قوله: «خاليًا»، إشارة إلى أن (قاعًا) مستعمل في جزء معناه لذكر (صفصفًا) بعده؛ إذ الاستواء مفهوم منه، ولو جعل **تأكيدًا** له مع اعتبار جميع معناه لم يبعُد»(٥). والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١].

(الفجاج) و(السبل) من الألفاظ الموهمة بالترادف، **وقد اجتمعا في موضعين من كتاب الله: الأول منهما**: هذا الموضع، وفيه تقديم الفجاج على (السبل)، **والثاني**: قوله تعالى: ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٢٠]. بتقديم (السبل) على (الفجاج).

(١) المحرر الوجيز: ٤/ ٦٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٢١.
(٣) أنوار التنزيل: ٤/ ٣٩. وينظر: تفسير القرآن العزيز: ٣/ ١٢٨.
(٤) القاموس المحيط، مادة: (قوع)، كتاب العين فصل القاف: ٧٥٧.
(٥) حاشية القونوي: ١٢/ ٤٢٨.

وفي سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (الفجاج) و(السبل) بمعنى واحد، وجمع بينهما من باب التأكيد بالمرادف:

قال أبو الحسن الهنائي[(١)] رحمه الله ـ تحت باب: إعادة المعنى إذا اختلف اللفظان، من كتابه «المنتخب» ـ: «ومنها ـ أي: من الآيات التي تدخل تحت هذا الباب ـ قوله تعالى: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾؛ وهما: الطرق»[(٢)].

وعن سفيان الثوري[(٣)] رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾، قال: «الطرق»[(٤)].

وقال ابن هشام رحمه الله في باب التوكيد: «ويؤكد بالمرادف نحو: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾»[(٥)].

وهذا الرأي اختاره بعض الباحثين بقوله: «ومن التوكيد بالمرادف

---

(١) علي بن الحسن الهنائي، المعروف بكُراع النمل ـ بضم الكاف ـ وقد لقب بذلك: لأنه كان دميم الخلقة، وقيل: لقصره، النحوي اللغوي، من أهل مصر، أخذ عن البصريين، وكان نحويًا كوفيًا، من مصنفاته: «أمثلة غريب اللغة» و«المنضد في اللغة»، توفي في حدود سنة (٣١٠هـ).
ينظر: بغية الوعاة: ٢/ ١٥٨. ومقدمة محقق كتاب المنتخب: ٧ ـ ٨.

(٢) المنتخب من غريب كلام العرب: ٣٤١.

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الإمام، شيخ الإسلام، سيد الحفاظ، أبو عبد الله الثوري، الكوفي، الفقيه، من مصنفاته: «التفسير» و«الفرائض» و«الجامع الكبير»، توفي سنة (١٦١هـ).
ينظر: تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٠٣، وطبقات المفسرين للداوودي: ص١٣٥.

(٤) تفسير سفيان الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري: ٢٠٠ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ].

(٥) شرح شذور الذهب: ٤٣٢. وينظر: لسان العرب، مادة: (مين): ١٣/ ٤٢٥، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٣.

قوله تعالى: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾. فقوله: ﴿سُبُلًا﴾ توكيد لقوله: ﴿فِجَاجًا﴾ بالمرادف؛ لأن معناهما واحد، والدليل عل ترادفهما قوله تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٢٠]. فقد قدَّم ﴿سُبُلًا﴾ على ﴿فِجَاجًا﴾»[(١)].

الرأي الثاني: التفريق بين (الفجاج) و(السبل) في المعنى، والجمع بينهما ليس من باب التأكيد بالمرادف:

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بكل منهما:

أمَّا قوله: ﴿فِجَاجًا﴾: فالفَجُّ في الأصل يدل على سعة في الشيء.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفاء والجيم أصل صحيح يدل على تفتح وانفراج. من ذلك: الفَجُّ: الطريق الواسع»[(٢)]. وقال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمادة دالة على السعة»[(٣)].

ويطلق (الفج) أيضًا: على الشقِّ بين الجبلين.

قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الفجاج**: جمع فج: وهو كل مُنْخرق بين جبلين»[(٤)].

وعلى هذا المعنى حمل بعض أهل العلم (الفج) في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(**الفج**): الشق بين جبلين، تسير فيه

---

(١) التوكيد في القرآن الكريم: ٧١.

(٢) مقاييس اللغة، مادة: (فج)، كتاب الفاء، باب الفاء وما بعدها في المضاعف والمطابق: ٤/٤٣٧.

(٣) عمدة الحفاظ، مادة: (فجج)، باب الفاء، فصل الفاء والجيم: ٣/٢٠٢.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٣/٣١٧.

الركاب، فغلب الفج على الطريق؛ لأن أكثر الطرق المؤدية إلى مكة تسلك بين الجبال»[١].

ولا مانع من حمل معنى (الفج) عليهما جميعًا:

قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(الفج): الطريق بين الجبلين، ثم يستعمل في سائر الطرق اتساعًا»[٢].

وأمَّا قوله: ﴿سُبُلًا﴾، فـ(السبل): جمع سبيل؛ وتفيد مادته معنى الامتداد والاسترسال.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «السين والباء واللام أصل واحد يدل على إرسال شيءٍ من عُلو إلى سُفل، وعلى امتداد شيء، فالأول من قيلك: أسْبَلتُ السِّتْر، وأسْبَلَتِ السحابة ماءها وبمائها، وسِبَالُ الإنسان من هذا؛ لأنه شعر مُنْسَدل، والممتد طولًا: السبيل، وهو الطريق، سمي بذلك لامتداده»[٣].

ويطلق (السبيل) ويراد به: الطريق مطلقًا أو ما وضح منه. قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «السبيل: الطريقُ، وما وَضَحَ منه»[٤].

وبناء على ما تقدم ذكره يكون الجمع بين اللفظين في الآية الكريمة لإفادة كون الطرق واسعة، وأنها مع السعة مذللة مسلوكة ممتدة إلى أبعد المسافات[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٧/ ٢٤٥.
(٢) التفسير الكبير: ٢٣/ ٢٦. وينظر: المحرر الوجيز: ٤/ ٩٨.
(٣) مقاييس اللغة، مادة: (سبل)، كتاب السين، باب السين والباء وما يثلثهما: ٣/ ١٢٤، ١٢٣.
(٤) لسان العرب، مادة: (سبل): ١١/ ٣١٩.
(٥) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٢٧.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال المفسرون: وقوله: ﴿سُبُلًا﴾ تفسير للـ(فجاج)، وبيان أن تلك (الفجاج) نافذة مسلوكة، فقد يكون الفج غير نافذ»[(١)].

وأمَّا عن سر تقديم (الفجاج) على (السبل) في قوله تعالى: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾، وتأخيره في قوله تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٢٠]، **فقد ذكر أهل العلم رحمهم الله أن ذلك لسببين:**

السبب الأول: اتساق الألفاظ ومناسبة المقام[(٢)]:

قال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٢٠] وفي «الأنبياء» تقدم (الفجاج)؛ لتناسب الفواصل هنا»[(٣)].

فقدَّم (الفجاج) على (السبل) في آية «الأنبياء» وأخَّرها عنها في آية «نوح»؛ **وذلك أن (الفجّ) في الأصل:** هو الطريق في الجبل أو بين الجبلين، فلما تقدَّم في آية «الأنبياء» ذكرُ (الرواسي)[(٤)] وهي الجبال قدَّم (الفجاج) لذلك، بخلاف آية «نوح» فإنه لم يرد فيها ذكر للجبال، فناسب

---

(١) زاد المسير: ٥/ ٣٤٩. **وينظر**: الكشف والبيان: ٦/ ٢٤٧، ومعالم التنزيل: ٣/ ٢٤٣، والجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ١٩٩، ولباب التأويل: ٧/ ١٥٥، ونظم الدرر: ٥/ ٨٠، وحاشية زاده: ٣/ ٣٤٨، والسراج المنير: ٢/ ٥٥٧، وفتح القدير: ٣/ ٥٥٥، وروح المعاني: ١٧/ ٣٨، ومحاسن التأويل: ٥/ ١٥٣.

(٢) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٢٨.

(٣) الدر المصون: ١٠/ ٤٧٢.

(٤) وقع خلاف بين أهل العلم في عود الضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾ على قولين: **القول الأول**: أنه يعود على الأرض، **والمعنى**: جعلنا في الأرض فجاجًا سبلًا؛ اختاره: الطبري وابن عطية رحمهما الله، **والقول الثاني**: أنه يعود على الرواسي، **والمعنى**: وجعلنا في الجبال التي هي رواسي فجاجًا سبلًا؛ وهذا القول: مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، واقتصر عليه ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

ينظر: جامع البيان: ١٧/ ٢١، والمحرر الوجيز: ٤/ ٩٨، وتفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٣٦، والدر المصون: ٨/ ١٥١.

أن يكون لفظ (السبل) متقدمًا ليوافق لفظ (بساطًا) في قوله ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح: ١٩] ليدل على أن المقام للطرق السهلة الممتدة[١].

ويدل لهذا المعنى أيضًا أن الله ﷻ ذكر في موضعين من كتابه: أنه سلك لعباده السبل في الأرض المهاد؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٠].

السبب الثاني: الفرق بين دلالة الصفة ودلالة الحال:

قال الزمخشري رحمه الله عند تفسيره (الفجاج) في آية «الأنبياء»: «**فإن قلتَ**: في (الفجاج) معنى الوصف، فما لها قدِّمت على (السبل) ولم تؤخر كما في قوله تعالى: ﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٢٠]؟ **قلت**: لم تقدم وهي صفة، ولكن جعلت حالًا؛ **كقوله**[٢]:

لِـعَـزَّةَ مُـوحِـشًـا طَـلَـلٌ قَـدِيـمُ ....

فإن قلتَ: ما الفرق بينهما من جهة المعنى؟ **قلتُ**: أمَّا قوله: ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٢٠]، إعلام بأنه سبحانه جعل فيها طرقًا واسعة، وأما قوله: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾. فهو إعلام بأنه سبحانه حين خلقها جعلها على تلك الصفة، فهو بيان لما أُبهم ثمَّة[٣]»[٤].

---

(١) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٢٨.

(٢) جزء من بيت شعر لكثير عَزَّة. ويروى: (لِـمَيَّة) بدل عَزَّة.
ينظر: خزانة الأدب: ٣/١٩٩ - ٢٠١.

(٣) قال أبو حيان رحمه الله: **يعني**: بالإبهام أن الوصف لا يلزم أن يكون الموصوف متصفًا به حالة الإخبار عنه، وإن كان الأكثر قيامه به حالة الإخبار عنه، ألا ترى أنه يقال: مررت بوحشي القاتل حمزة، فحالة المرور لم يكن قائمًا به قتل حمزة، وأما الحال فهي هيئة ما تخبر عنه حالة الإخبار». البحر المحيط: ٦/٩٢.

(٤) الكشاف: ٣/١١٥، ١١٦. وينظر: التفسير الكبير: ٢٢/٣٤٩.

فلفظة ﴿فِجَاجًا﴾ في آية «الأنبياء» تدل على أنها من حين خلقت على حالها من الاتساع والشمول، وهذه زيادة تفضُّل من المنعم على الإنسان.

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولمَّا كان ﴿فِجَاجًا﴾ معناه: واسعة، كان في المعنى وصفًا للسبيل، فلمَّا قُدِّمَ على موصوفه انتصب على الحال. والمقصود إتمام المنة بتسخير سطح الأرض ليسلكوا منها طرقًا واسعة، ولو شاء لجعل مسالك ضيقة بين الجبال كأنها الأودية»[(١)].

ولفظة ﴿فِجَاجًا﴾ في آية «نوح» وقعت صفة تابعة لموصوفها تالية له حادثة بعده، وهذا شأن الطرق التي يصنعها الإنسان، لا يزال يوسع فيها ويحسن حسب تجدد الحاجة وتنوع الأغراض.

وتأكيدًا لما تقدم ذكره في التفريق بين دلالة الصفة والحال: فقد جاء الفعل في الآية الأولى مسندًا إلى ضمير العظمة، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾؛ للإشعار بأن الطرق الجبلية مخلوقة لله، خارجة عن طاقة الإنسان وقدراته في أول عهده بالحياة.

أمَّا في الآية الثانية: فقد ترك الفعل فيها للإنسان ليكيف وضعه وفق الحاجة، واختلاف الأغراض بعد أن بسط له الأرض، وأزال عوائقها، وترك له حرية الاختيار ليسلك من الطرق ما شاء وعلى النحو الذي يريد، فسبحان واهب النعم، عظيم المنن، الرحمٰن الرحيم[(٢)].

● **وخلاصة القول:** أن (الفجاج) و(السبل) وإن اشتركا في الدلالة على الطرق دلالة عامة، إلا أنه ينفرد كل واحد منهما بالدلالة على نوع خاص من الطرق؛ **فالفجاج:** الطرق واسعة، **والسبل:** الطرق المذللة المسلوكة الممتدة إلى أبعد المسافات.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٧/ ٥٧.

(٢) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٢٩، ٢٨.

وهو أولى من القول بأنهما بمعنًى واحد، وجمع بينهما من باب التأكيد بالمرادف.

وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»(١). والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ الآية العاشرة: قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

(البائس) و(الفقير) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة التي جاءت في سياق ما يكون في الحج من أعمال، ومنها ذبح الهدايا شكرًا لله ﷻ على ما رزقهم منها، ويسَّرها لهم، فإذا ذبحوها فليطعموا منها البائس الفقير.

وفي سر الجمع بين (البائس) و(الفقير) في الآية الكريمة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (البائس) و(الفقير) بمعنى واحد، والجمع بينهما من باب التأكيد بالمرادف:

فعن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «هما سواء»(٢).

وعن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «سمعت أن البائس هو الفقير»(٣).

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٢) الدر المنثور: ١٠/ ٤٧٧. وعزاه لابن المنذر.

(٣) الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي - رواية يحيى بن يحيى الليثي - تحقيق: =

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(البائس): الذي أصابه البؤس، وهو ضيق المال، وهو الفقير؛ هذا قول جمع من المفسرين»(١).

وقال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَئِسَ الرجل يبأس بؤسًا وبأسًا وبئيسًا: إذا افتقر، فهو بائس؛ أي: فقير»(٢).

الرأي الثاني: التفريق بين (البائس) و(الفقير) في المعنى، والجمع بينهما ليس من باب التأكيد بالمرادف.

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بكل منهما:

أمَّا قوله: ﴿ٱلْبَآئِسَ﴾ فالبأس في الأصل: الشدَّة. قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الباء والهمزة والسين أصل واحد: الشدَّة وما ضارعها، **فالبأس**: الشدَّة في الحرب، وقد بأس بأسًا فإن نعته بالبؤس قلت: بؤس، **والبؤس**: الشدَّة في العيش»(٣).

وقال الجوهري(٤) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبئس الرجل يبأس بؤسًا وبئيسًا: اشتدت حاجته، فهو بائس»(٥).

= خليل مأمون شيحا، كتاب الصيد، باب: ما يكره أكله من الدواب: ٢/٥٣ [ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م].

(١) التحرير والتنوير: ١٧/٢٤٧.

(٢) تهذيب اللغة، مادة: (بئس)، باب السين والباء: ١٣/٧٣.
وينظر: لسان العرب، مادة: (بأس): ٦/٢٠.

(٣) مقاييس اللغة، مادة: (بأس)، كتاب الباء، باب الباء والهمزة وما يثلثهما: ١/٣٢٨.

(٤) إسماعيل بن حماد الجوهري، كان إمامًا في اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل، طاف الآفاق، دخل العراق فقرأ على أبي علي الفارسي والسيرافي، وسافر إلى الحجاز، ثم أقام بنيسابور ملازمًا للتدريس والتأليف، من مصنفاته: «كتاب في العروض» و«مقدمة في النحو» و«الصحاح في اللغة»، توفي سنة (٣٩٣هـ). ينظر: بغية الوعاة: ١/٤٤٦.

(٥) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، مادة: (بأس)، باب السين فصل الباء، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: ٣/٩٠٧ [ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م].

وأمَّا قوله: ﴿ٱلْفَقِيرَ﴾؛ فالفقر ضدُّ الغنى(١).

و(الفقير) **أصله في اللغة**: المفقور الذي نُزعت فَقرة من ظهره، فانقطع صُلبه من شدة الفقر، فصُرف عن مفقور إلى: فقير؛ كما قيل: مطبوخ وطبيخ، ومجروح وجريح(٢).

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والفقر**: شدّة الحاجة إلى لوازم الحياة، لقلة أو فقد ما يعاوض به، وهو مشتق من فَقَار الظهر، فأصله مصدر فَقَره، إذا كسر ظهره، جعلوا العاجز بمنزلة من لا يستطيع أدنى حركة؛ لأنّ الظَّهر هو مجمع الحركات، ومن هذا تسميتهم المصيبة: فاقرة، وقاصمة الظهر»(٣).

فالبائس والفقير يشتركان في معنى الحاجة، قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد في هذه الآية أهل الحاجة»(٤)، إلا أن (البائس) أشد حاجة من الفقير.

ولذا فسر جمهور أهل العلم (البائس) في الآية الكريمة: بالشديد الفقر(٥).

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**(الفقير) أصله في اللغة**: المفقور؛ الذي نزعت

---

(١) لسان العرب، مادة: (فقر): ٥/ ٦٠.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (فقر)، كتاب الفاء، باب الفاء والقاف وما يثلثهما: ٤/ ٤٤٣، والتفسير الكبير: ١٦/ ٨٦، ولسان العرب، مادة: (فقر): ٥/ ٦٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٣/ ٥٩.

(٤) المحرر الوجيز: ٤/ ١١٩.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣٤٢، وأحكام القرآن للجصاص: ٥/ ٧٢، ومعاني القرآن للنحاس: ٤/ ٤٠٢، وتفسير القرآن العزيز: ٣/ ١٧٨، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٧٣٣، ومعالم التنزيل: ٣/ ٢٨٤، والمحرر الوجيز: ٤/ ١١٩، وزاد المسير: ٥/ ٤٢٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ٣٣٧، والبحر المحيط: ٦/ ٣٣٧، وتفسير الجلالين: ص٣٣٥، وفتح القدير: ٣/ ٦١١، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٥٣٧، وأضواء البيان: ٥/ ٦٥٨.

فَقرة من فَقار ظهره، فصُرف عن مفقور إلى فقير؛ كما قيل: مطبوخ وطبيخ، ومجروح وجريح، فثبت أن (الفقير) إنما سمي فقيرًا لزَمانته مع حاجته الشديدة، وتمنعه الزَّمانة من التقلب في الكسب، و(البؤس) آكد من هذه الحال»[1].

ومما ذكره المفسرون في معنى (البائس) و(الفقير) على ما تقدم قولهم:

١ ـ **البائس**: هو الذي به ضرُّ الجوع والزَّمانة والحاجة، **والفقير**: الذي لا شيء له[2].

٢ ـ **البائس**: الذي أصابه بؤس؛ أي: شدة، **والفقير**: الذي أضعفه الإعسار[3].

٣ ـ **البائس**: الذي أصابه بؤس وشدة، **والفقير**: المحتاج[4].

● **وخلاصة القول**: أن (البائس) و(الفقير) وإن كانا يشتركان في معنى الحاجة؛ إلا أن (البائس) أشد حاجة من (الفقير)، ويكون ذكر (البائس) مع (الفقير)؛ لأن (البائس) من الألفاظ المترحَّم بهما.

قال سيبويه[5] رَحِمَهُ اللهُ: «(البائس) من الألفاظ المترحَّم بها

(١) التفسير الكبير: ١٦/٨٦.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٨١، وجامع البيان: ١٧/١٤٨، وبحر العلوم: ٢/٤٥٧، والكشف والبيان: ٧/٣٨١، وأحكام القرآن لابن العربي: ٣/٢٣٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣/١٥٤، والتفسير الكبير: ٢٣/٢٧، وأنوار التنزيل: ٤/٧٠، ومدارك التنزيل: ٣/١٥٢، ومحاسن التأويل: ٥/١٩٤.

(٤) ينظر: السراج المنير: ٢/٦٠٩، وإرشاد العقل السليم: ٦/١٠٤، وروح المعاني: ١٧/١٤٦.

(٥) عمرو بن عثمان بن قَنْبَر، أبو بشر، الفارسي، ثم البصري، إمام النحو، طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه. توفي سنة (١٨٠هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٨/٣٥١، وبغية الوعاة: ٢/٢٢٩.

كـ(المسكين)، وليس كل صفة يترحَّم بها وإن كان فيها معنى (البائس) و(المسكين)»[١].

وكون لفظ (البائس) من الألفاظ التي يترحَّم بها هو ما قرره الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «**والبائس**: الذي أصابه البؤس، وهو ضيق المال، وهو الفقير، هذا قول جمع من المفسرين. وفي الموطأ: في باب ما يكره من أكل الدواب، قال مالك: «سمعت أن البائس هو الفقير».اهـ[٢]. وقلت: من أجل ذلك لم يعطف أحد الوصفين على الآخر لأنه كالبيان له[٣]؛ وإنما ذكر (البائس) مع أنّ (الفقير) مغن عنه؛ **لترقيق أفئدة الناس** على الفقير بتذكيرهم أنه في بؤس؛ لأن وصف (فقير) لشيوع تداوله على الألسن صار كاللقب غيرَ مُشعِر بمعنى الحاجة، وقد حصل من ذكر الوصفين التأكيد»[٤].

وما قرره الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ هو الذي تعضده قاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[٥]. والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) ينظر: الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، ، تحقيق: عبد السلام هارون: ٢/ ٧٥، ٧٦ [ط١، دار الجيل، بيروت، بدون]، ولسان العرب، مادة: (بأس): ٦/ ٢٠.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «(البائس) ذو البأس، وهو شدة الفقر؛ فذكر (الفقير) بعده لمزيد الإيضاح».
ينظر: فتح القدير: ٣/ ٦١١.

(٤) التحرير والتنوير: ١٧/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

الآية الحادية عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

(السَّنة) و(العام) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة في بيان مدة دعوة نبي الله نوح عليه السلام. والذي دعا إلى دراسة لفظ (السَّنة) و(العام) في الآية الكريمة ما ذكره بعض أهل العلم من أنهما اختلفا لفظًا مع اتفاق المعنى؛ والغرض من ذلك كراهة التكرار، وكذلك إطلاق كل منهما على الآخر عند الانفراد.

وبناء على ما تقدم يمكن تقسيم آراء أهل العلم في المراد بالسَّنة والعام إلى رأيين:

الرأي الأول: أن (السَّنة) و(العام) بمعنى واحد، وغاير بينهما كراهة التكرار في اللفظ:

قال الزمخشري رحمه الله: «فإن قلت: فلم جاء المميِّز أولًا بالسنة وثانيًا بالعام؟ قلت: لأنّ تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه(١) المتكلم؛ من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك»(٢).

---

(١) أي: يقصده. مختار الصحاح، مادة: (نحا)، باب النون: ص٣٧١.

(٢) الكشاف: ٣/ ٤٥٠.

وهذا الرأي هو الذي اختاره بعض الباحثين مستدلًا بقول الزمخشري رحمه الله المتقدم بقوله: الزمخشري لم يشر إلى أية تفرقة دلالية بين (السنة) و(العام) اللتين اجتمعا في الآية، ولم يجعل المخالفة بين اللفظين في الموضع الواحد لأجل إفادة معنى أو بسبب فارق معنوي بينهما؛ وإنما جعلها لغرض بلاغي هو اجتناب التكرار المعيب».

ينظر: الترادف في اللغة، حاكم مالك الزيادي: ٢٥٦، ٢٥٧ [دار الحرية، بغداد: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م].

وجاء في بعض معاجم اللغة: «والعام: السنة».

ينظر: الصحاح، مادة: (عوم)، باب الميم فصل العين: ٥/ ١٩٩٣، والقاموس المحيط، مادة: (عوم)، باب الميم فصل العين: ١١٤١.

وقريب من قول الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن قيل: لم قال: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ثم قال: ﴿إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟... ثم ساق عبارة الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتقدمة»[1].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أوثر تمييز ﴿أَلْفَ﴾ بـ ﴿سَنَةٍ﴾ لطلب الخفة بلفظ ﴿سَنَةٍ﴾، وميَّز ﴿خَمْسِينَ﴾ بلفظ ﴿عَامًا﴾ لئلا يكرر لفظ ﴿سَنَةٍ﴾»[2].

واختار هذا الرأي من غير ما تقدم: البيضاوي، والنسفي، وأبو حيان، والخطيب الشربيني، وأبو السعود رحمهم الله[3].

الرأي الثاني: التفريق بين (السنة) و(العام) في المعنى. وخالف بينهما في الآية الكريمة للدلالة على أنهما زمانان متغايران:

فـ(السنة) تستعمل غالبًا في موضع الجَدْب والشدة؛ فناسب اختيار (السنة) لزمان الدعوة الذي قاسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيما قاسى من قومه، وناسب اختيار (العام): لأنه يستعمل غالبًا في الرخاء بعد الشدة والخِصب العميم بعد الجفاف، فيكون الأعوام التي قضاها عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد الطوفان أعوامَ أمن ورخاء.

قال السمين الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد روعيت هنا نكتة لطيفة: وهو أن غاير بين تمييزي العددين فقال في الأول: ﴿سَنَةٍ﴾ وفي الثاني: ﴿عَامًا﴾ لئلا يثقل اللفظ. ثم إنه خص لفظ (العام) بالخمسين إيذانًا بأن نبي الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما استراح منهم بقي في زمن حسن، والعرب تعبر عن الخِصب بـ(العام)، وعن الجَدب بـ(السنة)»[4].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ١١٤. (٢) التحرير والتنوير: ٢٠/ ٢٢٢.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: ٤/ ١٩٠، ومدارك التنزيل: ٣/ ٣٦٥، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ١١٤، والبحر المحيط: ٧/ ١٤٠، والسراج المنير: ٣/ ١٨١، وإرشاد العقل السليم: ٧/ ٣٣.

(٤) الدر المصون: ٩/ ١٣.

وقال الزركشي رحمه الله: «ذكر في مدة اللبث (السنة)، وفي الانفصال (العام)؛ للإشارة إلى أنه كان في شدائد في مدته كلها إلا خمسين عامًا قد جاءه الفرج والغوث؛ فإن (السنة) تستعمل غالبًا في موضع الجَدب ولهذا سمَّوا شدة القحط: سَنَة»[1].

واختار هذا الرأي من غير ما تقدم: ابن عادل، وشيخ زاده، والشهاب الخفاجي، والآلوسي رحمهم الله[2].

وهذا التفريق بين (السنة) و(العام) هو الذي دل عليه القرآن في مواضع منه، وكذلك هو الموافق للغة العرب.

فالسَّنة: في الأصل مأخوذة أَسْنَتَ؛ **بمعنى:** أَجْدَب[3].

قال الأزهري رحمه الله: «يقال: أَسْنَتَ القوم فهم مُسْنِتُون: إذا أصابتهم سَنَةٌ وقَحْطٌ»[4].

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «أكثر ما تُستعمل (السَّنَة) في الحَول الذي فيه الجَدب، يقال: أَسْنَتَ القوم: أصابتهم السَّنَة»[5].

وقال ابن منظور رحمه الله: «والسَّنَة مطلقة: السَّنَة المُجدِبة، أوقعوا ذلك عليها إكبارًا لها وتشنيعًا واستطالة؛ يقال: أصابتهم السَّنَة»[6].

وقال الطبري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: «﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]. يقول تعالى

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٣٨٦.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٥/ ٣٥٢، وحاشية زاده: ٣/ ٥٢٩، وعناية القاضي: ٧/ ٣٣٨، وروح المعاني: ٢٠/ ١٤٣.

(٣) الصحاح، مادة: (سنت)، باب التاء فصل السين: ١/ ٢٥٤.

(٤) تهذيب اللغة، مادة: (سنت): ١٢/ ٢٦٧.

(٥) المفردات، مادة: (سنة)، كتاب السين: ٢٥٣.

(٦) لسان العرب، مادة: (سنة): ١٣/ ٥٠١.

ذكره: ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بـ﴿ٱلسِّنِينَ﴾ [الإسراء: ١٢]؛ يقول: بالجُدوب سَنَةً بعد سَنَةٍ والقُحوط، يقال منه: أَسْنَتَ القوم إذا أجدبوا»(١).

والعام: مادَّته تدلُّ على الكثرة والانتشار.

يقال: «عَمَّ الشيء بالناس يعُمُّ عمًّا فهو عام؛ إذا بلغ المواضع كلَّها»(٢). ويقال: عُشْبٌ عميم(٣)، وكذلك يقال: خير عميم؛ فدلالته دلالة خير ورخاء(٤).

وقد جاء ما يعضد هذا التفريق بين (السنة) و(العام) في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧ ـ ٤٩].

فقد جاء بلفظ (السنين) في قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾؛ لأن المقام مقام شدة ومعاناة وتقتير في الأقوات وتضييق في الأرزاق، أمَّا لفظ (العام) في قوله: ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ لأنه مقام الفرج بعد الضيق، والرخاء بعد الشدة، والخِصب العميم بعد الجفاف»(٥).

قال أبو السعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله «﴿عَامٌ﴾ لم يعبر عنه بـ(السنة)؛ تحاشيًا عن المدلول الأصلي لها من عام القحط، وتنبيهًا من أول الأمر على

---

(١) جامع البيان: ٩/ ٢٨.

(٢) كتاب العين، مادة: (عمَّ)، باب العين والميم: ١/ ٩٤.

(٣) مقاييس اللغة، كتاب العين، باب العين وما بعدها في المضاعف والمطابق والأصم: ٤/ ٣.

(٤) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ١١٨.

(٥) المصدر السابق: ص١١٨.

اختلاف الحال بينه وبين السوابق»[١].

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العام كـ(السنة)، لكن كثيرًا ما تستعمل (السنة) في الحَول الذي يكون فيه الشدة أو الجدب. ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة، والعام بما فيه الرخاء والخِصب، قال تعالى: ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] وقوله: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾[٢].

• **وخلاصة القول:** أن اختلاف التعبير بين (السنة) و(العام) في قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾؛ للدلالة على أنهما زمانان متغايران، وأنَّ أيام لبثه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في دعوة قومه كانت أيام معاناة ومشقة وجهاد، لاقى فيها أشد أنواع المخاصمة؛ مما جعله يشكو إلى الله إصرارهم على الكفر وعنادهم لدعوة الحق؛ كما ذكر الله عزَّ وجل بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ [نوح: ٥ ـ ٧]. ولمَّا اشتد عَنَتُهم وزاد ضلالهم قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]؛ مما يدل على أن أيامه معهم كانت سنين مشقة لا أعوام راحة ورخاء، ثم جاء الطوفان فاقتلع جذور الكفر وطَهَّر وجه الأرض، وعمَّ السلام والأمن والرخاء، فعاش عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أيامًا هي أعوام رخاء»[٣].

فمجيء اللفظين في الآية الكريمة على هذا النحو يدل على اختلاف في معناهما، فما كان القرآن ليخالف بينهما في الموضع الواحد إلا

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٤/ ٢٨٣. وينظر: روح المعاني: ١٢/ ٢٥٥.
(٢) المفردات، مادة: (عوم)، كتاب العين: ٣٦٨.
(٣) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ١١٩، ١٢٠.

لناشئة حكمة، وتأسيس معنى، واختلاف بيان، وهو الذي تعضده قاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[١].

والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثانية عشر: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: ٥].

(الرجز) و(العذاب) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اقترنا في موضعين من كتاب الله، **الأول منهما**: هذا الموضع، **والثاني**: قوله تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية: ١١].

وقبل البدء بذكر آراء أهل العلم في سر الجمع بين (الرجز) و(العذاب) في آية واحدة أحب أن أشير إلى أنه في قوله تعالى: ﴿أَلِيمٌ﴾ قراءتان: الرفع والخفض[٢].

فمن قرأ بالرفع على أنه صفة للعذاب، **فيكون المعنى**: لهم عذاب أليم من رجز.

ومن قرأ بالخفض على أنه صفة للرجز، **ويكون المعنى**: لهم عذاب من عذاب أليم؛ **أي**: من هذا الصِّنف من أصناف العذاب؛ لأن العذاب بعضه آلَمُ من بعض[٣].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٢) قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالرفع، وقرأ بقية السبعة وأبو بكر عن عاصم بالخفض. وهذا في الموضعين من آية سبأ، وآية الجاثية. ينظر: السبعة: ٥٢٦ و٥٩٤.

(٣) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ٢٠١، ٢٠٢، والدر المصون: ٩/ ١٥١، ١٥٢.

وأما عن سر الجمع بينهما في آية واحدة ففيه رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (الرجز) و(العذاب) بمعنًى واحد، والجمع بينهما للتأكيد:

فقد عقد الحدَّادي[(١)] رحمه الله بابًا بعنوان: باب اختلاف اللفظين والمعنى واحد؛ ذكر فيه أمثلة من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾. قال: و(الرجز) و(العذاب) واحد[(٢)].

وقال ضياء الدين ابن الأثير[(٣)] رحمه الله في باب التكرير: ومنها قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾. قال: و(الرجز): هو (العذاب)[(٤)].

ولعل مما يعضد هذا الرأي: ما ورد عن بعض السلف أنَّ كل (رجز) في القرآن فهو بمعنى: العذاب.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كل شيء في كتاب الله من (الرجز)؛ يعني به: العذاب»[(٥)].

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد أبو نصر السمرقندي، يعرف بالحدادي، إمام بارع ناقل رحال، كان شيخ القراء بسمرقند، وانتهى إليه التحقيق والرواية، من مصنفاته: «كتاب الغنية في القراءات»، توفي بعد الأربعمائة. ينظر: غاية النهاية: ١/ ١٠٥.

(٢) المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى: ٢٣٦.

(٣) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح، الشيباني، الخزرجي، المعروف بابن الأثير، مهر في النحو واللغة وعلم البيان، واستكثر من حفظ الشعر، وكان ذا لسان وفصاحة وبيان. من مصنفاته: «كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» و«كتاب المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء» و«ديوان رسائل» في عدة أجزاء، توفي سنة (٦٣٧هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٧٢، وبغية الوعاة: ٢/ ٣١٥.

(٤) المثل السائر: ٢/ ١٥٣.

(٥) ينظر: جامع البيان: ١/ ٣٠٦، وتفسير ابن أبي حاتم: ٥/ ١٥٩٧ و٩/ ٣٠٥٨.

وعن عبد الرحمٰن بن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «(الرجز): العذاب، وكل شيء في القرآن (رجز) فهو: عذاب»[(١)].

الرأي الثاني: أن الجمع بين (الرجز) و(العذاب) ليس للتأكيد:

وفي المراد بـ(الرجز) في الموضعين قولان لأهل العلم:

القول الأول: أن المراد بـ(الرجز): أسوأ العذاب وأشده.

وهو اختيار: الطبري، والزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي، وأبي حيان، وجلال الدين المحلي، والخطيب الشربيني، وابن عاشور رحمهم الله[(٢)].

و﴿مِّن﴾ هنا لبيان الجنس.

قال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مِّن﴾ للبيان؛ **أي**: لهم عذاب من جنس سوء العذاب، شديد الإيلام»[(٣)].

ويُحْتَمل أن تكون للتبعيض.

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويجوز أن يكون حرف ﴿مِّن﴾ للتبعيض؛ **أي**: عذاب مما يسمى بالرجز؛ وهو أشده»[(٤)].

القول الثاني: أن المراد بـ(الرجز) هنا: العذاب، وتكون (من)

---

(١) جامع البيان: ١/ ٣٠٥. وقد عدَّ صاحب رسالة كليات الألفاظ في التفسير هذه الكلية من الكليات المطردة.
ينظر: كليات الألفاظ في التفسير: ١/ ٣١٢.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٢/ ٦١، والكشاف: ٤/ ٢٩١، والمحرر الوجيز: ٤/ ٤٠٥، وأنوار التنزيل: ٤/ ٢٤٢، والبحر المحيط: ٧/ ٢٤٩، وتفسير الجلالين: ص٤٢٨، والسراج المنير: ٣/ ٣٤٩، والتحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٣٥.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٧/ ١٢٢. وينظر: روح المعاني: ٢٢/ ١٠٨، ومحاسن التأويل: ٦/ ٩.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٣٥.

بيانية؛ **أي**: لهم عذاب من مطلق العذاب. وهو اختيار: مقاتل بن سليمان، وأبي البقاء العكبري، والقرطبي، والشوكاني، والشنقيطي رحمهم الله[١].

قال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللهُ في معرض رده على مكي بن أبي طالب في رده قراءة الرفع: «إلا أن مَكِيًّا ضَعَّفَ قراءة الرفع واستبعدها؛ قال: لأن (الرجز) هو (العذاب) فيصير التقدير: عذاب أليم من عذاب، وهذا معنى غير متمكن. قال: والاختيار خفض (أليم)؛ لأنه أصحُّ في التقدير والمعنى؛ إذ تقديره: لهم عذاب من عذاب أليم؛ **أي**: هذا الصنف من أصناف العذاب؛ لأن العذاب بعضُه آلَمُ من بعض[٢]. قلت: وقد أجيب عما قاله مكي: بأن (الرجز) مطلق العذاب، فكأنه قيل لهم: هذا الصنف من العذاب من جنس العذاب. وكأن أبا البقاء[٣] لحَظَ هذا؛ حيث قال: وبالرفع صفة لـ(عذاب)، و(الرجز) مطلق العذاب»[٤].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «**(الرجز)**: هو العذاب، فـ(من) للبيان، وقيل: (الرجز) هو أسوأ العذاب وأشدُّه، والأول أولى»[٥].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية: ١١]. أصح القولين فيه **أن المراد بـ(الرجز)**: العذاب، ولا تكرار في الآية؛ لأن العذاب أنواع متفاوتة، **والمعنى**: لهم عذاب من جنس العذاب الأليم»[٦].

فهذان القولان اللذان ذكرهما أهل العلم في المراد بـ(الرجز) في

---

(١) **ينظر**: تفسير مقاتل: ٣/ ٢١١، والتبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١١٥١، والجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١٤٨، وفتح القدير: ٤/ ٤١٣، وأضواء البيان: ٧/ ٣٧٣.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ٢٠١، ٢٠٢.

(٣) التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١١٥١.

(٤) الدر المصون: ٩/ ١٥٢.

(٥) فتح القدير: ٤/ ٤١٣.

(٦) أضواء البيان: ٧/ ٣٧٣.

الآيتين الكريمتين، وكلاهما يفيد أن اجتماع (الرجز) و(العذاب) في آية واحدة ليس لتكرار المعنى للتأكيد؛ ولذا قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا تكرار في الآية؛ لأن العذاب أنواع متفاوتة، **والمعنى**: لهم عذاب من جنس العذاب الأليم»(١).

وكذلك لم يرتض مكيُّ بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ المعنى على قراءة الرفع؛ لأنه يكون فيه تكرار العذاب ولذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعلى هذا يكون التقدير: لهم عذاب أليم من رجز، وفيه بُعد؛ لأن (الرجز) هو (العذاب)، فيصير التقدير: عذاب أليم من عذاب، وهذا معنى غير متمكن»(٢).

● **وخلاصة القول**: أن مجيء اللفظين في الآية الكريمة على هذا النحو يدل على اختلاف في معناهما، فما كان القرآن ليخالف بينهما في الموضع الواحد إلا لناشئة حكمة، وتأسيس معنى، واختلاف بيان. والله تعالى أعلم بكتابه.

❊ ❊ ❊

الآية الثالثة عشر: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

(الغِرْبِيب) و(الأسود) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة التي قال عنها الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من الآيات التي صَدِئَت فيها الأذهان الصقيلة، وعادت بها أسنَّة الألسنة مفلولة»(٣).

وفي سر الجمع بينهما في الآية الكريمة رأيان لأهل العلم:

(١) أضواء البيان: ٧/ ٣٧٣.
(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ٢٠١، ٢٠٢.
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٤٤.

الرأي الأول: أن الجمع بين (الغربيب) و(الأسود) في الآية الكريمة من باب التأكيد، وهذا التأكيد على وجهين:

الوجه الأول: أنه جمع بين (الغربيب) و(الأسود) من باب التأكيد بالمرادف:

قال الجصاص رحمه الله: «تكرار المعنى بلفظ غيره أحسن في حد البلاغة؛ نحو قوله تعالى ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ **ونحو قول الشاعر:**

.... **وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا**(١)

كرر المعنى الواحد بلفظين وكان ذلك سائغًا»(٢).

وقال ابن سِيدَه(٣) رحمه الله: «قوله ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾؛ **(الغرابيب)**: هي السُّود عند أهل اللغة(٤)، فحَسُن التّكرير لاختلاف اللفظين»(٥).

الوجه الثاني: أن يكون (غرابيب) تأكيدًا لصفة محذوفة.

قال الزمخشري: (الغِرْبيب): تأكيد للأسود، ومن حقِّ التوكيد أن يتبع المُؤكَّد كقولك: أصفر فاقع، وأبيض يَقَقٌ(٦). ووجهه: أن يُضْمَرَ

---

(١) البيت لعدي بن زيد وهو في ديوانه: ص١٨٣. وقد تقدم.

(٢) أحكام القرآن: ١٩٧. **وينظر:** البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٨٥، والكليات للكفوي: ٢٦٩.

(٣) علي بن أحمد، وقيل: اسم أبيه محمد، وقيل: إسماعيل، ابن سيده، اللغوي، النحوي، الأندلسي، أبو الحسن الضرير، كان حافظًا، لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها، من مصنفاته: «المحكم والمحيط الأعظم في اللغة» و«شرح إصلاح المنطق» و«شرح الحماسة»، توفي سنة (٤٨٥هـ). **ينظر:** بغية الوعاة: ٢/ ١٤٣.

(٤) **ينظر:** كتاب العين، مادة: (غرب)، باب الغين والراء والباء: ٤/ ٤١٢، ومقاييس اللغة، مادة: (غرب)، كتاب الغين، باب الغين والراء وما يثلثهما: ٤/ ٤٢٢.

(٥) المخصص، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال: ٤/ ١٧٣ [ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م].

(٦) أي: شديد البياض ناصعه. **ينظر:** الصحاح، مادة: (يقق)، باب القاف فصل الياء: ٤/ ١٥٧١.

المُؤكَّد قبله، فيكون الذي بعده تفسيرًا لما أُضمر، وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد؛ حيث يدل على المعنى الواحد من طريقَي الإظهار والإضمار»[(١)].

قال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: فيكون الأصل: وسود غرابيب سود، ومعنى تسمية الزمخشري لها (تأكيدًا) من حيث إنها لا تفيد معنى زائدًا، إنما تفيد المبالغة والتوكيد في ذلك اللون»[(٢)].

وتُعقِّب قول الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: بأنه لا يصح إلا على مذهب من يجوِّز حذف المؤكَّد، ومن النحاة من منع ذلك؛ لأن التأكيد يقتضي الاعتناء والتقوية وقصد التطويل، والحذف يقتضي خلافَه[(٣)].

قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودعوى كون (غرابيب) صفة لمحذوف يدل عليه (سود) تكلُّف واضح»[(٤)].

الرأي الثاني: التفريق بين (الغِربيب) و(الأسود) في المعنى:

والمراد بـ(الغربيب): الأسود المتناهي في السواد. وهو اختيار جمهور أهل العلم[(٥)]:

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ قال: «أشدُّ سوادًا، (الغِرْبِيب): الشديد السواد»[(٦)].

---

(١) الكشاف: ٣/٦١٨. وينظر: التفسير الكبير: ٢٦/١٩، وأنوار التنزيل: ٤/٢٥٨، ومدارك التنزيل: ٣/٤٩٣، وإرشاد العقل السليم: ٧/١٥١.
(٢) الدر المصون: ٩/٢٢٩، ٢٣٠.
(٣) ينظر: البحر المحيط: ٧/٢٩٧، وروح المعاني: ٢٢/١٩٠.
(٤) التحرير والتنوير: ٢٢/٣٠٣.
(٥) ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٦١، ومعاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٠٣، وبحر العلوم: ٣/٩٩، وتفسير القرآن العزيز: ٤/٣٠، والنكت والعيون: ٤/٤٧٠، ولباب التأويل: ٥/٣٠١، والدر المصون: ٩/٢٢٨، وفتح القدير: ٤/٤٥٨، وروح المعاني: ٢٢/١٩٠، ومحاسن التأويل: ٦/٣٣، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٦٨٨.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا جازمًا به، كتاب التفسير، تفسير سورة الملائكة: ٨٤٥.

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: «فـ(الغربيب) يدل على أشد من معنى (أسود)»(١).

فيكون معنى ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾؛ أي: سود شديدة السواد.

وبناء على ما تقدم فإن في ذكر (الغربيب) متقدمًا على (سود) قولين لأهل العلم:

القول الأول: أن هذا من باب التقديم والتأخير.

قال الطبري رحمه الله: «﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ ذلك من المقدم الذي هو بمعنى التأخير؛ وذلك أن العرب تقول: هو أسود غربيب، إذا وصفوه بشدة السواد، وجعل السواد ها هنا صفة للغرابيب»(٢).

وهذا اختيار: الفراء(٣)، وأبي عبيدة، وابن عُزَيز السجستاني(٤)، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن جزي، وابن الهائم رحمهم الله(٥).

القول الثاني: أن الآية على نسقها فلا تقديم ولا تأخير، وأن هذا من إطلاق العرب، فإنها تصف على هذا النحو، وتقول على سبيل القلة:

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٢/ ٣٠٣. (٢) جامع البيان: ٢٢/ ١٣١.

(٣) عزاه له الثعلبي، وابن الجوزي. ولم أجده في معاني القرآن.
ينظر: الكشف والعيان: ٨/ ١٠٥، وزاد المسير: ٦/ ٤٨٥.

(٤) محمد بن عزيز أبو بكر السجستاني العزيزي، بزائين معجمتين؛ وقيل: الثانية مهملة، كان أديبًا فاضلًا متواضعًا عابدًا صالحًا، أخذ عن أبي بكر بن الأنباري، وصنف «غريب القرآن» المشهور، توفي سنة (٣٣٠هـ).
ينظر: بغية الوعاة: ١/ ١٧١، وطبقات المفسرين للداوودي: ص٤٣١.

(٥) ينظر: مجاز القرآن: ٢/ ١٥٤، وغريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران: ٣٥٢ [دار قتيبة: ١٤١٦هـ ١٩٩٥م]، وتفسير القرآن للسمعاني: ٤/ ٣٥٦، ومعالم التنزيل: ٣/ ٥٦٩، والمحرر الوجيز: ٤/ ٤٣٧، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ١٥٨، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ٣٤٧.

غربيب أسود[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال ابن جرير: والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد قالوا: أسود غربيب، ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية: هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾؛ أي: سود غرابيب، وفيما قاله نظر»[(٢)].

فمحتمل جدًّا أن يكون ابن كثير أراد ردَّ ما أثبته ابن جرير من إطلاق العرب في الوصف المذكور، وأنه ربما استخدمته كما ذكره القرآن الكريم؛ وعليه فقد جاء القرآن على هذا الاستعمال.

وجعل ابن عاشور سبب تقديم الغرابيب على السود: مراعاة للفواصل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فـ(الغربيب) يدل على أشد من معنى (أسود)، فكان مقتضى الظاهر أن يكون (غرابيب) متأخرًا عن (سود)؛ لأن الغالب أنهم يقولون: أسود غربيب، كما يقولون: أبيض يَقَقٌ، وأصفر فاقع، وأحمر قانٍ، ولا يقولون: غربيب أسود، وإنما خُولف ذلك للرعاية على الفواصل المبنية على الواو والياء الساكنتين، ابتداءً من قوله: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، على أن في دعوى أن يكون (غربيبًا) تابعًا لـ(أسود) نظرًا؛ والآية تؤيد هذا النظر، ودعوى كون (غرابيب) صفة لمحذوف يدل عليه (سود) تكلُّف واضح، وكذلك دعوى الفراء: أن الكلام على التقديم والتأخير»[(٣)].

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن التقديم والتأخير من أساليب العرب في الكلام، ونزل القرآن على هذا اللسان العربي؛ فجاء هذا الأسلوب

---

(١) تفسير الجلالين: ص٤٣٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٧٢٤.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٢/ ٣٠٣.

فيه، فالتقديم والتأخير الذي جاء في القرآن لا يخل بأصل المعنى، ولا يقدح في البيان، ولا يلتبس على السامع[١].

• **وخلاصة القول**: أن (الغِرْبِيب) يدل على أشد من معنى (أسود)، ولكن المعنى الحاصل من اجتماع اللفظين يدل على تأكيد شدة سواد هذه الغرابيب.

ولذا قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وغرض التوكيد حاصل على كل حال»[٢].

وما ذكر هو الذي تعضده قاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[٣]. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الرابعة عشر: قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩].

(اليأس) و(القُنوط) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة التي فيها إخبار عن طبيعة الإنسان، بأنه لا يمَلُّ دائمًا من دعاء الله، في الغنى والمال والولد، وغير ذلك من مطالب الدنيا، ولا يزال يعمل على ذلك، ولا يقتنع بقليل ولا كثير منها، فلو حصل له من الدنيا ما حصل، لم يزل طالبًا للزيادة، وإن مسَّه المكروه كالمرض والفقر وأنواع البلايا ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[٤].

(١) الصواعق المرسلة: ٢/ ٧١٥. (٢) التحرير والتنوير: ٢٢/ ٣٠٣.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.
(٤) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٧٢٥.

وفي سر الجمع بينهما في الآية الكريمة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (اليأس) و(القُنوط) بمعنى واحد، وجمع بينهما من باب التأكيد بالمرادف:

قال أبو عبيدة رَحِمَهُ اللَّهُ: «(يئوس) فَعول من يَئِست، (قَنوط) فَعول من قنط، ومجازهما[(١)] واحد»[(٢)].

وقال جلال الدين المحلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾؛ أي: من رحمة الله»[(٣)].

قال الجمل رَحِمَهُ اللَّهُ: «وصنيع الشارح[(٤)] يقتضي ترادفهما، وبه قال بعضهم؛ فالجمع بينهما للتأكيد»[(٥)].

وجاء في بعض معاجم اللغة: «اليأس: القُنوط»[(٦)]، «والقُنوط: اليأس»[(٧)].

الرأي الثاني: التفريق بين (اليأس) و(القُنوط) في المعنى، وأن الجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن المراد بـ(اليأس): اليأس من رَوح الله، و(القُنوط):

---

(١) أي: معناهما واحد. والمجاز عند أبي عبيدة ما يجوز في لغة العرب من التعبير عن الألفاظ والأساليب، وليس المجاز الاصطلاحيَّ عند البلاغيين الذي هو في مقابل الحقيقة، وهذا ظاهر من كتابه.
ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ٣٣٦.

(٢) مجاز القرآن: ٢/ ١٩٨.

(٣) تفسير الجلالين: ص٤٨٢.

(٤) يعني: جلال الدين المحلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٥) الفتوحات الإلهية: ٧/ ٣٤.

(٦) ينظر: الصحاح، مادة: (يئس)، باب السين فصل الياء: ٣/ ٩٩٢، ولسان العرب، مادة: (يأس): ٦/ ٢٥٩، والقاموس المحيط، مادة: (يأس)، باب السين فصل الياء: ٥٢٨.

(٧) ينظر: كتاب العين، مادة: (قنط)، باب القاف والطاء والنون: ٥/ ١٠٥، والصحاح، مادة: (قنط)، باب الطاء فصل القاف: ٣/ ١١٥٥، ولسان العرب، مادة: (قنط): ٧/ ٣٨٦.

القنوط من رحمة الله. وهذا المعنى هو الذي ذكره أكثر المفسرين[(١)].

القول الثاني: أن المراد بـ(اليأس) صفة القلب: وهو اعتقاد عدم حصوله الميئوس منه، و**(القنوط)**: انفعال بدني؛ وهو: أن يظهر آثار اليأس في الوجه والأحوال الظاهرة.

وهو اختيار: الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، وأبي حيان، وأبي السعود، والآلوسي، وابن عاشور رحمهم الله[(٢)].

القول الثالث: أن المراد بـ(اليأس): اليأس من إجابة الدعاء، و**(القنوط)**: سوء الظن بربه[(٣)].

فهذه هي الأقوال التي ذكرها المفسرون في معنى (اليأس) و(القنوط) في الآية الكريمة، وهي تفيد أن (اليأس) غير (القنوط) في المعنى. ولعل مما يعين على التفريق بينهما النظر في استخدام القرآن الكريم للفظتين، وما ذكره أهل اللغة في معناهما.

فاليأس: نقيض الرجاء[(٤)]، بل هو انقطاع الرجاء.

قال النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن (اليأس) في العربية انقطاع الرجاء»[(٥)].

ويشهد لهذا المعنى آيات من كتاب الله:

---

(١) **ينظر**: جامع البيان: ٢٥/ ٢، والكشف والبيان: ٨/ ٣٠٠، والنكت والعيون: ٥/ ١٨٨، والوجيز: ٢/ ٩٥٨، ومعالم التنزيل: ٤/ ١١٨، وزاد المسير: ٧/ ٢٦٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ٤٣٥، ولباب التأويل: ٦/ ١١٤، وفتح القدير: ٤/ ٦٨٤.

(٢) **ينظر**: الكشاف: ٤/ ٢١٠، والتفسير الكبير: ٢٧/ ١١٨، وأنوار التنزيل: ٥/ ٧٤، ومدارك التنزيل: ٤/ ١٤٣، والبحر المحيط: ٧/ ٤٨٢، وإرشاد العقل السليم: ٨/ ١٨، وروح المعاني: ٢٥/ ٤، والتحرير والتنوير: ٢٥/ ١٠.

(٣) **ينظر**: النكت والعيون: ٥/ ١٨٨، والجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ٤٣٥.

(٤) **ينظر**: لسان العرب، مادة: (يأس): ٦/ ٢٦٠، والقاموس المحيط، مادة: (يأس)، باب السين فصل الياء: ٥٢٨.

(٥) إعراب القرآن: ٤/ ٤٥٢.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣].

أي: «انقطع رجاؤهم وطمعهم»(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤].

قال الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: والنساء اللاتي قد ارتفع طمعهن عن المحيض فلا يرجون أن يحضن من نسائكم ....، **واليأس**: انقطاع الرجاء»(٢).

ومما يلفت النظر في استعمال القرآن الكريم إسناده (اليأس) إلى الكفار في أكثر من آية ورد فيها ذكر (اليأس)(٣):

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

فاليأس يقطع الرجاء رأسًا؛ لما فيه من الجزم دون التظنُّن؛ لذا جاء مع الكافر؛ لأنه منقطع إلى الشر متصل به(٤).

وأمّا القُنوط: فقيل: هو أشدُّ اليأس(٥).

---

(١) الدر المصون: ٤/١٩٩. (٢) جامع البيان: ٢٨/١٤٠، ١٤٢.

(٣) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: ٢٧٣، ٢٧٤.

(٤) دقائق الفروق اللغوية: ١٨٦.

(٥) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٧٥، ولسان العرب، مادة: (يأس): ٦/٢٦٠.

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقنوط: أتمُّ اليأس»(١).

وقيل: اليأس من الخير خاصة؛ قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**القُنوط**: اليأس من الخير»(٢).

وقال السمين الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والقُنوط**: شدُّة اليأس من الخير»(٣).

فـ(القنوط) إذًا أخصُّ من (اليأس)؛ **ويشهد لهذا أمران:**

الأمر الأول: اقتران لفظ (اليأس) بالكفر كما تقدم، واقتران لفظ (القنوط) بالضلال في قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للملائكة: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

«فظاهر القرآن أن اليأس أشد؛ لأنه حكم لأهله بالكفر، ولأهل القنوط بالضلال»(٤).

الأمر الثاني: أن (القنوط) جاء في القرآن الكريم مقترنًا باليأس من رحمة الله وفضله، ورحمته تعالى جزء من الخير؛ لذا وقع القنوط معها(٥).

قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ

---

(١) المحرر الوجيز: ٣/ ٦٦.

(٢) ينظر: المفردات، مادة: (قنط)، كتاب القاف: ٤٣٠.

(٣) الدر المصون: ٧/ ١٦٧. وينظر: لسان العرب، مادة: (يأس): ٦/ ٢٦٠.

(٤) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي: ٤٢٩ [ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٩م].

(٥) ينظر: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: ٢٧٦، ٢٧٧، ودقائق الفروق اللغوية: ١٨٧.

ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٨].

ومما يدل أيضًا على التفريق بين (اليأس) و(القنوط) في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾: اقترانهما في التركيب؛ فقد جمعت الآية (اليأس) من حيث إنه قرين الشر، وقرنت به (القنوط) من حيث إنه يأس من الخير، ولا تجد كالبيان القرآني في بهاء النظم واتساق التركيب، فقد ذكر (اليأس) أولًا لاقترابه من الشر، فهو أولى به، ثم جاء بـ(القنوط) آخرًا ليعود على بدء، وهو قوله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾؛ **ومن أساليب البلغاء**: ردُّ العَجُز على الصَّدر، فوقع (اليأس) و(القنوط) في سياق واحد؛ ليعبِّر كل منهما عن المعنى الذي سبقه، وفضلًا عن ذلك: إن ذكر (القنوط) بعد (اليأس) من باب ذكر الخاص بعد العام، من حيث إن (اليأس) عامٌّ في انقطاع الرجاء، و(القنوط) خاصٌّ باليأس من الخير[(١)].

● **وخلاصة القول**: أن التفريق بين (اليأس) و(القنوط) في الآية الكريمة أولى من القول: إنهما بمعنى واحد والجمع بينهما للتأكيد، وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله تعالى أعلم بكتابه.

❊ ❊ ❊

الآية الخامسة عشر: قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

(الهمزة) و(اللمزة) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة في هذه السورة التي يبتدئها الله سبحانه بكلمة ﴿وَيْلٌ﴾؛ وهي تدل على ثبوت الوعيد لمن اتصف بهاتين الصفتين في الآية الكريمة، وما بعدها من الصفات.

---

(١) دقائق الفروق اللغوية: ١٨٧، ١٨٨.

وفي سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (الهمزة) و(اللمزة) بمعنًى واحد، هو العيَّاب الطعَّان، والجمع بينهما للتأكيد:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ هم: المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبَّة، الباغون أكبر العيب»[١].

قال القرطبي رحمه الله: «فعلى هذا هما بمعنى»[٢].

وقال ابن قتيبة رحمه الله: «(الهمزة): العيَّاب الطعَّان، و(اللمزة): مثله»[٣].

وقال ابن الهائم رحمه الله: «﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ معناهما واحد؛ أي: عيَّاب»[٤].

وقال البخاري[٥] رحمه الله في باب ما يكره من النميمة: «وقوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾؛ يهمز ويلمز ويعيب واحد»[٦].

وقال جلال الدين المحلي رحمه الله: «﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾؛ أي: كثير الهمز واللمز؛ أي: الغيبة»[٧].

---

(١) جامع البيان: ٣٠/٢٩٢. (٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/٤٦٧.

(٣) تفسير غريب القرآن: ٤٧٠. وينظر: تفسير المشكل من غريب القرآن: ٣٠٧، ونظم الدرر: ٨/٥٢٦.

(٤) التبيان في تفسير غريب القرآن: ٤٧٥.

(٥) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الإمام، أبو عبد الله البخاري الجُعفي مولاهم، الحافظ العلم، صاحب «الصحيح»، وإمام هذا الشأن، والمعول على صحيحه في أقطار البلدان، من مصنفاته: «الجامع الصحيح» و«كتاب رفع اليدين في الصلاة» و«التاريخ الكبير»، توفي سنة (٢٥٦هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٩١، وطبقات المفسرين للداوودي: ٣٧٠.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة: ١٠٥٧.

(٧) تفسير الجلالين: ص٦٠١.

قال الجمل رحمه الله: «قوله: «أي: الغيبة»، تفسير لهما على بعض الأقوال، فعلى هذا يكون الثاني تأكيدًا لفظيًا للأول بالمرادف»(١).

واختار هذا الرأي من غير من تقدم: أبو عبيدة، والطبري، والزجاج، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والشوكاني رحمهم الله(٢).

واسْتُشْهِدَ لهذا الرأي بقول زياد الأعجم(٣):

تُدْلِي بِوُدِّي إِذَا لَاقَيْتَنِي كَذِبًا ... وَإِنْ أُغَيَّبْ فَأَنْتَ الْهَامِزُ اللُّمَزَهْ(٤)

الرأي الثاني: التفريق بين (الهمزة) و(اللمزة) في المعنى، وأن الجمع بينهما ليس للتأكيد، وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: (الهمزة): الذي يهمز الرجل في وجهه، و**(اللمزة)**: الذي يلمزه من خلفه إذا غاب؛ وهذا القول مروي عن أبي العالية، والحسن، وعطاء بن أبي رباح(٥)، واختاره النحاس رحمه الله(٦).

---

(١) الفتوحات الإلهية: ٨/ ٤٢١.

(٢) ينظر: مجاز القرآن: ٢/ ٣١١، وجامع البيان: ٣٠/ ٢٩١، ومعاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٢٧٦، وتفسير القرآن العزيز: ٥/ ١٦٢، والوجيز للواحدي: ٢/ ١٢٣٢، ومعالم التنزيل: ٤/ ٥٢٣، وفتح القدير: ٥/ ٦٦٣.

(٣) زياد بن سليمان ـ أو سليم ـ الأعجم، أبو أمامة العبدي، مولى بني عبد القيس: من شعراء الدولة الأموية، جزل الشعر، فصيح الألفاظ، كانت في لسانه عُجْمَة فلقِّب بالأعجم.
ينظر: الشعر والشعراء: ٣١٢، والأعلام: ٣/ ٥٤.

(٤) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن: ٢/ ٣١١، والطبري في جامع البيان: ٣٠/ ٢٩١، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٢٧٦.

(٥) ينظر: جامع البيان: ٣٠/ ٢٩١، والكشف والبيان: ١٠/ ٢٨٥، والنكت والعيون: ٦/ ٣٣٥، وزاد المسير: ٩/ ٢٢٧. وعزاه ابن كثير للربيع بن أنس. ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٧١٠.
وعطاء هو: ابن أبي رباح واسم أبي رباح أسلم، الإمام شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي، مولاهم المكي، كان من أوعية العلم، عالمًا بالقرآن ومعانيه. توفي سنة (١١٥هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٧٨، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ١٤.

(٦) إعراب القرآن: ٥/ ٢٨٧.

القول الثاني: عكس الأول؛ فـ (**الهُمَزة**): الذي يلمز الرجل من خلفه إذا غاب، و(**اللمزة**): الذي يلمزه في وجهه؛ وهذا قول مقاتل، واختاره النسفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

القول الثالث: (**الهمزة**): الطَّعان في الناس، و(**اللمزة**): الطَّعان في أنساب الناس؛ وهذا القول مروي عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

القول الرابع: (**الهمزة**): الذي يهمز بلسانه، و(**اللمزة**): الذي يلمز بعينه؛ وهذا القول: مروي عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣).

القول الخامس: أن (**الهمز**): بالفعل، و(**اللمز**): باللسان؛ وهو اختيار: ابن كثير، وابن سعدي(٤)، وابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥).

فعن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «(**الهمزة**): الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، و(**اللمزة**): الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم»(٦).

---

(١) **ينظر**: تفسير مقاتل: ٣/ ٥١٧، ومدارك التنزيل: ٤/ ٥٥٦.

(٢) **ينظر**: الكشف والبيان: ١٠/ ٢٨٥، وزاد المسير: ٩/ ٢٢٧.

(٣) **ينظر**: الكشف والبيان: ١٠/ ٢٨٦، ومعالم التنزيل: ٤/ ٥٢٣، وزاد المسير: ٩/ ٢٢٨.
قال الرازي ﷺ بعد أن حكى أكثر الأقوال المتقدمة: «واعلم أن جميع هذه الوجوه متقاربة، راجعة إلى أصل واحد؛ وهو: الطعن وإظهار العيب». **ينظر**: التفسير الكبير: ٣٢/ ٧٨.

(٤) عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، من قبيلة بني تميم، ولد في مدينة عنيزة في القصيم، ودرس على علمائها، وكان ذا معرفة تامة في الفقه، وكان مشتغلًا بكتب ابن تيمية وابن القيم، واستفاد من ذلك خيرًا كثيرًا، من مصنفاته: «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان» و«القول السديد في مقاصد التوحيد» و«القواعد الحسان في تفسير القرآن»، توفي سنة (١٣٧٦هـ).
ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم: ٢٥٦ ـ ٢٦١.

(٥) **ينظر**: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٢٦٩، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٨٠١ و٩٣٤، وتفسير القرآن الكريم: (جزء عم): ٣١٩.

(٦) **ينظر**: جامع البيان: ٣٠/ ٢٩٣، والنكت والعيون: ٦/ ٣٣٥، ومعالم التنزيل: ٤/ ٥٢٣، وزاد المسير: ٩/ ٢٢٨.

فهذه هي مجمل الأقوال التي ذكرت في معنى (الهمزة) و(اللمزة) في الآية الكريمة، وهي تفيد أن (الهمزة) غير (اللمزة) في المعنى، ولعل القول الأخير هو أقرب الأقوال، وهو الذي تدل عليه آيات أخرى من كتاب الله.

فـ**(الهُمَزة) في الأصل**: مأخوذة من (الهَمْز) بمعنى الدفع، ومنه قولهم: هَمَزْتُه إليه الحاجة؛ **أي**: دَفَعْتُه[١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فـ(الهمز) أقوى من (اللمز) وأشد»[٢].

وقال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ همزة: وصف مشتق من (الهمز)؛ وهو أن يعيب أحد أحدًا بالإشارة بالعين، أو بالشِّدق، أو بالرأس، بحضرته أو عند تولِّيه»[٣].

وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فـ**(الهَمَزَات)**: جمع هَمْزة؛ وهي المرَّة من فعل الهمز، **وهو في اللغة**: النخس والدفع، و﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: نخساتهم لبني آدم ليحثُّوهم ويحضُّوهم على المعاصي»[٤].

وقال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: وساوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به، وهي جمع همزة، **والهمز**: النخس والدفع بيد أو غيرها[٥]، ومنه: مِهْماز الرائض[٦]؛ لحديدة تربط على مؤخَّرة رجله

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٥/ ٣٤٣.
(٢) مجموع الفتاوى: ١٦/ ٦٧ و٥٢١.
(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٣٦.
(٤) أضواء البيان: ٥/ ٨٩٥.
(٥) ينظر: القاموس المحيط، مادة: (همز)، باب الزاي فصل الهاء: ٥٢٩.
(٦) قال في القاموس: «راض المهر رياضًا ورياضة: ذلَّلَهُ، فهو رائض».
ينظر: القاموس المحيط، مادة: (روض)، باب الضاد فصل الراء: ٦٤٤.

ينخُس به الدابة لتسرع أو لتثب، وإطلاق ذلك على الوسوسة والحث على المعاصي لما بينهما من الشبه الظاهر»[(١)].

واللُّمزة: في الأصل مأخوذ من (اللّمز) **بمعنى**: العيب والطعن؛ تقول العرب: لمزه؛ إذا عاب وطعن فيه[(٢)].

قال: الخليل بن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّمْزُ كالغمز في الوجه تَلْمِزُه بفيك بكلام خفيٍّ، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨]؛ **أي**: يُحَرِّك شفتيه بالطّلب»[(٣)].

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «(اللمز): الاغتياب وتتبُّع المعايب؛ يقال: لمزه يلمِزه ويلمُزه، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٩]، ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]؛ **أي**: لا تلمزوا الناس فيلمزوكم؛ فتكونوا في حكم من لمز نفسه»[(٤)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]؛ **أي**: لا تلمزوا الناس. والهمَّاز اللَّماز من الرجال مذموم ملعون، كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، **فالهمز بالفعل واللمز بالقول**؛ كما قال: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]؛ **أي**: يحتقر الناس ويهمزهم طاعنًا عليهم، ويمشي بينهم بالنميمة **وهي**: اللمز بالمقال؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ كما قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟

(١) روح المعاني: ١٨/ ٦٢.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، مادة: (لمز)، باب الزاي فصل اللام: ٥٢٤، والعذب النمير: ٥/ ٥٨٣.

(٣) كتاب العين، مادة: (لمز)، باب الزاي واللام والميم: ٧/ ٣٧٢.

(٤) المفردات، مادة: (لمز)، باب اللام: ٤٧٣.

أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]؛ أي: لا يقتل بعضكم بعضًا»(١).

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]: «وقد أوعد الله جلَّ وعلا الذين يلمزون الناس في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، و(الهُمزة): كثير الهمز للناس، و(اللُّمزة): كثير اللمز.

قال بعض العلماء: (الهمز) يكون بالفعل؛ كالغمز بالعين احتقارًا وازدراء، و(اللمز) باللسان، وتدخل فيه الغيبة.

وقد صرح الله تعالى بالنهي عن ذلك في قوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، ونَفَّرَ عنه غاية التنفير في قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]؛ فيجب على المسلم أن يتباعد كل التباعد من الوقوع في عرض أخيه»(٢).

• **وخلاصة القول:** أن التفريق بين (الهمزة) و(اللمزة) في الآية الكريمة أولى من القول: إنهما بمعنى واحد والجمع بينهما للتأكيد، وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الهمزة) و(اللمزة) وصفان لموصوف واحد، فهل هما بمعنى واحد أو يختلفان في المعنى؟ قال بعض العلماء: إنهما لفظان لمعنى واحد؛ **يعني**: أن (الهمزة) هو (اللمزة). وقال بعضهم: بل لكل واحد منهما معنى غير المعنى الآخر.

وثم قاعدة أحب أنبه عليها في التفسير وغير التفسير وهي: أنه إذا دار الأمر بين أن تكون الكلمة مع الأخرى بمعنى واحد، أو لكل كلمة معنى، فإنا نجعل لكل واحدة معنى؛ لأننا إذا جعلنا الكلمتين بمعنى

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤/٢٦٩.
(٢) أضواء البيان: ٧/٦٦٧.

واحد صار في هذا تكرار لا داعي له، لكن إذا جعلنا كل واحدة لها معنى صار هذا تأسيسًا وتفريقًا بين الكلمتين، والصحيح في هذه الآية ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أن بينهما فرقًا؛ فـ(**الهمزة**): بالفعل. و(**اللمز**): باللسان، فالهمز بالفعل؛ **يعني**: أنه يسخر من الناس بفعله إما أن يلوي وجهه، أو يعبس بوجهه، أو ما أشبه ذلك، أو بالإشارة يشير إلى شخص، انظروا إليه؛ ليعيبه، أو ما أشبه ذلك، فـ(الهمز) يكون بالفعل، و(اللمز) باللسان»(١). والله تعالى أعلم بكتابه.

۞ ۞ ۞

(١) تفسير القرآن الكريم: (جزء عم): ٣١٨، ٣١٩.

المَطْلَبُ الثَّانِي

الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بعطف أحد المترادفين على الآخر

وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي أربع وثلاثون آية) مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم:

❁ **الآية الأولى: قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣].

المراد بـ(الكتاب) هنا: التوراة بإجماع العلماء، وممن حكى الإجماع على ذلك: ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان، والثعالبي، والشوكاني، والآلوسي، والشنقيطي رحمهم الله(١)، وجميع المفسرين على هذا القول ليس بينهم فيه اختلاف(٢).

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ١٤٤، والجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١٠٦، والبحر المحيط: ١/ ٣٦٠، والجواهر الحسان: ١/ ٦٥، وفتح القدير: ١/ ١٩٢، وروح المعاني: ١/ ٢٥٨، والعذب النمير: ١/ ٨٨.

(٢) ينظر غير ما تقدم: تفسير مقاتل: ١/ ٤٩، ومجاز القرآن: ١/ ٤٠، وجامع البيان: ١/ ٢٨٤، وبحر العلوم: ١/ ٧٩، وتفسير القرآن العزيز: ١/ ١٤٠، والنكت والعيون: ١/ ١٢٠، والوجيز للواحدي: ١/ ١٠٥، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٨٠، ومعالم التنزيل: ١/ ٧٣، والكشاف: ١/ ١٦٨، وزاد المسير: ١/ ٨١، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/ ١٢٥، وأنوار التنزيل: ١/ ٨٠، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ٤٨، ولباب التأويل: ١/ ٦١، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ١٢٤، وتفسير الجلالين: ص٨، والسراج المنير: ١/ ٧٠، وإرشاد العقل السليم: ١٠/ ١٠٢، وعناية القاضي: ٢/ ٢٥٦، والتحرير والتنوير: ١/ ٥٠١، وتفسير القرآن الكريم (سورة البقرة)، محمد بن صالح العثيمين: ١/ ١٨٣.

والحامل على ذكر الإجماع هنا: تحرير محل النزاع في المراد بـ ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾[(١)] فهل (الفرقان) هو (الكتاب)؟ أم بينهما فرق؟ لأهل العلم رأيان في ذلك:

الرأي الأول: أن (الفرقان) هو (الكتاب)، أعيد ذكره تأكيدًا:

وهذا القول محكيٌّ عن الفراء، حكاه عنه بعض أهل العلم[(٢)]. وهو ساقط من نسخة «معاني القرآن» التي بين أيدينا؛ كما أفاده المحقق[(٣)].

وهو أيضًا توجيه من أهل العلم لكلام الزجاج في المراد بالفرقان حيث قال رحمه الله: «ويجوز أن يكون (الفرقان) الكتاب بعينه، إلا أنه أعيد ذكره»[(٤)].

قال النحاس رحمه الله: «قال أبو إسحاق ـ يعني: الزجاج ـ: يكون (الفرقان) هو الكتاب، أعيد ذكره. وهذا بعيد، إنما يجيء في الشعر كما قال[(٥)]:

.... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا»[(٦)]

وقال القرطبي رحمه الله: «قال أبو إسحاق الزجاج: يكون (الفرقان) هو الكتاب أعيد ذكره باسمين تأكيدا»[(٧)]، وتبعه الشوكاني رحمه الله[(٨)].

---

(١) الإجماع في التفسير، محمد بن عبد العزيز الخضيري: ١٦٧، ١٦٨ [ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م].

(٢) ينظر: الكشف والبيان: ١/ ١٤٠، والنكت والعيون: ١/ ١٢٠، وزاد المسير: ١/ ٨١، والجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١٠٦.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٣٧.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ١٢٢.

(٥) قائله عدي بن زيد وهو في ديوانه: ص١٨٣. وقد تقدم.

(٦) إعراب القرآن: ١/ ٢٢٥.

(٧) الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١٠٦.

(٨) فتح القدير: ١/ ١٩٢.

وليس الأمر كما قالوا رحمهم الله: فإن الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ لم يعنِ بقوله: «(الفرقان) الكتاب بعينه» إلا أنه أعيد ذكره للتأكيد. **وذلك من وجهين:**

الوجه الأول: أنه رَحِمَهُ اللَّهُ بيَّن مراده بالفرقان بقوله: «ويجوز أن يكون (الفرقان) الكتاب بعينه إلا أنه أعيد ذكره، **وعنى به أنه يفرق به بين الحق والباطل**»[(١)].

وهذا ما رجحه النحاس في معنى (الفرقان) فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأحسن ما قيل في هذا قول مجاهد: فرقانًا بين الحق والباطل الذي علمه إياه»[(٢)].

الوجه الثاني: أنه بعد ذكر أقوال أهل العلم في المراد بالفرقان قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «القول هو القول الأول ـ أي: أن (الفرقان) الكتاب بعينه إلا أنه أعيد ذكره ـ لأن (الفرقان) ذكر لموسى في غير هذا الموضع قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]»[(٣)].

وهذا أيضًا ما علل به النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ اختياره في المراد بالفرقان، فقال في معرض رده على قول من قال: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾؛ «أي: آتينا موسى الكتاب؛ أي: التوراة، ومحمدًا ﷺ الفرقان[(٤)]: «هذا خطأ في الإعراب والمعنى: أمَّا الإعراب فإن المعطوف على الشيء مثله، وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشيء خلافه، وأما المعنى فقد قال فيه جَلَّ وعَزَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]»[(٥)]. والله تعالى أعلم.

واستُدل لهذا القول: بأن العرب تنسُق الشيء على الشيء، إذا اختلف اللفظان، وإن كان هو هو.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ١٢٢.
(٢) إعراب القرآن: ١/ ٢٢٥.
(٣) معاني القرآن وإعرابه: ١/ ١٢٢.
(٤) وسيأتي ذكر هذا القول والرد عليه.
(٥) إعراب القرآن: ١/ ٢٢٥.

قال الفراء رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإن العرب لتجمع بين الحرفين وإنهما لواحد إذا اختلف لفظاهما، كما قال عديُّ بن زيد:

وَقَـدَّدَتِ الْأَدِيـمَ لِـرَاهِـشَـيْـهِ ... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا[١]

وقولهم: بُعدًا وسُحقًا، والبُعد والسُّحق واحد»[٢].

الرأي الثاني: أن (الفرقان) غير (الكتاب)، وفي المراد به أقوال:

القول الأول: أن (الفرقان) هو التوراة، أعيد ذكره تأسيسًا لصفة أخرى، فإن (الفرقان) أفاد معنًى غير معنى الكتاب، ويكون العطف على هذا القول من باب عطف الصفات بعضها على بعض، تنزيلًا لتغاير الصفات منزلة تغاير الذات، **والمعنى:** أنه تعالى آتى موسى الكتاب جامعًا بين كونه كتابًا وفرقانًا بين الحق والباطل.

وهذا القول مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأبي العالية، ومجاهد[٣]، وهو ما رجحه جمهور المفسرين[٤].

---

(١) ديوان عدي بن زيد: ١٨٣. وقد تقدم. (٢) معاني القرآن: ١/ ٣٧.

(٣) جامع البيان: ١/ ٢٨٤.

(٤) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٤٠، وجامع البيان: ١/ ٢٨٤، ومعاني القرآن وإعرابه: ١/ ١٢٢، وإعراب القرآن: ١/ ٢٢٥، وبحر العلوم: ١/ ٧٩، وتفسير القرآن العزيز: ١/ ١٤٠، وتفسير المشكل من غريب القرآن: ٢٧، والوجيز للواحدي: ١/ ١٠٥، والكشاف: ١/ ١٦٨، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ١/ ٢٥٩، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/ ١٢٥، وأنوار التنزيل: ١/ ٨٠، ومدارك التنزيل: ١/ ٩٠، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ٤٨، ولباب التأويل: ١/ ٦١، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ١٢٤، وتفسير الجلالين: ص٨، والسراج المنير: ١/ ٧٠، وإرشاد العقل السليم: ١/ ١٠٢، وعناية القاضي: ٢/ ٢٥٦، وتفسير المنار: ١/ ٣١٨، ومحاسن التأويل: ١/ ٢٩٠، ٢٩١، وجواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، عبد القادر بن أحمد بن بدران، تحقيق: زهير الشاويش: ص٢٠٦ [ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م]، وأضواء البيان: ١/ ٩١، والعذب النمير: ١/ ٨٨، ٨٩، وتفسير القرآن الكريم (سورة البقرة)، محمد بن صالح العثيمين: ١/ ١٨٣.

واستدل لهذا القول بأدلة منها:

١ ـ أن (الفرقان) ذكر لموسى في غير هذا الموضع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

٢ ـ أن هذا من قبيل عطف الصفات بعضها على بعض، تنزيلًا لتغاير الصفات منزلة تغاير الذات[١]، وذلك لأن الصفات متغايرة؛ فكل صفة تؤدي معنى لا تؤدِّيه الصفة الأخرى، فـ(الكتاب) صفة التوراة، وكذلك (الفرقان) صفة لها؛ أي: أنه تعالى آتى موسى الكتاب جامعًا بين كونه كتابًا وفرقانًا بين الحق والباطل. وهذا أسلوب عربي معروف، ونظيره من كلام العرب قولهم: «رأيت الغيث والليث»؛ تريد الرجل الجامع بين الكرم والشجاعة[٢].

وقول الشاعر:

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهُمَامِ ... وَلَيْثِ الْكَتِيبَةِ فِي الْمُزْدَحَمْ[٣]

«فعطف هذه بعضها على بعض، مع أن الموصوف بها واحد، نظرًا إلى تغاير الصفات»[٤].

قال الطبري رحمه الله مرجحًا هذا القول: «وأولى هذين التأويلين بتأويل

---

(١) قواعد التفسير: ١/ ٤٣٢.

(٢) ينظر: الكشاف: ١/١٦٨، والكتاب الفريد: ١/٢٥٩، ومدارك التنزيل: ١/ ٩٠، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١/٢٨٨، ومحاسن التأويل: ١/ ٢٩٠، ٢٩١.

(٣) لم أهتد إلى قائله. والبيت في الكشف والبيان: ١/ ١٤٠، والجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١٠٧، والبحر المحيط: ١/ ٣٦٠، والدر المصون: ١/ ٣٥٩. وخزانة الأدب للبغدادي: ١/ ٤٢٩.
و«القَرم» بفتح القاف: السيد. و«الهمام»: الملك العظيم الهمة، والسيد الشجاع السخي. و«الكتيبة»: الجيش، و«المزدحم»: محل الازدحام، وأراد به المعركة. قاله في خزانة الأدب.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١/ ٣٦٠، وأضواء البيان: ١/ ٩١، والعذب النمير: ١/ ٨٩.

الآية، ما روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد: من أن الفرقان الذي ذكر الله أنه آتاه موسى في هذا الموضع، هو الكتاب الذي فرق به بين الحق والباطل، وهو نعت للتوراة وصفة لها. فيكون تأويل الآية حينئذ: وإذ آتينا موسى التوراة التي كتبناها له في الألواح وفرقنا بها بين الحق والباطل، فيكون ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ نعتًا للتوراة أقيم مقامها، استغناء به عن ذكر التوراة، ثم عطف عليه بـ ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾؛ إذ كان من نعتها»[1].

وقال الشنقيطي رحمه الله: «**الظاهر في معناه**: أن (الفرقان) هو الكتاب الذي أوتيه موسى، وإنما عُطف على نفسه تنزيلًا لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات؛ لأن ذلك (الكتاب) الذي هو التوراة **موصوف بأمرين**:

أحدهما: أنه مكتوب كتبه الله لنبيه موسى، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

والثاني: أنه فرقان؛ **أي**: فارق بين الحق والباطل، فعطف (الفرقان) على (الكتاب)، مع أنه هو نفسه نظرًا لتغاير الصفتين»[2].

٣ ـ أن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له[3].

قال الطبري رحمه الله بعد أن ذكر ترجيحه لهذا القول: «وإنما قلنا هذا التأويل أولى بالآية، وإن كان محتملًا غيره من التأويل؛ لأن الذي قبله من ذكر ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ وأن معنى (الفرقان): الفصل ـ **يعني**: فرقانًا بين الحق والباطل ـ فإلحاقه إذ كان كذلك، بصفة ما وَلِيَه أولى من إلحاقه بصفة ما بَعُدَ منه»[4].

---

(١) جامع البيان: ١/ ٢٨٤.

(٢) أضواء البيان: ١/ ٩١، ٩٢. وينظر: العذب النمير: ١/ ٨٨، ٨٩.

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/ ١٢٥.

(٤) جامع البيان: ١/ ٢٨٤.

القول الثاني: أن المراد بـ(الفرقان) القرآن على إضمار اسم النبي ﷺ[١].

والمعنى: آتينا موسى التوراة، ومحمدًا ﷺ الفرقان. وهو قول قُطْرُب[٢]، والفراء[٣].

قال الفراء رحمه الله: «وقوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ كأنه خاطبهم فقال: قد آتيناكم عِلْمَ موسى ومحمد عليهما السلام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾؛ لأن التوراة أنزلت جملة ولم تنزل مفرَّقة كما فرِّق القرآن»[٤].

قال الشوكاني رحمه الله: «وقد قيل: إن هذا غلط أوقعهما فيه أن (الفرقان) مختص بالقرآن، وليس كذلك؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]»[٥].

وقد رد أهل العلم هذا القول ولم يعتبروه من وجوه:

الوجه الأول: أنه يكون في الكلام حذف من غير دليل عليه.

قال ابن جزي رحمه الله: «وقيل: آتينا موسى التوراة، وآتينا محمدًا الفرقان. وهذا بعيد؛ لما فيه من الحذف من غير دليل عليه»[٦].

الوجه الثاني: أنَّ هذا خطأ في الإعراب: «فإن المعطوف على الشيء مثله، وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشيء خلافه»[٧].

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ١/٧٩، والكشف والبيان: ١/١٤٠، وتفسير المشكل من غريب القرآن: ص٢٧.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/١٢٢، وإعراب القرآن للنحاس: ١/٢٥٥.

(٣) معاني القرآن: ١/٣٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) فتح القدير: ١/١٩٢.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٤٨. وينظر: المحرر الوجيز: ١/١٤٤، والتفسير الكبير: ٣/٧٣، والبحر المحيط: ١/٣٦٠، وروح المعاني: ١/٢٥٩.

(٧) ينظر: إعراب القرآن: ١/٢٥٥، والبحر المحيط: ١/٣٦٠.

الوجه الثالث: أنَّ هذا خطأ في المعنى؛ لأن (الفرقان) ذُكر لموسى في غير هذا الموضع قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨](١).

قال النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الفراء وقطرب: يكون ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: التوراة، ومحمدًا ﷺ الفرقان. هذا خطأ في الإعراب والمعنى؛ أمَّا الإعراب فإن المعطوف على الشيء مثله، وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشيء خلافه، وأما المعنى فقد قال فيه جَلَّ وعَزَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]»(٢).

ولا يمتنع أن يشترك التوراة والقرآن في معنى الفرقان، وأن يكون المراد ما فيهما من الفرقان بين الحق والباطل.

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والفرقان**: كلام الله تعالى؛ لِفَرْقِه به بين الحق والباطل في الاعتقاد، والصدق والكذب في المقال، والصالح والطالح في الأعمال، وذلك في القرآن والتوراة والإنجيل، قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]»(٣).

القول الثالث: أن المراد بـ (الفرقان): الحجة والمعجزة والبيان بالآيات التي أعطاها الله لموسى من العصا واليد وغيرهما.

قال الشهاب الخفاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن فسره - أي: الفرقان - بما يغايره كالمعجزات، فهو ظاهر»(٤).

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/ ١٢٢، وإعراب القرآن: ١/ ٢٢٥، والبحر المحيط: ١/ ٣٦٠، وفتح القدير: ١/ ١٩٢.

(٢) إعراب القرآن: ١/ ٢٢٥.

(٣) المفردات، مادة: (فرق)، كتاب الفاء: ٣٩٤.
وينظر: عمدة الحفاظ، مادة: (فرق)، باب الفاء فصل الفاء والراء: ٣/ ٧٢٣.

(٤) عناية القاضي: ٢/ ٢٥٦.

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا أولى وأرجح، ويكون العطف على بابه، كأنه قال: آتينا موسى التوراة والآيات التي أرسلناه بها معجزةً له»(١).

وقد استدل الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ بدليلين **على أن المراد بـ(الفرقان) المعجزة:**

الدليل الأول: قوله: «والظاهر أن المراد به هنا المعجزة أو الحجة لئلا يلزم عطف الصفة على موصوفها إن أريد بـ(الفرقان) الكتاب الفارق بين الحق والباطل، والصفة لا يجوز أن تتبع موصوفها بالعطف»(٢).

ويمكن الجواب عنه: بأن هذا من قبيل عطف الصفات بعضها على بعض، تنزيلًا لتغاير الصفات منزلة تغاير الذات(٣)؛ وذلك لأن الصفات متغايرة؛ فكل صفة تؤدي معنى لا تؤدِّيه الصفة الأخرى، فـ(الكتاب) صفة التوراة، وكذلك (الفرقان) صفة لها؛ أي: أنه تعالى آتى موسى الكتاب جامعًا بين كونه كتابًا وفرقانًا بين الحق والباطل، وهذا أسلوب عربي معروف كما تقدم.

الدليل الثاني: أن المراد بـ(الفرقان) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]: المعجزات؛ لأن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يؤت وحيًا(٤).

وقد أجاب عمّا أورده هنا في موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ [الصافات: ١١٧]. فقال رَحِمَهُ اللهُ: «وتعدية فعل الإيتاء إلى ضمير موسى وهارون مع أن الذي أوتي التوراة هو موسى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩] ـ من

---

(١) فتح القدير: ١/ ١٩٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١/ ٥٠١.

(٣) قواعد التفسير: ١/ ٤٣٢.

(٤) التحرير والتنوير: ١/ ٥٠١.

حيث إن هارون كان معاضدًا لموسى في رسالته، فكان له حظٌّ من إيتاء التوراة، كما قال الله في الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]»[1].

القول الرابع: أن المراد بـ(الفرقان): النصر الفارق بين المتقابلين وهو هنا بانفراق البحر، كما كان يوم بدر، يوم فرق الله بين الحق والباطل، وقد قال الله فيه: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]»[2].

وهذا القول يمكن الجواب عنه: أن إيتاء الكتاب والفرقان كان بعد نجاة موسى وقومه من فرعون وقومه، كما هو ظاهر من سياق الآيات من قوله تعالى: «﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝٥١ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٤٩ ـ ٥٣].

وأيضًا ظاهر سياق قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١١٤ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝١١٥ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝١١٦ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ [الصافات: ١١٤ ـ ١١٧]. أن إيتاء موسى الكتاب كان بعد نجاة موسى وقومه من فرعون وقومه.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٢/ ١٦٤.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ٤٩، وجامع البيان: ١/ ٢٨٤، وبحر العلوم: ١/ ٧٩، والكشف والبيان: ١/ ١٤٠، والنكت والعيون: ١/ ١٢٠، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٨٠، ومعالم التنزيل: ١/ ٧٣، والكشاف: ١/ ١٦٨، والمحرر الوجيز: ١/ ١٤٤، وعناية القاضي: ٢/ ٢٥٦.

ومما يدل أيضًا أن إيتاء موسى الكتاب كان بعد نجاة موسى وقومه من فرعون وقومه: أنَّ بعض المفسرين استدل بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص: ٤٣]: أن موسى عليه السلام أعطي الكتاب بعد إهلاك فرعون وقومه.

قال ابن عطية رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ إخبار بأنه أنزل التوراة على موسى بعد هلاك فرعون وقومه، وبعد هذه الأمم التي قد تقدم ذكرها من عاد وثمود وقرية قوم لوط وغيرها»(١).

وقال الزمخشري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩]: «﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: قوم موسى التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعملون بشرائعها ومواعظها... ولا يجوز أن يرجع الضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ إلى فرعون وملئه؛ لأنّ التوراة إنما أوتيها بنو إسرائيل بعد إغراق فرعون وملئه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص: ٤٣]»(٢).

• **وخلاصة القول**: أنَّ هذه هي أشهر الأقوال التي ذكرت في معنى (الفرقان) في الآية الكريمة(٣)، وإن كان بعضها محتملًا من جهة اللغة، إلا أن القول الثاني: وهو أن (الفرقان) في الآية هو التوراة، وإنما عطف على نفسه، تنزيلًا لتغاير الصفات منزلة تغاير الذات، **والمعنى**: أنه تعالى آتى موسى الكتاب جامعًا بين كونه كتابًا وفرقانًا بين الحق والباطل ـ هو أرجح هذه الأقوال.

قال الطبري رحمه الله بعد أن ذكر ترجيحه لهذا القول: «وإنما قلنا هذا

(١) المحرر الوجيز: ٤/ ٢٨٩. (٢) الكشاف: ٣/ ١٩١.
(٣) وقد أوصلها أبو حيان رحمه الله إلى اثني عشر قولًا؛ كما في البحر المحيط: ١/ ٣٦٠.

التأويل أولى بالآية، وإن كان محتملًا غيره من التأويل؛ لأن الذي قبله من ذكر ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ وأن معنى (الفرقان) الفصل ـ يعني: فرقانًا بين الحق والباطل ـ فإلحاقه إذ كان كذلك، بصفة ما وليه أولى من إلحاقه بصفة ما بَعُدَ منه»[(١)].

وهو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وذلك لأن الصفات متغايرة، فكل صفة تؤدي معنى لا تؤدّيه الصفة الأخرى، فـ(الكتاب) صفة التوراة، وكذلك (الفرقان) صفة لها؛ أي: إنه تعالى آتى موسى الكتاب جامعًا بين كونه كتابًا وفرقانًا بين الحق والباطل.

ولذا رد بعض أهل العلم القول بوقوع التأكيد بين (الكتاب) و(الفرقان).

قال النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ذكر الفراء قولًا آخر، قال: العرب تنسُق الشيء على الشيء إذا اختلف اللفظان، وإن كان هو هو؛ وأنشد:

وَقَـدَّدَتِ الْأَدِيـمَ لِـرَاهِـشَـيْـهِ ... وَأَلْـفَـى قَـوْلَـهَـا كَـذِبًـا وَمَـيْـنَـا

يذهب إلى أن (المَين) هو الكذب؛ وهذا البيت لا يشبه من الآية شيئًا؛ لأن (المَين) إن كان هو الكذب بعينه فلا يفيد إلا معنى الكذب، فإن (الفرقان) أفاد معنًى غير معنى (الكتاب)»[(٢)].

وقال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولأنه زاد ـ أي: (الفرقان) ـ معنى التفرقة بين الحق والباطل، ولفظة (الكتاب) لا تعطي ذلك»[(٣)]. والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) جامع البيان: ١/ ٢٨٤.

(٢) القطع والإئتناف، أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بن إبراهيم المطرودي: ١/ ٥٩ [ط١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م].

(٣) المحرر الوجيز: ١/ ١٤٤.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

هذه الآية رد لدعوى اليهود الذين قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، بيَّن الله كذب هذه الدعوى وأنها باطلة بقوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقد اجتمع في الآية الكريمة لفظان موهمان بالترادف وهما: ﴿سَيِّئَةً﴾ و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ فما سر الجمع بين هذين اللفظين في آية واحدة؟ لا سيّما وأنه يتبادر إلى الذهن أنهما بمعنى واحد؟

وللوقوف على ذلك لا بد من عرض أقوال أهل العلم في معناهما حتى يتضح المراد بكل منهما؟ وسر الجمع بينهما في آية واحدة.

ويمكن إجمال الأقوال التي قيلت في معناهما إلى قولين:

القول الأول: أن قوله: ﴿سَيِّئَةً﴾ و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بمعنى واحد.

قال أبو حيان رحمه الله: وذهب قوم إلى أن (السيئة) و(الخطيئة) واحدة، وأن الخطيئة وصف للسيئة»[(١)].

وقال السمين الحلبي رحمه الله: «وقيل: المرادُ بـ(الخطيئةِ) نفسُ السيئةِ المتقدِّمة، فسمَّاها بهذين الاسمين تقبيحًا لها»[(٢)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿سَيِّئَةً﴾ و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قيل: بمعنى واحد، وأن السيئة امتدَّت حتى أحاطت به»[(٣)].

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٥٢.   (٢) الدر المصون: ١/ ٤٥٧.

(٣) تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة): ١/ ٢٦٢.

والقائلون بهذا القول صنفان من أهل العلم:

الصنف الأول: من فسر قوله: ﴿سَيِّئَةً﴾ و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بأنها الشرك أو الكفر، ويكون معنى ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ أنَّ هذه الخطيئة أحاطت بعاملها فلم تدع له منفذًا، وهي الشرك أو الكفر؛ فيموت عليها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ أي: من عمل بمثل أعمالكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، حتى يحيط كفره بما له من حسنة»(١).

وقال القاسمي رحمه الله: «يتعين تفسير (السيئة) و(الخطيئة)، في هذه الآية بالكفر والشرك»(٢).

وهذا القول هو اختيار: مقاتل بن سليمان، وأبي الليث السمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والسيوطي، وابن سعدي، والطاهر بن عاشور رحمهم الله(٣).

الصنف الثاني: من فسر قوله: ﴿سَيِّئَةً﴾ و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بأنها الكبيرة من كبائر الذنوب، ويكون معنى ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ **أي:** أحاطت تلك الكبيرة بطاعته.

قال الزمخشري رحمه الله: «﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ من السيئات؛ **يعني:** كبيرة من الكبائر ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ تلك، واستولت عليه، كما

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١/١٥٧.

(٢) محاسن التأويل: ١/٣٢٠. وينظر: لباب التأويل: ١/٥٤.

(٣) **ينظر:** تفسير مقاتل: ١/١٦٠، وبحر العلوم: ١/٩٥، وتفسير القرآن العزيز: ١/١٥٥، والوجيز للواحدي: ١/١١٥، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/١٠١، وتفسير الجلالين: ص١٢، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٥٧، والتحرير والتنوير: ١/٥٨١.

يحيط العدو، ولم يَتَفَصَّ[١] عنها بالتوبة»[٢].

وقال ابن بدران[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعلوم أن لفظ (الإحاطة) حقيقة في إحاطة جسم بآخر؛ كإحاطة السور بالبلد، والكوز[٤] بالماء، فيحمل حينئذ على إذا ما كانت السيئة كبيرة؛ لأنها تحيط بثواب الطاعات، فتكون كالستارة لها، وإذا أحاطت بها كانت مستولية على تلك الطاعات، فكأنه تعالى قال: بلى من كسب كبيرة وأحاطت كبيرته بطاعته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، وجنح إلى هذا كثيرون منهم: الزمخشري، وفخر الدين الرازي[٥]، وهو الذي نختاره»[٦].

وهذا القول جرى على أصل من أصول المعتزلة وهو: «المنزلة بين المنزلتين»؛ وذلك أن مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، وهي منزلة الفاسق؛ فليس بمؤمن ولا كافر، لكنه في الآخرة مع الكافرين[٧].

---

(١) أي: يتخلص منها. ينظر: القاموس المحيط: مادة: (فصى)، باب الواو والياء فصل الفاء: ١٣٢١.

(٢) الكشاف: ١/ ١٨٥، ١٨٦.

(٣) هو: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى المشهور بابن بدران، المفسر المحدث الأصولي، مدرس الجامع الأموي، وشيخ الحنابلة في البلاد السورية، وأحد أعضاء الرئاسة العلمية بدمشق، من مصنفاته: «جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار» و«آداب المطالعة» و«تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر»، توفي سنة (١٣٤٦هـ).
ينظر: علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي، محمد بن ناصر العجمي: ٧ ـ ٦٥ [ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م].

(٤) أي: الكوب. ينظر: القاموس المحيط: مادة: (كوب)، باب الباء فصل الكاف: ١٣٣.

(٥) التفسير الكبير: ٣/ ١٠٨.

(٦) جواهر الأفكار: ٢٤٠، ٢٤١.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمٰن بن ناصر البراك، إعداد: عبد الرحمٰن السديس: ٤٢١ [ط١، دار التدمرية، الرياض، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م].

قال أبو حيان رحمه الله: «قال الزمخشري: وأحاطت به خطيئته تلك، واستولت عليه، كما يحيط العدو، ولم يَتَفَصَّ عنها بالتوبة. انتهى كلامه. وهذا من دسائسه التي ضمنها كتابه، إذ اعتقاد المعتزلة أن من أتى كبيرة، ولم يتب منها، ومات، كان خالدًا في النار»(١).

ولم يرتض أهل العلم القول بأن (السيئة) و(الخطيئة) في الآية الكريمة: الكبيرة من كبائر الذنوب، **وردُّوه من وجوه:**

الوجه الأول: أن المراد بـ(السيئة) في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: الشرك أو الكفر في قول جمهور المفسرين(٢). وقد حكى الواحدي رحمه الله الإجماع على ذلك بقوله: «و(السيئة): العمل القبيح، وإجماع أهل التفسير **أن** (السيئة) ها هنا: الشرك»(٣).

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٥٢.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ١٦٠، وتفسير سفيان الثوري: ٤٧، وتفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد: ١/ ٥١ [ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ]، وجامع البيان: ١/ ٣٨٤، ومعاني القرآن وإعرابه ١/ ١٤٥، وبحر العلوم: ١/ ٩٥، وتفسير القرآن العزيز: ١/ ١٥٥، والكشف والبيان: ١/ ١٠٢، والنكت والعيون: ١/ ١٠٢، والوجيز للواحدي: ١/ ١١٥، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ١٠١، ومعالم التنزيل: ١/ ٨٩، والمحرر الوجيز: ١/ ١٧١، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: ١/ ٥٧، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/ ١٠٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢/ ٢٢٦، وأنوار التنزيل: ١/ ٩٠، ومدارك التنزيل: ١/ ١٠٤، وتفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء: ١/ ٣٨٨، ومجموع الفتاوى: ١٤/ ٤٩، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ١/ ٥٤، والبحر المحيط: ١/ ٥٢، والجواهر الحسان: ١/ ٨٢، والسراج المنير: ١/ ٨٤، وتفسير الجلالين: ص١٢، وإرشاد العقل السليم: ١/ ١٢٢، وروح المعاني: ١/ ٣٠٥، ومحاسن التأويل: ١/ ٣٢٠، تيسير الكريم الرحمٰن: ص٥٧، والتحرير والتنوير: ١/ ٥٨١، وتفسير القرآن الكريم (سورة البقرة): ١/ ٢٦٢.

(٣) الوسيط: ١/ ١٦٤. إلا أن حكاية هذا الإجماع لم يوافقه عليه صاحب كتاب «الإجماع في التفسير»، فقال في نتيجة دراسته لهذا الإجماع: «ما ذكره الواحدي ليس إجماعًا، بل هو قول أكثر السلف، وبذلك صرح أكثر المفسرين». ينظر: الإجماع في التفسير: ١٧٨.

ومما يؤيد هذا القول: أن لفظ (السيئة) جاء في غير هذا الموضع وأريد به الشرك[(١)]، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠][(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما قلنا: إن (السيئة) التي ذكر الله جلَّ ثناؤه أن من كسبها وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النار المخلَّدين فيها في هذا الموضع، إنما عنى الله بها بعض السيئات دون بعض، وإن كان ظاهرها في التلاوة عامًّا؛ لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار، والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به»[(٣)].

الوجه الثاني: مما يؤيد أن المراد بالخلود في الآية خلود الكفار: أن الله قابله بخلود المؤمنين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢][(٤)].

الوجه الثالث: أن العاصي مؤمن فلم تُحط به خطيئاته[(٥)].

الوجه الرابع: أن الآية في الرد على كفار ـ وهم اليهود ـ في زعمهم أنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة[(٦)].

---

(١) ينظر: تفسير آيات أشكلت: ١/ ٣٨٨، ومجموع الفتاوى: ١٤/ ٤٩.

(٢) المحرر الوجيز: ١/ ١٧١. (٣) جامع البيان: ١/ ٣٨٥.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١/ ٣٨٥، والمحرر الوجيز: ١/ ١٧١، وتفسير آيات أشكلت: ١/ ٣٨٨، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٥١، والجواهر الحسان: ١/ ٨٢، وتفسير الجلالين: ص١٢.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ١٧١، ومدارك التنزيل: ١/ ١٠٤، والجواهر الحسان: ١/ ٨٢، والسراج المنير: ١/ ٨٤، وروح المعاني: ١/ ٣٠٦، والتحرير والتنوير: ١/ ٥٨١.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ١٧١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٥١، والجواهر الحسان: ١/ ٨٢.

القول الثاني: التفريق بين قوله: ﴿سَيِّئَةً﴾ و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ في المعنى، وأنهما ليس بمعنًى واحد، وفي المراد بهما قولان:

الأول: أن المراد بقوله: ﴿سَيِّئَةً﴾: الشرك أو الكفر، و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ **هي**: كبائر الذنوب، أو الذّنوب الكثيرة الموجبة لأهلها النّار؛ وهذا قول جمهور أهل العلم(١).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: إن المراد بـ(السيئة): الكفر؛ و(الخطيئة): ما دونه؛ وهذا هو المعروف عند المفسرين»(٢).

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتأويل الآية إذًا: أن من أشرك بالله، واقترف ذنوبًا جمةً، فمات عليها قبل الإنابة والتوبة فأولئك أصحاب النار هم فيها مخلدون أبدًا»(٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلى تفسير الأكثرين: فـ**(السيئة)**: الشرك، وهذا أظهر الأقوال؛ لأنه سبحانه غاير بين لفظ المكسوب، والمحيط، فقال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾، فلو كان المراد بهذا هذا لم يغاير بين اللفظين، **فعلم أن المراد بـ(السيئة)**: الشرك، والمشرك له خطايا أُخر غير الشرك، فذكر أن خطاياه أحاطت به، فلم يتب منها»(٤).

ويعضد هذا القول: أن في قوله تعالى: ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قراءتين: الإفراد ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾، والجمع (خَطِيئَاتُهُ)(٥). والإفراد بمعنى الجمع؛ لأنه

---

(١) ينظر: تفسير القرآن للصنعاني: ١/٥١، وجامع البيان: ١/٣٨٦، ومعاني القرآن وإعرابه: ١/١٤٥، وبحر العلوم: ١/٩٥، والمحرر الوجيز: ١/١٧١، والبحر المحيط: ١/٥٢، والدر المصون: ١/٤٥٧، وتفسير القرآن العظيم: ١/١٥٩، والجواهر الحسان: ١/٨٢.

(٢) تفسير القرآن الكريم سورة البقرة: ١/٢٦٢.

(٣) جامع البيان: ١/٣٨٦.

(٤) ينظر: تفسير آيات أشكلت: ١/٣٨٨، ومجموع الفتاوى: ١٤/٤٩.

(٥) قرأ الجمهور بالإفراد، وقرأ نافع وحده بالجمع. ينظر: السبعة: ١/١٦٢.

مفرد مضاف فيعم[١]؛ لكن الجمع يفيد الإشارة إلى أنواع الخطايا[٢].

قال مكّي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قرأه نافع[٣] بالجمع، حمله على معنى الإحاطة، والإحاطة إنما تكون بكثرة المحيط، فحمله على معنى الكبائر، و(السيئة): الشرك. فالمعنى: بلى من كسب شركًا وأحاطت به كبائره فأحبطت أعماله فأولئك أصحاب النار، وقرأ الباقون بالتوحيد؛ فيجوز أن تكون (الخطيئة) في معنى الجمع؛ لكن وُحِّدَت، كما وُحِّدَت السيئة، وهي بمعنى الجمع، فتكون كالقراءة بالجمع في المعنى، وَحَسُن انفراد لفظ (الخطيئة) وهي بمعنى الجمع؛ لإضافتها إلى مفرد اللفظ بمعنى الجمع»[٤].

الثاني: عكس الأول: فالمراد بقوله: ﴿سَيِّئَةً﴾: كبائر الذنوب، و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: الشرك أو الكفر؛ وهذا قول الحسن البصري والسدي رحمهما الله[٥]. ومال إليه ابن عطية رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «وقال قوم: (السيئة) هنا: الكبائر، وأفردها وهي بمعنى الجمع؛ لمَّا كانت تدل على الجنس؛

---

(١) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، محمد الأمين الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد: ٢٢٢ [ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ].

(٢) ينظر: إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض: ١/١٠٢ [مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، بدون]، والبحر المحيط: ١/٥٢، والدر المصون: ١/٤٥٧، وتفسير القرآن الكريم سورة البقرة: ١/٢٦٢.

(٣) نافع بن عبد الرحمٰن بن أبي نعيم، أحد القراء السبعة، أصله من أصبهان، أخذ القراءة عرضًا عن جماعة من تابعي المدينة، وأقرأ الناس دهرًا طويلًا، وانتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة وصار الناس إليها، وكان من أطهر الناس خُلقًا، ومن أحسن الناس قراءة، وكان زاهدًا، جوادًا. توفي سنة (١٦٩هـ).
ينظر: معرفة القراء الكبار: ١/١٠٧، وغاية النهاية: ٢/ ٣٣٠.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/٢٤٩. وينظر: البحر المحيط: ١/ ٥٢.

(٥) ينظر: جامع البيان: ١/٣٨٦، وتفسير ابن أبي حاتم: ١/١٥٨، وتفسير القرآن العظيم: ١/١٥٩.

كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]. و(الخطيئة): الكفر، ولفظة (الإحاطة) تقوّي هذا القول»[١].

فهذه هي الأقوال التي ذكرت في معنى (السئية) و(الخطيئة) في الآية الكريمة، ويمكن تفصيلها بعد الإجمال إلى أربعة أقوال:

القول الأول: أن قوله: ﴿سَيِّئَةً﴾ و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بمعنًى واحد، **والمراد بهما**: الشرك أو الكفر.

القول الثاني: أن قوله: ﴿سَيِّئَةً﴾ و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بمعنًى واحد، **والمراد بهما**: الكبيرة من كبائر الذنوب.

القول الثالث: **أن المراد بقوله**: ﴿سَيِّئَةً﴾: الشرك أو الكفر، و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ **هي**: كبائر الذنوب، أو الذّنوب الكثيرة الموجبة لأهلها النّار.

القول الرابع: **أن المراد بقوله**: ﴿سَيِّئَةً﴾: كبائر الذنوب، و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: الشرك أو الكفر.

وأرجح هذه الأقوال، هو القول الثالث: **أن المراد بقوله**: ﴿سَيِّئَةً﴾ الشرك أو الكفر، و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ هي كبائر الذنوب، أو الذّنوب الكثيرة الموجبة لأهلها النّار؛ لأن المراد بالسيئة الشرك، كما عليه جمهور أهل العلم، «ولأنه سبحانه غاير بين لفظ (المكسوب)، و(المحيط)، فقال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾، فلو كان المراد بهذا هذا لم يغاير بين اللفظين، **فعلم أن المراد بـ(السيئة)**: الشرك، والمشرك له خطايا أخر غير الشرك، فذكر أن خطاياه أحاطت به، فلم يتب منها»[٢].

---

(١) المحرر الوجيز: ١/ ١٧١. وينظر: البحر المحيط: ١/ ٥٢، والدر المصون: ١/ ٤٥٧.
(٢) ينظر: تفسير آيات أشكلت: ١/ ٣٨٨، ومجموع الفتاوى: ١٤/ ٤٩.

وهو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد في إفادة كل من اللفظين معنى جديدًا.

ولمَّا سئل ابن عرفة[١] رَحِمَهُ اللهُ: «هل المراد بالجميع الكفر؟ فقال: يكون العطف تكرارًا»[٢]. والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ ❁ ❁

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

(الحكمة) في كتاب الله نوعان: مفردة، ومقترنة بالكتاب[٣]، وكثيرًا ما يقرن الله ﷻ بين (الكتاب) و(الحكمة) في كتابه الكريم كما في هذا الموضع[٤].

فالمراد بـ(الكتاب) في الآية الكريمة هو: القرآن، من غير خلاف بين المفسرين، **واختلفوا في المراد بـ(الحكمة) إلى رأيين:**

الرأي الأول: أن المراد بالحكمة: الكتاب نفسه، أُعيد ذكره تأكيدًا:

قال الثعلبي رَحِمَهُ اللهُ: «فقال بعضهم: الحكمة هاهنا الكتاب، فنسق عليه لاختلاف اللفظين؛ **كقول الحطيئة**[٥]:

---

(١) محمد بن محمد بن عرفة، الورغمي التونسي، المالكي، أبو عبد الله، شيخ الإسلام في المغرب، برع في الأصول، والفروع، والعربية، والمعاني، والبيان، والقراءات، والفرائض، والحساب. رحل إليه الناس وانتفعوا به، ولم يكن بالمغرب من يجري مجراه في التحقيق، ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له، من مصنفاته: «المبسوط في المذهب» و«مختصر الحوفي في الفرائض» و«التفسير»، توفي سنة (٨٠٣هـ).

ينظر: بغية الوعاة: ١/ ٢٢٩، وشذرات الذهب: ٧/ ٣٨.

(٢) تفسير الإمام ابن عرفة، محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: د. حسن المناعي: ١٢٠ [ط١، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس: ١٩٨٦م].

(٣) مدارج السالكين: ٢/ ٤٧٨. (٤) وسيأتي ذكر بقية المواضع.

(٥) البيت في ديوانه: ص٣٩. وقد تقدم.

أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ   وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ»[١]

وقال أبو حيان رحمه الله: «وقال بعضهم: (الحكمة) هنا الكتاب، وكررها توكيدًا»[٢].

وقال الآلوسي: «وقيل المراد بـ(الحكمة): الكتاب؛ وكرر للتأكيد اعتناءً بشأنه»[٣].

فعلى هذا القول (الحكمة) هي (الكتاب) ذكرها على سبيل التأكيد بالمرادف.

الرأي الثاني: أن (الحكمة) غير (الكتاب)، وفي المراد بها أقوال:

القول الأول: الحكمة؛ يعني: الموعظة التي في القرآن من الحلال والحرام؛ وهو اختيار: مقاتل بن سليمان، وأبي الليث السمرقندي رحمهما الله[٤].

القول الثاني: الحكمة: العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ، والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره؛ وهو اختيار: الطبري رحمه الله[٥].

القول الثالث: الحكمة: معرفة الفقه والدين والاتباع لذلك، والفهم الذي هو سجيَّة ونور من الله تعالى؛ وهو قول الإمام مالك رحمه الله[٦].

---

(١) الكشف والبيان: ١/٢٧٦.
(٢) البحر المحيط: ١/٥٦٣.
(٣) روح المعاني: ١/٣٨٧.
(٤) تفسير مقاتل: ١/٧٨، وبحر العلوم: ١/١٢٠.
وينظر: الكشف والبيان: ١/٢٧٦، وزاد المسير: ١/١٤٦.
(٥) جامع البيان: ١/٥٥٧. **وينظر:** لباب التأويل: ١/١١٢.
(٦) المحرر الوجيز: ١/٢١٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢/٤٠٣.
وينظر: تفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/١٤٦، وتفسير القرآن العظيم: ١/٢٤٣.

قال السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: (الحكمة): الفقه. وهذا قول حسن»(١).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بـ(**الحكمة**): المعرفة بالدين، والفقه في التأويل، والفهم للشريعة»(٢).

القول الرابع: الحكمة: العِلم بالله ودقائق شرائعه، وهي معاني الكتاب وتفصيل مقاصده؛ وهو اختيار الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ(٣).

القول الخامس: الحكمة: ما تكمُل به نفوسهم من المعارف والأحكام؛ وهو اختيار: البيضاوي، والخطيب الشربيني، وأبي السعود رحمهم الله(٤).

قال ابن بدران رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(**الحكمة**)؛ أي: الشريعة وبيان الأحكام، وكل أمر يشرعه لهم، فيحفظهم في سبيل معاشهم ومعادهم، من الزيغ المؤدي إلى الضلال والهلاك»(٥).

القول السادس: الحكمة: السُّنَّة؛ وهو قول قتادة(٦)، واختيار الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ(٧).

وهذا حيث وردت مقترنةً بالكتاب في سياق الامتنان على نبيِّه ﷺ وعلى أمته، في نحو قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم

---

(١) تفسير القرآن: ١/ ١٤١.

(٢) فتح القدير: ١/ ٢٧٦.

(٣) التحرير والتنوير: ١/ ٧٢٣. وينظر: تفسير المنار: ١/ ٤٧٢، ٤٧٣.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ١/ ١٠٦، والسراج المنير: ١/ ١٠٧، وإرشاد العقل السليم: ١/ ١٦٢.

(٥) جواهر الأفكار: ٣٤٨.

(٦) ينظر: جامع البيان: ١/ ٥٥٧، والنكت والعيون: ١/ ١٢٠، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٤٣، ومحاسن التأويل: ١/ ٣٦٧.

(٧) أحكام القرآن، محمد بن إدريس الشافعي، جمعه: الإمام أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق: ١/ ٢٨، ٢٩ [دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ].

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

قال الشافعي رحمه الله بعد ذكره للآيات المتقدمة: «فذكر الله (الكتاب)، وهو القرآن، وذكر (الحكمة)، فسمعتُ من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: (**الحكمة**): سُنَّة رسول الله، وهذا يشبه ما قال، والله أعلم.

لأن القرآن ذُكر وَأُتبِعَتْهُ (الحكمة)، وذكر الله مَنَّهُ على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يَجُزْ ـ والله أعلم ـ أن يقال: (الحكمة) ها هنا إلا سُنَّة رسول الله؛ وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله، وحتَّم على الناس اتباع أمره؛ فلا يجوز أن يقال لقول: فَرْضٌ، إلا لكتاب الله ثم سُنَّة رسوله؛ لما وصفنا، من أن الله جعل الإيمان برسوله مقرونًا بالإيمان به، وسُنَّة رسول الله مبيِّنة عن الله معنى ما أراد: دليلًا على خاصِّه وعامِّه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه فأتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله»(١).

---

(١) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر: ٧٩، ٧٨ [المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٣٩هـ].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وأما (الحكمة) المقرونة بالكتاب: فهي السُّنَّة**، كذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة، وقيل: هي القضاء بالوحي، وتفسيرها بالسُّنَّة أعم وأشهر»[١].

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن حكى الأقوال في المراد بـ(الحكمة)، وغالبها مما ذكرنا: «وهذه الأقوال في (الحكمة) كلها متقاربة، **ويجمع هذه الأقوال قولان: أحدهما**: القرآن، **والآخر**: السُّنَّة؛ لأنها المبينة لما انْبَهَم من الكتاب، والمظهرة لوجوه الأحكام. ويكون المعنى، والله أعلم في قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ **أي**: يبين لهم وجوه أحكامه: حلاله وحرامه، ومفروضه، ومسنونه، ومواعظه، وأمثاله، وترغيبه، وترهيبه، والحشر، والنشر، والعقاب، والثواب، والجنة والنار. وفي قوله: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾؛ **أي**: السُّنَّة تبين ما في الكتاب من المجمل، وتوضح ما انبهم من المشكل، وتفصح عن مقادير وعن أعداد، مما لم يتعرض الكتاب إليه، وتثبت أحكامًا لم يتضمَّنها الكتاب»[٢].

• **وخلاصة القول**: أن ما ذكر من المغايرة بين الكتاب والحكمة في المعنى، هو الأولى، وهو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد.

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعن مالك: **(الحكمة)**: معرفة الفقه والدين والاتِّباع لذلك، وعن الشافعي: **(الحكمة)**: سُنَّة رسول الله ﷺ، وكلاهما ناظر إلى أن عطف (الحكمة) على (الكتاب) يقتضي شيئًا من المغايرة بزيادة معنى»[٣].

وبقية الأقوال التي ذكرت في معنى (الحكمة) فهي متقاربة يشملها لفظ (الحكمة)، وأن المراد به معنًى آخر غير (الكتاب)؛ إلا أن تفسيرها

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٤٧٨.
(٢) البحر المحيط: ١/ ٥٦٣، ٥٦٤.
(٣) التحرير والتنوير: ١/ ٧٢٣.

بالسُّنَّة أعم وأشهر، كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]؛ وذلك «لأن الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه (الحكمة)، فوجب أن يكون المراد بها شيئًا آخر وليس ذلك إلّا السُّنَّة»[(٢)]. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

جاءت هذه الآية الكريمة في بيان جزاء الصابرين عند المصائب أن ﴿عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾، **ومن خلال النظر في معنى هاتين اللفظتين تبين لي أن لأهل العلم رأيين في ذلك:**

الرأي الأول: أن (الصلاة) من الله بمعنى (الرحمة)، وكررها لاختلاف اللفظين تأكيدًا:

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾؛ **أي:** رحمة، وذكر ذلك بلفظ الجمع؛ لأن بعضها يتلو بعضًا، ثم قال: ﴿وَرَحۡمَةٞۖ﴾، فأعادها مع اختلاف اللفظين لأنه أوكد وأبلغ»[(٣)].

وقال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ومعنى (الصلوات) هاهنا:** الرحمة بعد الرحمة؛ لأن الصلاة من الله: الرحمة، وقوله: ﴿وَرَحۡمَةٞۖ﴾ ذكرها تأكيدًا للأول»[(٤)].

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(صلوات)؛ **أي:** رحمة؛ فإن الصلاة من الله الرحمة، و(الرحمة) ذكرها الله تأكيدًا»[(٥)].

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٤٧٨.
(٢) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ١/ ٢٨، ٢٩، ولباب التأويل: ١/ ١١٢.
(٣) النكت والعيون: ١/ ٢١٠. وينظر: الكشف والبيان: ٢/ ٢٤، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام ١/ ١٧٣، والجامع لأحكام القرآن: ٢/ ٤٦٨، والبحر المحيط: ١/ ٤٦٥.
(٤) تفسير القرآن: ١/ ١٥٧، ١٥٨.
(٥) ينظر: معالم التنزيل: ١/ ١٣١، وشرح السُّنَّة: ص١٨٩، ١٩٠.

وقال السمين الحلبي رحمه الله: «وقوله: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ عَطْفٌ على الصلاة وإن كانَتْ بمعناها؛ فإن الصلاة من الله رحمة لاختلاف اللفظين كقوله[1]:

وَقَـدَّدَتِ الْأَدِيـمَ لِـرَاهِـشَـيْـهِ   وَأَلْـفَى قَوْلَـهَـا كَـذِبًـا وَمَـيْـنَـا

وقوله[2]:

أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ   وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ»[3]

واختار هذا الرأي من غير ما تقدم: أبو عبيدة، وابن عُزيز السجستاني، وابن الهائم رحمهم الله[4].

واختاره من أئمة اللغة: ابن فارس رحمه الله بقوله: فأما الصلاة من الله تعالى فالرحمة، ومن ذلك الحديث: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى)[5]؛ يريد بذلك الرحمة[6].

وقال الترمذي[7] رحمه الله: «وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من

---

(١) قائله عدي بن زيد وهو في ديوانه: ص١٨٣. وقد تقدم.
(٢) قائله الحطيئة وهو في ديوانه: ص٣٩. وقد تقدم.
(٣) الدر المصون: ٢/ ١٨٧. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣/ ١٥٦.
(٤) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٦١، ٦٢، وغريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران: ص٢٩٧ [دار قتيبة: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م]، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ص١١٣.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] ومن خص أخاه بالدعاء دون نفسه: ح برقم (٦٣٣٢) ١١٠١، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقة: ح برقم (١٠٧٨) ٥٤٢.
(٦) مقاييس اللغة: مادة: (صلى)، كتاب الصاد، باب الصاد واللام وما يثلثهما: ٣/ ٣٠١.
(٧) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي، الإمام، أبو عيسى الترمذي، الحافظ المشهور، أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث، تلميذ أبي عبد الله البخاري، كان مبرزًا على الأقران، آية في الحفظ والإتقان، من مصنفاته: «كتاب الجامع» و«العلل»، توفي سنة (٢٧٩هـ).
ينظر: وفيات الأعيان: ٤/ ٢٧٨، وشذرات الذهب: ٢/ ١٧٤، ١٧٥.

أهل العلم قالوا: **صلاة الربِّ**: الرحمة»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا القول هو المعروف عند كثير من المتأخرين»[(٢)].

الرأي الثاني: أن (الصلاة) من الله ليست بمعنى (الرحمة)، وفي المراد بها أقوال:

القول الأول: المراد بـ(الصلاة) من الله: مغفرته؛ وهو اختيار: مقاتل بن سليمان، وابن قتيبة، والطبري، وابن أبي زمنين، ومكي بن أبي طالب، والواحدي، والخطيب الشربيني، وأبي السعود، وابن بدران رحمهم الله[(٣)].

واستدلوا لهذا القول بحديث (**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**)؛ **فإن معناه**: اللَّهُمَّ اغفر لهم[(٤)].

القول الثاني: المراد بـ(الصلاة) من الله: ثناؤه على عبده؛ وهذا ما فسَّر به أبو العالية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾

---

(١) ينظر: الجامع الصحيح، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، أبواب الوتر، باب: ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ح برقم (٤٨٥) ٣٥٦. [ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٩م].

(٢) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن سلمان: ٢٥٧ [ط٣، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م].

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ٨٨، وتأويل مشكل القرآن: ص٤٦٠، ٤٦١، وتفسير غريب القرآن: ص٦٣، وجامع البيان: ٢/ ٤٢، وتفسير القرآن العزيز: ١/ ١٩٠، وتفسير المشكل من غريب القرآن: ص٣٤، والوجيز للواحدي: ١/ ١٤٠، والسراج المنير: ١/ ١٢١، وإرشاد العقل السليم: ١/ ١٨١، وجواهر الأفكار: ٤٠٢.

(٤) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ص٤٦٠، ٤٦١، وتفسير غريب القرآن: ص٦٣، وجامع البيان: ٢/ ٤٢.

[الأحزاب: ٥٦]. فقال «صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة»(١).

وهو اختيار: الجصاص، والرازي، وابن القيم، وابن كثير، وابن سعدي، وابن عثيمين رحمهم الله(٢).

واختاره من أئمة اللغة: الأزهري، وابن منظور رحمهما الله. بقولهم: وأمَّا قوله ﷻ: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ «فمعنى (الصلوات) هاهنا: الثناء عليهم من الله تعالى»(٣).

وجاء عن ابن عباس ﵄ في تفسير قوله تعالى: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦] قال: يبرِّكون(٤). وهو قريب من هذا القول.

قال ابن القيم ﵀: «وهذا لا ينافي تفسيرها بالثناء وإرادة التكريم والتعظيم؛ فإن التبريك من الله يتضمن ذلك، ولهذا قرن بين الصلاة عليه والتبريك عليه، وقالت الملائكة لإبراهيم: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ [هود: ٧٣]»(٥).

وقال الحافظ ابن حجر ﵀: «أي: يدعون له بالبركة، فيوافق قوله قول أبي العالية، لكنه أخص منه»(٦).

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه معلقًا جازمًا به، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]: ٨٤٣.

(٢) ينظر: أحكام القرآن: ١/١١٦، والتفسير الكبير: ٤/١٤١، وجلاء الأفهام: ص٢٦٠، وتفسير القرآن العظيم: ١/٢٥٩، ٢٦٠، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٧٦، وتفسير القرآن الكريم (سورة البقرة): ٢/١٨٢.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (صلى)، باب الصاد واللام من المعتل: ١٢/١٦٦، ولسان العرب، مادة: (صلا): ١٤/٤٦٥.

(٤) ذكره البخاري في صحيحه معلقًا جازمًا به، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]: ٨٤٣.

(٥) جلاء الأفهام: ص٢٧٢، ٢٧٣.

(٦) فتح الباري: ٨/٦٧٦.

القول الثالث: المراد بـ(الصلاة) من الله: الحنو والعطف، فوضعت موضع الرأفة، وجمع بينها وبين الرحمة كقوله: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧]، ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، **والمعنى**: عليهم رأفة بعد رأفة، ورحمة بعد رحمة؛ وهو اختيار الزمخشري، والنسفي رحمهما الله[(١)].

القول الرابع: المراد بـ(الصلاة) من الله: التزكية لهم.

قال الفيروزآبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وصلاة الله للمسلمين هي في التحقيق: تزكيته لهم»[(٢)].

القول الخامس: من حَمَلَ (الصلاة) من الله على أكثر من معنى.

«فلا يمتنع أن يكون معنى صلاة الله على الرسول ﷺ بمعنى الثناء والتبريك والرحمة، وهكذا معنى صلاته ﷻ على المؤمنين، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٧]»[(٣)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(الصلاة) من الله تعالى**: ثناؤه على العبد عند الملائكة؛ كما ورد عن أبي العالية، وقال غيره: الصلاة من الله ﷻ: الرحمة، وقد يقال: لا منافاة بين القولين، والله أعلم»[(٤)].

وممن حمل (الصلاة) من الله على أكثر من معنى:

. الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «**و(الصلاة) من الله ﷻ على أنبيائه وعباده**: الرحمة لهم، والثناء عليهم»[(٥)].

وابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «**و(صلوات) الله على عبده**: عفوه ورحمته

---

(١) ينظر: الكشاف: ١/ ٢٣٤، ومدارك التنزيل: ١/ ١٣٩.
(٢) بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٤٣٥.
(٣) منحة الكريم الوهاب في تفسير آيات الأحكام في سورة الأحزاب، أ. د. سليمان بن إبراهيم اللاحم: ص١٩٥ [ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م].
(٤) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٦٤٨، ٦٥٨. (٥) معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٢٠١.

وبركته وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة»[١].

والبيضاوي رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «(**الصلاة) في الأصل**: الدعاء، ومن الله تعالى: التزكية والمغفرة»[٢].

والآلوسي رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «**ومعناها الذي يناسب أن يراد هنا**: الثناء والمغفرة»[٣].

فهذه هي الأقوال التي ذكرت في معنى (الصلاة) من الله على هذا الرأي؛ وهي تفيد أن (الصلاة) من الله أفادت معنًى جديدًا غير معنى الرحمة.

ولذا رد أهل العلم تفسير (الصلاة) من الله أنها بمعنى الرحمة، وأنها من باب التأكيد بالمرادف، كما عليه أصحاب الرأي الأول.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وتُعُقِّبَ بأن الله غاير بين (الصلاة) و(الرحمة) في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾. وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، حتى سألوا عن كيفية الصلاة، مع تقدُّم ذكر الرحمة في تعليم السلام؛ حيث جاء بلفظ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ»، وأقرهم النبي ﷺ؛ فلو كانت (الصلاة) بمعنى (الرحمة) لقال لهم: قد عُلِّمتم ذلك في السلام»[٤].

ويؤيد هذا الاعتراض فهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للآية الكريمة؛ حيث فهم أن (الصلاة) و(الرحمة) شيئان متغايران، بقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «نعم العِدْلان! ونعم العِلاوة[٥]! ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ

---

(١) المحرر الوجيز: ١/ ٢٢٨.
(٢) أنوار التنزيل: ١/ ١١٥.
(٣) روح المعاني: ٢/ ٢٣.
(٤) فتح الباري: ١١/ ١٨٧.
(٥) **العِدْلان**: ـ بكسر المهملة ـ **أي**: المِثلان، وقوله: العِلاوة ـ بكسرها ـ أيضًا؛ **أي**: ما يعلَّق على البعير بعد تمام الحِمْل. فتح الباري: ٣/ ٢٢٠.

رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧]»(١).

قال شيخ زاده رحمه الله: «وقيل: المراد بـ(الصلاة) ها هنا: الرحمة؛ لما اشتهر أن الصلاة من الله الرحمة، وعطف قوله: ﴿وَرَحۡمَةٞۖ﴾ عليها لاختلاف اللفظتين، كما في قوله: ﴿سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٨]، ويأبى عنه ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: «نِعْمَ العِدْلان! ونِعْمَ العِلاوَة!»، جعل قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ عِدْلًا لقوله: ﴿وَرَحۡمَةٞۖ﴾ ولو كانا بمعنًى لما كانا عِدْلين، وجعل قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ عِلاوةً لهم»(٢).

وقد ضعَّفَ ابن القيم رحمه الله القول بأن (الصلاة) من الله بمعنى الرحمة ورده من وجوه(٣).

منها إضافة إلى ما ذكره ابن حجر رحمه الله:

- أن صلاة الله سبحانه خاصة بأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين،

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه معلقًا جازمًا به، كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى: ٢٠٨.
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وهذا الأثر وصله الحاكم في المستدرك: ح برقم (٣٠٦٨) ٢/ ٢٩٦، من طريق جرير عن منصور، عن مجاهد، عن سعيد بن المسيب عن عمر كما ساقه المصنف، وزاد: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ نعم العِدْلان! ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ نعم العِلاوة!» وظهر بهذا مراد عمر بالعِدْلين وبالعِلاوة، وأن العِدْلين: الصلاة والرحمة، والعلاوة: الاهتداء».
ينظر: فتح الباري: ٣/ ٢٢٠. وقال في تغليق التعليق عن إسناد الحاكم: «هذا إسناد صحيح، رواه عبد بن حميد في تفسيره عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن منصور».
ينظر: تغليق التعليق على صحيح البخاري أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمٰن موسى القزقي: ٢/ ٤٧٠ [ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمَّار، الأردن: ١٤٠٥هـ].
(٢) حاشية زاده: ١/ ٤٦٩. وينظر: روح المعاني: ٢/ ٢٣.
(٣) جلاء الأفهام: ص٢٥٨ ـ ٢٧٢.

وأما رحمته فوسعت كل شيء، فليست الصلاة مرادفة للرحمة، لكن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها وثمراتها، فمن فسرها بالرحمة فقد فسرها ببعض ثمرتها ومقصودها.

- أنه لا يقال لمن رحم غيره ورق عليه، فأطعمه، أو سقاه، أو كساه: إنه صلى عليه، ويقال: إنه قد رحمه.

- أنَّ أحدًا لو قال عن رسول الله: رَحِمَهُ اللهُ، أو قال: رسول الله رَحِمَهُ اللهُ، بدل ﷺ، لبادرت الأمة إلى الإنكار عليه وسمَّوه مبتدعًا غير موقِّر للنبي، ولا مصلٍّ عليه، ولا مثن عليه بما يستحقه، ولا يستحق أن يصلي الله عليه بذلك عشر صلوات، ولو كانت الصلاة من الله الرحمة لم يمتنع شيء من ذلك.

- أن هذه اللفظة لا تعرف في اللغة الأصلية بمعنى الرحمة أصلًا، والمعروف عند العرب من معناها، إنما هو الدعاء، والتبريك، والثناء.

• **وخلاصة القول**: التفريق بين اللفظتين أولى من القول بأنهما بمعنًى واحد، والجمع بينهما للتأكيد، وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد كما نص على ذلك بعضهم:

قال القونوي رَحِمَهُ اللهُ في معرض رده على من فسر (الصلاة) من الله بمعنى الرحمة: «فحينئذ يحتاج إلى النكتة في الجمع بينها وبين (الرحمة)، ولم يرض به المصنف(١) لكون التأسيس أولى من التأكيد»(٢).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وأمَّا من قال: إن (الصلاة) من الله تعالى تعني الرحمة، فإن هذا القول ضعيف؛ يُضَعِّفُه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ

(١) أي: البيضاوي، وقد فسر الصلاة من الله: بأنها «التزكية والمغفرة».
ينظر: أنوار التنزيل: ١/ ١١٥.
(٢) حاشية القونوي: ٤/ ٣٧٨.

صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾؛ ولو كانت (الصلاة) بمعنى الرحمة، لكان معنى الآية؛ أي: أولئك عليهم رحماتٌ من ربهم ورحمة، وهذا لا يستقيم! **والأصل في الكلام التأسيس**؛ فإذا قلنا: إن المعنى؛ **أي**: رحمات من ربهم ورحمة، صار عطف مماثل على مماثل»(١).

والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ **[البقرة: ١٥٩]**.

هذه الآية الكريمة فيمن آتاه الله علمًا فكتمه، توعده الله بهذا الوعيد الشديد، وهل المراد بالآية عموم من كتم؟ أم أنها خاصة في أهل الكتاب الذين كتموا ما أنزل الله في كتبهم من أمر النبي ﷺ؟

ذكر المفسرون أن الآية الكريمة في علماء اليهود والنصارى؛ لكتمانهم الناس أمر محمد ﷺ، وتركهم اتّباعه وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل(٢).

كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ولا يمتنع بعد ذلك حمل الآية على عمومها.

---

(١) شرح المنظومة البيقونية، محمد بن صالح العثيمين: ٢٢، ٢٣ [ط١، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م].

(٢) ينظر: تفسير مجاهد: ١/٩٣، وجامع البيان: ٢/٥٢، وبحر العلوم: ١/١٣٤، وتفسير القرآن العزيز: ١/١٩١، والكشف والبيان: ٢/٢٩، والنكت والعيون: ١/٢١٤، والوجيز للواحدي: ١/١٤١، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/١٦٠، ومعالم التنزيل: ١/١٣٤، وزاد المسير: ١/١٦٥، ولباب التأويل: ١/١٨٦.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بعض الناس؛ لأن العلم بنبوة محمد وصفته ومبعثه لم يكن إلا عند أهل الكتاب دون غيرهم، وإياهم عنى تعالى ذكره بقوله: ﴿لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ويعني بذلك: التوراة والإنجيل، وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس، فإنها معنيٌّ بها كلُّ كاتم علمًا فرض الله تعالى بيانه للناس»[(١)].

وقال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾: أمر محمد ﷺ، ثم يعمُّ بعد كلَّ ما يُكتم من خير»[(٢)].

ومن خلال النظر في مراد أهل العلم بـ ﴿ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ على أن الآية الكريمة في علماء اليهود والنصارى تبين لي أن لهم رأيين في ذلك:

الرأي الأول: أن ﴿ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ بمعنًى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا:

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن ﴿ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ واحد، والجمع بينهما تأكيد، وذلك ما أبان عن نبوته وهدى إلى اتباعه»[(٣)].

وذكر هذا القول أيضًا: أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند بيانه المراد بـ(الرحمة) في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]: «وكرر (الرحمة) لمَّا اختلف اللفظ تأكيدًا وإشباعًا للمعنى، كما قال: ﴿مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ وقوله: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾ [الزخرف: ٨٠]»[(٥)].

---

(١) جامع البيان: ٢/ ٥٣.
(٢) المحرر الوجيز: ١/ ٢٣١.
(٣) النكت والعيون: ١/ ٢١٤. وينظر: تفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/ ١٦٥.
(٤) البحر المحيط: ١/ ٦٣٣.
(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ٤٦٨.

وما ذكره الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «وذلك ما أبان عن نبوته وهدى إلى اتباعه»[١] هو الذي يفهم من كلام بعض المفسرين أن اللفظين بمعنًى واحد، كما قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ التي أنزلها الله ما بَيَّن من أمر نبوة محمد، ومبعثه، وصفته في الكتابين اللذين أخبر الله تعالى ذكره أن أهلهما يجدون صفته فيهما، ويعني تعالى ذكره بـ ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾: ما أوضح لهم من أمره في الكتب التي أنزلها على أنبيائهم»[٢].

وقال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾: أمر محمد ﷺ»[٣].

الرأي الثاني: أن ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ ليسا بمعنى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن المراد بـ ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الأحكام والحلال والحرام والفرائض والحدود كآية الرجم[٤]، ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾: أمر النبي ﷺ ونعته وصفته.

---

(١) النكت والعيون: ١/٢١٤.

(٢) جامع البيان: ٢/٥٣.

(٣) المحرر الوجيز: ١/٢٣١.

(٤) فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أُتِيَ النبي ﷺ برجل وامرأة من اليهود قد زنيا، فقال لليهود: (مَا تَصْنَعُونَ بِهِمَا؟) قالوا: نُسَخِّمُ وجوههما ونُخزيهما، قال: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]. فجاؤوا، فقالوا لرجل ممن يرضون أعور: اقرأ، فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه،، قال: (ارْفَعْ يَدَكَ)، فرفع يده، فإذا فيه آية الرجم تَلُوح، فقال يا محمد: إن عليهما الرجم، ولكنا نتكاتمه بيننا، فأمر بهما فرجما، فرأيته يُجانئُ عليها الحجارة».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها، لقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] ح برقم (٧٥٤٣) ١٣٠٢.

وقوله: نُسخِّم وجوههما؛ أي: نُسوِّدهما. ينظر: القاموس المحيط، مادة: (سخم)، باب الميم فصل السين: ١١٢٠. =

وهو اختيار: أبي الليث السمرقندي، والثعلبي، والواحدي، وابن الجوزي[١].

القول الثاني: أن المراد بـ ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الآيات الشاهدة على أمر محمد ﷺ، «أي: الآيات الواضحة الدلالة على أمر الرسول ﷺ؛ من نعوته الشريفة وحقيقته، وكونه صاحب القرآن، ونبي آخر الزمان»[٢]، ويكون ذلك عن طريق ما أنزل الله على أنبيائه من الكتب والوحي[٣]، ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾: ما يهدي إلى وجوب اتباعه والإيمان به.

وهو اختيار: الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، وأبي السعود، رحمهم الله[٤].

القول الثالث: أن المراد بـ ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ جمع بيِّنة؛ وهي: الحجة؛ وشمل ذلك ما هو من أصول الشريعة مما يكون دليلًا على أحكام كثيرة، ويشمل الأدلة المرشدة إلى الصفات الإلٰهية، وأحوال الرسل، وأخذ العهد عليهم في اتباع كل رسول جاء بدلائل صدق، لا سيَّما الرسول المبعوث في إخوة إسرائيل، وهم العرب الذين ظهرت بعثته بينهم، وانتشرت منهم، ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾ هو ما به الهدى؛ **أي**: الإرشاد إلى طريق الخير؛ فيشمل آيات الأحكام التي بها صلاح الناس في أنفسهم وصلاحهم في مجتمعهم.

= وقوله: **يُجانئُ عليها الحجارة؛ أي**: يُكِبُّ ويميل عليها ليقيَها الحجارة. **ينظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (جنأ)، باب الجيم والنون: ص١٦٧.

(١) **ينظر**: بحر العلوم: ١/ ١٣٤، والكشف والبيان: ٢/ ٢٩، والوجيز للواحدي: ١/ ١٤١، وزاد المسير: ١/ ١٦٥.

(٢) حاشية القونوي: ٤/ ٣٨٥.

(٣) حاشية زاده: ١/ ٤٧١.

(٤) **ينظر**: الكشاف: ١/ ٢٣٥، وأنوار التنزيل: ١/ ١١٦، ومدارك التنزيل: ١/ ١٤٠، وإرشاد العقل السليم ١/ ١٨٢ والسراج المنير: ١/ ١٢٣.

وهو اختيار: الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

فهذه هي مجمل الأقوال التي ذكرها أهل العلم في المراد بـ ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾. والذي يظهر - والعلم عند الله: - **أن المراد بـ** ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الحجج القوية التي كتمها أهل الكتاب؛ **ويدخل في ذلك**: الأحكام، والحلال والحرام، والحدود كآية الرجم، والآيات الواضحة الدلالة على أمر الرسول ﷺ؛ من نعوته الشريفة وحقيقته، وكونه صاحب القرآن، ونبي آخر الزمان.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: «﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]:

لم يبين هنا شيئًا من ذلك الكثير الذي يبينه لهم الرسول ﷺ مما كانوا يخفون من الكتاب؛ **يعني**: التوراة والإنجيل، وبيَّن كثيرًا منه في مواضع أخر. **فمما كانوا يخفون من أحكام التوراة**: رجم الزاني المحصن، وبيَّنه القرآن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]؛ **يعني**: يُدعون إلى التوراة ليحكم بينهم في حدِّ الزاني المحصن بالرجم، وهم معرضون عن ذلك منكرون له.

ومن ذلك: ما أخفَوه من صفات الرسول ﷺ في كتابهم، وإنكارهم أنهم يعرفون أنه هو الرسول، كما بيَّنه تعالى بقوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

(١) التحرير والتنوير: ٢/٦٦.

ومن ذلك: إنكارهم أن الله حرم عليهم بعض الطيبات بسبب ظلمهم ومعاصيهم، كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، وقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، فإنهم أنكروا هذا، وقالوا لم يحرم علينا إلا ما كان محرمًا على إسرائيل، فكذبهم القرآن في ذلك في قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]. إلى غير ذلك من الآيات المبينة لما أخفوه من كتبهم»[(١)].

وأمَّا قوله: ﴿وَالْهُدَىٰ﴾ فالمراد به: ما يهدي إلى وجوب اتباع النبي ﷺ والإيمان به، ويدخل في ذلك العلم الذي تحصل به الهداية إلى ذلك، وكذلك البشارة بمبعثه ﷺ؛ لأن ذلك سبب اهتداء الناس إلى نبوته، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقد ذكر المفسرون عند كلامهم على تكرار الهدى في قول الله ﷻ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

أن المراد بقوله: ﴿وَهُدًى﴾ الثانية: اشتمال الإنجيل على البشارة بمجيء محمد ﷺ؛ لأن ذلك سبب اهتداء الناس إلى نبوته.

---

(١) أضواء البيان: ٢/ ٧٠، ٧١.

قال الرازي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما كونه ﴿هُدًى﴾ مرة أخرى؛ فلأن اشتماله على البشارة بمجيء محمد ﷺ سبب لاهتداء الناس إلى نبوّة محمد ﷺ، ولما كان أشد وجوه المنازعة بين المسلمين وبين اليهود والنصارى في ذلك؛ لا جَرَمَ أعاده الله تعالى مرة أخرى؛ تنبيهًا على أن الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوّة محمد ﷺ، فكان ﴿هُدًى﴾ في هذه المسألة التي هي أشد المسائل احتياجًا إلى البيان والتقرير»(١).

وهذا ما نص عليه: النيسابوري، والخازن، وأبو حيان، وابن عادل، والآلوسي رحمهم الله(٢).

وقرر الشنقيطي هذا المعنى عند تفسير الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].

فقال رَحِمَهُ اللهُ: «لم يبين هنا شيئًا مما أنزل في الإنجيل الذي أمر أهل الإنجيل بالحكم به، وبيَّن في مواضع أخر أن من ذلك البشارة بمبعث نبينا محمد ﷺ، ووجوب اتِّباعه، والإيمان به كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، إلى غير ذلك من الآيات(٣).

وما ذكر من التفريق بين ﴿الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ في الآية الكريمة هو الأولى؛ وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) التفسير الكبير: ١٢/ ٢٦٤.

(٢) ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٥٩٧، ولباب التأويل: ٢/ ١٥٠، والبحر المحيط: ٣/ ٥١١، واللباب في علوم الكتاب: ٧/ ١٥٠، وروح المعاني: ٦/ ١٥٠.

(٣) أضواء البيان: ٢/ ١٢٩.

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

(الدعاء) و(النداء) من الألفاظ الموهمة بالترادف، «وهما يشتركان في طلب الإقبال من المدعوّ والمنادى»(١).

وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة في تشبيه هؤلاء الكفار كشبه الذي يَنْعِقُ بما لا يسمع. والذي يَنْعِقُ هو منادي الحيوانات، والذي لا يسمع إلا دعاء ونداء هو الحيوان؛ يعني: كمثل الراعي يَنْعِقُ للإبل، يَنْعِقُ للغنم، يَنْعِقُ للبقر، فتقبل إليه من غير أن تدري ماذا يصنع، حتى إنه ربما يَنْعِقُ بها ليذبحها، ووجه الشبه: أن هؤلاء الكفار يتبعون من يتبعون من آباءهم وكبراءهم، وهم لا يعلمون أنهم يجرُّونهم إلى الهلاك(٢).

ومن خلال النظر في معنى (الدعاء) و(النداء) في الآية الكريمة وسر الجمع بينهما تبين لي أن لأهل العلم فيهما رأيين:

الرأي الأول: أنهما بمعنى واحد، وجمع بينهما توكيدًا:

قال عبد القاهر الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الدعاء) و(النداء) واحد، جَمَعَ للتأكيد، يقعان جهرًا وخفية»(٣).

وقال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهم في ذلك كالبهائم التي يُنعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه، وتحس بالنداء ولا تفهم معناه»(٤).

قال القونوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يبين ـ أي: البيضاوي ـ الفرق بين الدعاء والنداء، والظاهر من كلامه أنهما بمعنى واحد جُمعا للتأكيد، وقيل:

---

(١) دراسات جديدة في إعجاز القرآن «مناهج تطبيقية في توظيف اللغة»، د. عبد العظيم بن إبراهيم المطعني: ٢٥٢ [ط١، مكتبة وهبة القاهرة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م].
(٢) أحكام من القرآن الكريم، محمد بن عثيمين: ٢/ ٤٤٦.
(٣) درج الدرر: ١/ ٣٣٤.
(٤) أنوار التنزيل: ١/ ١١٩.

(الدعاء) للقريب، و(النداء) للبعيد، ولا يخفى عليك أن كلام النحاة أن (يا) للبعيد، و(أي) للقريب لا يلائمه، وأيضًا يستعمل كل منهما في موضع الآخر، والظاهر عدم الفرق»(١).

وقال الجمل رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾: هما بمعنى واحد، وسَوَّغَ العطف اختلاف اللفظ»(٢).

وقال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(الدعاء) و(النداء) بمعنى»(٣).

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الدعاء) كـ(النداء)، إلا أن (النداء) قد يقال: بـ(يا) أو (أيا) ونحو ذلك من غير أن يُضمَّ إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا (إذا) كان معه الاسم نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر»(٤).

والنداء هو الدعاء في بعض معاجم اللغة. قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنُّداء: الصوت، مثل الدُّعاء»(٥).

الرأي الثاني: أن (الدعاء) و(النداء) ليسا بمعنى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن (النداء) للبعيد، و(الدعاء) للقريب.

---

(١) حاشية القونوي: ٤/ ٤٣٥، ٤٣٦.

(٢) الفتوحات الإلٰهية: ١/ ٢٢٣.

(٣) روح المعاني: ٢/ ٤١.

(٤) المفردات، مادة: (دعا)، باب الدال: ١٧٧.
وينظر: عمدة الحفاظ، مادة: (دعو)، باب الدال، فصل الدال والعين: ٢/ ١٣، ١٤، وبصائر ذوي التمييز: ٢/ ٦٠٠.

(٥) لسان العرب، مادة: (ندي): ١٥/ ٣١٥. **وينظر:** تهذيب اللغة: مادة: (ندى)، باب الدال والنون: ١٤/ ١٣٥، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد المقرئ الفيومي: مادة: (ندى)، كتاب النون: ٢/ ٥٩٩ [المكتبة العلمية، بيروت، بدون].

وهو اختيار القرطبي قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن ذلك تسمية الأذان بالصلاة: نداء؛ لأنه للأباعد»(١).

القول الثاني: (النداء) ما يُسْمَع، و(الدعاء) قد يُسْمَع وقد لا يُسْمَع؛ وهو اختيار النسفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

قال أبو هلال العسكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(النداء) هو رفع الصوت بما له معنى، والعربي يقول لصاحبه: نادِ معي، ليكون ذلك أندى لصوتنا؛ أي: أبعدَ له، و(الدعاء) يكون برفع الصوت وخفضه، يقال: دعوته من بعيد، ودعوت الله في نفسي، ولا يقال: ناديته في نفسي»(٣).

وقد رد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول الأول والثاني بقوله: «وقيل: (الدعاء) للقريب و(النداء) للبعيد، وقيل: (الدعاء) ما يُسمع و(النداء) قد يسمع وقد لا يسمع. ولا يصح»(٤).

القول الثالث: أن (الدعاء) طلب الفعل، و(النداء) إجابة الصوت.

نسبه أبو حيان إلى علي بن عيسى(٥) (الرُّمَّاني) رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٦).

قال أبو هلال العسكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصل (الدعاء) طلب الفعل، دعا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٢١. وينظر: حاشية زاده: ١/ ٤٧٩، وحاشية القونوي: ٤/ ٤٣٦، وروح المعاني: ٢/ ٤١، والتحرير والتنوير: ٢/ ١١٣.

(٢) مدارك التنزيل: ١/ ١٤٤، وينظر: روح المعاني: ٢/ ٤١، والتحرير والتنوير: ٢/ ١١٣.

(٣) الفروق اللغوية: ٤٩.

(٤) التحرير والتنوير: ٢/ ١١٣.

(٥) علي بن عيسى بن علي، أبو الحسن، الرماني، النحوي، كان إمامًا في العربية، علَّامة في الأدب، معتزليًّا، متفننًا في علوم كثيرة من القراءات، والفقه، والكلام على مذهب المعتزلة، من مصنفاته: «التفسير» و«شرح أصول ابن السراج» و«معاني الحروف»، توفي سنة (٣٨٤هـ).
ينظر: بغية الوعاة: ٢/ ١٨٠، وطبقات المفسرين للداوودي: ٢٩٠.

(٦) البحر المحيط: ١/ ٦٥٨.
وينظر: الدر المصون: ٢/ ٢٣٤، واللباب في علوم الكتاب: ٣/ ٦٥٨.

يدعو وادَّعى ادِّعاء؛ لأنه يدعو إلى مذهب من غير دليل، وتداعى البناء: يدعو بعضه بعضًا إلى السقوط»(١).

وقال ابن عرفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعادتهم يفرقون بين (الدعاء) و(النداء) بأن الدعاء يكون بلفظ الطلب، وسواء كان معه نداء أو لم يكن»(٢).

القول الرابع: المراد بهما نوعان من الأصوات التي تفهمها الغنم؛ فـ(الدعاء) ما يخاطب به الغنم من الأصوات الدالة على الزجر وهي أسماء الأصوات، و(النداء) رفع الصوت عليها لتجتمع إلى رعاتها، **أو المراد به هنا**: نداء الرِّعاء بعضهم بعضًا للتعاون على ذَوْدِ الغنم؛ وهو اختيار الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ(٣).

القول الخامس: أن (الدعاء) إذا كان يدعو شيئًا معينًا باسمه، و(النداء) يكون للعموم؛ وهو اختيار ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ(٤).

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: «﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠]، قال: «دعاهُنَّ بأسمائهن، فأقبلن إليه»(٥).

فهناك بهائم يسمِّيها الإنسان باسمها؛ بحيث إذا ناداها بهذا الاسم أقبلت إليه، والنداء العام لجميع البهائم هذا لا يختص به واحدة دون أخرى؛ فتقبل الإبل جميعًا، لكن مع ذلك لا تقبل على أساس أنها تعقل، وتفهم، وتهتدي، ربما يناديها لأجل أن ينحرها(٦).

---

(١) الفروق اللغوية: ٤٩.
(٢) تفسير ابن عرفة: ٥٠٤.
(٣) التحرير والتنوير: ٢/١١٣.
(٤) تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة): ٢/ ٢٤٤.
(٥) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٩٥٦.
(٦) تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة): ٢/ ٢٤٤.

قال عبد القاهر الجرجاني رحمه الله: «وقيل: (النداء) أعم، ويكون عند رفع الصوت»(١).

فهذه هي الأقوال التي ذكرت في التفريق بين (الدعاء) و(النداء) في الآية الكريمة؛ وهي تفيد أن (الدعاء) و(النداء) من الأصوات التي تفهمها البهائم عند دعائها(٢)، ويكون ذلك عن طريق الترقي في الصوت فالدعاء أولًا، ثم النداء ثانيًا. فالبهائم تقبل بدعاء الراعي لها وذلك بمجرد سماع الصوت، أو سماع الراعي يناديها باسمها، فإذا رفع صوته عليها اجتمعت جميعها وانزجرت بندائه عليها. قال محمد رشيد رضا رحمه الله: «تُقبل بدعائه، وتنزجر بندائه»(٣).

وهذا التفريق هو الموافق لاستعمال النداء في لغة العرب؛ فالعرب تقول: فلان أندى صوتًا من فلان؛ أي: أرفع(٤).

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «وأصل (النِّداء) من الندى؛ أي: الرطوبة، يقال: صوت نديٌّ رفيع، واستعارة النداء للصوت من حيث إن من يكثر رطوبة فمه حَسُنَ كلامه، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق»(٥).

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث الأذان الطويل وفيه: فقال: (أَلْقِهِ

---

(١) درج الدرر: ١/ ٣٣٤.

(٢) عقد الثعالبي رحمه الله الفصل الخامس من كتابه فقه اللغة بعنوان: «في الأصوات بالدعاء والنداء». ذكر فيه عددًا من الأصوات التي تنادى وتدعى بها الحيوانات.
ينظر: فقه اللغة وأسرار العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي: ٤٦ [بدون].

(٣) تفسير المنار: ٢/ ٩٤.

(٤) ينظر: كتاب العين، باب الدال والنون: ٨/ ٧٨، وتهذيب اللغة: مادة: (ندى)، باب الدال والنون: ١٤/ ١٣٥، ومقاييس اللغة، مادة: (ندي)، كتاب النون، باب النون والدال وما يثلثهما: ٥/ ٤١٢.

(٥) المفردات، مادة: (ندا)، كتاب النون: ص٥٠٩.

عَلَى بِلَالٍ(١)**؛ فَإِنَّهُ أَنْدَىٰ مِنْكَ صَوْتًا)**(٢).

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أرفع وأعلى، وقيل: أحسن وأعذب، وقيل: أبعد»(٣).

فإذًا (الدعاء) غير (النداء)، والجمع بينهما ليس للتأكيد، كما عليه أصحاب الرأي الأول، **وهذا ما نص عليه بعض أهل العلم:**

قال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وها هنا سؤال، وهو**: هل هذا من باب التكرارِ لَمَّا اختلف اللفظ فإنَّ الدعاء والنداء واحدٌ؟ **والجوابُ**: أنه ليس كذلك؛ فإنَّ (الدعاء) طلب الفعل، و(النداء) إجابة الصوت. ذكر ذلك عليُّ بن عيسى»(٤).

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(الدعاء) و(النداء) قيل: بمعنى

---

(١) بلال بن رباح، الحبشي المؤذن، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد، فأعتقه فلزم النبي ﷺ وأذّن له، وشهد معه جميع المشاهد، وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، ثم خرج بلال بعد النبي ﷺ مجاهدًا إلى أن مات بالشام، ومناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة (٢٠هـ). ينظر: الإصابة: ١/ ٣٢٦.

(٢) ينظر: مسند الإمام أحمد: ح برقم (١٦٥٩٢) ١١٧٣، وسنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا: كتاب الصلاة، باب في بدء الأذان، ح برقم (١١٧١) ١/ ٢٨٤، ٢٨٥ [ط٢، دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م]، وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، ح برقم (٤٩٩) ١/ ١٣٥، وسنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الأذان والسُّنَّة فيها، ح برقم (٧٠٦) ١/ ٢٣٢ [دار الفكر، بيروت، بدون]، وسنن الترمذي، أبواب بدء الصلاة، باب بدء الأذان: ح برقم (١٨٩) ١/ ٣٥٨، وصحيح ابن حبان، ح برقم (١٦٧٩) ٤/ ٥٧٢، وسنن الدارقطني: ح برقم (٩٣٥) ١/ ٤٥١. قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». ينظر: سنن الترمذي: ١/ ٣٥٩. وصححه الألباني. ينظر: مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني: ح برقم (٦٥٠) ١/ ١٤٤ [ط٣، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤٠٥/ ١٩٨٥م].

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (ندا)، باب النون مع الدال: ٩٠٨.

(٤) الدر المصون: ٢/ ٢٣٤.

واحد، فهو تأكيد. ولا يصح، ولا يجوز أن يكونا بمعنى واحد مع وجود العطف»[١].

ويعضد هذا الرأي أيضًا ما قرره بعض أهل العلم بقولهم: «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[٢]، وهو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد.

ويحسن في ختام الكلام على لفظتي (الدعاء) و(النداء) في الآية الكريمة أن نشير إلى أن (الدعاء) و(النداء) لم يجتمعا في آية واحدة في القرآن الكريم إلا في الآية التي معنا، وقد وردا في القرآن الكريم في مواطن يظن أنهما بمعنى واحد ومن ذلك سؤال الأنبياء لربهم. فقال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، وقال في موضع آخر: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقال عن زكريا عليه السلام: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقال في موضع آخر: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

وقد قام د. عبد العظيم المطعني بدراسة مستفيضة حول لفظي (الدعاء) و(النداء) في القرآن الكريم، ومنها المواضع السابقة التي أشرت إليها، فقال في مقدمة الدراسة: «(الدعاء) و(النداء) من الكلمات القرآنية، وهما تشتركان في طلب الإقبال من المدعوِّ والمنادى، وكان هذا الاشتراك حريًّا بأن يكونا في لغة القرآن متساويين لا تفرقة بينهما،

---

(١) التحرير والتنوير: ٢/ ١١٣.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

لكن استقراء مواضع ورودهما في القرآن الحكيم يكشف عن فروق دقيقة بينهما، فهذه غير تلك، وتلك غير هذه، وأن لكل منهما مقامًا خاصًا بهما»(١). والله تعالى أعلم بكتابه.

❊ ❊ ❊

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(البأساء) و(الضراء) من الألفاظ الموهمة بالترادف، **وقد اقترنا في أربعة مواضع من كتاب الله تعالى، الأول**: هذا الموضع في سورة البقرة، **والثاني**: قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، **والثالث**: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، **والرابع**: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

ومن خلال النظر في أقوال أهل العلم في المراد بهما في جميع المواضع تبين لي أن لأهل العلم فيهما رأيين:

الرأي الأول: أن ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ **بمعنى واحد:**

قال القاسمي رحمه الله: «﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾؛ أي: الشدة؛ أي: عند حلولها بهم ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾؛ بمعنى: البأساء؛ وهي الشدة أيضًا»(٢).

---

(١) دراسات جديدة في إعجاز القرآن «مناهج تطبيقية في توظيف اللغة»، د. عبد العظيم المطعني: ٢٥٢ ـ ٢٦٨. وأحب أن أشير أنه لم يتعرض للآية الكريمة محل الدراسة معنا، وعن سر الجمع بين النداء والدعاء فيها.

(٢) محاسن التأويل: ١/ ٤٤٣.

وفسرهما في قوله تعالى: ﴿مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة: ٢١٤] بقوله: «﴿مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾؛ أي: الشدائد والآلام»[(١)].

وفسَّر مقاتل بن سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ بقوله: «﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾؛ يعني: الشدة، وهي البلاء ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾؛ يعني: البلاء»[(٢)]. ومعنى البلاء عام يدخل فيه الفقر وضيق العيش، والأمراض والأسقام، فعلى هذا التفسير الذي ذكره يكون معنى اللفظتين واحدًا.

وكذلك فسر ابن الهائم رَحِمَهُ ٱللَّهُ اللفظتين بمعنى واحد فقال: «﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾؛ أي: البأس؛ أي: الشدة وهو أيضًا البؤس؛ أي: الفقر وسوء الحال، ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾: الفقر، والقحط، وسوء الحال، وأشباه ذلك»[(٣)].

وذكر القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بأنه قد يوضع كل واحد منهما موضع الآخر»[(٤)].

وما ذكره القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقع لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد فسر ﴿ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في آيتي البقرة، وآية الأنعام بأنَّ ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾: الفقر وضيق العيش، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ هي: الأمراض والأسقام والآلام[(٥)]، بينما فسَّر ﴿ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في آية الأعراف بأن ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾: ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: ما يصيبهم من فقر وحاجة، ونحو ذلك[(٦)].

---

(١) محاسن التأويل: ١/ ٤٤٣. (٢) تفسير مقاتل: ١/ ١٢٢.
(٣) التبيان في تفسير غريب القرآن: ص١١٩.
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٧٧.
(٥) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٧٣، ٣٢٨ و٢/ ١٨١.
(٦) المصدر السابق: ٢/ ٣١٢.

الرأي الثاني: التفريق بين ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في المعنى، وأنهما ليسا بمعنى واحد:

قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلف المفسرون في (البأساء) و(الضراء)، فأكثرهم على أن ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ هو الفقر، وأن ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الزمانة في الجسد، وإن اختلفت عبارتهم في ذلك»[(١)].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأكثر العلماء على أن (البأساء) ما كان من جهة الفقر، والفاقة، والجوع، وضياع الأموال، وأن ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ هي ما كان من قبيل أمراض الجسوم وآلامها، وما يقع فيها»[(٢)].

وعلى ما ذكره الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختلفت عبارات أهل العلم، وما ذكروه داخل في معنى ﴿ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾.

فأمَّا: ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ فهي الشِّدّة عمومًا؛ ولكن أكثر ما تُستعمل في الأموال والأنفس، ومما ذكره أهل العلم في معناها:

- الفقر[(٣)].

---

(١) البحر المحيط: ٢/ ١٠.
(٢) العذب النمير: ١/ ٢٤٥.
(٣) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١/ ١٦٦، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٧٠، وجامع البيان: ٢/ ٣٤١، وتفسير ابن أبي حاتم: ٢/ ٨٠ و٤/ ١٢٨٩، ٤٢٩٠ و٥/ ١٥٢٥، ومعاني القرآن للنحاس: ٢/ ٤٢٣، وبحر العلوم: ١/ ١٦٧، وتفسير القرآن العزيز: ١/ ١٩٠، والكشف والبيان: ٢/ ٢١٦ و٤/ ٦٨، وتفسير المشكل من غريب القرآن: ص٣٦، والنكت والعيون: ١/ ١٩٧، والوجيز للواحدي: ١/ ١٤٧، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٢١٥، ومعالم التنزيل: ١/ ١٨٧، والكشاف: ١/ ٢٤٥ و٢/ ٥٤٩، والمحرر الوجيز: ١/ ٢٤٤، وتذكرة الأريب: ١/ ٦٧، والتفسير الكبير: ٥/ ١٧٩، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/ ١٨٤، ومجموع الفتاوى: ٢٨/ ٤٦٠، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١/ ٤٥٥، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ٦٩، ولباب التأويل: ١/ ٤٥٥، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٧٣، ٣٢٨ و٢/ ١٨١، وتفسير ابن عرفة: ٥١٧، واللباب في علوم الكتاب: ٣/ ٥١٣، وتفسير الجلالين: ص٢٧، ٣٣، ١٣٢، ١٦٢، والسراج المنير: ١/ ١٣٣، ١٦٠، ٤٨٦، ٥٧١، وإرشاد =

- أو الضيق في المعيشة، وشَظَفها وشدَّة المعاش[١].
- أو الجوع[٢].
- أو الخوف من السلطان وغيره[٣].
- أو القحط والجُدوبة[٤].
- أو المصائب في المال من فَقْد أو غيره[٥].

وقد لخَّص ابن بدران رحمه الله هذه المعاني بقوله: «﴿فِي ٱلْبَأْسَآءِ﴾؛ أي: عند حلول الشدة بهم في أنفسهم من الله بلا واسطة، أو منه بواسطة العباد»[٦].

= العقل السليم: ٣/ ٢٦٥، وفتح القدير: ١/ ٣٢١، وروح المعاني: ٢/ ٤٨، وتفسير المنار: ٢/ ١٢١، ومحاسن التأويل: ٣/ ٦١٧، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٨٣، ٩٦، ٢٥٦، ٢٩٧، والعذب النمير: ١/ ٢٤٥و ٣/ ٦٢٧، وتفسير القرآن الكريم (سورة البقرة): ٢/ ٢٨٠ و٣/ ٣٩.

(١) ينظر: جامع البيان: ٧/ ١٩٢ و٩/ ٤٠٤، وتفسير القرآن العزيز: ٢/ ٦٨، والكشف والبيان: ٤/ ٥٤٩، ومعالم التنزيل: ٣/ ٥٤٩، ولباب التأويل: ٢/ ٢٦٥، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ١٨١، والسراج المنير: ١/ ٥٧١.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ١٩٩، ومعاني القرآن للنحاس: ٢/ ٤٢٣، والكشف والبيان: ٤/ ٦٨، والنكت والعيون: ٢/ ، ٥٩٤، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ١٧٢ و٢/ ١٠٣، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/ ٤٩٣، ومدارك التنزيل: ٢/ ١٨، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣/ ٣٢٢، ولباب التأويل: ٢/ ١٣٣.

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٥/ ١٥٢٥، وبحر العلوم: ١/ ٤٦٨ و٥٤٩، وزاد المسير: ٣/ ٣٨.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ٤٠٤، وبحر العلوم: ١/ ٥٤٩، وتفسير القرآن العزيز: ٢/ ٦٨، والنكت والعيون: ٢/ ٥٩٤، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/ ٤٩٣، ومدارك التنزيل: ٢/ ١٨، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣/ ٣٢٢، ومحاسن التأويل: ٣/ ٣١٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٣/ ٥٦، وتفسير القرآن للسمعاني: ٢/ ١٠٣، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/ ٤٩٣، والجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٧٧، ومجموع الفتاوى: ١٠/ ٤١، وتفسير ابن عرفة: ٦١١، وروح المعاني: ٩/ ٩، والتحرير والتنوير: ٢/ ١٣١.

(٦) جواهر الأفكار: ٤٧٢.

وأمَّا قوله: ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ فتكون في الأبدان[1]، ومما ذكره أهل العلم في معناها:

- المرض، والسَّقَم، والزَّمانة في الجسد[2].
- أو العلل العارضة في الأجسام[3].
- أو الجِرَاح[4].
- أو الأوجاع[5].
- أو الآلام[6].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٣/٥٦، والجامع لأحكام القرآن: ٨/٣٧٧، ومجموع الفتاوى: ١٠/٤١، وتفسير ابن عرفة: ٦١١.

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١/١٦٦، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٧٠، وجامع البيان: ٢/٣٤١، وتفسير ابن أبي حاتم: ٢/٨٠ و٤/١٢٨٩، ٤٢٩٠ و٥/١٥٢٥، ومعاني القرآن للنحاس: ٢/٤٢٣، وبحر العلوم: ١/١٦٧، وتفسير القرآن العزيز: ١/١٩٠، والكشف والبيان: ٢/٢١٦ و٤/٦٨، وتفسير المشكل من غريب القرآن: ص٣٦، والنكت والعيون: ١/١٩٧، والوجيز للواحدي: ١/١٤٧، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/٢١٥، ومعالم التنزيل: ١/١٨٧، والكشاف: ١/٢٤٥ و٢/٥٤٩، والمحرر الوجيز: ١/٢٤٤، وتذكرة الأريب: ١/٦٧، والتفسير الكبير: ٥/١٧٩، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/١٨٤، ومجموع الفتاوى: ٢٨/٤٦٠، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١/٤٥٥، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/٦٩، ولباب التأويل: ١/٤٥٥، وتفسير القرآن العظيم: ١/٢٧٣، ٣٢٨ و٢/١٨١، وتفسير ابن عرفة: ٥١٧، واللباب في علوم الكتاب: ٣/٥١٣، وتفسير الجلالين: ص٢٧، ٣٣، ١٣٢، ١٦٢، والسراج المنير: ١/١٣٣، ١٦٠، ٤٨٦، ٥٧١، وإرشاد العقل السليم: ٣/٢٦٥، وفتح القدير: ١/٣٢١، وروح المعاني: ٢/٤٨، وتفسير المنار: ٢/١٢١، ومحاسن التأويل: ٣/٦١٧، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٨٣، ٩٦، ٢٥٦، ٢٩٧، والعذب النمير: ١/٢٤٥و ٣/٦٢٧، وتفسير القرآن الكريم (سورة البقرة): ٢/٢٨٠ و٣/٣٩.

(٣) جامع البيان: ٧/١٩٢.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز: ١/٢١٦ و٢/٦٨، وتفسير المنار: ٢/١٢١.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العزيز: ٢/٦٨، والتفسير الكبير: ١٢/١٨٥. ولباب التأويل: ٢/٣٢٢.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢/١٨١، واللباب في علوم الكتاب: ٣/٥١٣.

ويرى ابن بدران أن يفسر قوله: ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ بكل ما يضُرُّ، سواء كان الضرر في الأبدان أو في الأموال فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأولى أن يفسر بكل ما يضر، سواء كان الضرر في الأبدان أو في الأموال، وفسرها في «القاموس»[1] بالشدة والنقص في الأموال والأنفس، فهو حينئذ أعم؛ ليكون الأخص مذكورًا مرتين؛ مرة في ضمن الأعم وهو ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ ومرة بنفسه»[2].

• **وخلاصة القول**: أن التفريق بين ﴿ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في المعنى أولى من حملهما على معنًى واحد، فـ ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾: الشِّدّة عمومًا؛ ولكن أكثر ما تُستعمل في الأموال والأنفس، وأمَّا ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ فتكون في الأبدان. فيكون هذا التفريق موافقًا لما قرره بعض أهل العلم بقولهم: «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[3]. وكذلك لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١].

جاءت هذه الآية الكريمة في بيان أجر الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، وهذه (النعمة) وهذا (الفضل) يستبشر بهما كل من قتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ويدخل في ذلك دخولًا أوليًّا من ذكر في سياق الآيات الكريمة، وهم شهداء أُحُد.

---

(١) القاموس المحيط، مادة: (الضر)، باب الراء فصل الضاد: ٤٢٨.
(٢) جواهر الأفكار: ٤٧٢، ٤٧٣.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

وقد ذكر من ثوابهم الذي يستبشرون به (النعمة) و(الفضل) من الله وذلك في قوله: ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ فهل النعمة والفضل بمعنى واحد، أم بينهما فرق في المعنى؟

لأهل العلم رأيان في ذلك:

الرأي الأول: أن (النعمة) و(الفضل) بمعنى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا للمعنى:

فـ(النعمة) و(الفضل): ما يُنعم الله به على عباده ويتفضَّل به عليهم، فعلى هذا يكونان بمعنًى واحد، والجمع بينهما للتأكيد.

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: ذكر (الفضل) تأكيدًا لـ(نعمة)»[(١)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: جاء (الفضل) بعد (النعمة) على وجه التأكيد»[(٢)].

وذكر الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه كثيرٌ ما يعبر بهما عن معنى واحد؛ فيحتمل أن يكون جمع بينهما تأكيدًا»[(٣)].

الرأي الثاني: أن (الفضل) و(النعمة) ليسا بمعنًى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن (النعمة) من الله: الرحمة، **و(الفضل)**: الرزق؛ وهو اختيار مقاتل بن سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)].

القول الثاني: أن (النعمة) من الله: ما حباهم به تعالى ذكره من

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٧٩. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٦/ ٥٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٤١٧، وينظر: فتح القدير: ١/ ٦٤٨.
(٣) روح المعاني: ٤/ ١٢٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٢٠٤.

عظيم كرامته عند ورودهم عليه، و(**الفضل**): بما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب، على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله ﷺ، وجهاد أعدائه؛ وهو اختيار الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

القول الثالث: أن المراد بـ(النعمة): قدر الكفاية، **وبـ(الفضل)**: ما زاد على الكفاية، ومعناه: لا يضيِّق عليهم، بل يوسِّع في العطاء[(٢)].

القول الرابع: أن المراد بـ(النعمة): الثواب من الله، و(**الفضل**): هو التفضُّل الزائد.

وهذا ما اختاره أكثر المفسرين[(٣)].

ومعنى الثواب من الله واسع؛ ولهذا فسره بعض أهل العلم: بالجنة[(٤)]، أو بالمغفرة[(٥)].

وجعل بعض أهل العلم هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إن قيل**: ما الفرق بين (النعمة) و(الفضل) هاهنا؟ **قيل**: الإشارة بهما إلى المَذْكُورَين في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]؛ فـ(النِّعمة) هي الحسنى، و(الفضل) هاهنا الزيادة»[(٦)].

وقال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «والظاهر تباين (النعمة) و(الفضل) للعطف،

---

(١) جامع البيان: ١/ ١٧٥.

(٢) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٧٩، والبحر المحيط: ٣/ ١٢١.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٩/ ٧٨، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٣٠٩، وأنوار التنزيل: ٢/ ٤٨، والبحر المحيط: ٣/ ١٢١، واللباب في علوم الكتاب: ٦/ ٥٣، وتفسير الجلالين: ص٧٢، والسراج المنير: ١/ ٣٠٥، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١١٣.

(٤) ينظر: تفسير الراغب: ٢/ ٩٨٦، والجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٤١٧، والبحر المحيط: ٣/ ١٢١.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٤١٧، واللباب في علوم الكتاب: ٦/ ٥٣.

(٦) تفسير الراغب: ٢/ ٩٨٦.

ويناسب شرحهما أن ينزل على قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. فـ(الحسنى): هي النعمة، و(الزيادة): هي الفضل؛ لقرينة قوله: ﴿أَحْسَنُوا﴾ وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]»(١).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «يستبشرون بفضل زائد؛ ومن ذلك أنهم يأملون النظر إلى وجه الله»(٢).

ويمكن حمل (الفضل) و(النعمة) المذكورين في الآية الكريمة على كل ما تقدم من الأقوال، **فأعلى (النِّعَم)**: دخولهم الجنة، **وأعلى (الفضل)**: النظر إلى وجه الله تعالى، نسأل الله أن لا يحرمنا ذلك.

ويدل على ذلك ما ذكره بعض أهل العلم من سر التنكير فيهما، وإضافتهما إلى الله جَلَّ وعلا.

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «إن قيل: لِمَ نكَّرهما؟ قيل: التنكير في مثله على وجهين: أحدهما: ليدل على بعضٍ غير معين، والثاني: قصد إبهام المراد تعظيمًا لأمره، وتنبيهًا أنه يصعب إدراكه وشرحه، وكأن التنكير في هذا إشارة إلى نحو ما قال: **(فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ)**(٣)»(٤).

وقال القرطبي رحمه الله: «و(الفضل) داخل في (النعمة)، وفيه دليل على اتساعها، وأنها ليست كنِعَم الدنيا»(٥).

---

(١) البحر المحيط: ٣/ ١٢١. وينظر: أنوار التنزيل: ٢/ ٤٨، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١١٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران: ٢/ ٤٣٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح برقم (٣٢٤٤) ٥٤١، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها، ح برقم (٢٨٢٤) ١٥١٦.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني: ٢/ ٩٨٦، ٩٨٧. وينظر: البحر المحيط: ٣/ ١٢١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٤١٧. وينظر: البحر المحيط: ٣/ ١٢١.

وأمَّا إضافتهما إلى الله جَلَّ وعلا؛ «فإن إضافة العطاء إلى الله يدل على عظمته»[١].

● **وخلاصة القول:** أن هناك فرقًا بين (النعمة) و(الفضل) في الآية الكريمة، والقول بالتأكيد كما عليه أصحاب الرأي الأول يُفوِّت المعاني التي ذكرت في سر الجمع بينهما، والتفريق بينهما هو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد، ولقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[٢].

ومما يعضد هذا القول أيضًا: التفريق بين (النعمة) و(الفضل) في الآية التي ذكرت بعدها بقليل، وهو قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

فجمهور المفسرين[٣] على أن الآية نزلت في غزوة حمراء الأسد[٤].

---

(١) تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران: ٢/ ٤٤٥.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٣) قال ابن عطية ﷺ: «وشذ مجاهد ﷺ فقال: إن هذه الآية من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ إلى قوله: ﴿فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤] إنما نزلت في خروج النبي ﷺ إلى بدر الصغرى... والصواب ما قاله الجمهور: إن هذه الآية نزلت في غزوة حمراء الأسد».
ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٥٤٣، وقال ابن كثير ﷺ: «وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد: إن هذا السياق نزل في شأن حمراء الأسد، وقيل: نزلت في بدر الموعد. والصحيح الأول». تفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٦٠. وينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، د. خالد بن سليمان المزيني: ١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٢.

(٤) ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي: ٢/ ٣٤٦ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ]. =

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير هذه الآية: «**يعني جل ثناؤه بقوله:** ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٧٤]: فانصرف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح من وجههم الذي توجَّهوا فيه، وهو سيرهم في أثر عدوهم إلى حمراء الأسد، ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ **يعني:** بعافية من ربهم لم يلقوا بها عدوًّا، ﴿وَفَضْلٍ﴾؛ **يعني:** أصابوا فيها من الأرباح بتجارتهم التي اتَّجروا بها والأجر الذي اكتسبوه»[1].

وما ذكره ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ من التفريق بين (النعمة) و(الفضل) في الآية الكريمة هو قول عامة المفسرين[2]. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية التاسعة: قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

اقترن لفظ (الزُّبُر) و(الكتاب المنير) في موضعين من كتاب الله، الأول: في هذه الآية الكريمة، **والموضع الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَإِن

= **وينظر** تفاصيل هذه الغزوة في: زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط: ٣/٢١٦، ٢١٧ [ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م].

(١) جامع البيان: ٤/ ١٨٢.

(٢) **ينظر:** تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٨١٩، ومعاني القرآن للنحاس: ١/ ٥١٢، وبحر العلوم: ١/ ٢٩١، والوجيز للواحدي: ١/ ٢٤٤، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٨١، ومعالم التنزيل: ١/ ٣٧٥، والكشاف: ١/ ٤٧٠، والتفسير الكبير: ٩/ ١٠٤، وأنوار التنزيل: ٢/ ٤٩، ومدارك التنزيل: ١/ ٢٩٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٣١١، والبحر المحيط: ٣/ ١٢٤، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٦٢، واللباب في علوم الكتاب: ٦/ ٦٠، وتفسير الجلالين: ص٧٣، والسراج المنير: ١/ ٣٠٦، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١١٤، والتفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بشير ياسين: ١/ ٤٨٣ [ط١، دار المآثر، المدينة النبوية: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م].

يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥].

ومن خلال النظر فيما ذكره أهل العلم في معناهما في كلا الموضعين تبين لي أن لأهل العلم فيهما رأيين:

الرأي الأول: أن (الزُّبُر) و(الكتاب) بمعنى واحد، وجمع بينهما للتأكيد:

قال الثعلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ وهما واحد لاختلاف اللفظين»(١)، وقال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذكر (الكتاب) بعد (الزبر) على طريق التأكيد»(٢).

ونصَّ على ما ذكره السمعاني: البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجمع بين (الزبر) و(الكتاب)، وهما بمعنى؛ لاختلاف لفظهما»(٤).

وقال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: و(الكتاب) هو (الزبر)، وجمع بين اللفظين على سبيل التأكيد»(٥).

ولعل حجة أصحاب هذا الرأي: أن (الزبور) معناه في كلام العرب: الكتاب، يقال: زَبَرْتُ الكتاب أزبُره زَبْرًا، إذا كتبتَه(٦).

---

(١) الكشف والبيان: ٨/ ٢٩.
(٢) تفسير القرآن للسمعاني: ٤/ ٣٥٥، ٣٥٦.
(٣) معالم التنزيل: ٣/ ٥٦٩.
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٤٤٧ و١٧/ ٣٧٢.
(٥) البحر المحيط: ٣/ ١٣٨. وينظر: لباب التأويل: ٥/ ٣٤٢، واللباب في علوم الكتاب: ١٦/ ٤٧٥.
(٦) ينظر: كتاب العين للخليل، مادة: (زبر)، باب الزاي والراء: ٧/ ٣٦٢، والزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٧٤، وتهذيب اللغة: ١٣ مادة: (زبر)، باب الزاي والراء: ١٣/ ١٣٥، ومقاييس اللغة، مادة: (زبر)، كتاب الزاي، باب الزاء والباء وما يثلثهما: ٣/ ٤٥، ولسان العرب، مادة: (زبر): ٤/ ٣١٥.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما (الزُّبُر) فإنه جمع زَبُور، وهو الكتاب، وكل كتاب فهو زَبُور، ومنه قول امرؤ القيس[1]:

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانِ[2]»[3]

الرأي الثاني: الفرق بين (الزبر) و(الكتاب) في المعنى، وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن المراد بـ(الزبر): الصحف؛ كصحف إبراهيم، **و(الكتاب المنير)**: التوراة والإنجيل والزبور[4].

وقد ورد (الزبر) في القرآن الكريم، **والمراد به**: الصحف، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]؛ «أي: مكتوب عليهم في صحف الملائكة»[5].

---

(١) امرؤ القيس بن حُجْر الكندي، من بني آكل المُرار، اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل: حندج، وقيل: مليكة، وقيل: عدي، كان أبوه ملك أسد وغطفان، يماني الأصل، مولده بنجد، أشهر شعراء العرب، توفي سنة (٨٠ قبل الهجرة).
ينظر: طبقات فحول الشعراء: ١/ ٥١، والأعلام: ٢/ ١١.

(٢) هكذا وقع في تفسير الطبري والذي في الديوان:
لِمَنْ طَلَلٌ رَأَيْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانِ
ينظر: ديوان امرؤ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري، تحقيق: أنور عليان، ومحمد الشوابكة: ٢/ ٤٩٧ [ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م].

(٣) جامع البيان: ٤/ ١٩٨. وينظر: معاني القرآن للنحاس: ١/ ٥١٨، والكشف والبيان: ٣/ ٣٣٩، وتفسير الراغب: ٢/ ١٠٢٢.

(٤) ينظر: الكشاف: ٣/ ٥٦٩، والتفسير الكبير: ٩/ ١٠١، وأنوار التنزيل: ٤/ ٢٥٨، ومدارك التنزيل: ٣/ ٤٩٦٣، ولباب التأويل: ١/ ٤٦١و ٥/ ٣٤٢، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٦٦، ونظم الدرر: ٢/ ٣٠٥ و٦/ ٤٧٥، وتفسير الجلالين: ص٧٤، والسراج المنير: ١/ ٣١١ و٣/ ٣٩٧، وروح المعاني: ٢٢/ ١٨٨، وتفسير المنار: ٤/ ٢٦٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٥٩.

القول الثاني: أن المراد بـ(الزبر): الكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام الشرعية، و(الكتاب) في عُرف القرآن ما يتضمن الأحكام؛ ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن[(١)].

قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الزبر) جمع زبور، **والزبور**: كل كتاب ذي حكمة، ويقال: زَبَرْتُ؛ إذا كتبتَ، وزَبَرْتُ؛ إذا قرأت»[(٢)].

القول الثالث: أن المراد (بالزبر): الكتب التي فيها زجر ومواعظ، والكتاب المنير؛ أي: الواضح، أو الهادي إلى الحق؛ كالتوراة والإنجيل؛ وإنما جمع بينهما لاختلاف أصلهما.

قال المنتجب الهمذاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «و**(الزبر)**: جمع زبور كرُسلُ في جمع رسول، وهي الكتب، يقال: زَبَرْتُ الكتاب، إذا كتبتَه، وأصله: الزجر، يقال: زَبَرْتُ الرجل أَزْبُرُهُ زَبْرًا، إذا زجرتَه، فسمِّي الكتاب بذلك لما فيه من الزجر عن الباطل، و(الكتاب) هنا اسم جنس، وإنما جمع بينهما لاختلاف أصلهما؛ لأن (الزبور) من الزَّبْر وهو الزجر، و(الكتاب) من الكَتْب وهو ضَمُّ الحروف بعضها إلى بعض، و(الكتاب المنير) الهادي إلى الحق»[(٣)].

وقال السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فإن قال قائل**: أيُّ فرق بين (الزبر) و(الكتاب)؟ وقد قال: ﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ **قيل**: (الكتاب) اسم لما كُتِبَ، وضُمَّ بعض الكلمات فيه إلى بعض، من الكَتْب وهو الضم، وأمَّا الزبر: مأخوذ من الزَّبْر وهو الزجر، فـ**(الزبور)**: كتاب فيه مزاجر»[(٤)].

---

(١) ينظر: تفسير الراغب: ٢/ ١٠٢٣، والمفردات، مادة: (زبر)، كتاب الزاي: ٢١٨، وأنوار التنزيل: ٢/ ٥٢، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١٢٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٤١٥. وينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٨٥، ولباب التأويل: ١/ ٤٦١، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١٢٢.

(٣) الكتاب الفريد: ٢/ ١٨٢.

(٤) تفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٨٥، ٣٨٦.

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأريد بـ(الزبر) كتب الأنبياء والرسل، مما يتضمن مواعظ وتذكيرًا؛ مثل كتاب داود والإنجيل. **والمراد بـ(الكتاب المنير)**: إن كان التعريف للجنس فهو كتب الشرائع مثل التوراة والإنجيل، وإن كان للعهد فهو التوراة، ووصفه بـ(المنير) مجاز بمعنى: المبين للحق؛ كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، والعطف منظور فيه إلى التوزيع، فبعض الرسل جاء بـ(الزبر)، وبعضهم بـ(الكتاب المنير)، وكلهم جاء بـ(البينات)»[(١)].

القول الرابع: أن المراد بـ(الزبر) و(الكتاب المنير) واحد؛ لكن العطف فيها من باب عطف الصفات بعضها على بعض.

قال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويجوز أن يراد بهما واحد، والعطف لتغاير الوصفين»[(٢)].

وقال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(الزبور) و(الكتاب) في الأصل واحد؛ وإنما ذكرا لاختلاف الوصفين؛ فـ(الزبور) فيه حِكَم زاجرة، و(الكتاب المنير) المشتمل على جميع الشريعة»[(٣)].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: و(الزُّبُر) جمع زبور، **والمراد به**: ما اشتمل على المواعظ والزواجر، ولهذا كان الزبور الذي أوتيه داود أكثره مواعظ وزواجر، و(**الكتاب المنير**): (الكتاب) بمعنى المكتوب، و(المنير) بمعنى

---

(١) التحرير والتنوير: ٤/١٨٦، ١٨٧. وينظر: تفسير الراغب: ٢/١٠٢٤، والتفسير الكبير: ٩/١٠٠، والجامع لأحكام القرآن: ٥/٤٤٦، وأنوار التنزيل: ٢/٥٢، ومدارك التنزيل: ١/٢٩٦، ولباب التأويل: ١/٤٦١، والبحر المحيط: ٣/١٣٨، وروح المعاني: ٤/١٤٥. وتفسير القرآن الكريم سورة آل عمران: ٢/٥٠٨، ٥٠٩.

(٢) أنوار التنزيل: ٤/٢٥٨. وينظر: المحرر الوجيز: ٤/٤٣٦، والبحر المحيط: ٣/١٣٨، والجواهر الحسان: ٣/٢٥٦.

(٣) محاسن التأويل: ٢/١٨٦. وينظر: حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي: ١٦/٥٣.

المنير للظلمات. وهذا العطف الذي في قوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ هذا من باب عطف الصفة على الأخرى؛ لأن (الزبر) تتضمن (الكتاب المنير)... فالتغاير تغاير صفة وليس تغاير ذات»[1].

واعتُرِض على هذا القول بأن إعادة الجار في آية فاطر: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥]. وكذلك على قراءة من أثبت الباء في (الزبر) و(الكتاب) في آية آل عمران[2] ـ يشعر بأن التغاير تغاير ذات، وليس تغاير صفة.

قال الآلوسي رحمه الله: «ويجوز أن يراد بـ(الزبر) و(الكتاب) واحد، والعطف لتغاير العنوانين. لكن فيه بعد»[3].

وعلَّق القونوي رحمه الله على قول البيضاوي رحمه الله: «ويجوز أن يراد بهما واحد، والعطف لتغاير الوصفين»[4] بقوله: «قوله: «ويجوز أن يراد بهما واحد، والعطف لتغاير الوصفين»، و«يجوز أن يكون المراد بهما»؛ أي: بـ(الزبر) و(الكتاب) واحدًا، «والعطف لتغاير الوصفين»؛ لأنه من حيث إنه مكتوب (زبر)، ومن حيث إنه مجموع (كتاب)، وَضُعِّف؛ لأن إعادة الجار ظاهرة في التغاير بالذات»[5].

وقال الزركشي رحمه الله: «وهذا يردُّه تكرار الباء؛ فإنه يشعر بالفصل؛ لأن فائدة تكرار العامل بعد حرف العطف إشعارٌ بقوة الفصل من الأول والثاني، وعدم التجوز في عطف الشيء على نفسه»[6].

---

(١) تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران: ٢/٥٠٨، ٥٠٩. وينظر: حاشية زاده: ٤/١١٣.

(٢) وهي قراءة ابن عامر. ينظر: التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عمرو الداني، تحقيق: أوتو تريزل: ٩٠ [ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م]. السبعة: ٢٢٢.

(٣) روح المعاني: ٢٢/١٨٨.

(٤) أنوار التنزيل: ٤/٢٥٨.

(٥) حاشية القونوي: ١٦/٥٣.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ص٤٧٤، ٤٧٥.

القول الخامس: أن عطف (الكتاب المنير) على (الزبر) من باب عطف الخاص على العام.

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عطف (الكتاب المنير) على (الزبر) مع أن (الكتاب المنير) لا بد وأن يكون من (الزبر)، وإنما حسُن هذا العطف لأن (الكتاب المنير) أشرف الكتب وأحسن (الزبر)، فحسن العطف، كما في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]. ووجه زيادة الشرف فيه إما كونه مشتملًا على جميع الشريعة، أو كونه باقيًا على وجه الدهر»(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا من عطف الخاص على العام؛ لاختصاصه بوصف يختص، به كقوله: ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]؛ فإن (الزبر) من (البينات)، و(الكتاب المنير) من (الزبر)، وهو كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨] فإن (الهدى) من (العلم) و(الكتاب المنير) من (الهدى)»(٢).

فهذه هي مجمل الأقوال التي ذكرت في المراد بـ(الزبر) و(الكتاب المنير) في الآيتين الكريمتين على الرأي الثاني، وهي تفيد أن هناك فرقًا بينهما في المعنى وأن الجمع بينهما ليس للتأكيد، وإن كان القول الثالث وهو: **أن المراد بـ(الزبر)**: الكتب التي فيها زجر ومواعظ؛ ككتاب داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، و**(الكتاب المنير)**؛ **أي**: الواضح، أو الهادي إلى الحق؛ كالتوراة والإنجيل؛ وإنما جمع بينهما لاختلاف أصلهما ـ هو أقرب

---

(١) التفسير الكبير: ٩/ ١٠٠. وينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ١٩٦.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. علي حسن ناصر وآخرين: ٦/ ٣٨٣، ٣٨٤ [ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ].

الأقوال التي ذكرت في معناهما، لا سِيَّما وأن اعتبار أصل اللفظ في اللغة وحقيقته فيها من المسالك التي يفرق بها بين الألفاظ المتشابهة؛ كما تقدم معنا.

وما ذكر في التفريق بين (الزبر) و(الكتاب المنير) في المعنى هو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد؛ كما نص على ذلك بعض أهل العلم.

قال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ في القسم السابع من أساليب القرآن وفنونه البليغة: عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى، والقصد منه التأكيد.

وجعل منه بعضهم قوله تعالى ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥]؛ فإن المراد بـ(الكتاب المنير) هو (الزبور)، ونقله عن إجماع المفسرين[1]، لما تضمَّنه من النعت، كما تُعطف النعوت بعضها على بعض، وهذا يرده تكرار الباء؛ فإنه يشعر بالفصل؛ لأن فائدة تكرار العامل بعد حرف العطف إشعار بقوة الفصل من الأول والثاني، وعدم التجوز في عطف الشيء على نفسه، **والذي يظهر أنه للتأسيس، وبيانه وجوه:**

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿جَآءَتْهُمْ﴾ يعود الضمير فيه على المكذبين للنبي ﷺ وعلى الذين من قبلهم، فيكون النبي ﷺ داخلًا في المرسلين المذكورين و(الكتاب المنير) هو القرآن. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [فاطر: ٢٦] معطوف على قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: كذبوا ثم أخذتهم بقيام الحجة عليهم ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ

(١) لم أقف على قائل هذا القول.

﴿وَبِالْكِتَٰبِ الْمُنِيرِ﴾ وجاء تقديم قيام الحجة عليهم قبل العطف اعتراضًا للاهتمام به، وهو من أدقِّ وجوه البلاغة، ومثله في آية آل عمران قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ وقوله: ﴿جَآءُو﴾ انصراف من الخطاب إلى الغيبة؛ كأنه قال: جاء هؤلاء المذكورون، فيكون النبي ﷺ داخلًا في الضمير؛ وهو في موضع (جئتم بالبينات)، فأقام الإخبار عن الغائب مقام المخاطب؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]، وفيه وجه من التعجب؛ كأن المخاطب إذا استعظم الأمر رجع إلى الغيبة؛ ليعمَّ الإخبار به جميع الناس، وهذا موجود في الآيتين.

والثاني: أن يكون على حذف مضاف؛ كأنه قيل: الكتاب المنير؛ **يعني**: القرآن، فيكون مثل قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. وهذا وجه حسن[(١)].

والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ ❁ ❁

الآية العاشرة: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

(الجبت) و(الطاغوت) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في الآية في سياق الذم لأهل الكتاب على إيمانهم بهما، قال أبو حيان رَحِمَهُ اللهُ: «أجمعوا أنَّها في اليهود»[(٢)].

ولعل من المناسب قبل ذكر آراء أهل العلم في المراد بـ(الجبت) و(الطاغوت) في الآية الكريمة، وهل هما بمعنى واحد؟ أم لا؟ ذكر ما

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ص٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦.

(٢) البحر المحيط: ٣/٢٨٣.

ورد عن السلف في تفسير (الجبت) و(الطاغوت)؛ لأن آراء أهل العلم فيهما مبنية على ما ورد عن السلف في تفسيرهما، **فأقول وبالله التوفيق:**

تنوعت عبارات السلف في المراد بـ(الجبت) و(الطاغوت) في الآية الكريمة، ومما ذكروه في معناهما:

- قيل: (**الجبت**): الأصنام، و(**الطاغوت**): الذين يكونون بين أيدي الأصنام يخبرون عنها الكذب ليضلُّوا الناس؛ وهذا القول مروي عن: ابن عباس رضي الله عنهما[1]، واقتصر عليه الواحدي رحمه الله[2].

- وقيل: (**الجبت**): الساحر، و(**الطاغوت**): الكافر؛ وهذا القول مروي عن: أبي العالية رحمه الله[3].

- وقيل: (**الجبت**): الساحر، و(**الطاغوت**): الشيطان؛ وهذا القول مروي عن: زيد بن أسلم[4] رحمه الله[5].

- وقيل: (**الجبت**): السحر، و(**الطاغوت**): الشيطان؛ وهذا قول عمر، ومجاهد[6].

- وقيل: (**الجبت**): الساحر، و(**الطاغوت**): الكاهن؛ وهذا القول

---

(١) **ينظر**: جامع البيان: ٥/ ١٣٠، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/ ٩٧٥، والنكت والعيون: ١/ ٣٧٩.

(٢) الوجيز للواحدي: ١/ ٢٦٨.

(٣) **ينظر**: تفسير مجاهد: ١/ ٢٦٢، وغريب القرآن للسجستاني: ١٨١.

(٤) زيد بن أسلم، أبو عبد الله، العدَوي، العُمري، المدني، الفقيه، الإمام، الحجة القدوة، مولى عبد الله بن عمر، كانت له حلقة علم في مسجد النبي ﷺ، وله تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمٰن، وكان من العلماء العاملين. توفي سنة (١٣٦هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣١٦، وطبقات المفسرين للداوودي: ١٢٨.

(٥) **ينظر**: جامع البيان: ٥/ ١٣٢، والمحرر الوجيز: ٢/ ٦٦، والبحر المحيط: ٣/ ٢٨٣.

(٦) **ينظر**: جامع البيان: ٥/ ١٣١، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/ ٩٧٥، والنكت والعيون: ١/ ٣٧٩.

مروي عن: مجاهد، وسعيد بن جبير[(١)]، وأبي العالية رحمهم الله[(٢)].

ـ وقيل: (**الجبت**): الكاهن، و(**الطاغوت**): الشيطان؛ وهذا القول مروي عن: مجاهد[(٣)].

ـ وقيل: (**الجبت**): الشيطان، و(**الطاغوت**): الكاهن؛ وهذا القول مروي عن: قتادة، والسدي رحمهما الله[(٤)].

ـ وقيل: (**الجبت**): حُيَيُّ بن أخطب، و(**الطاغوت**): كعب بن الأشرف؛ وهذا القول مروي عن: ابن عباس، والضحاك[(٥)]، واقتصر عليه الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٦)].

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، الأسدي، الكوفي، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، كان فقيهًا ورعًا، قرأ القرآن على ابن عباس، قتله الحجاج بن يوسف لمَّا خرج مع ابن الأشعث سنة (١٧٥هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٢١، وطبقات المفسرين للداوودي: ١٣٢.

(٢) **ينظر**: تفسير مجاهد: ١/ ١١٦، وجامع البيان: ٥/ ١٣١، ١٣٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/ ٩٧٥، والنكت والعيون: ١/ ٣٧٩.

(٣) **ينظر**: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين: ١/ ٣٧٩.

(٤) **ينظر**: جامع البيان: ٥/ ١٣٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/ ٩٧٦.

(٥) **ينظر**: جامع البيان: ٥/ ١٣٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/ ٩٧٥، والنكت والعيون: ١/ ٣٧٩.

(٦) معاني القرآن: ١/ ٣٧٢.
وهذا القول بناء على ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول الآية: أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف جاءا إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنَّا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكَوْماء، ونسقي الماء على اللبن، ونفكُّ العُناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صُنْبُور؛ قطع أرحامنا، واتبعه سرَّاق الحجيج بنو غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلًا. فأنزل الله هذه الآية.
ينظر: جامع البيان: ٥/ ١٣٥، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/ ٩٧٤، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٦٧٠، ٦٧١.
وقد اختلف في هذه الرواية صحة وضعفًا، وهل الذي قدم على أهل مكة حيي بن أخطب =

ـ وقيل: (**الجبت**): كعب بن الأشرف، و(**الطاغوت**): الشيطان؛ وهذا القول مروي عن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ[(١)].

وعلى هذه التفسيرات يمكن تقسيم آراء أهل العلم في المراد بـ(الجبت) و(الطاغوت) إلى رأيين:

الرأي الأول: أنهما بمعنى واحد، وجمع بينهما من باب التأكيد بالمرادف:

وقد أشار إلى هذا الرأي أبو حيان رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «وقال قوم: (الجبت) و(الطاغوت) مترادفان على معنى واحد»[(٢)]. وهو الذي يفهم من صنيع بعض الأئمة كما سيأتي.

ومما استدل به أصحاب هذا الرأي:

١ ـ أن (الجبت) و(الطاغوت) في الأصل اسمان لصنمين، ثم صارا يستعملان في كل باطل[(٣)].

قال الزجاج رَحِمَهُ اللهُ: «**قال أهل اللغة**: كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت»[(٤)].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «بعد أن ذكر تفاسير السلف المتقدمة في

= وحده، أم هو وكعب الأشرف؟ أم كعب الأشرف وحده؟ وللوقوف على هذه الأقوال مجموعة ينظر: المحرر من أسباب النزول: ١/ ٣٥٩، والاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، ومحمد بن موسى آل نصر: ١/ ٤٠٥ ـ ٤١٠ [ط١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤١٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م]. والتفسير الصحيح: ٢/ ٦٥.

(١) ينظر: جامع البيان: ٥/ ١٣٣، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/ ٩٧٥.

(٢) البحر المحيط: ٣/ ٢٨٣.

(٣) وهو قول عكرمة: ينظر: جامع البيان: ٥/ ١٣٠، والكشف والبيان: ٣/ ٣٧٩، والنكت والعيون: ١/ ٣٧٩.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٥٠.

المراد بـ(الجبت) و(الطاغوت): فهذه الأقوال تدل على أنهما اسمان لمسمَّيين. **وقال اللغويون، منهم: ابن قتيبة**[١]**، والزجاج**: كل معبود من دون الله من حجر أو صورة أو شيطان فهو جبت وطاغوت»[٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: هما كل معبود من دون الله، أو مطاع في معصية الله. وهذا حسن»[٣].

وقال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الجبت)، يطلق لغة على الصنم والكاهن والساحر والسحر، والذي لا خير فيه، وكل ما عبد من دون الله تعالى، وكذا (الطاغوت)، فيطلق على الكاهن والشيطان، وكل رأس ضلال، والأصنام وكل ما عبد من دون الله»[٤].

٢ ـ أن ما ورد عن السلف في تفسير (الجبت) و(الطاغوت)، إنما هو من باب التفسير بالمثال.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن حكى تلك التفسيرات عن السلف: «والصواب من القول في تأويل: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ أن يقال: يصدقون بمعبودين من دون الله يعبدونهما من دون الله ويتخذونهما إلٰهين؛ وذلك أن (الجبت) و(الطاغوت) اسمان لكل معظَّم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له، كائنًا ما كان ذلك المُعظم؛ من حجر أو إنسان أو شيطان، وإذا كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها كانت معظمة بالعبادة من دون الله ـ فقد كانت جُبوتًا وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولًا منهما ما قالا في أهل الشرك بالله، وكذلك حُييُّ بن أخطب وكعب بن الأشرف؛ لأنهما كانا مطاعين في أهل ملَّتهما

(١) تفسير غريب القرآن: ص١٢٨.
(٢) زاد المسير: ٢/ ١٠٨.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٤١٢.
(٤) محاسن التأويل: ٢/ ٣٤٩.

من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله؛ فكانا جِبتين وطاغوتين»[(١)].

وقال النحاس رَحِمَهُ اللهُ: «(الجبت) و(الطاغوت): هما كل ما عبد من دون الله جَلَّ وَعزَّ، وقول ابن عباس: «(الجبت) و(الطاغوت): كعْبُ بن الأشرف، وحُيَيُّ بن أخطب» ليس بخارج من ذاك، وإنما هو على التمثيل لهما بالجبت والطاغوت؛ لأنهم أطاعوهما في تكذيب رسول الله ﷺ»[(٢)].

وقال الثعالبي رَحِمَهُ اللهُ: «ومجموع ما ذكره المفسرون في تفسير (الجبت) و(الطاغوت) يقتضي: أنه كل ما عبد وأطيع من دون الله تعالى»[(٣)].

وعلى هذا الرأي من غير من تقدم ذكر أقوالهم: أبو عبيدة، ومكي بن أبي طالب، وابن عطية، والرازي، وابن جزي، والآلوسي، وابن سعدي رحمهم الله[(٤)].

الرأي الثاني: أن (الجبت) و(الطاغوت) ليسا بمعنى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

وأقوال السلف المتقدمة في التفريق بين (الجبت) و(الطاغوت) تدل على أنهما اسمان لمسمَّيين، وما ذكروه من أقوال في معناهما من باب التفسير بالمثال.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ ـ بعد أن ذكر تفاسير السلف المتقدمة في المراد بـ(الجبت) و(الطاغوت) ـ: «فهذه الأقوال تدل على أنهما اسمان لمسمَّيين»[(٥)].

---

(١) جامع البيان: ٥/ ١٣٣.

(٢) إعراب القرآن: ١/ ٢٦٢، ٢٦٣.

(٣) الجواهر الحسان: ١/ ٣١٨.

(٤) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ١٢٩، وتفسير المشكل من غريب القرآن: ص٦١، والمحرر الوجيز: ٢/ ٦٦، والتفسير الكبير: ١٠/ ١٠٤، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ١٤٥، وروح المعاني: ٥/ ٥٥، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص١٨٢.

(٥) زاد المسير: ٢/ ١٠٨.

ولعل أصرح من وضع ضابطًا للتفريق بين (الجبت) و(الطاغوت) - فيما وقفت عليه - هو شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بأن (الطاغوت) هو الطاغي من الأعيان، والجبت هو من الأعمال والأقوال. وقد ذكر كلامًا طويلًا في بيان ذلك يحسن إيراده:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن جنس موالاة الكفار التي ذم الله بها أهل الكتاب والمنافقين: الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾، ونظير هذه الآية قوله تعالى عن بعض أهل الكتاب: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [البقرة: ١٠١، ١٠٢]، الآية؛ فأخبر أنهم اتبعوا السحر وتركوا كتاب الله، كما يفعله كثير من اليهود وبعض المنتسبين إلى الإسلام، من اتِّباعهم كتب السحرة - أعداء إبراهيم وموسى - من المتفلسفة ونحوهم، وهو كإيمانهم بالجبت والطاغوت؛ **فإن (الطاغوت)**: هو الطاغي من الأعيان، و**(الجبت)**: هو من الأعمال والأقوال؛ كما قال عمر بن الخطاب: «**الجبت**: السحر، **والطاغوت**: الشيطان»[(١)]. ولهذا قال النبي ﷺ: (**الْعِيَافَةُ، وَالطِّيَرَةُ، وَالطَّرْقُ: مِنَ الْجِبْتِ**) رواه أبو داود[(٢)]،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا جازمًا به، كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: ٤٣]: ٧٨٣.
قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وصله عبد بن حميد في تفسيره، ومسدد في مسنده، وعبد الرحمٰن بن رستة في كتاب الإيمان: كلهم من طريق أبي إسحاق، عن حسان بن فائد، عن عمر مثله. وإسناده قوي، وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحاق له من حسان وسماع حسان من عمر في رواية رستة». فتح الباري: ٨/٣١٨.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب: في الخط وزجر الطير، ح برقم (٣٩٠٧) ٤/١٦. =

وكذلك ما أخبر عن أهل الكتاب بقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠]؛ أي: ومن عبد الطاغوت؛ فإن أهل الكتاب كان منهم من أشرك وعبد الطواغيت. فهنا ذكر عبادتهم للطاغوت، وفي «البقرة» ذكر اتباعهم للسحر، وذكر في «النساء» إيمانهم بهما جميعًا: بالجبت والطاغوت»(١).

وما ذكره ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا، بناء على أن الآيات في أهل الكتاب، و(الجبت) من معانيه السحر؛ كما تقدم عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «واليهود كانوا من أكثر الناس تعلمًا للسحر وممارسة له،

= وأخرجه أيضًا: الإمام أحمد في المسند ح برقم (٢٠٨٧٩) وابن حبان في صحيحه، ح برقم (٦١٣١) ١٣/٥٠٢، والبغوي في شرح السُّنَّة، ح برقم (٣٢٥٦) ١٢: ١٧٧. من حديث قبيصة بن مخارق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رواه أبو داود بإسناد حسن»، قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كذا قال ـ أي: النووي ـ وفيه: حيان بن العلاء، وهو مجهول». ينظر: رياض الصالحين، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني: ٥٧٤ [ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م]. وقال في غاية المرام: «حديث ضعيف». ينظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني: ١٤٨ [ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م].

«العِيافة»؛ أي: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها ومَمرِّها. وهو من عادة العرب كثيرًا. وهو كثير في أشعارهم.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (عيف)، باب العين مع الياء: ٦٥٤.

«والطِّيَرة» ـ بكسر الطاء وفتح الياء ـ وقد تُسَكن: هي التشاؤم بالشيء. وأصله فيما يقال: التطير بالسَّوانح والبَوارح من الطير والظباء وغيرهما. وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله، ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (طير)، باب الطاء مع الياء: ٥٧٤.

و«الطرق»؛ أي: الضرب بالحصا الذي يفعله النساء. وقيل: هو الخط في الرمل.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (طرق)، باب الطاء مع الراء: ٥٦١.

(١) مجموع الفتاوى: ٢٨/١٩٩، ٢٠٠.

ويدعون أن سليمان عليه السلام علمهم إياه»[(١)].

و(**الطاغوت**): عبارة عن كل متعدٍّ، وكل معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [الزمر: ١٧]، ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: «و(**الطاغوت**): كل ما تجاوز به العبد حدَّه من: معبود، أو متبوع، أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم؛ إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته»[(٣)].

• **وخلاصة القول**: أن (الجبت) عند الإطلاق يدخل فيه (الطاغوت)، و(الطاغوت) إذا أُطلق دخل فيه (الجبت)، وأمَّا عند الاجتماع فيفترقان فلكل منهما معنى. كما في الآية الكريمة التي معنا.

فـ(الجبت) من معانيه عند أهل اللغة: «الذي لا خير فيه ولا فائدة»[(٤)]؛

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين: ١/٤٩١، ٤٩٢ [ط٤، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢١هـ].

(٢) المفردات، مادة: (طغى)، كتاب الطاء: ٣١٧.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي: ١/٥٨، ٥٩ [ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م].

(٤) ينظر: المفردات، مادة: (جبت)، كتاب الجيم: ٩٠، والقاموس المحيط، مادة: (جبت)، باب التاء فصل الجيم: ١٤٩.

فيدخل في ذلك جميع الأفعال والأقوال غير المرضية، مثل: الطيِّرة، والعِيافة، والطَّرْق، والشرك بالله جلَّ وعلا.

(والطاغوت): يراد به الأشخاص مثل: الساحر، والكاهن، والمُطاع، والمتبع.

ولذا رُد القول بأنهما مترادفان لمعنى واحد في الآية الكريمة، قال أبو حيان رحمه الله: «وقال قوم: (الجبت) و(الطاغوت) مترادفان على معنى واحد، والجمهور وأقوال المفسرين على خلاف ذلك، وأنهما اثنان»[1].

وهذا التفريق بينهما في المعنى هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة: «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[2]. والله تعالى أعلم بكتابه.

❊ ❊ ❊

الآية الحادية عشر: قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ **[النساء: ٨٥].**

(الكفل) و(النصيب) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في الآية الكريمة في سياق جزاء الشافع على شفاعته، واختصت الشفاعة الحسنة بلفظ (النصيب)، والشفاعة السيئة بلفظ (الكفل). والذي دعا إلى دراسة لفظي (النصيب) و(الكفل) في الآية الكريمة ـ وإن كان لفظ (النصيب) يتعلق بالشفاعة الحسنة، ولفظ (الكفل) يتعلق بالشفاعة السيئة ـ

(١) البحر المحيط: ٣/ ٢٨٣.
(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

ما ذكره بعض أهل العلم من أن (النصيب) و(الكفل) بمعنى واحد وخالف بينهما للتفنن، أو أنه قد يطلق كل واحد منهما على الآخر عند الانفراد. **وعلى هذا يمكن تقسيم آراء أهل العلم في المراد بـ(النصيب) والكفل في الآية الكريمة إلى رأيين:**

الرأي الأول: أن (النصيب) و(الكفل) بمعنى واحد:

ويكون معنى قوله تعالى: ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ يكن له من شفاعته تلك نصيب، وهو الحظ من ثواب الله وجزيل كرامته، ومعنى قوله تعالى: ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾؛ يعني بـ(الكفل): النصيب والحظ من الوزر والإثم»[١].

قال الآلوسي رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾؛ أي: حظ وافر منها»[٢].

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «و(النصيب): الحظ المنصوب المعيَّن»[٣]، ومما يدل على تعيينه اقتران لفظ (مفروضًا) به في مواضع من كتاب الله تعالى[٤]؛ كقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨].

وتفسير (الكفل) بـ(النصيب) في الآية الكريمة مرويٌّ عن: السُّدي، والربيع بن أنس، وابن زيد[٥]، رحمهم الله[٦]. وهو اختيار: الفراء،

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٥/ ١٨٦.
(٢) روح المعاني: ٥/ ٩٧.
(٣) المفردات، مادة: (نصب)، كتاب النون: ص٥١٧.
(٤) دقائق الفروق اللغوية: ١٤٦.
(٥) عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم العمري المدني، صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرًا في مجلد، وكتابًا في الناسخ والمنسوخ. توفي سنة (١٨٢هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٨/ ٣٤٩، وطبقات المفسرين للداوودي: ١٨٨.
(٦) ينظر: جامع البيان: ٥/ ١٨٦، ١٨٧، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣/ ١٠١٩، والنكت والعيون: ١/ ٥١٢.

وأبي عبيدة، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، والنسفي، وابن جزي، والسيوطي، والخطيب الشربيني رحمهم الله[١].

وقد استُدلَّ لهذا القول بأدلة منها:

١ ـ أن هذا القول هو المعروف عند أهل اللغة، قال النحاس رَحِمَهُ اللهُ: «والمعروف عند أهل اللغة أن (الكفل): النصيب»[٢].

وأصل (الكفل) في اللغة: مأخوذ من قولهم: اكْتَفَلْتُ البعير، إذا أدرت على سنامه أو على موضع من ظهره كساء وركبت عليه؛ وإنما قيل له (كفل)؛ لأنه لم يستعمل الظهر كله وإنما استعمل نصيبًا منه»[٣].

٢ ـ أنه المغايرة بينهما في الآية الكريمة من قبيل التفنن في الألفاظ.

قال الآلوسي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾؛ أي: نصيب من وزرها وبذلك فسره: السُّدي، والربيع، وابن زيد، وكثير من أهل اللغة، فالتعبير بـ(النصيب) في الشفاعة الحسنة وبـ(الكفل) في الشفاعة السيئة للتفنن»[٤].

٣ ـ أن لفظ (الكفل) يستعمل في الخير والشر، دليل ذلك قوله تعالى: «﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، مما يدل على أنهما بمعنى واحد.

---

(١) ينظر: معاني القرآن: ١/ ٢٨٠، ومجاز القرآن: ١/ ١٣٥، والوجيز للواحدي: ١/ ٢٧٩، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٤٥٥، ومعالم التنزيل: ١/ ٤٥٧، والمحرر الوجيز: ٢/ ٨٦، ومدارك التنزيل: ١/ ٣٥١، والتسهيل لعوم التنزيل: ١/ ١٥٠، وتفسير الجلالين: ص٩١، والسراج المنير: ١/ ٣٧٠.

(٢) معاني القرآن: ٢/ ١٤٦.

(٣) ينظر: كتاب العين، مادة: (كفل)، باب الكاف واللام والفاء: ٥/ ٣٧٣، ومعاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٩٦، ومقاييس اللغة، مادة: (كفل)، كتاب الكاف، باب الكاف والفاء وما يثلثهما: ٥/ ٢٦٦، ولسان العرب، مادة: (كفل): ١١/ ٥٨٩.

(٤) روح المعاني: ٥/ ٩٨.

فقد أخرج الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «(الكفل) و(النصيب) واحد. وقرأ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]»[١].

الرأي الثاني: أن (النصيب) و(الكفل) ليسا بمعنى واحد، وفي المغايرة بينهما في الآية الكريمة أقوال:

القول الأول: أن (الكفل) وإن كان بمعنى (النصيب)، إلا أن استعماله في الشر أكثر، ولغلبة استعماله في الشر واستعمال (النصيب) في الخير غاير بينهما في هذه الآية الكريمة، إذ أتى بـ(الكفل) مع السيئة، و(النصيب) مع الحسنة؛ وهو اختيار: أبي حيان، والسمين الحلبي، رحمهما الله[٢].

وقد زاد الشهاب الخفاجي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا القول وضوحًا بقوله: «إن (الكفل) وإن كان بمعنى (النصيب) إلا أنه غلب في الشر وندر في غيره؛ كقوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]. فلذا خص به السيئة تَطْرية[٣]، وهربًا من التكرار»[٤].

القول الثاني: أن (الكفل) أيضًا بمعنى (النصيب)، **لكن المراد به هنا:** اسم للنصيب الذي يكون عليه اعتماد الإنسان، ويكون له ذخيرةً في معاشه، ومعاده، والغرض: التهكُّم وحصول ضد ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]. فيكون فيه التنبيه على أن الشفاعة المؤدية إلى سقوط الحق، وقوة الباطل؛ تكون عظيمة العقاب عند الله تعالى؛ وهو اختيار: الرازي، والنيسابوري رحمهما الله[٥].

---

(١) جامع البيان: ٥/ ١٨٧. وينظر: المحرر الوجيز: ٢/ ٨٦.
(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣/ ٣٢٢، والدر المصون: ٤/ ٥٥.
(٣) **التطرية**: التجديد والإحداث؛ ومنه: طَريتُ الثوب: إذا عملتَ به ما يجعله جديدًا. ينظر: الكليات: ١/ ٣١١.
(٤) عناية القاضي: ٣/ ٣٢٠. وينظر: روح المعاني: ٥/ ٩٨، ومحاسن التأويل: ٢/ ٤٠٨.
(٥) ينظر: التفسير الكبير: ١٠/ ٨٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٢٣٧.

القول الثالث: أن (الكفل) و(النصيب) وإن كان كل منهما يستعمل في الأمرين عند الانفراد؛ إلا أنه لما قرن بينهما جلَّ وعلا في الآية الكريمة حسُن اختصاص حظ الخير بـ(النصيب) وحظ الشر بـ(الكفل)؛ فلفظ (الكفل) يُشْعر بالحِمْل والثِّقَل، ولفظ (النصيب) يُشْعِر بالحظ الذي يَنْصَب طالبه في تحصيله؛ وهو اختيار ابن القيم رحمه الله[1].

القول الرابع: أنه سبحانه غاير بينهما؛ لأن (النصيب) يقال فيما يقل ويكثر، و(الكفل) هو المثل المساوي، فاختيار (النصيب) أولًا لأن جزاء الحسنة يُضاعف، و(الكفل) ثانيًا لأن من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها، ففي الآية إشارة إلى لطف الله تعالى بعباده؛ إذ لم يضاعف السيئات كالحسنات؛ وهو اختيار: الراغب الأصفهاني، وشيخ زاده، والشهاب الخفاجي رحمهم الله[2].

ومما يستدل به لهذا القول: أن من معاني (الكِفل) في اللغة: المثل[3].

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: «و**(الكِفْل) بكسر الكاف وسكون الفاء**: الحظ، ويستعمل (الكفل) بمعنى المِثْل، فيؤخذ من التفسيرين أن (الكفل) هو الحظ المماثل لحظ آخر»[4].

لذلك قال الله ﷻ عن السيئة: ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾؛ لأن السيئة تُجازى بقدرها كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

(١) روضة المحبين: ٣٧٨.
(٢) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: ٢/ ١٣٦٠/ ١٣٦١، وحاشية زاده: ٢/ ١٥٥، وعناية القاضي: ٣/ ٣٢٠. وروح المعاني: ٥/ ٩٨، ومحاسن التأويل: ٢/ ٤٠٨.
(٣) لسان العرب، مادة: (كفل): ١١/ ٥٨٩.
(٤) التحرير والتنوير: ٥/ ١٤٤.

قال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٌ مِّنۡهَاۗ﴾؛ أي: نصيب من وزرها، مساوٍ لها في المقدار، من غير أن ينقص منه شيء»[(١)].

أما الحسنة فتُضاعف كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وكقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤]، وهذا من لطف الله تعالى بعباده[(٢)].

القول الخامس: أن (الكِفْل) وإن كان يأتي بمعنى (النصيب)، إلا أنه في الآية الكريمة: الضِّعْفُ.

قال الخليل بن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(الكِفْل) من الأجر ومن الإثم: الضِّعْف، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، و﴿يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٌ مِّنۡهَاۗ﴾»[(٣)].

وقال المنتجب الهمذاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الكفل**: الضِّعْفُ»[(٤)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عند شرحه لحديث: (**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا؛ إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**)[(٥)]:

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٢/ ٢١٠. وينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: ٢/ ١٣٦٠/ ١٣٦١، وأنوار التنزيل: ٢/ ٨٧، وحاشية زاده: ٢/ ١٥٥.

(٢) ينظر: عناية القاضي: ٣/ ٣٢٠. وروح المعاني: ٥/ ٩٨، ومحاسن التأويل: ٢/ ٤٠٨.

(٣) كتاب العين، مادة: (كفل)، باب الكاف واللام والفاء: ٥/ ٣٧٣.

(٤) الكتاب الفريد: ٢/ ٣١٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾، [المائدة: ٣٢] ح برقم (٦٨٦٧) ١١٨٣، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب بيان إثم من سن القتل، ح برقم (١٦٧٧) ٩١٩١. من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«و(الكِفْل) بكسر أوله وسكون الفاء: النصيب، وأكثر ما يطلق على الأجر، و(الضِّعْفُ) على الإثم، ومنه قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، ووقع على الإثم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾»[١].

وقال النووي رحمه الله: «(الكِفْل) بكسر الكاف: الجزء والنصيب، وقال الخليل: هو الضِّعْفُ. وهذا الحديث من قواعد الإسلام، وهو أن كل من ابتدع شيئًا من الشر، كان عليه مثل وزر كلِّ من اقتدى به في ذلك العمل مثل عمله إلى يوم القيامة، ومثله من ابتدع شيئًا من الخير كان له مثل أجر كلِّ من يعمل به إلى يوم القيامة، وهو موافق للحديث الصحيح: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً)[٢]، وللحديث الصحيح: (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)[٣]، وللحديث الصحيح: (مَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى هُدًى، وَمَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى ضَلَالَةٍ)[٤]. والله أعلم»[٥].

---

(١) فتح الباري: ١٢/ ٢٤٠.

(٢) ولفظه: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ». أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، ح برقم (١٦٧٧) ٩١٩١. من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله، ح برقم (١٨٩٣) ١٠٥٠. من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٤) ولفظه: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب: من سن سُنَّة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح برقم (٢٦٧٤) ١٤٣٨. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) شرح النووي على مسلم: ١١/ ١٦٨.

ومما يعضد القول بأن (الكفل) يطلق ويراد به الضعف، أن قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، حمله بعض أهل العلم على مؤمني أهل الكتاب؛ وقد نسبه ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «إلى عامة المفسرين»[(١)].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾: يعطكم ضعفين من الأجر؛ لإيمانكم بعيسى ﷺ، والأنبياء قبل محمد ﷺ، ثم إيمانكم بمحمد ﷺ حين بعث نبيًّا»[(٢)].

ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٤]. وحديث (**ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ** ـ وَذَكَرَ مِنْهُمْ ـ: **رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ**)[(٣)].

واختار الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: أن الآية في مؤمني هذه الأمة، واستدل بما ورد عن سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية بقوله: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يُؤتون أجرهم مرتين، أنزل الله تعالى على نبيِّه هذه الآية في

---

(١) زاد المسير: ٨/ ١٧٨. وينظر: جامع البيان: ٢٧/ ٢٤١، وبحر العلوم: ٣/ ٣٩٠، والنكت والعيون: ٥/ ٤٨٥، ومعالم التنزيل: ٤/ ٣٠٢.

(٢) جامع البيان: ٢٧/ ٢٤١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله، ح برقم (٩٧) ٢٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، ونسخ الملل بملته، ح برقم (١٥٤) ٩٠، ٩١، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) أضواء البيان: ٦/ ٦٣٤، ٦٣٥.

حق هذه الأمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]؛ أي: ضعفين من رحمته، وزادهم ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٨]؛ ففضلهم بالنور والمغفرة[١].

فما مضى مما يعضد تفسير (الكفل) بالضعف. والله تعالى أعلم بكتابه.

• **وخلاصة القول**: أن هذه الأقوال على الرأي الثاني تفيد أن (الكفل) و(النصيب) ليسا بمعنى واحد، وإن كان كل منهما يستعمل في الأمرين عند الانفراد؛ «فمجيء اللفظين في الآية الكريمة على هذا النحو يدلُّ على اختلاف في معناهما، فما كان القرآن ليخالف بينهما في الموضع الواحد إلا لناشئة حكمة، وتأسيس معنى، واختلاف بيان»[٢].

وإن كان أقرب الأقوال من وجهة نظري هو القول الخامس: أن (الكفل) وإن كان يأتي بمعنى (النصيب) **فالمراد به هنا**: الضِّعْفُ؛ لأن الآية في الترهيب من الشفاعة السيئة، ولمَّا كانت عقوبة الشفاعة السيئة عظيمة عند الله تعالى ناسب أن يكون المراد بـ(الكفل) هنا الضِّعْفُ.

وكل ما تقدم ذكره من الأقوال تعضده قاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[٣]. والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٢٧/ ٢٤٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ٩/ ٢٩٩، وتفسير القرآن العظيم: ٤/ ٤٠٥.

(٢) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٨١.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

الآية الثانية عشر: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

(الخطيئة) و(الإثم) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة التي جاءت في سياق الآيات من قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥]، إلى قوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات روايات متقاربة؛ لكن الجميع اتفقوا على أن نزولها كان في بني أُبَيْرِق[(١)][(٢)].

• **وخلاصة هذه الروايات**: «أن طُعْمَة رجلًا من بني أُبَيْرِق من الأنصار، سرق درعًا لعمِّه كانت وديعةً عنده، ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم، يقال له: «زيد بن السمين»، فجاء اليهودي إلى نبي الله ﷺ يهتف، فلما رأى ذلك قومه، جاؤوا إلى نبي الله ﷺ ليُعذروا صاحبهم، وكان نبي الله ﷺ قد همَّ بعُذْره، فأنزل الله في شأنه وفي قومه هذه الآيات فقال: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧] إلى قوله ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ جَـٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَـٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [النساء: ١٠٩]، ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا

---

(١) الأُبيرق: لقب، وهو الحارث بن عمرو بن حارثة بن الهيثم بن رفاعة؛ وابنه بشير بن أبيرق، وهو الشاعر، كان يهجو أصحاب رسول الله ﷺ وكان منافقًا؛ فقيل: إنه ارتد سنة أربع من الهجرة، وهي سنة الخندق، وكان له أخوان: مُبشِّر، وبِشر، ابنا الحارث؛ فاضلان، شهدا أُحدًا مع رسول الله ﷺ.

ينظر: جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: ٢/ ٣٤٣ [ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م].

(٢) ينظر: جامع البيان: ٥/ ٢٧٤، وبحر العلوم: ١/ ٣٦٢، ومعالم التنزيل: ١/ ٤٧٨، والمحرر الوجيز: ٢/ ١٠٨، وأحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٥١٦، والجامع لأحكام القرآن: ٧/ ١١٣، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٧٢٠. والتحرير والتنوير: ٥/ ١٩١.

فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، وكان طُعْمة قذَف بها بريئًا»[(١)].

وقد اقتصر بعض أهل العلم في بيان معنى (الخطيئة) و(الإثم) على ما ورد في سبب النزول، وبعضهم ذكر المراد من (الخطيئة) و(الإثم)؛ فإلى ذكر آرائهم:

الرأي الأول: أن (الخطيئة) و(الإثم) بمعنى واحد وجمع بينهما تأكيدًا:

قال النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويقال: ما الفرق بين (الخطيئة) و(الإثم) وقد عطف أحدهما على الآخر؟ ففي هذا أجوبة منها: أنهما واحد؛ ولكن لما اختلف اللفظان جاز هذا»[(٢)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: هما بمعنى واحد؛ وكُرر لاختلاف اللفظ تأكيدًا»[(٣)].

ونجد من أهل العلم من فسر (الخطيئة) و(الإثم) بأنها المعصية، دون تفريق بينهما.

---

(١) ينظر: سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء، ح برقم (٣٠٣٦)، ٥/ ٢٤٢، وجامع البيان: ٥/ ٢٦٥، والمعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي: ح برقم (١٩)، ١٥/ ٩ [ط٢، مكتبة الزهراء، الموصل: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م]، والمستدرك: ح: برقم (٨١٦٤)، ٤/ ٤٢٦. من حديث قتادة بن النعمان رضي الله عنه.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». المستدرك: ٤/ ٤٢٨، وحسنه الألباني. ينظر: صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني: ٣/ ٣٢٢ [ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م].
وقال مؤلفا الاستيعاب: «حسن لغيره». ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب: ١/ ٤٩٥. والتفسير الصحيح: ٢/ ١٠٩.

(٢) إعراب القرآن: ١/ ٤٨٧. وينظر: المحرر الوجيز: ٢/ ١١١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ١٥٧، والبحر المحيط: ٣/ ٣٦١، والجواهر الحسان: ١/ ٤١٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ١٢١، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٧/ ٤٧٦، وفتح القدير: ١/ ٨١٤.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: «﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾؛ يعني: عمل بالمعصية»[(١)].

وقال القاسمي رحمه الله: «﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾؛ (الخطيئة) الذنب، أو ما تُعمِّد منه، و(الإثم): الذنب أيضًا، وأن يعمل ما لا يحلُّ له؛ كذا في «القاموس»»[(٢)].

وقال محمد رشيد رضا رحمه الله: «يطلق العلماء (الخطيئة) و(الإثم) و(الذنب) و(السيئة) على المعصية»[(٣)].

ونجد من أهل العلم من فسَّر (الخطيئة) و(الإثم) بصنيع من نزلت فيه الآيات.

قال السمعاني رحمه الله: «﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ هو سرقته التي ذكرنا»[(٤)]. وهذا التفسير من باب التفسير بالمثال، والآية كما قال ابن عطية رحمه الله: «لفظها عام ويندرج تحت ذلك العموم توبيخ أهل النازلة المذكورة»[(٥)].

الرأي الثاني: أن (الخطيئة) و(الإثم) ليسا بمعنى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن (الخطيئة) ما كان عن غير عمد، و(الإثم) ما كان عن عمد.

---

(١) بحر العلوم: ١/ ٣٦٢.

(٢) محاسن التأويل: ٢/٤٧٨. وينظر: القاموس المحيط، مادة: (خطأ)، باب الهمزة فصل الخاء: ٣٩، ومادة: (أثم)، باب الميم، فصل الهمزة: ١٠٧٤.

(٣) تفسير المنار: ٥/ ٤٠.

(٤) تفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٤٧٧.

(٥) المحرر الوجيز: ٢/ ١١١.

وهو اختيار: الطبري، والجصاص، وأبي هلال العسكري، والبقاعي رحمهم الله[(١)].

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ: «(الخطيئة) أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصودًا إليه في نفسه؛ بل يكون القصد سببًا لتولد ذلك الفعل منه؛ كمن يرمي صيدًا فأصاب إنسانًا، أو شرب مسكرًا فجنى جناية في سكره... قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ فـ(**الخطيئة**) **ههنا**: هي التي لا تكون عن قصد إلى فعله»[(٢)].

وقال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ: «وأما (الخطيئة) فظاهر أنها من الخطأ ضد الصواب»[(٣)].

وأما (الإثم) فقد قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يكون (الإثم) إلا عن عمد»[(٤)].

وقد استدل أهل العلم على هذا التفريق بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [النساء: ١١١]. فإن المراد بـ(الإثم) ما كان عن عمد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «يعني: بذلك جلَّ ثناؤه: ومن يأت ذنبًا على عَمْدٍ منه له ومعرفة به، فإنما يجترح وَبَال ذلك الذنب وضُرَّه وخِزْيه وعاره على نفسه، دون غيره من سائر خلق الله»[(٥)].

وقال الزركشي رَحِمَهُ اللهُ: «(**الخطيئة**): ما كان عن غير عمد. و(**الإثم**):

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٥/ ٢٧٤، وأحكام القرآن: ٣/ ٢٦٦، والفروق اللغوية: ٢٦١، ونظم الدرر: ٢/ ٤٧٦.

(٢) المفردات، مادة: (خطأ)، كتاب الخاء: ١٥٨.

(٣) تفسير المنار: ٥/ ٤٠.

(٤) التحرير والتنوير: ١٥/ ٨٨.

(٥) جامع البيان: ٥/ ٢٧٣.

ما كان عن عمد؛ ويدل عليه قوله تعالى قبل ذلك: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [النساء: ١١١]»[(١)]، «فبيَّن أن (الإثم) ما يكون سببًا لاستحقاق العقوبة»[(٢)].

ولعل مما يستأنس به لهذا القول قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

قال الشوكاني رحمه الله: «﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: لا إثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ من غير عمد، ولكن الإثم ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وهو ما قُلتموه على طريقة العمد من نسبة الأبناء إلى غير آبائهم مع علمكم بذلك»[(٣)].

القول الثاني: أن المراد بـ(الخطيئة): الصغيرة، و(**الإثم**): الكبيرة.

وهو اختيار: الزمخشري، والنسفي، والنيسابوري، والسيوطي، والطاهر بن عاشور رحمهم الله[(٤)].

القول الثالث: من جمع بين القولين السابقين في معنى (الخطيئة) و(الإثم)، **فحمل معنى (الخطيئة)**: على الصغيرة أو ما لا عمد فيه، و(**الإثم**): على الكبيرة أو ما كان عن عمد.

وهو اختيار: البيضاوي، والخطيب الشربيني، وأبي السعود رحمهم الله[(٥)].

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٦.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١١/ ١٩٥، واللباب في علوم الكتاب: ٧/ ٤٧٦.

(٣) فتح القدير: ٤/ ٣٤٣، ٣٤٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ١/ ٥٩٧، ومدارك التنزيل: ١/ ٣٦٣٤، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٣٨١، وتفسير الجلالين: ص٩٦، والتحرير والتنوير: ٥/ ١٩٦.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: ٢/ ٩٦، والسراج المنير: ١/ ٣٨٤، ٣٨٣، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ٢٣٠.

القول الرابع: أن المراد بـ(الخطيئة): الذنب الكبير، و**(الإثم)**: ما دون ذلك.

وهو اختيار ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

القول الخامس: أن المراد بـ(الخطيئة): الذنب بينه وبين الله تعالى، و**(الإثم)**: الذنب بينه وبين الناس[(٢)].

قال الواحدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾: ذنبًا بينه وبين الله تعالى؛ **يعني**: يمينه الكاذبة أنه ما سرق، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: ذنبًا بينه وبين الناس؛ **يعني**: سرقته»[(٣)].

• **وخلاصة القول**: أن (الخطيئة) و(الإثم) وإن كان يطلق كل منهما على الآخر عند الانفراد؛ إلا أن اجتماعهما في الآية الكريمة يقتضي أن لكل منهما معنى غير معنى الآخر.

قال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: «يطلق العلماء (الخطيئة) و(الإثم) و(الذنب) و(السيئة) على المعصية، ولكل لفظ منهما معنًى في أصل اللغة يناسبه إطلاق القرآن، ولا يمكن أن يكون (الإثم) هنا بمعنى (الخطيئة)»[(٤)].

وما ذكره أهل العلم من أقوال في معنى (الخطيئة) و(الإثم) على الرأي الثاني؛ يفيد أن معنى (الخطيئة) غير معنى (الإثم)؛ غير أن القول الأول ـ وهو: **أن الخطيئة**: ما كان عن غير عمد، **والإثم**: ما كان عن عمد ـ هو الذي يظهر لي، والعلم عند الله؛ ويكون المراد من ذلك أن رمي البريء سواء أكان عن عمد أو غير عمد أنهما في الحكم سواء.

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٢٠١.
(٢) الوجيز للواحدي: ١/ ٢٨٨. وينظر: مدارك التنزيل: ١/ ٣٦٣٤.
(٣) الوجيز للواحدي: ١/ ٢٨٨. وينظر: الكشف والبيان: ٣/ ٤٠٥، وزاد المسير: ٢/ ١٩٥.
(٤) تفسير المنار: ٥/ ٤٠.

قال الجصاص رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل في الفرق بين (الخطيئة) و(الإثم): أن (الخطيئة) قد تكون من غير تعمد، و(الإثم) ما كان عن عمد؛ فذكرهما جميعًا ليبين حكمهما، وأنه سواء كان تَعَمُّد أو غير تَعَمُّد؛ فإنه إذا رمى به بريئًا فقد احتمل بهتانًا وإثما مبينًا؛ إذ غير جائز له رمي غيره بما لا يعلمه منه»(١).

ومما استدل به أهل العلم على أن (الخطيئة) غير (الإثم) في المعنى؛ «أنه لا يجوز المطابقة بين المتعاطفين بـ(أو) في المعنى»(٢).

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «وظاهر العطف بـ(أو) المغايرة»(٣).

وهذا التفريق بين (الخطيئة) و(الإثم) هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»(٤). والله أعلم بكتابه.

الآية الثالثة عشر: قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

(البر) و(التقوى) من الألفاظ الموهمة بالترادف، **وقد اجتمعا في موضعين من كتاب الله تعالى هذا هو الأول** منهما، **والثاني** قوله تعالى: ﴿وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩].

---

(١) أحكام القرآن: ٣/ ٢٦٦.

(٢) المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم: ١/ ٢٠٤ و٤/ ١٥٨٣.

(٣) البحر المحيط: ٣/ ٣٦١.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

وفي سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (البر) و(التقوى) بمعنًى واحد، وجمع بينهما من باب التأكيد بالمرادف:

قال ابن عطية رحمه الله: «قال قوم: هما لفظان بمعنى؛ وكرر باختلاف اللفظ تأكيدًا ومبالغة؛ إذ كل بر تقوى وكل تقوى بر»(١).

ولعل حجة من ذهب إلى هذا الرأي: أن (البر) و(التقوى) يطلق كل منهما على الآخر عند الانفراد. وهذا نظير (الإسلام) و(الإيمان)، و(الفقير) و(المسكين)، ونحو ذلك من الأسماء التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: «ومسمى (البر) ومسمى (التقوى) عند الإطلاق واحد؛ فالمؤمنون هم المتقون وهم الأبرار»(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: «(البر) و(التقوى) اللذان هما جماع الدين كلِّه، وإذا أُفرد كل واحد من الاسمين دخل فيه المسمى الآخر؛ إما تضمنًا وإما لزومًا، ودخوله فيه تضمنًا أظهر؛ لأن (البر) جزء مسمَّى (التقوى)، وكذلك (التقوى) فإنه جزء مسمًّى (البر)، وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند الانفراد»(٤).

وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله من معاني (البِر) في القرآن الكريم:

---

(١) المحرر الوجيز: ٢/ ١٥٠. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ٢٦٩، ٢٦٨، والبحر المحيط: ٣/ ١٦٧، والجواهر الحسان: ١/ ٤٣٩، وفتح القدير: ٢/ ١١.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٣/ ٣٩.

(٣) المصدر السابق: ٧/ ١٣٨.

(٤) الرسالة التبوكية (ضمن مجموع الرسائل)، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عُزير شمس: ٥ [ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ].

التقوى، ومنه قوله تعالى: «﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤](١).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلامه على قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ﴾ [البقرة: ١٨٩]: «بيان ما كثُر وشاع من أن الكلمتين إذا أفردت إحداهما عن الأخرى، صارتا بمعنًى واحد، وإذا جمعت إحداهما إلى الأخرى، صار لكل واحدة معنى، فهنا بيَّن الله تعالى أن (البر) هو (التقوى)، لكنه في آية أخرى قال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾، فجعل (التقوى) غير (البر)»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جمع الله خصال البر في قوله تعالى ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. فأخبر سبحانه أن (البر): هو الإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وهذه هي أصول الإيمان الخمس التي لا قِوام للإيمان إلا بها. وأنه الشرائع الظاهرة؛ من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنفقات الواجبة. وأنه الأعمال القلبية التي هي حقائقه؛ من الصبر، والوفاء بالعهد. فتناولت هذه الخصال جميع أقسام الدين: حقائقه وشرائعه، والأعمال المتعلقة بالجوارح والقلب، وأصول الإيمان الخمس. ثم أخبر سبحانه أن هذه هي خصال التقوى بعينها،

---

(١) نزهة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي: ١٩١ [ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م].

(٢) أحكام من القرآن الكريم: ٢/ ٨. وينظر: تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة): ٢/ ٣٧٣.

فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]»[١].

فـ(البر) في الأصل: كلمة جامعة لكل خصال الخير الظاهرة والباطنة.

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ: «البَرُّ خلاف البحر، وتُصوِّر منه التَّوسُّع فاشْتُقَّ منه البِر؛ أي: التوسُّع في فعل الخير، وينسب ذلك إلى الله تعالى تارة نحو: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]. وإلى العبد تارة، فيقال: بَرَّ العبد ربه؛ أي: توسَّع في طاعته، فمن الله تعالى الثواب، ومن العبد الطاعة، وذلك ضربان: ضرب في الاعتقاد، وضرب في الأعمال، وقد اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٧]»[٢].

والتقوى في الأصل: «جعل النفس في وِقايةٍ مما يُخاف»[٣]. وذلك بفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه؛ ولذا كان من أجمع وأحسن ما عرِّفت به (التقوى)، قول طلق بن حبيب[٤] رَحِمَهُ اللهُ: «**التقوى**: عمل بطاعة الله؛ رجاءَ رحمة الله، على نور من الله، **والتقوى**: ترك معصية الله؛ مخافة الله، على نور من الله»[٥].

---

(١) الرسالة التبوكية: ٧، ٨.

(٢) المفردات، مادة: (بَرَّ)، كتاب الباء: ٤٥.

(٣) المفردات، مادة: (وقى)، كتاب الواو: ٥٥٥.

(٤) طلق بن حبيب العَنَزي، بصري زاهد كبير، من العلماء العاملين، أثنى عليه غير واحد من الأئمة، ولكن تكلموا فيه من جهة أنه كان يقول بالإرجاء، توفي قبل المائة.
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٤/٦٠١، والبداية والنهاية: ٩/١٠١.

(٥) المصنف، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللَّحيدان، كتاب الزهد، حديث طلق بن حبيب، ح برقم (٣٦١٦٦٩) ١٢/٣٥١ [ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م].
وقد ذكر الذهبي هذا الأثر في ترجمة طلق بن حبيب ثم علق عليه بقوله: «قلت: أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترو من العلم والاتباع. ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفًا من الله، لا ليمدح بتركها، فمن داوم على =

وكل ما تقدم ذكره؛ لبيان أن (البر) و(التقوى) إذا أفردت إحداهما عن الأخرى، صارتا بمعنًى واحد.

الرأي الثاني: التفريق بين (البر) و(التقوى) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: (البر): فعل ما أمر الله به من الواجبات والمستحبات من أنواع الطاعات، و(التقوى): ترك ما نهى الله عنه من أنواع المعاصي؛ وهو اختيار جمهور المفسرين(١).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «(البر): ما أُمرتَ به، و(التقوى): ما نُهيتَ عنه»(٢).

قال ابن رجب رحمه الله: «وإذا قُرن (البر) بـ(التقوى)، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾. فقد يكون المراد بـ(البر) معاملة الخلق بالإحسان، وبـ(التقوى) معاملة الحق بفعل طاعته واجتناب محرماته، وقد يكون أريد بـ(البر) فعل الواجبات، وبـ(التقوى) اجتناب المحرمات»(٣).

= هذه الوصية فقد فاز». سير أعلام النبلاء: ٤/ ٦٠١. وقال ابن القيم رحمه الله: «وهذا من أحسن ما قيل في حدِّ التقوى». الرسالة التبوكية: ٩.

(١) **ينظر**: جامع البيان: ٦/ ٦٦ و٢٨/ ١٥، وبحر العلوم: ٣/ ٣٩٥، والكشف والبيان: ٤/ ٢٩٦، والوجيز للواحدي: ١/ ٣٠٧، ومعالم التنزيل: ٢/ ٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٣١٣، ومدارك التنزيل: ٤/ ٣٤٤، ولباب التأويل: ٧/ ٢٥٥، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٦، واللباب في علوم الكتاب: ١٨/ ٢٢٥، وتفسير الجلالين: ص١٠٦، وفتح القدير: ٥/ ٢٤٨، وتيسر الكريم الرحمٰن: ص٢١٩، وتفسير القرآن الكريم (سورة البقرة): ٢/ ٢٩٤.

(٢) جامع البيان: ٦/ ٦٧.

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس: ٢٥٢ [ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م].

وقد ذكر ابن سعدي قاعدة جميلة يُستدل بها لهذا القول فقال رَحِمَهُ اللهُ: «بعض الأسماء الواردة في القرآن إذا أفرد دل على المعنى المناسب له، وإذا قرن مع غيره دلَّ على بعض المعنى، ودلَّ ما قرن معه على باقيه... كلفظ (البر) و(التقوى): فحيث أفرد (البر) دخل فيه امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وكذلك إذا أفردت (التقوى). وإذا جمع بين (البر) و(التقوى)، مثل قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، كان (البر) اسمًا جامعًا لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وكانت (التقوى) اسمًا جامعًا يتناول ترك جميع المحرمات»[(١)].

القول الثاني: أن الفرق بين (البر) و(التقوى)، فرق بين السبب المقصود لذاته، وبين الوسيلة الموصلة إلى الغير؛ فـ(البر) مطلوب لذاته؛ لأن حقيقة (البر) هو الكمال المطلوب من الشيء، والمنافع التي فيه والخير، و(التقوى) هي الطريق الموصلة إلى (البر)، والوسيلة إليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأما عند اقتران أحدهما بالآخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ فالفرقُ بينهما فرق بين السبب المقصود لغيره والغاية المقصودة لنفسها؛ فإن (البر) مطلوب لذاته؛ إذ هو كمال العبد وصلاحه الذي لا صلاح له بدونه. وأما (التقوى) فهي الطريق الموصل إلى (البر) والوسيلة إليه، ولفظها يدل على هذا، فإنها فَعْلى، من: وَقَى يَقِي، فلفظها دال على أنها من الوِقاية[(٢)]، فإن المتقي قد جعل بينه وبين النار وقاية[(٣)]، فالوقاية من باب دفع الضرر، و(البر) من باب

(١) القواعد الحسان: ٤٧، ٤٨.

(٢) قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «والتقوى جعل النفس في وقاية مما يُخاف، هذا تحقيقه». المفردات، مادة: (وقى)، كتاب الواو: ٥٥٥.

(٣) قال الفيروزآبادي رحمه الله: «والتَّقِيّ: المتَّقي، وهو مَن جعل بينه وبين المعاصي وِقاية تحول بينه وبينها؛ من قوّة عزمه على تركها، وتوطين قلبه على ذلك. فلذلك قيل له: متَّقٍ». بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٣٠٠.

تحصيل النفع، فـ(التقوى) كالحِمْية، و(البر) كالعافية والصحة»[١].

القول الثالث: أن (البر) عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات وفي كل ما يقرب إلى الله، و(التقوى) في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات، فـ(البر) أعمُّ من (التقوى)؛ وهو اختيار ابن عطية، وابن جزي، والثعالبي رحمهم الله[٢].

• **وخلاصة القول**: أن ما ذكر من أقوال على الرأي الثاني يفيد أن (التقوى) غير (البر)، وإن كان يطلق كل منهما على الآخر عند الانفراد، ولهذا لم يرض أهل العلم القول بوقوع التأكيد بينهما في الآية الكريمة: قال ابن عطية رحمه الله: «(البر) و(التقوى)، قال قوم: هما لفظان بمعنى، وكرر باختلاف اللفظ تأكيدًا ومبالغة؛ إذ كل بر تقوى وكل تقوى بر. وفي هذا تسامحٌ ما»[٣].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [البقرة: ١٨٩] لمَّا قال: ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [البقرة: ١٨٩] دل الكلام على أن مراده: ولكن البر هو التقوى، فلا يوجد مثل هذا الاستعمال إلا مع ما يبين المراد، وحينئذٍ فهو مستعمل مع قيد يبين المراد هنا؛ كما هو مستعمل في موضع آخر مع قيد يبين المراد هناك، وبين المعنيين اشتراك وبينهما امتياز؛ بمنزلة الأسماء المترادفة والمتباينة؛ كلفظ: الصارم والمهنَّد والسيف؛ فإنها تشترك في دلالتها على الذات؛ فهي من هذا الوجه كالمتواطئة، ويمتاز كل منها بدلالته على معنى خاص فتشبه المتباينة»[٤].

---

(١) الرسالة التبوكية: ١٠، ١١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/ ١٥٠، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ١٦٧، والجواهر الحسان: ١/ ٤٣٩.

(٣) المحرر الوجيز: ٢/ ١٥٠.

(٤) مجموع الفتاوى: ٢٠/ ٤٩٤.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكر الفرق بين (البر) و(التقوى) عند اجتماعهما: «وهذا باب شريف يُنْتَفَعُ به انتفاع عظيم في فهم ألفاظ القران ودلالته، ومعرفة حدود ما أنزل الله على رسوله؛ فإنه هو العلم النافع، وقد ذَمَّ سبحانه في كتابه من ليس له علم بحدود ما أنزله على رسوله. **فإن عدم العلم بذلك مستلزم مفسدتين عظيمتين:**

إحداهما: أن يدخل في مسمى اللفظ ما ليس منه؛ فَيُحكَم له بحكم المراد من اللفظ؛ فيُسَوَّى بين ما فرق الله بينهما.

والثانية: أن يخرج من مُسَمَّاه بعضُ أفراده الداخلة تحته؛ فيُسْلَب عنه حكمه، فيفرق بين ما جمع الله بينهما.

والذكي الفطن يَتَفطَّن لأفراد هذه القاعدة وأمثلتها، فيرى أن كثيرًا من الاختلاف أو أكثره إنما نشأ عن هذا الموضع، وتفصيل هذا لا يفي به كتاب ضخم»[(١)].

وكذلك يؤيد هذا التفريق القاعدة التي ذكرها ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «بعض الأسماء الواردة في القرآن إذا أفرد دل على المعنى المناسب له، وإذا قرن مع غيره دلَّ على بعض المعنى، ودلَّ ما قرن معه على باقيه»[(٢)].

وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[(٣)]. والله أعلم بكتابه.

---

(١) الرسالة التبوكية: ١١، ١٢. (٢) القواعد الحسان: ٤٧، ٤٨.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

الآية الرابعة عشر: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

(العداوة) و(البغضاء) من الألفاظ الموهمة بالترادف، **وقد اجتمعتا في أربعة مواضع في كتاب الله ﷻ: منها ثلاثة في سورة «المائدة»:** وهي قوله تعالى: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [المائدة: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ [المائدة: ٩١]، **وموضع واحد في سورة الممتحنة:** وهو قوله تعالى ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقبل البدء في ما ذكره أهل العلم في المراد بـ(العداوة) و(البغضاء) في الآيات الكريمات؛ أحبُّ أن أشير إلى ما ذكره الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بداية كلامه على الفرق بين (العداوة) و(البغضاء) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [المائدة: ١٤] بقوله: «وقد ترك علماء اللغة بَيانَ التفرقة بين (العداوة) و(البغضاء)، وتابعهم المفسرون على ذلك»[1]. وكما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإن القِلة من أهل العلم هم الذين تعرضوا لذكر الفرق بينهما. وكذلك من ذكر أنهما بمعنى واحد والجمع بينهما للتأكيد. **فإلى ذكر آرائهم:**

(١) التحرير والتنوير: ١٤٨/٦. وقد ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لم يتصدَّ للفرق بينهما سوى ابن عرفة في تفسيره، وأبي البقاء الكفوي في الكليات، وسيأتي ذكر أقوالهم عند ذكر الرأي الثاني.

الرأي الأول: أن (العداوة) و(البغضاء) بمعنًى واحد، وجمع بينها من باب التأكيد بالمرادف:

وقد نصَّ على ذلك ضياء الدين ابن الأثير؛ حيث ذكر في باب التكرير القسم الثاني من التكرير ما أسماه: التكرير الذي يوجد في المعنى دون اللفظ[١]. فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]؛ فإن (البغضاء) و(العداوة) بمعنى واحد؛ وإنما حسُن إيرادهما معًا في معرض واحد؛ لتأكيد البراءة بين إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه والذين آمنوا به وبين الكفار من قومهم، حيث لم يؤمنوا بالله وحده، وللمبالغة في إظهار القطيعة والمُصَارمة»[٢].

ومن أهل العلم من فسَّر اللفظين بمعنى واحد دون تفريق بين (العداوة) و(البغضاء).

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتأويل ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾؛ أي: صاروا فِرَقًا؛ يكفِّر بعضهم بعضًا»[٣].

وقال الخازن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: هي الأهواء المختلفة»[٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم

---

(١) المثل السائر: ٢/ ١٦٠.
(٢) المصدر السابق: ٢/ ١٦٥. وينظر: أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ١٢٣.
(٣) تفسير القرآن العزيز: ٢/ ١٧. وينظر: زاد المسير: ٢/ ٣١٥.
(٤) لباب التأويل: ٢/ ٢٧. وينظر: بحر العلوم: ١/ ٤٠٢، ومعالم التنزيل: ٢/ ٢٢، ومدارك التنزيل: ١/ ٤٠٠.

بعضًا، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، ولذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين، يكفِّر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا، فكل فرقة تحرم الأخرى، ولا تدعها تَلِجُ معبدها»[(١)].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: «وقد تطلق إحداهما في موضع الأخرى إذا افترقتا»[(٢)].

الرأي الثاني: التفريق بين (العداوة) و(البغضاء) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن المراد بـ(العداوة): تباعد القلوب والنيات، و**(البغضاء)**: البغض.

وهو اختيار: ابن عُزيز السِّجستاني، وابن الهائم رحمهما الله[(٣)].

القول الثاني: أن (العداوة) أَعمُّ من البغضاء؛ لأن (العداوة) سبب في البغضاء؛ فقد يتعادى الأخ مع أخيه ولا يتمادى على ذلك حتى تنشأ عنه المباغضة، وقد يتمادى على ذلك. وقد عزاه ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ إلى ابن عرفة التونسي في «تفسيره»[(٤)].

القول الثالث: أن (العداوة) أخصُّ من (البغضاء)؛ لأن كل عدو فهو يبغض وقد يبغض من ليس بعدو.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢/٤٨. (٢) التحرير والتنوير: ١٨/١٤٥.

(٣) ينظر: غريب القرآن: ٥٦، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ١٨٠.

(٤) التحرير والتنوير: ٦/١٤٨. ومعلوم أن المطبوع من تفسير ابن عرفة رَحِمَهُ اللهُ ينتهي بتفسير سورة البقرة. ولم أقف على كلامه هذا في المطبوع من تفسيره. فلعل الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ وقف على تفسيره هذا.

وهو اختيار: أبي حيان رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

واختاره من أهل اللغة: أبو البقاء الكفوي(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ(٣).

القول الرابع: أن (العداوة) تكون بالأبدان، و(البغضاء) تكون بالقلوب.

وهو اختيار: ابن عطية، والسمين الحلبي، والخطيب الشربيني، وابن عاشور، وابن سعدي رحمهم الله(٤).

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ في التفريق بين (العداوة) و(البغضاء) في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: «وكأن (العداوة) شيء مشتهر يكون عنه عمل وحرب، و(البغضاء) قد لا تتجاوز النفوس، وقد ألقى الله الأمرين على بني إسرائيل»(٥).

وقال الخطيب الشربيني رَحِمَهُ اللَّهُ في التفريق بينهما في قوله تعالى: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ [الممتحنة: ٤]: «﴿الْعَدَاوَةُ﴾ وهي: المباينة في الأفعال بأن يعدوَ كلُّ أحد على الآخر، ﴿وَالْبَغْضَاءُ﴾ وهي: المباينة بالقلوب للبُغض العظيم»(٦).

---

(١) البحر المحيط: ٣/ ٥٣٦.

(٢) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، كان من قضاة الأحناف، صاحب الكليات، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى استانبول فتوفي بها سنة (١٠٩٤هـ). الأعلام٢/ ٣٨.

(٣) الكليات: ٦٤٤.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/ ٢١٦، والدر المصون: ٤/ ٣٤٦، والسراج المنير: ٤/ ٢٧٩، والتحرير والتنوير: ٦/ ١٤٨و٢٨/ ١٤٥، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٨٥٦.

(٥) المحرر الوجيز: ٢/ ٢١٦. وينظر: البحر المحيط: ٣/ ٥٣٦، والدر المصون: ٤/ ٣٤٦، والجواهر الحسان: ١/ ٤٧٤، واللباب في علوم الكتاب: ٧/ ٤٣٣، وحاشية زاده: ٢/ ٢٢٤.

(٦) السراج المنير: ٤/ ٢٧٩.

ويدل لهذا التفريق أصل اللغة والاستعمال للفظتين:

أمَّا (العداوة) في الأصل: فهي ضدُّ الوَلاية[1]، وقد قرن الله ﷻ بينها وبين الولاية في أكثر من موضع من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وأمَّا اشتقاقها فهي من العَدْو. «وهو التجاوز والتباعُد»[2].

قال ابن فارس رحمه الله: «العين والدال والحرف المعتل: أصل واحد صحيح يرجع إليه الفروع كلها، وهو يدل على: تجاوز في الشيء، وتقدُّم لما ينبغي أن يُقتصر عليه»[3].

ومما يؤيد القول: بأن العداوة كل شيء مشتهر يكون عنه عمل وحرب. قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، على خلاف في: من المراد بهذه الآية الكريمة؟ **على قولين:**

أحدهما: أنهم مشركو العرب؛ لما كان بينهم من الحروب في الجاهلية.

والثاني: أنهم الأوس والخزرج[4]؛ لما كان بينهم من الحروب في الجاهلية حتى تطاولت مائة وعشرين سنة، إلى أن ألَّف الله بين قلوبهم بالإسلام، فتُركت تلك الأحقاد[5].

---

(١) **ينظر:** لسان العرب، مادة: (عدا): ١٥/ ٣٦، والتفسير الكبير: ١٦/ ١٠٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٦/ ١٤٨.

(٣) مقاييس اللغة، مادة: (عدو)، كتاب العين، باب: العين والباء وما يثلثهما: ٤/ ٢٤٩.

(٤) **الأوس:** ينسبون إلى أوس بن حارثة. **والخزرج:** ينسبون إلى الخزرج بن حارثة، وهما ابنا قَيْلَة، وهو اسم أمهم، وأبوهم هو حارثة بن عمرو بن عامر الذي يجتمع إليه أنساب الأزد. جهرة أنساب العرب: ٢/ ٣٣٢.

(٥) **ينظر:** النكت والعيون: ١/ ٤١٤، وزاد المسير: ١/ ٤٣٣.

ورجح أكثر أهل العلم أنها في الأوس والخزرج. قال أبو حيان رَحِمَهُ اللهُ: «الخطاب لمشركي العرب؛ قاله الحسن وقتادة؛ يعني: من آمن منهم؛ إذ كان القوي يستبيح الضعيف. وقيل: للأوس والخزرج. وَرَجح هذا بأن العرب وقت نزول هذه الآية لم تكن مجتمعة على الإسلام، ولا مؤتلفة القلوب عليه، وكانت الأوس والخزرج قد اجتمعت على الإسلام، وتألَّفت عليه بعد العداوة المفرطة، والحروب التي كانت بينهم»(١).

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «فالنِّعمة التي أنعم الله على الأنصار التي أمرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن يذكروها هي: أُلفة الإسلام، واجتماع كلمتهم عليها، والعداوة التي كانت بينهم التي قال الله ﷻ: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ [آل عمران: ١٠٣] فإنها: عداوة الحروب التي كانت بين الحيَّين من الأوس والخزرج في الجاهلية قبل الإسلام، يزعم العلماء بأيام العرب أنها تطاولت بينهم عشرين ومائة سنة»(٢).

فهذا مما يؤيد القول: بأن المراد بـ(العداوة): عداوة الأبدان.

وأمَّا (البغضاء): فهي الأصل ضدُّ المحبة.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الباء والغين والضاد: أصل واحد، وهو يدل على خلاف الحبِّ»(٣).

وقد جاء في الحديث اقتران الحبِّ بالبغض؛ فعن أبي هريرة(٤)

---

(١) البحر المحيط: ٣/ ٢١.

(٢) جامع البيان: ٤/ ٣٣. وينظر: الوجيز للواحدي: ١/ ٢٢٥، ومعالم التنزيل: ١/ ٣٣٨، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٤٦، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٠٧، والتحرير والتنوير: ٤/ ٣٣.

(٣) مقاييس اللغة، مادة: (بغض)، كتاب الباء، باب الباء والغين وما يثلثهما: ١/ ٢٧٣.

(٤) أبو هريرة الدَّوْسِي الصحابي الجليل، اختُلف في اسمه واسم أبيه؛ قيل: عبد الرحمٰن بن =

قال: «قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ. قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**)[1]».

ومما يؤيد القول: بأن (البغضاء) تكون بالقلوب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما ذكر تعالى ما انطوَوا عليه من وِدادهم عَنَتَ المؤمنين، وهو إخبارٌ عن فعل قلبي، ذكر ما أنتجه ذلك الفعل القلبي من الفعل البدني، وهو: ظهور البغض منهم للمؤمنين في أقوالهم، فجمعوا بين كراهة القلوب وبذاذة الألسن، ثم ذكر أن ما أبطنوه من الشر والإيذاء للمؤمنين والبغض لهم أعظم مما ظهر منهم فقال: ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾؛ أي: أكثر مما ظهر منها»[2].

وقال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾، لامتناع إخفاء الوصف الذاتي، ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾؛ لأنه

= صخر، وقيل: ابن غنم، وقيل: عبد الله بن عائذ، وقيل: ابن عامر، كان أحفظ الصحابة لأخبار رسول الله ﷺ ودعا بأن يحببه إلى المؤمنين وكان إسلامه بين الحديبية وخيبر، قدم المدينة مهاجرًا، وسكن الصفة، ومناقبه جمة رضي الله عنه. قيل: توفي سنة (٥٧هـ) وقيل: (٥٨هـ)، وسنة (٥٩هـ). الإصابة: ٧/ ٤٢٥.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، ح برقم (٣٢٠٩) ٥٣٦، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده ح برقم (٢٦٣٧) ١٤١٧.

(٢) البحر المحيط: ٣/ ٤٢.

المنشأ لذلك فهو نار وذاك شرار، وهو جبل والظاهر غبار»[(١)].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: ظهرت من فلتات أقوالهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]. فعبَّر بـ(البغضاء) عن دلائلها»[(٢)].

ومما تقدم يتضح الفرق بين (العداوة) و(البغضاء)؛ فـ**(العداوة)**: ضدُّ الولاية، و**(البغضاء)**: ضدُّ المحبَّة، قال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ [الممتحنة: ٤]؛ **أي**: هذا دأبنا معكم لا نتركه، ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك؛ **فتنقلب العداوة حينئذ وَلاية، والبغضاء محبة**»[(٣)].

ومما يؤيد القول بأن (العداوة) تكون بالأبدان، و(البغضاء) تكون بالقلوب:

ما ذُكر في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، فعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)] قال: «صنع رجل من الأنصار طعامًا فدعانا فشربنا الخمر حتى انْتَشَيْنا[(٥)]، فتفاخَرتِ الأنصار وقريش، فقالت الأنصار: نحن أفضل منكم. وقالت قريش: نحن أفضل منكم.

---

(١) روح المعاني: ٣/ ٥٤.
(٢) التحرير والتنوير: ٤/ ٦٥.
(٣) إرشاد العقل السليم: ٨/ ٢٣٧.
(٤) سعد بن مالك بن أُهيب ـ ويقال له: ابن وهيب ـ بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي، الزهري، أبو إسحاق بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم موتًا، كان أحد الفرسان، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد الستة أهل الشورى، وكان رأس من فتح العراق، ولي الكوفة لعمر وهو الذي بناها، وكان مجاب الدعوة مشهورًا بذلك. توفي سنة (٥٦هـ). الإصابة: ٢/ ٧٣، ٧٤.
(٥) **الانتشاء**: أول السُّكر ومقدماته. وقيل: هو السُّكر نفسه. النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (نشا)، باب النون مع الشين: ٩١٨.

فأخذ رجل من الأنصار لَحْيَ[(١)] جزورٍ[(٢)]، فضرب به أنفَ سعد فَفَزَرَهُ[(٣)] فكان أنفُ سعدٍ مَفْزُورًا. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]»[(٤)].

قال المفسرون: «وحصول العداوة بسبب الخمر؛ لأنهم إذا سَكِروا تشاجروا وتقاتلوا على نحو ما ذُكر في سبب نزول الآية، وحصل بينهم ما لا تُحمد عقباه من الجرائم والفواحش، ونحو ذلك، فإذا صَحُوا، ورأى بعضهم ما فعل بالآخر، تباغضوا لأجل ذلك وهم قد اجتمعوا للمؤانسة؛ فانقلب عليهم قصدهم بسببها»[(٥)].

• **وخلاصة القول**: أن التفريق بين (العداوة) و(البغضاء) في المعنى في الآيات الكريمات هو أولى من القول بالتأكيد وأنهما بمعنى واحد، وما ذُكر من أقوال على الرأي الثاني يفيد أن بينهما فرقًا في المعنى، إلا أن القول الرابع ـ وهو قول من قال: إن العداوة تكون بالأبدان، والبغضاء تكون بالقلوب ـ هو أقرب الأقوال من وجهة نظري، والعلم عند الله.

---

(١) أي: أحد حائطي الفم. قال ابن منظور ﷺ: «اللَّحْيَان: حائطا الفم، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم من كل ذي لَحْيٍ». لسان العرب، مادة: (لحا): ١٥/ ٢٤٣.

(٢) البعير ذكرًا كان أو أنثى؛ إلا أن اللفظة مؤنثة. النهاية في غريب الحديث والأثر: باب الجيم مع الزاي: ٧٠٥.

(٣) أي: شقه. النهاية في غريب الحديث والأثر: باب الفاء مع الزاي: ٧٠٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقَّاص ﷺ، ح برقم (١٧٤٨) ١٣١٥. وأحمد في المسند، ح برقم (١٥٦٧) ١٦٣، وابن حبان في صحيحه، ح برقم (٦٩٩٢)، ١٥/ ٤٥٢. «واللفظ له».

(٥) ينظر: معالم التنزيل: ٢/ ٦٢، والتفسير الكبير: ١٢/ ٦٧، ولباب التأويل: ٢/ ٨٩، والبحر المحيط: ٤/ ١٧.

والقول بالتفريق بينهما في المعنى هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[1].

وهو ما قرره الطاهر بن عاشور عند كلامه على معنى (العداوة) و(البغضاء) في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بقوله: «وظاهر عطف أحد الاسمين على الآخر في مواضع من القرآن، في هذه الآية وفي الآيتين بعدها في هذه السورة وفي آية سورة «الممتحنة»، أنهما ليسا من الأسماء المترادفة؛ لأن التزام العطف بهذا الترتيب يبعُد أن يكون لمجرد التأكيد، فليس عطف أحدهما على الآخر من قبيل عطف المرادف لمجرد التأكيد؛ كقول عدي:

.... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا[2]

والذي أرى أن بين معنيي (العداوة) و(البغضاء) التضاد والتباين؛ فـ(العداوة): كراهية تصدر عن صاحبها: معاملة بجفاء، أو قطيعة، أو إضرار؛ لأن العداوة مشتقة من العَدْو وهو التجاوز والتباعد، و(البغضاء): شدة الكراهية غير مصحوبة بعدو، فهي مُضمَرة في النفس. فإذا كان كذلك لم يصح اجتماع معنيي (العداوة) و(البغضاء) في موصوف واحد في وقت واحد؛ فيتعين أن يكون إلقاؤه بينهما على معنى التوزيع؛ أي: أغرينا العداوة بين بعض منهم، والبغضاء بين بعض آخر. فوقع في هذا النظم إيجاز بديع؛ لأنه يرجع إلى الاعتماد على علم المخاطبين بعدم استقامة اجتماع المعنيين في موصوف واحد»[3].

والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٢) البيت في ديوانه: ص١٨٣. وقد تقدم.

(٣) التحرير والتنوير: ٦/ ١٤٧، ١٤٨.

الآية الخامسة عشر: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

(الربانيون) و(الأحبار) من أوصاف أهل العلم عند أهل الكتاب، **وقد اقترن ذكرهما في موضعين من كتاب الله من سورة «المائدة»: الأول منهما موضع الدراسة التي معنا، والموضع الثاني قوله تعالى:** ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

وفي المراد بهما في الآيتين الكريمتين رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (الربانيين) و(الأحبار) بمعنًى واحد، لا فرق بينهما:

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الربانيون): العلماء وكذلك (الأحبار)»[(١)].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهل بين (الربانيين) و(الأحبار) فرق أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لا فرق والكلُّ علماء؛ هذا قول الأكثرين، منهم ابن قتيبة والزجاج[(٢)]»[(٣)].

وقال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(الربانيون) و(الأحبار) هما بمعنًى واحد، وهم العلماء»[(٤)].

وهو اختيار: الثعلبي، والبغوي رحمها الله[(٥)].

---

(١) تفسير غريب القرآن: ١٤٣. وينظر: بحر العلوم: ١/ ٤١٦.

(٢) ذكر ذلك عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤]. ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ١٤٤، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾. قال: «هم: علماؤهم ورؤساؤهم». ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ١٥٣.

(٣) زاد المسير: ٢/ ٣٦٤. وينظر: لباب التأويل: ٢/ ٢٨٤.

(٤) البحر المحيط: ٣/ ٥٧.

(٥) ينظر: الكشف والبيان: ٤/ ٦٩، ومعالم التنزيل: ٢/ ٤٠.

وقال ابن تيميَّة كَلَلله في معرض كلامه على المراد بالرِبِّيِّين في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] «و(الرِّبِّيُّون الكثير) عند جماهير السلف والخلف: هم الجماعات الكثيرة»(١). «وقد قيل في: ﴿رِبِّيُّونَ﴾ هنا: إنهم العلماء؛ فلما جعل هؤلاء هذا كلفظ الرباني، وعن ابن زيد: هم الأتباع؛ كأنه جعلهم المربوبين. والأول أصح من وجوه: أحدها: أن الربانيين عين الأحبار، وهم الذين يربُّون الناس وهم أئمَّتهم في دينهم، ولا يكون هؤلاء إلا قليلًا»(٢).

الرأي الثاني: أن (الربانيين) و(الأحبار) ليسا بمعنًى واحد، وإن كان كلٌّ منهما علماء.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن المراد بـ(الأحبار): العلماء، و(الربانيين): الذين جمعوا مع العلم البصيرة بسياسة الناس؛ فهم فوق الأحبار؛ وهذا القول مروي عن مجاهد(٣).

وهو اختيار: الطبري، والنحاس، وابن عطية رحمهم الله(٤).

قال الطبري كَلَلله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]: «وأولى الأقوال عندي بالصواب في (الربانيين) أنهم جمع رَبّاني، وأن الرَّبّاني المنسوب

---

(١) مجموع الفتاوى: ١/ ٥٨.

(٢) مجموع الفتاوى: ١/ ٦١. وينظر: الأقوال التي ذكرت في معنى الربيين: جامع البيان: ٤/ ١١٧ ـ ١١٩، والنكت والعيون: ١/ ٤٢٨.

(٣) جامع البيان: ٣/ ٣٢٦. وينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٣٦. معالم التنزيل: ١/ ٣٢١.

(٤) ينظر: جامع البيان: ٣/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧، ومعاني القرآن: ١/ ٤٢٩، والمحرر الوجيز: ٢/ ٢١٤، والبحر المحيط: ٢/ ٥٣٠، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ١٥٠.

إلى الرَّبَّان، الذي يَرُبُّ الناس، وهو الذي يصلح أمورهم، و«يَرُبُّها»، ويقوم بها. . . ، فـ (الربانيون) إذًا هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا. و(لذلك قال) مجاهد: وهم فوق الأحبار؛ لأن (الأحبار): هم العلماء، و(الرباني): الجامعُ إلى العلم والفقه البصرَ بالسياسة والتدبير، والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم»[(١)].

وقال النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال مجاهد: (الربانيون) فوق (الأحبار)؛ وهذا القول حسن؛ لأن (الأحبار) هم العلماء. و(الرباني) الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة، مأخوذ من قول العرب: رَبَّ أمر الناس يَرُبُّه؛ إذا أصلحه وقام به، فهو رابٌّ، وربَّانيٌّ على التكثير»[(٢)].

وقال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**الأحبار**): واحدهم حِبر، بكسر الحاء وفتحها، وهم العلماء الذين لا يعنون لإصلاح الناس ولا يكلفون ذلك، و(**الرباني**): هو العالم المدبر المصلح»[(٣)].

واختار ابن تيمية أن المراد بـ(الربانيين) أهل الأمر والنهي، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا قال مجاهد: هم الذين يربُّون الناس بصغار العلم قبل كباره»[(٤)]، فهم أهل الأمر والنهي، والإخبار[(٥)] يدخل فيه من أخبر بالعلم ورواه عن غيره وحدَّث به وإن لم يأمر أو يَنْهَ، وذلك هو المنقول عن السلف في (الرباني)؛ نُقِل عن عليٍّ[(٦)] قال: «هم الذين يَغْذُون الناس

---

(١) جامع البيان: ٣/ ٣٢٧.
(٢) معاني القرآن: ١/ ٤٢٩.
(٣) المحرر الوجيز: ٢/ ٢١٤.
(٤) لم أقف عليه منسوبًا إلى مجاهد. وهذا التفسير ذكره البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه دون عزوه لأحد. ينظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل: ١٧.
(٥) وقع في المطبوع من الفتاوى «الأحبار» بالحاء المهملة بدل «الإخبار». وما أثبته هو المناسب للسياق.
(٦) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ، القرشي، الهاشمي، أبو الحسن، أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، أول الناس إسلامًا في قول كثير =

بالحكمة، ويربُّونهم عليها»[١]، وعن ابن عباس قال: «هم الفقهاء المُعلِّمون»[٢]؛ قلت: أهل الأمر والنهي هم الفقهاء المعلِّمون»[٣].

وقال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «دلت الآية على أنه يحكم بالتوراة (النبيون) و(الربانيون) و(الأحبار)، وهذا يقتضي كون الربانيين أعلى حالًا من الأحبار، فثبت أن يكون (الربانيون) كالمجتهدين، و(الأحبار) كآحاد العلماء»[٤]. وهذا مأخوذ من تقديم (الربانيين) على (الأحبار) في الذكر؛ «ولا شك أن التقديم له دلالته غالبًا على التفضيل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]. ولو لم يكن (الربانيون) سبقوا في العلم إضافةً إلى العبادة ما استحقوا التقديم على (الأحبار) الذين لا خلاف أنهم العلماء»[٥].

القول الثاني: أن المراد بـ(الربانيين): الولاة، و(الأحبار): العلماء؛ وهذا القول: مروي عن ابن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ[٦].

قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن زيد: (الرَّباني): هو الذي يربِّي الناس، فالربانيون هم ولاة الأمة والعلماء، وذكر هذا أيضًا في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣]؛ أي: الولاة

= من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فربِّي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، وزوجه ابنته فاطمة، اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام. ومناقبه جمة رضي الله عنه. توفي رضي الله عنه شهيدًا سنة (٤٠هـ). الإصابة: ٤/ ٥٦٤ ـ ٥٦٩.

(١) زاد المسير: ١/ ٤١٣.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٦/ ٦٩١، وزاد المسير: ١/ ٤١٣.

(٣) مجموع الفتاوى: ١/ ٢٦٢، ٢٦٣.

(٤) التفسير الكبير: ١٢/ ٤.

(٥) تفسير آيات الأحكام في سورة المائدة، أ. د. سليمان بن إبراهيم اللاحم: ٢٦٨ [ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م].

(٦) ينظر: جامع البيان: ٦/ ٢٥١، والمحرر الوجيز: ١/ ٤٦٢، وزاد المسير: ٢/ ٣٦٤، ٣٦٥.

والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان»[١].

وقال الزجاج رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣] هم: علماؤهم ورؤساؤهم»[٢].

القول الثالث: أن المراد بـ(الربانيين): العلماء، و**(الأحبار)**: الفقهاء. وهو قول سفيان الثوري، والواحدي رحمهما الله[٣].

القول الرابع: أن المراد بـ(الربانيين): الزهّاد، و(الأحبار): العلماء؛ وهو اختيار: الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، والخطيب الشربيني، وأبي السعود رحمهم الله[٤].

قال القاسمي رحمه الله: «(الربانيين)؛ **أي**: الزُّهاد العُبَّاد، و(الأحبار)؛ **أي**: العلماء الفقهاء»[٥].

واعْتُرِض على تفسير (الربانيين) بأنهم العباد أو الزهاد فقط؛ «وذلك لأن الله جعلهم ممن يحكم بالتوراة، ولو كانوا عبادًا أو زهادًا فقط لم يجعل لهم الحكم كالنبيين والأحبار»[٦].

القول الخامس: أن المراد بـ(الربانيين): علماء النصارى أو علماء الإنجيل، و**(الأحبار)**: علماء اليهود أو علماء التوراة؛ وهو قول الحسن البصري[٧].

---

(١) التفسير الكبير: ٨/٩٨، ولباب التأويل: ١/٣٧٣، واللباب في علوم الكتاب: ٥/٣٤٨.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٢/١٥٣.
(٣) ينظر: تفسير سفيان الثوري: ١٠٤، والوجيز للواحدي: ١/٣٢٧.
(٤) ينظر: الكشاف: ١/٦٧٠، وأنوار التنزيل: ٢/١٢٨، ومدارك التنزيل: ١/٤١٤، والسراج المنير: ١/٤٣٦، وإرشاد العقل السليم: ٣/٤١.
(٥) محاسن التأويل: ٣/١٢٧ و٣/١٦٢.
(٦) تفسير آيات الأحكام في سورة المائدة: ٢٦٨، ٢٦٩.
(٧) الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٨٠.

وهو اختيار: الماوردي، والعز بن عبد السلام رحمهما الله[١].

القول السادس: قيل: كلاهما من اليهود[٢]؛ قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**(الربانيون)**: فقهاء اليهود، و**(الأحبار)**: علماؤهم»[٣].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: «﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣]: «**(الربانيون)**: علماء النصارى، و**(الأحبار)**: علماء اليهود؛ قاله الحسن، وقيل: الكل في اليهود؛ لأن هذه الآيات فيهم»[٤].

• **وخلاصة القول**: أن هذه مجمل الأقوال التي ذكرت في معنى (الربانيين) و(الأحبار) على الرأي الثاني، وهي تفيد أن (الربانيين) غيرُ (الأحبار) في المعنى؛ وإن كان القول الأول ـ وهو قول مجاهد: أن (الربانيين) فوق (الأحبار) ـ هو الذي يظهر لي، والعلم عند الله؛ **لأن (الأحبار)**: هم العلماء، و**(الرباني)**: الجامعُ إلى العلم والفقه، البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم»[٥].

ف(الربانيون) جمع ربَّاني، وفيه قولان:

أحدهما: أنه منسوب إلى الرَّبِّ، والألف والنون فيه زائدتان في النسب دلالة على المبالغة؛ كرقبَاني، وشَعْراني، ولِحْياني؛ للغليظ الرقبة، والكثير الشعر، والطويل اللحية.

والثاني: أنه منسوب إلى ربَّان، والرَّبَّان هو المعلِّم للخير، ومن يسوس الناس، ويعرِّفهم أمر دينهم»[٦].

---

(١) النكت والعيون: ٢/ ٥٠، وتفسر القرآن للعز بن عبد السلام: ١/ ٣٩٥.
وينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ٢/ ٤١، ومعالم التنزيل: ١/ ٣٢١، والجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٨٠.
(٢) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ٢/ ٤١.
(٣) تفسير القرآن العزيز: ٢/ ٣٠.
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٨٠.
(٥) جامع البيان: ٣/ ٣٢٧.
(٦) الدر المصون: ٣/ ٢٧٥، ٢٧٦.

«فـ(الرباني) منسوب إلى الربوبية وإلى التربية، فباعتباره مضافًا إلى الله ـ أي: عبدًا للرب ﷻ ـ: ربوبية، وباعتباره مضافًا إلى الإصلاح: تربية»[1].

وقيل: (الرباني) منسوب إلى رُبَّان السفينة الذي ينزلها ويقوم لمصلحتها[2].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أصح؛ لأن الأصل عدم الزيادة في النسبة؛ لأنهم منسوبون إلى التربية، وهذه تختص بهم، وأما نسبتهم إلى الرب فلا اختصاص لهم بذلك، بل كل عبد فهو منسوب إليه، إما نسبة عموم أو خصوص، ولم يُسمِّ الله أولياءه المتقين: ربانيين، ولا سمَّى به رسله وأنبيائه، فإن (الرباني) من يَرُبُّ الناس كما يَرُبُّ الرُّبَّاني السفينة، ولهذا كان (الربانيون) يُذمُّون تارة، ويمدحون أخرى، ولو كانوا منسوبين إلى الرَّبِّ لم يُذمُّوا قط»[3].

والأحبار: جمع حَبر ـ بفتح الحاء ـ ويقال: بكسرها[4]، ويقال: الكسر أفصح[5].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحاء والباء والراء أصل واحد مُنْقَاس مطَّرد، وهو الأثر في حُسن وبهاء، ثم يتشعَّب هذا، فيقال للذي يُكْتَب به: حِبْر، وللذي يكتب بالحِبْر: حَبْر وحِبْر وهو العالم، وجمعه: أحبار»[6].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(الأحبار) جمع حبر، وهو العالم في الملة الإسرائيلية، وهو بفتح الحاء وكسرها، لكن اقتصر المتأخِّرون

---

(١) تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران): ١/ ٤٥١، ٤٥٢.
(٢) مجموع الفتاوى: ١/ ٦٣.
(٣) المصدر السابق: ١/ ١٦١، ١٦٢.
(٤) الدر المصون: ٤/ ٢٧١.
(٥) مختار الصحاح، مادة: (حبر): ٥١.
(٦) مقاييس اللغة، مادة: (حبر)، كتاب الحاء، باب الحاء والباء وما يثلثهما: ٢/ ١٢٦.

على الفتح للتفرقة بينه وبين اسم المِداد الذي يكتب به»[١].

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «والحَبر: العالم، وجمعه: أحبار؛ لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدى بها»[٢].

فـ(الحبر): واسع العلم، كثير المعرفة بالأحكام؛ لأن الباء والحاء والراء تدل على الكثرة، ومنه سمي الماء الكثير بحرًا[٣]، وكان يقال لابن عباس رضي الله عنهما: حَبْرُ الأمة والبحر؛ لكثرة علمه[٤].

وعلى هذا: فـ(الرباني): الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة وتدبير أمور الناس، ويكون من أهل الأمر والنهي، و(الحبر): واسع العلم كثير المعرفة بالأحكام دون أن يكون من أهل الأمر والنهي.

ويَعتضد هذا القول بتقديم (الربانيين) على (الأحبار) في الذكر، ولا شك أن التقديم له دلالته غالبًا على التفضيل.

والتفريق بين (الربانيين) و(الأحبار) في المعنى؛ هو أولى من القول بأنهما بمعنًى واحد لا فرق بينهما. وهو الموافق لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله أعلم بكتابه.

❊ ❊ ❊

الآية السادسة عشر: قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

(الشِّرعة) و(المنهاج) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة التي قال عنها ابن عطية رحمه الله: «بارعة الفصاحة

---

(١) التحرير والتنوير: ٦/٢٠٩. (٢) المفردات، مادة: (حبر): ١١١.
(٣) تفسير آيات الأحكام في سورة المائدة: ٢٦٨.
(٤) تهذيب الأسماء واللغات: ١/٢٥٨.

جمعت المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة، وكل كتاب الله كذلك؛ إلا أننا بقصور أفهامنا يَبينُ في بعضٍ لنا أكثرُ مما يَبينُ في بعض»[١].

ولأهل العلم ـ رحمهم الله ـ رأيان في سر الجمع بينهما في الآية الكريمة:

الرأي الأول: أن (الشِّرعة) و(المنهاج) بمعنى واحد هو الدين، والجمع بينهما للتأكيد:

قال الزجاج رحمه الله: «وقيل: (الشِّرعة) و(المنهاج) جميعًا الطريق، والطريق هنا الدِّين، ولكن اللفظ إذا اختلف أُتِي منه بألفاظ تؤكد بها القصة والأمر؛ نحو قول الشاعر[٢]:

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ

فإن معنى (أقوى) و(أقفر) يدل على الخَلوة؛ إلا أن اللفظين أوكد في الخُلوّ من لفظ واحد»[٣].

وقال عبد القاهر الجرجاني رحمه الله: «﴿شِرْعَةً﴾: طريقة واضحة، كذلك ﴿وَمِنْهَاجًا﴾، وجمع بينهما للتأكيد»[٤].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «**فان قيل**: كيف نسق (المنهاج) على (الشرعة) وكلاهما بمعنى واحد؟ **فعنه جوابان**:

---

(١) المحرر الوجيز: ٢/ ٢٠١.

(٢) قائله عنترة، والبيت في ديوانه. ينظر: ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به: حمدُو طمّاس: ١١ [ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م].
وعنترة هو: ابن عمرو بن شداد العبسي، كان من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده، شهد حرب داحس والغبراء فحسن فيها بلاؤه، وحُمدت عاقبته. ينظر: الشعر والشعراء: ١٦٤، ١٦٥.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ١٤٩، ١٥٠.

(٤) درج الدرر: ٢/ ٦٧٤.

أحدهما: أن (الشِّرعة) و(المنهاج) بمعنى واحد، وإنما نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين، **قال الحطيئة**(١):

أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ   وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ

فنسَقَ (البعد) على (النأي) لمَّا خالفه في اللفظ، وإن كان موافقًا له في المعنى»(٢).

وقال الرازي رحمه الله: «قال بعضهم: (الشِّرعة) و(المنهاج) عبارتان عن معنى واحد، والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين»(٣).

الرأي الثاني: التفريق بين (الشرعة) و(المنهاج) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

وقبل الشروع في ذكر أقوال أهل العلم في المراد بـ(الشرعة) و(المنهاج) في الآية الكريمة **أحبُّ الإشارة إلى مسألتين لهما تعلُّق بفهم المراد بهما:**

المسألة الأولى: وقع خلاف بين أهل العلم فيمن المراد بقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. أهم أهل الملل المختلفة؟ أم هم أمة محمد ﷺ، **على قولين:**

القول الأول: لكل ملَّة جعلنا شرعة ومنهاجًا، **فلأهل** التوراة شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة، ولأهل القرآن شريعة؛ هذا قول الأكثرين(٤).

---

(١) البيت في ديوانه: ص٣٩. وقد تقدم.   (٢) زاد المسير: ٢/ ٣٧٢.

(٣) التفسير الكبير: ١٢/ ٣٧٣. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢/ ٢٤، وبحر العلوم: ١/ ٤٢٩، والمحرر الوجيز: ٢/ ٢٠١، والإيمان لابن تيمية: ١٥٧، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٢١١، ولباب التأويل: ٢/ ٦٠، والبحر المحيط: ٣/ ١٧٩، والدر المصون: ٤/ ٢٩٢، وروح المعاني: ٦/ ٤٨.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ٣٠٤، وجامع البيان: ٦/ ٢٦٩، ٢٧٠، والكشف والبيان: ٤/ ٣٢، والنكت والعيون: ٢/ ٣٢، وتفسير القرآن للسمعاني: ٢/ ٤٣، =

القول الثاني: أن المعنى لكل من دخل في دين محمد جعلنا القرآن شرعة ومنهاجًا؛ وهذا قول مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: لكل أهل ملَّة منكم أيها الأمم جعلنا شرعة ومنهاجًا؛ وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨]، ولو كان عنى بقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أمةَ محمد، وهم أمة واحدة، لم يكن لقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وقد فعل ذلك فجعلهم أمة واحدة ـ معنًى مفهوم، ولكن معنى ذلك على ما جرى به الخطاب من الله لنبيِّه محمد: أنه ذكر ما كتب على بني إسرائيل في التوراة، وتقدَّم إليهم بالعمل بما فيها، ثم ذكر أنه قَفَّى بعيسى ابن مريم على آثار الأنبياء قبله، وأنزل عليه الإنجيل، وأمر من بعثه إليه بالعمل بما فيه، ثم ذكر نبيَّنا محمد ﷺ، وأخبره أنه أنزل إليه الكتاب مصدِّقًا لما بين يديه من الكتاب، وأمره بالعمل بما فيه، والحكم بما أنزل إليه فيه دون ما في سائر الكتب غيره، وأعلمه أنه قد جعل له ولأمته شريعة غير شرائع الأنبياء والأمم قبله، الذين قصَّ عليهم قصصهم، وإن كان دينه ودينهم في توحيد الله والإقرار بما جاءهم به من عنده والانتهاء إلى أمره ونهيه ـ واحدًا، فهم مختلفو الأحوال فيما شرع لكل واحد منهم ولأمته؛ فيما أحلَّ لهم وحرَّم عليهم»(٢).

المسألة الثانية: أن هذا الاختلاف في (الشِّرعة) و(المنهاج) بين الأنبياء

= ومعالم التنزيل: ٢/ ٤٣، والمحرر الوجيز: ٢/ ٢٠٠، وزاد المسير: ٢/ ٢٧٣، ٢٧٤، والتفسير الكبير: ١٢/ ٣٧٣.

(١) ينظر: جامع البيان: ٦/ ٢٧٠، وزاد المسير: ٢/ ٢٧٣.

(٢) جامع البيان: ٦/ ٢٧٠. وينظر: روح المعاني: ٦/ ٤٨.

هو في فروع الدين العملية، دون العقائد والأصول؛ فإنهم متفقون فيها.

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الخطاب للأمم الثلاث:** أمة موسى، وعيسى، وأمة محمد؛ فللتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللفرقان شريعة، يحلُّ الله فيها ما يشاء ويحرِّم ما يشاء؛ بلاءً ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرُّسل»[(١)].

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ؛ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**)[(٢)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال العلماء: **أولاد العَلَّات** ـ بفتح العين المهملة وتشديد اللام ـ هم الأخوة لأبٍ من أمَّهات شتَّى، وأما الأخوة من الأبوين فيقال: لهم أولاد الأعيان، قال جمهور العلماء: **معنى الحديث:** أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف»[(٣)].

ولهذا رد بعض أهل العلم قول من فسَّر (الشرعة) أو (المنهاج)

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٦/ ٢٦٩، وزاد المسير: ٢/ ٢٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦]، ح برقم (٣٤٤٣) ٥٨٠. واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ح برقم (٢٣٦٥) ١٢٨٧.

(٣) شرح النووي على مسلم: ١٥/ ١١٩. وينظر: فتح الباري: ٦/ ٥٩٧.

بأصول الدين والاعتقاد[١].

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويحتمل لفظ الآية أن يريد بـ(الشرعة): الأحكام، وبـ(المنهاج): المعتقد؛ أي: وهو واحد في جميعكم. وفي هذا الاحتمال بُعد»[٢].

وقال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: (الشرعة): الأحكام الفرعية، و(المنهاج): الأحكام الاعتقادية. وليس بشيء»[٣]. والله تعالى أعلم.

وقد ذكر أهل العلم رحمهم الله أن الفرق بين (الشِّرعة) و(المنهاج) في الآية الكريمة من وجهين:

الوجه الأول: أن (الشرعة): الطريق الذي ربَّما كان واضحًا وغير واضح، و(**المنهاج**) لا يكون إلا واضحًا؛ وهذا قول ابن الأنباري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤].

الوجه الثاني: أن (الشِّرعة): ابتداء الطريق، و(**المنهاج**) الطريق المستمر؛ وهذا قول المُبَرِّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥].

وعلى الوجه الثاني يحمل ما ورد عن السلف في تفسير (الشِّرعة) و(المنهاج)، **فإن للسلف في تفسيرهما قولين**:

القول الأول: **أن المراد بـ(الشِّرعة)**: السُّنَّة، و(**المنهاج**): السبيل؛ وهذا القول مرويٌّ عن: ابن عباس، ومجاهد[٦]، وهو اختيار: مقاتل بن

---

(١) قال النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: (الشرعة): ابتداء الشيء، وهو قول: لا إله إلا الله، و(المنهاج): جملة الفرائض». ينظر: إعراب القرآن: ٢/ ٢٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٢/ ٢٠١.

(٣) روح المعاني: ٦/ ٤٨.

(٤) ينظر: زاد المسير: ٢/ ٣٧٢، والبحر المحيط: ٣/ ١٧٩، والدر المصون: ٤/ ٢٩٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ١٥٠، ومعاني القرآن للنحاس: ٢/ ٣١٩، والفروق اللغوية: ٣٣، ٣٤، وزاد المسير: ٢/ ٣٧٢، والتفسير الكبير: ١٢/ ٣٧٣، والبحر المحيط: ٣/ ١٧٩، والدر المصون: ٤/ ٢٩٣.

(٦) ينظر: تفسير مجاهد: ١/ ١٩٨، وجامع البيان: ٦/ ٢٧٠، ٢٧١، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٩٣.

سليمان، وأبي عبيدة[١] رحمهما الله.

القول الثاني: عكس الأول: **أن المراد بـ(الشِّرعة)**: السبيل، و**(المنهاج)**: السُّنَّة؛ وهذا القول مروي عن: ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والسُّدِّي[٢]. وهو اختيار الواحدي، وابن سعدي رحمهما الله[٣].

ورجحه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «وهو أنسب؛ **فإن (الشِّرعة)**: وهي الشريعة أيضًا هي ما يُبتدأ فيه إلى الشيء، ومنه يقال: شرع في كذا؛ **أي**: ابتدأ فيه، كذا الشريعة وهي ما يشرع فيها إلى الماء، **أما (المنهاج)**: فهو الطريق الواضح السَّهل، والسَّنن، والطرائق، فتفسير قوله: ﴿شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ بالسبيل والسُّنَّة أظهر في المناسبة من العكس، والله أعلم»[٤].

وجمع ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين القولين بقوله: «قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾: سبيلًا وسُنَّة[٥]. وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير؛ فالسبيل الطريق وهي المنهاج، والسُّنَّة الشرعة[٦]، وهي تفاصيل الطريق وحزوناته[٧]، وكيفية السير فيه، وأوقات المسير، وعلى هذا فقوله: سبيلًا وسُنَّة يكون السبيل: المنهاج، والسُّنَّة: الشرعة،

---

(١) **ينظر**: تفسير مقاتل: ١/ ٣٠٤، ومجاز القرآن: ١/ ١٦٨.

(٢) **ينظر**: جامع البيان: ٦/ ٢٧١، ٢٧٠، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٩٣.

(٣) **ينظر**: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٣٢٢، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٢٣٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٩٣.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا جازمًا به، كتاب الإيمان، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: بني الإسلام على خمس: ٥.

(٦) قال السمين الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشرعة في الأصل: السُّنَّة، ومنه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ [الشورى: ١٣]؛ أي: سَنَّ». الدر المصون: ٤/ ٢٩٢.

(٧) **الحَزْنُ**: ما غلظ من الأرض. ينظر: القاموس المحيط، مادة: (حزن)، باب الزاي فصل الحاء: ١١٨٩.

فالمقدَّم في الآية للمؤخَّر في التفسير، وفي لفظ آخر: سُنَّة وسبيلًا؛ فيكون المقدَّم للمقدم والمؤخَّر للثاني»[١].

فالشِّرعة: في الأصل مأخوذة من الشروع، وهو ما يبتدأ فيه إلى الشيء ويُتوصَّل به إليه، يقال: «شرع في كذا»؛ أي: ابتدأ فيه، ومنه شريعة الماء، وهي ما يتوصل فيه إلى الماء[٢].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشين والراء والعين: أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك: الشريعة وهي مورد الشاربة الماء. واشتُقَّ من ذلك: الشِّرعة في الدِّين، والشريعة، قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ [الجاثية: ١٨]»[٣].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(**الشِّرعة**): هي الشريعة بعينها، وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة؛ ومن ذلك قيل لشريعة الماء: شريعة؛ لأنه يُشرع منها إلى الماء، ومنه سمِّيت شرائع الإسلام: شرائع؛ لشروع أهله فيه»[٤].

والمنهاج في الأصل: مشتقٌّ من الطريق النَّهْج؛ وهو الواضح[٥].

قال الخليل بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طريق نَهْجٌ: واسع واضح، ونَهَجَ الأمرُ وأنهج لغتان؛ أي: وَضَحَ، والمنهاج: الطريق الواضح»[٦].

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. أحمد بن صالح الصمعاني، ود. علي بن محمد العجلان: ٢/ ٥٢٨، ٥٨٣ [ط١، دار الصميعي، الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م]. وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمنهاج: السبيل؛ أي: الطريق الواضح، والشرعة والشريعة بمعنى، وقد شرع أي سَنَّ، فعلى هذا فيه لفٌّ ونشر غير مرتَّب». ينظر: فتح الباري: ١/ ٦٩.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (شرع)، باب العين والشين مع الراء: ١/ ٢٧١، ولسان العرب، مادة: (شرع): ٨/ ١٧٦.

(٣) مقاييس اللغة، مادة: (شرع)، كتاب الشين، باب الشين والراء وما يثلثهما: ٣/ ٢٦٢.

(٤) جامع البيان: ٦/ ٢٦٩. (٥) الدر المصون: ٤/ ٢٩٢.

قال ابن جرير ﷺ: «وأما (المنهاج) فإن أصله: الطريق البيِّن الواضح يقال منه: هو طريق نَهْجٌ ومنهج بيِّن، كما قال الراجز[١]:

مَنْ يَكُ فِي شَكٍّ فَهَذَا فَلْجُ ... مَاءٌ رَوَاءٌ وَطَرِيقٌ نَهْجُ

ثم يستعمل في كل شيء كان بيِّنًا واضحًا يعمل به»[٢].

فالشِّرعة إذًا: ابتداء الطريق؛ وهو ما شرع الله تعالى من وظائف الدين وأحكامه[٣]، وهي السُّنَّة أيضًا، **والمنهاج**: الطريق المستمر الواضح يُعمل به وهو السبيل؛ وعلى هذا القول جمهور أهل العلم[٤].

• **وخلاصة القول**: «أن قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، يدل على وجود (شرعة) وعلى وجود (منهاج)، ونجد واقع التشريع، أن منهاج ما شرع لنا يغاير منهاج ما شرع لمن قبلنا؛ كما في

---

(١) كتاب العين، مادة: (نهج)، باب الهاء والجيم والنون: ٣/ ٣٩٢.
وينظر: تهذيب اللغة، مادة: (نهج)، أبواب الهاء والجيم: ٦/ ٤١.

(٢) البيت: في مجاز القرآن: ١/ ١٦٨، والمحرر الوجيز: ٢/ ٢٠١، ولسان العرب، مادة: (روي): ١٤/ ٣٤٥، والدر المصون: ٤/ ٢٩٢. من غير نسبة. قال الشيخ محمود شاكر ﷺ: «كأنه راجز من بني العنبر من تميم، وقوله فَلْج: (بفتح فسكون): ماءه لبني العنبر بن عمرو بن تميم، يكثر ذكره في شعر بني تميم، ويمتدحون ماءه».
ينظر: جامع البيان: محمد بن جرير الطبري، حققه وعلق عليه: محمود محمد شاكر وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر: ١٠/ ٣٨٤ [ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون].

(٣) جامع البيان: ٦/ ٢٦٩.

(٤) حاشية زاده: ٢/ ٢١٧.

(٥) **ينظر**: تفسير مقاتل: ١/ ٣٠٤، ومجاز القرآن: ١/ ١٦٨، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ١٤٤، وجامع البيان: ٦/ ٢٦٩، وإعراب القرآن للنحاس: ٢/ ٢٤، وتفسير المشكل من غريب القرآن: ٧٠، والنكت والعيون: ٢/ ٣٢، والكشاف: ١/ ٦٧٣، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ١/ ٣٩٠، والجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٨، وأنوار التنزيل: ٢/ ١٢٩، ومدارك التنزيل: ١/ ٤١٤، ومجموع الفتاوى: ١١/ ٢١٩، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٩٣، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ١٨٤، ونظم الدرر: ٢/ ٦٧، وتفسير الجلالين: ص١١٦، وحاشية زاده: ٢/ ٢١٧، والسراج المنير: ١/ ٤٣٨، وإرشاد العقل السليم: ٣/ ٤٥، وفتح القدير: ٢/ ٦٨، ومحاسن التأويل: ٣/ ١٤٠، وتفسير المنار: ٤/ ٤١٣، ٤١٤.

مشروعية الصيام قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وهذا يتفق في أصل (الشِّرعة)، ولكن جاء ما يبين الاختلاف في (المنهاج) في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ومعنى ذلك: أنه كان محرمًا، وهو ضمن (منهاج) من قبلنا و(شرعتهم)، فاتفقنا معهم في (الشِّرعة)، واختلف (منهجنا) عن (منهجهم) بإحلال ما كان منه حرامًا، وهكذا بقية أركان الإسلام كما في الصلاة فهي مشروعة للجميع، كما في قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقوله عن عيسى: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، وغير ذلك.

وفي الحج: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقوله: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧]؛ فجميع الأركان ـ وهي فروع لا عقائد ـ مشروعة في جميع الأديان على جميع الأمم، فاشتركنا معهم في المشروعية، ولكن هل كانت كلها كمنهجها عندنا في أوقاتها وأعدادها وكيفياتها؟ لقد وجدنا المغايرة في الصوم واضحة، وهكذا في غيرها، والله تعالى أعلم»(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلامه على قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: «أخبره تعالى أنه جعل لكل من أهل التوراة والإنجيل والقرآن ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، وأمره تعالى بالحكم بما أنزل الله؛ أمر عامٌّ لأهل التوراة والإنجيل والقرآن، ليس لأحد في وقت من

(١) تتمة أضواء البيان (مطبوع في نهاية أضواء البيان)، عطية بن محمد سالم: ٥/ ٣٢١، ٣٢٢ [ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م].

الأوقات أن يحكم بغير ما أنزل الله، والذي أنزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل، وهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة، وإن تنوَّعوا في (الشِّرعة) و(المنهاج) بين ناسخ ومنسوخ، فهو شبيه بتنوع حال الكتاب الواحد؛ فإن المسلمين كانوا أولًا مأمورين بالصلاة لبيت المقدس، ثم أُمروا أن يصلوا إلى المسجد الحرام[١]، وفي كلا الأمرين إنما اتبعوا ما أنزل الله ﷻ»[٢].

وما ذكر في التفريق بين (الشِّرعة) و(المنهاج) في الآية الكريمة، هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[٣].

ولذا رَدَّ بعض أهل العلم القول بأنهما معنًى واحد هو الدين والتكرير للتأكيد.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وقد جاء في الشِّعر أنه عطف لاختلاف اللفظ فقط كقوله:

.... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا[٤]

ومن الناس من يدَّعي أن مثل هذا جاء في كتاب الله؛ كما يذكرونه في قوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. وهذا غلط؛ مثل هذا لا يجيء في القرآن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، ح برقم (٤٠) ١٠، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، ح برقم (٥٢٥) ٢٦٧. من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) الجواب الصحيح: ٢/ ٤٣٨.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٤) البيت لعدي بن زيد وهو في ديوانه: ص١٨٣. وقد تقدم.

ولا في كلام فصيح، وغاية ما يذكر منها اختلاف معنى اللفظ، كما ادَّعى بعضهم أن هذا من قوله[(١)]:

أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ   وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ

فزعموا أنهما بمعنى واحد، واستشهدوا بذلك على ما ادعوه من أن (الشِّرعة) هي (المنهاج)»[(٢)]. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية السابعة عشر: قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

(اللعب) و(اللهو) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اقترنا في أكثر من موضع من كتاب الله، على اختلاف في تقديم أحدهما على الآخر.

ففي أربعة مواضع قدِّم فيها (اللعب) على (اللهو)؛ وهي هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وفي موضعين بتقديم اللهو على اللعب، وهما: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ولأهل العلم رأيان في سر الجمع بينهما في آية واحدة:

---

(١) البيت للحطيئة وهو في ديوانه: ص٣٩. وقد تقدم.

(٢) الإيمان: ١٥٧.

الرأي الأول: أن (اللعب) و(اللهو) بمعنى واحد وجمع بينهما تأكيدًا:

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ عند ذكره أقوال أهل العلم في المراد بـ(اللعب) و(اللهو) في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: «و(اللعب) و(اللهو) قيل: هما بمعنًى واحد، وكرر تأكيدًا لذمِّ الدنيا»[١].

وقال ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦، ١٧]: «والظاهر أن (اللهو) بمعنى (اللعب)؛ لاتصاله بقوله: ﴿لَٰعِبِينَ﴾»[٢].

الرأي الثاني: التفريق بين (اللعب) و(اللهو) في المعنى والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن (اللهو): هو صرف النفس عمَّا ينفع ويفيد إلى ما لا ينفع ولا يفيد، و(اللعب): أن يطلب الإنسان لنفسه الفرح والسرور بما لا ينبغي أن يفرح به، ولا أن يسر به؛ ذكره البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ[٣].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(اللهو) و(اللعب) متقاربان، قال بعض العلماء: (اللهو): هو صرف النفس عما ينفع ويفيد إلى ما لا ينفع ولا يفيد، و(اللعب): أن يطلب الإنسان لنفسه الفرح والسرور بما لا ينبغي أن يفرح به، ولا أن يُسرَّ به»[٤].

وقال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا

---

(١) البحر المحيط: ٤/ ١١٣. (٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٣/ ٢٤.

(٣) أنوار التنزيل: ٣/ ١٥. وينظر: السراج المنير: ١/ ٥٥٢، وإرشاد العقل السليم: ٣/ ٢٣١، وروح المعاني: ٦/ ١٨٣.

(٤) العذب النمير: ٣/ ٣٠٧.

لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد: ٢٠]: «﴿لَعِبٌ﴾؛ أي: تفريح للنفس، ﴿وَلَهْوٌ﴾؛ أي: باطل»[(١)].

القول الثاني: (**اللعب**): عمل يشغل النفس ويُفتِّرها عما تنتفع به، و(**اللهو**): صرفها عن الجدِّ إلى الهزل؛ نسبه أبو حيان إلى الرماني رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]، واختاره النسفي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)].

القول الثالث: (**اللهو**): هو الاستمتاع بلذات الدنيا، و(**اللعب**): العبث.

وهو اختيار السمعاني، والبغوي رحمهما الله[(٤)].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: «﴿لَعِبٌ﴾؛ أي: هزل، وعمل لا يجدي نفعًا، ﴿وَلَهْوٌ﴾؛ أي: اشتغال بهوى وطرب، وما لا تقتضيه الحكمة، وما يشغل الإنسان عما يهمُّه مما يلتذُّ به ثم ينقضي»[(٥)].

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(**اللعب**): عمل أو قول في خفَّة وسرعة وطَيش، ليست له غاية مفيدة، بل غايته إراحة البال، وتقصير الوقت، واستجلاب العقول في حالة ضعفها كعقل الصغير وعقل المتعب، وأكثره أعمال الصِّبيان.

و(**اللهو**): ما يشتغل به الإنسان مما ترتاح إليه نفسه، ولا يتعب في الاشتغال به عقله، فلا يطلق إلا على ما فيه استمتاع ولذة وملائمة للشهوة»[(٦)].

---

(١) محاسن التأويل: ٧/ ٣٦.

(٢) البحر المحيط: ٤/ ١١٣. وينظر: الدر المصون: ٤/ ٥٩٩، واللباب في علوم الكتاب: ٨/ ١١٣.

(٣) مدارك التنزيل: ٢/ ١٥. وينظر: إرشاد العقل السليم: ٣/ ١٢٦.

(٤) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ٤/ ١٩٣، ومعالم التنزيل: ٣/ ٤٧٤.

(٥) محاسن التأويل: ٣/ ٣٠٠.

(٦) التحرير والتنوير: ٧/ ١٩٣.

القول الرابع: (**اللعب**): ما رغَّب في الدنيا، و(**اللهو**): ما ألهى عن الآخرة؛ أي: شغل عنها؛ ذكره القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

القول الخامس: (**اللعب**): ما تشتغل به ولا يكون فيه ضرورة في الحال ولا منفعة في المآل، ثم إن استعمله الإنسان ولم يشغله عن غيره، ولم يُثنه عن أشغاله المهمة فهو (لعب)، وإن شغله عن مهماته فهو (لهو)، ولهذا يقال: (ملاهي) لآلات الملاهي؛ لأنها مشغلة عن الغير، ويقال لما دونه: (لعب) كاللعب بالحمام؛ وهو اختيار الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)].

القول السادس: أن (**اللهو**) للقلوب، و(**اللعب**) للجوارح والأبدان.

وهو اختيار ابن القيِّم، وابن سعدي، وابن عثيمين رحمهم الله[(٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(اللهو) للقلب، و(اللعب) للجوارح، ولهذا يجمع بينهما»[(٤)].

فهذه مجمل الأقوال التي ذكرت في معنى (اللعب) و(اللهو)، وهي تفيد أن (اللهو) غير (اللعب) في المعنى:

فاللعب: في الأصل، من اللُّعَاب وهو البُزاق السائل، وقد لَعَبَ يلعَب، لَعْبًا: سال لُعابه، ويطلق على فعل ما لا فائدة فيه[(٥)]، فيقال لكل من عمل عملًا لا يجدي عليه نفعًا: إنما أنت لاعب[(٦)]، ويقال أيضًا:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٦٠. (٢) التفسير الكبير: ٢٨/ ٨١.

(٣) ينظر: الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: ٣٠ [ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م]، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٢٥٤، ٢٦١، ٥١٨، ٦٣٥، ٧٩٠، ٨٤١، وتفسير القرآن الكريم من سورة الحجرات إلى سورة الحديد، محمد بن عثيمين: ٤٠٢.

(٤) الفوائد: ٣٠.

(٥) المفردات، مادة: (لعب)، كتاب اللام: ٤٦٩.

(٦) لسان العرب، مادة: (لعب): ١/ ٧٣٩.

لعب فلان؛ إذا كان فعله غير قاصد به مقصدًا صحيحًا[١]، وهو بمعنى الهَزْل ضِدٌ الجِد[٢]، ويدل لهذا المعنى بعض الآيات التي ورد فيها (اللعب) في القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٥].

قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(الحق) هنا ضدُّ الباطل وهو الجِد، ولذلك قابلوه بـ(اللعب)»[٣].

وكقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير هذه الآية: «﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾ في الحديث، ﴿وَنَلۡعَبُۚ﴾: نهزأ ونضحك فيما بيننا، لا نقول ذلك عن جد وقصد»[٤].

وقد يكون (اللعب) غير مذموم؛ كقول إخوة يوسف لأبيهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(اللعب) هنا: الجري والقفز والسبق والمراعاة[٥]، يُقصد منه الاستجمام ودفع السآمة، وهو مباح في الشرائع كلِّها إذا لم يصر دأبًا»[٦].

ومنه قول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «رأيتُ النبيَّ ﷺ يسترني، وأنا أنظرُ إلى

---

(١) ينظر: المفردات، مادة: (لعب)، كتاب اللام: ٤٦٩، وعمدة الحفاظ، مادة: (لعب)، باب اللام فصل اللام والعين: ٤/ ٢٥.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة: (لعب): ١/ ٧٣٩، وعمدة الحفاظ، مادة: (لعب)، باب اللام، فصل اللام والعين: ٤/ ٢٥.

(٣) البحر المحيط: ٦/ ٢٩٩.

(٤) العذب النمير: ٥/ ٦١٥.

(٥) أي: الرعي.

(٦) التحرير والتنوير: ١٢/ ٢٢٩.

الحبشة وهم يلعبون في المسجد»[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «واستُدلَّ به على جواز اللعب بالسِّلاح على طريق التواثب للتدريب؛ على الحرب، والتنشيط عليه»[٢].

واللَّهو: أصله الصُّدوف عن الشيء[٣]؛ وسُمِّي لهوًا؛ لأنه يشغل عما يعني، من قولهم: ألهاني الشيء؛ أي: شغلني[٤].

فـ(اللهو): الشُغْلُ عن مهمات الأمور. يقال: لَهَوت بكذا، ولَهِيت عن كذا[٥]. ومنه قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]؛ «أي: شغلكم عما يجب عليكم الاشتغال به؛ لأن (اللهو) شغل يصرف عن تحصيل أمر مهم»[٦].

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الخَمِيصَة[٧] التي شغلته في صلاته: (**فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا فِي صَلَاتِي**)[٨]، ووقع في الرواية

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العيدين، باب: إذا فاته العيد يصلي ركعتين، ح برقم (٩٨٨) ١٥٩، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، باب: الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد: ح برقم (٨٩٢) ٤٤١.

(٢) فتح الباري: ٢/ ٥٧٤.

(٣) كتاب العين، مادة: (لهو)، باب الهاء واللام: ٤/ ٨٧.

(٤) الفروق اللغوية: ٢٨٤.

(٥) **ينظر**: المفردات، مادة: (لهى)، كتاب اللام: ٤٧٤، وعمدة الحفاظ، مادة: (لهو)، باب اللام، فصل اللام والهاء: ٤/ ٤٥.

(٦) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥١٩.

(٧) **الخميصة**: ثوب خَزٍّ أو صوف مُعَلَّم. وقيل: لا تسمى (خميصة) إلا أن تكون سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس قديمًا، وجمعها: الخمائص.
ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (خمص)، باب الخاء مع الميم: ٢٨٦.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب إذا صلَّى في ثوب له أعلام ونظر إليها، ح برقم (٣٧٣) ٦٦، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام، ح برقم (٥٥٦) ٢٨٠. من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

الأخرى: (شَغَلَتْنِي)[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: (شَغَلَتْنِي) وفي الرواية الأخرى: (أَلْهَتْنِي)، ومعناهما متقارب؛ يعني: اشتغال القلب بها عن كمال الحضور في الصلاة، وتدبُّر أذكارها وتلاوتها، ومقاصدها من الانقياد والخضوع»[٢].

ومن معاني (اللهو): الولد والمرأة كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧].

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿لَهْوًا﴾ قال قتادة والحسن: (اللَّهو): المرأة[٣]، وقال ابن عباس: هو الولد[٤]. والتفسيران متقاربان؛ لأن امرأة الرجل لهوه، وولده لهوه، ولذلك يقال: امرأة الرجل وولده ريحانتاه. وأصل (اللهو): الجماع، فكنِّي عنه باللهو، كما كنِّي عنه باللمس، ثم قيل للمرأة: لهو لأنها تُجامع. كما قال امرؤ القيس[٥]:

أَلَا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ الْيَوْمَ أَنَّنِي كَبِرْتُ وَأَلَّا يَشْهَدَ اللَّهْوَ أَمْثَالِي[٦]

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام، ح برقم (٥٥٦) ٢٨٠.

(٢) شرح النووي على مسلم: ٥/ ٤٦.

(٣) ينظر: جامع البيان: ١٧/ ١٠، وزاد المسير: ٥/ ٣٤٣.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢/ ٤٢٢، وزاد المسير: ٥/ ٣٤٣.
وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال أهل التفسير: اللهو في لغة أهل حضرموت: الولد، وقيل: اللهو المرأة، وتأويله في اللغة: أن الولد لهو الدنيا؛ أي: لو أردنا أن نتخذ ولدًا ذا لهو نلهى به، ومعنى ﴿لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾؛ أي: لاصطفيناه مما نخلق، ولهي به: أحبَّه؛ لأن حبك الشيء ضرب من (اللهو) به». ينظر: لسان العرب، مادة: (لها): ١٥/ ٢٥٨.
ويرى بعض أهل العلم أن تفسير (اللهو) بالولد والمرأة في الآية الكريمة «تخصيص من غير دليل؛ اللَّهُمَّ إلا أن يراد به التمثيل ببعض ما يصدق عليه هذا اللفظ. والله تعالى أعلم بكتابه».
ينظر: المفردات، مادة: (لهى)، كتاب اللام: ٤٧٤، وعمدة الحفاظ، مادة: (لهو)، باب اللام، فصل اللام والهاء: ٤/ ٤٥.

(٥) ديوان امرؤ القيس: ١/ ٣١٣. (٦) تأويل مشكل القرآن: ١٩٤.

«وإنما سمِّي الجماع لهوًا؛ لأنه مَلْهًى للقلب»[١].

فمدار معنى كلمة (اللهو) على الانشغال بغير المجدي من صنوف الملاهي الشاغلة[٢].

وهذا الاستعمال هو الذي تعضده الآيات الأخرى التي ورد فيه ذكر (اللهو) في القرآن الكريم؛ كقوله تعالى ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان: ٦]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس ٨ ـ ١٠].

• **وخلاصة القول**: أن (اللعب) لا يكون إلا فعلًا لم يتحدَّد من ورائه قصد مفيد؛ من تحصيل منفعة أو دفع مضرة، ويكون ذلك بالجوارح، أما (اللهو) فقد يكون فعلًا من أفعال النفس ولا يلزم معه حركة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]. فإسناد (اللهو) إلى القلوب دليل على ذلك المعنى[٣].

قال ابن القيم رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠]:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ١٨٤.

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ١٩٦.

(٣) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، د. صالح بن عبد الله الشثري: ٤٣٤ [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م].

«فأخبر سبحانه عن حقيقة الدنيا بما جعله مشاهدًا لأولي البصائر، وأنها لعب ولهب، تلهو بها النفوس وتلعب بها الأبدان، واللعب واللهو لا حقيقة لهما، وأنهما مشغلة للنفس، مضيعة للوقت، يقطع بها الجاهلون العمر، فيذهب ضائعًا في غير شيء»[(١)].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٢، ٣]؛ «أي: معرِضةً لاهيةً بمطالبها الدنيوية، وأبدانهم لاعبة، قد اشتغلوا بتناول الشهوات والعمل بالباطل، والأقوال الردية، مع أن الذي ينبغي لهم أن يكونوا بغير هذه الصفة، تُقبل قلوبهم على أمر الله ونهيه، وتستمعه استماعًا تفقَه المراد منه، وتسعى جوارحهم في عبادة ربِّهم، التي خلقوا لأجلها، ويجعلون القيامة والحساب والجزاء منهم على بال، فبذلك يتمُّ لهم أمرهم، وتستقيم أحوالهم، وتزكوا أعمالهم»[(٢)].

ومما يدل أيضًا على التفريق بين (اللعب) و(اللهو) ما ذكره أهل العلم في سرِّ تقديم (اللعب) على (اللهو) والعكس، في الآيات التي وردت فيها:

فقدَّم (اللعب) على (اللهو) في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠]، فَقَدَّم (اللعب)؛ لأن (اللعب) زمانه الصِّبا، و(اللهو) زمانه الشباب، وزمان الصِّبا مقدَّم على زمان الشباب»[(٣)].

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، محمد عثمان الخشت: ٢١٠ [ط٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م].

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٥٢٠.

(٣) ينظر: أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكِرْمَاني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا: ٦٨ [ط٢، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٦هـ]، والبرهان =

وأمَّا تقديم (اللعب) على (اللهو) في قوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ﴾ [الأنعام: ٧٠]، فإن الآية خاصة في قوم من الكفار سمعوا القرآن فأعرضوا عنه، فقدَّم (اللعب)؛ لأن أول أفعالهم لعب، وثانيها لهو، فهؤلاء لما فعلوا عند سماع القرآن من الاستهزاء والعبث أطلق على فعلهم اسم (اللعب)، ثم لمَّا شغلوا عنه باستحلاء الدنيا كان هذا (لهوًا) منهم بعد (اللعب)، وكان أول دينهم (لعبًا) وما بعده (لهوًا)؛ فلذلك قدم (لعب) على (لهو) في الآية»[(١)].

وأمَّا تقديم (اللهو) على (اللعب) في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤]؛ لأن زمان الشباب الذي يكون فيه (اللهو) أكثر من زمان الصِّبا الذي يكون فيه (اللعب)؛ فقدم الكثير على القليل[(٢)].

وأمَّا تقديم (اللهو) على (اللعب) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٥١]، فهذه الآية في خطاب الكافرين يوم القيامة جميعهم، فقدَّم فعل أكثرهم وهم الذين شغلتهم الدنيا وحلاوتها وهذا هو (اللهو)، ثم كانت أفعالهم التي اقتدوا فيها بآبائهم لما طابت لهم، ولم يجدوا في العاقبة نفعًا عليهم كـ(اللعب)؛ الذي ينطوي على أفعال تبطل في الآجل، وإن سرَّت في العاجل، وهذا بعد الأول»[(٣)].

= في علوم القرآن: ١/ ١٢١، وبصائر ذوي التمييز: ١٩٢، ١٩٣، والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: ٤٣٤.

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي: ٢/ ٥١٨ [ط١، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م]، والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: ٤٣٥.

(٢) ينظر: درة التنزيل: ٢/ ٥٢٤، والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: ٤٣٥.

(٣) ينظر: درة التنزيل: ٢/ ٥١٩، والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: ٤٣٥، ٤٣٦.

والقول بالتفريق بين (اللهو) و(اللعب) في المعنى هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[١]. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثامنة عشر: قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨].

(الإلُّ) و(الذِّمة) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اقترنا في موضعين متقاربين من سورة «التوبة»، الأول منهما في هذه الآية الكريمة، والثاني: قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

ولعل من المناسب قبل ذكر آراء أهل العلم في المراد بـ(الإل) و(الذمة) في الآية الكريمة، وهل هما بمعنى واحد أو لا؟ ذكر المراد بـ(الذمة) في قوله: ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾؛ **لأن بمعرفة المراد بـ(الذمة)، يمكن تقسيم آراء أهل العلم في المراد بهما؛ فأقول وبالله التوفيق:**

جمهور المفسرين على أن المراد بـ(الذمة) هنا: العهد[٢]. وقيل: (الذمة): الأمان[٣]. وهي بمعنى العهد. من أَذَمَّه؛ إذا أجاره[٤].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/ ٣٧، ٦٣، ومجاز القرآن: ١/ ٢٥٣، وتفسير غريب القرآن: ١٨٣، وجامع البيان: ١٠/ ٨٤، ومعاني القرآن للنحاس: ٣/ ١٨٦، وبحر العلوم: ٢/ ٤١، وتفسير القرآن العزيز: ٢/ ١٩٥، والنكت والعيون: ٢/ ٣٤٣، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٤٥٤، وزاد المسير: ٣/ ٤٠٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ١١٩، والدر المصون: ٦/ ٢١، واللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٢٩.

(٣) ينظر: زاد المسير: ٣/ ٤٠٢، والدر المصون: ٦/ ٢٢.

(٤) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٣/ ٢٤١.

وعلى ما تقدم في معنى (الذمة)، يمكن تقسيم آراء أهل العلم في المراد بـ(الإل) و(الذمة) إلى رأيين:

الرأي الأول: أن (الإل) و(الذمة) بمعنًى واحد هو العهد، والجمع بينهما للتأكيد:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال قوم: (الإل) هو العهد، ولكنه كرر لمَّا اختلف اللفظان، وإن كان معناهما واحدًا». ثم ساقه بسنده إلى عبد الرحمٰن بن زيد، ومجاهد رحمهما الله[1]. وقال الخازن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال السدي: (الإل) هو العهد وكذلك (الذمة)، وإنما كرر للتأكيد»[2].

وعن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «(الإل): الحِلْف، و(الذمة): العهد»[3].

قال القونوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا الحِلْف ـ بكسر الحاء وسكون اللام ـ فهو بمعنى العهد»[4].

«فالعرب تقول: بيني وبين فلان (إلٌّ)، إذا كان بينكما حِلْفٌ، قالوا: واشتقاق (الإل) أنهم كانوا إذا تحالفوا وتماسحوا بالأيدي عند الحِلْف رفعوا أصواتهم، والعرب تقول: «ألَّ، يَؤُلُّ» إذا صرخ ورفع صوته»[5].

ومنه قول أبي جهل[6]:

(لإلٍّ) عَلَيْنَا وَاجِبٍ لَا نُضِيعُهُ ... مَتِينٍ قُوَاهُ غَيْرِ مُنْتَكِثِ الْحَبْلِ

---

(١) جامع البيان: ١٠/ ٨٤. ينظر: تفسير مجاهد: ١/ ٢٧٣، وتفسير ابن أبي حاتم: ٦/ ١٧٥٧.

(٢) لباب التأويل: ٣/ ٦٤. وينظر: الكشف والبيان: ٥/ ١٤، والمحرر الوجيز: ٣/ ١٠، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٣/ ٢٤١، والجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ١١٩، والدر المصون: ٦/ ٢١، واللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٢٩، وروح المعاني: ١٠/ ٥٦.

(٣) ينظر: جامع البيان: ١٠/ ٨٤، وتفسير ابن أبي حاتم: ٦/ ١٧٥٧.

(٤) حاشية القونوي: ٩/ ١٦٤.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢/ ٢٧١، وأنوار التنزيل: ٣/ ٧٢، والدر المصون: ٦/ ١٩، والعذب النمير: ٤/ ٢٩٢.

(٦) البيت: في سيرة ابن هشام: ٣/ ١٤٢، والمحرر الوجيز: ٢/ ٤٨٢، والبحر المحيط: ٥/ ٥، والدر المصون: ٦/ ١٩.

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: (الإل): الجوار[١]. وهو بمعنى العهد. واختاره ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللهُ[٢].

وكون (الإل) و(الذمة) بمعنى واحد هو العهد، هو اختيار: أبي عبيدة، وابن قتيبة، والشوكاني رحمهم الله[٣].

الرأي الثاني: أن (الإل) غير (الذمة) في المعنى. والجمع بينهما ليس للتأكيد:

وفي المراد به أقوال:

القول الأول: أن المراد بـ(الإل): الله تعالى، فهو اسم من أسمائه تعالى[٤].

والمعنى: لا يرقبون اللهَ فيكم، ولا عهدًا؛ وهذا القول مروي عن سعيد بن جبير[٥]، ومجاهد، وأبي مِجْلَز[٦] رحمهم الله[٧].

قال عكرمة رَحِمَهُ اللهُ: «جبريل اسمه عبد الله، وميكائيل اسمه عبيد الله، والإل الله، وذلك قوله: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]، قال: لا يرقبون الله»[٨].

---

(١) ينظر: النكت والعيون: ٢/ ٣٤٣، وزاد المسير: ٣/ ٤٠٢.
(٢) تفسير القرآن العزيز: ٢/ ١٩٥.
(٣) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٢٥٣، وتفسير غريب القرآن: ١٨٣، وفتح القدير: ٢/ ٤٨٦.
(٤) الدر المصون: ٦/ ١٨.
(٥) تفسير ابن أبي حاتم: ٦/ ١٧٥٧.
(٦) أبو مِجْلَز، بكسر الميم، وسكون الجيم، وفتح اللام بعدها زاي، مشهور بكنيته، هو: لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي، البصري، ثقة من كبار الثالثة، مات سنة ست وقيل تسع ومائة. ينظر: تقريب التهذيب: ٥١٦.
(٧) جامع البيان: ١٠/ ٨٣.
(٨) الدر المنثور: ١/ ٤٨٣، ٤٨٤. وعزاه لابن المنذر.

ومما استدل به لهذا القول أيضًا: قراءة عكرمة: «لا يرقبون في مؤمن إيْلًا»(١).

ومما يعضد هذا القول أيضًا: قول أبي بكر الصديق ﷺ لقوم مسيلمة حين سألهم عما كان مسيلمة يقول، فأخبروه، فقال لهم: ويحكم أين ذهب بكم؟ والله، إن هذا الكلام ما خرج من إلٍّ؛ يعني: من الله(٢).

وقال الأزهري ﵀ «(وإيل): قيل: اسم من أسماء الله، بالعَبرانية. قلت: وجائز أن يكون أعرب فقيل: إسرائيل، وإسماعيل؛ كقولك: عبد الله، وعبيد الله»(٣).

ولم يرتض هذا القول الزجاج ﵀ وردَّه بقوله: «وقيل: (الإل): اسم من أسماء الله، وهذا عندنا ليس بالوجه؛ لأن أسماء الله جلَّ وعزَّ معروفة معلومة كما سُمعت في القرآن وتُليت في الأخبار، قال الله جلَّ وعز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالدّاعي يقول: يا الله، يا رحمٰن، يا رب، يا مؤمن، يا مهيمن، ولم يُسْمَعْ «يا إلُّ» في الدعاء»(٤).

---

(١) المحتسب في تبيين شواذ القراءات: ١/ ٣٩٩.
(٢) ينظر: جامع البيان: ١/ ٤٣٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢/ ٢٦٥.
(٣) تهذيب اللغة، مادة: (ألى)، باب لفيف حرف اللام: ١٥/ ٣١٤.
(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٣٥٠.
قال د. مساعد الطيار ـ وفقه الله ـ: وهذا الاعتراض ليس بصحيح؛ لورود هذا المعنى عن السلف العالمين بتفسير بكتاب الله تعالى، وجهل الزجاج وغيره من اللغويين لهذا المعنى لا يعني: صحة إنكارهم، ولا يمتنع أن يكون هذا اللفظ بهذا المعنى ممّا اشتركت فيه اللغات، فكاد أن يندرس من لغة العرب، وبقي في اللغات التي لها صلة بالعربية؛ كالعبرية، التي بقي فيها هذا المدلول، وهو يطلق على الله سبحانه، فحفظ هؤلاء السلف هذا المعنى وعلموه، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ». والله تعالى أعلم.
ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان الطيار: ٦٠٧ [ط٢، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٧هـ].

القول الثاني: أن المراد بـ(الإل): القرابة؛ «أي: لا يراعون فيكم قرابة، بل يقتلونكم وإن كنتم من قراباتهم»[(١)]. وهذا القول مروي عن ابن عباس، والضحاك، والسدي[(٢)].

وهو اختيار: مقاتل بن سليمان، وأبي الليث السمرقندي، والواحدي، وابن جزي، وابن تيمية، والبقاعي، والسيوطي، والخطيب الشربيني، والسعدي رحمهم الله[(٣)].

قال النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أحسنها»[(٤)].

وقال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو أولى الأقاويل وأحسنها»[(٥)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أظهر وأشهر، وعليه الأكثر»[(٦)].

وإطلاق (الإل) على القرابة معنًى معروف في كلام العرب، ومنه قول حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٧)]:

لَعَمْرُكَ إنَّ إلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ ... كَإلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ[(٨)]

---

(١) العذب النمير: ٢/ ٢٩٠.

(٢) ينظر: جامع البيان: ١/ ٤٣٨، وزاد المسير: ٣/ ٤٠٢.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/ ٣٧، وبحر العلوم: ٢/ ٤١، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٤٥٤، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٧١، ومجموع الفتاوى: ٣٢/ ١٣، ونظم الدرر: ٣/ ٣٣٩، وتفسير الجلالين: ص١٨٨، والسراج المنير: ١/ ٦٧٦، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٣٣٠.

(٤) معاني القرآن: ٣/ ١٨٧.

(٥) تفسير القرآن للسمعاني: ٢/ ٢٩٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٤٤٥.

(٧) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو، الأنصاري، الخزرجي، النَّجَّاري، المدني، أبو الوليد؛ ويقال: أبو الحسام، سيد الشعراء المؤمنين، المؤيَّد بروح القدس، كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في أيام النبوة وصاحبه، توفي سنة (٤٠هـ)، وقيل: سنة (٥٠هـ)، وقيل: سنة (٥٤هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥١٢، والإصابة: ٢/ ٦٢.

(٨) ديوان حسَّان بن ثابت الأنصاري، تحقيق: عبد الله سنده: ٢٣٤ [ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م]. =

القول الثالث: أن المراد بـ(الإل): اليمين[١]، **والمعنى**: إنهم إن يظهروا عليكم بعدما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق، لم ينظروا في حلف ولا عهد»[٢]. ومن معاني مادة (أَلَّ): الحَلِف، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢]؛ **أي**: يحلف.

قال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾: لا يراعوا فيكم، ﴿إِلًّا﴾ حَلِفًا»[٣].

قال القونوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «حَلِفًا» - بفتح الحاء وكسر اللام - وهو اليمين»[٤].

ولعل مما يستأنس به لهذا القول: أن الله عَزَّ وَجَلَّ ذكر نقض المشركين لأيمانهم في السياق الذي وردت فيه هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٢، ١٣].

القول الرابع: أن المراد بـ(الإل): الجُؤَار؛ وهو رَفْعُ الصوت عند التحالُفِ؛ وذلك أنهم كانوا إذا تماسحوا وتحالفوا جَأَرُوا بذلك جُؤَارًا. والعرب تقول: «أَلَّ، يَؤُلُّ؛ إذا صرخ ورفع صوته»[٥].

القول الخامس: من حمل معنى (الإل) على أكثر من معنى:

فلا يمتنع أن يكون (الإل) شاملًا لهذه المعاني كلها، فيحمل عليها جميعًا. **وممن حمل (الإل) على أكثر من معنى**:

= والسَّقْب: ولد الناقة ساعةَ يولد، ورَأْل النعام: ولد النعام. اهـ. من حاشية محقق الديوان.

(١) النكت والعيون: ٢/ ٣٤٣. (٢) حاشية زاده: ٢/ ٤٢٢.

(٣) أنوار التنزيل: ٣/ ٧٢. (٤) حاشية القونوي: ٩/ ١٦٤.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢/ ٢٧١، وأنوار التنزيل: ٣/ ٧٢، والدر المصون: ٦/ ١٩، والعذب النمير: ٤/ ٢٩٢.

ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «و(الإل): اسم يشتمل على معان ثلاثة، وهي: العهد والعقد والحلف والقرابة، وهو أيضًا بمعنى الله. فإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خَصَّ من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يعم ذلك، كما عَمَّ بها جلَّ ثناؤه معانيها الثلاثة؛ فيقال: لا يرقبون في مؤمن اللهَ، ولا قرابةً، ولا عهدًا، ولا ميثاقًا»[١].

والراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «(الإل): كلُّ حالة ظاهرة من عهد حِلْفٍ وقرابة»[٢].

والنسفي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ﴾: لا يراعوا فيكم، ﴿إِلًّا﴾ حلفًا أو قرابة»[٣].

والقاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا﴾؛ أي: قرابة ويمينًا ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾؛ أي: عهدًا»[٤].

والطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «و(الإل): الحلف والعهد؛ ويطلق (الإل) على النسب والقرابة. وقد كانت بين المشركين وبين المسلمين أنساب وقرابات، فيصح أن يراد هنا كلا معنييه»[٥].

• **وخلاصة القول: أن المراد بـ(الذمة): العهد، و(الإل): شامل لهذه المعاني في اللغة فيحمل عليها.**

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الهمزة واللام في المضاعف ثلاثة أصول: اللَّمَعان في اهتزاز، والصَّوت، والسَّبب يُحافظ عليه»[٦].

---

(١) جامع البيان: ١٠/ ٨٥.
(٢) المفردات، مادة: (الإل)، كتاب الألف: ٢٥.
(٣) مدارك التنزيل: ٢/ ١٦٩. (٤) محاسن التأويل: ٤/ ٩١.
(٥) التحرير والتنوير: ١٠/ ١٢٤.
(٦) مقاييس اللغة، مادة: (ألّ)، كتاب الهمزة، باب الهمزة في الذي يقال له المضاعف: ١/ ١٨.

فقوله: الصوت، فقد تقدم أن الجُؤار، وهو رَفْعُ «الصوت» عند التحالُفِ من معاني (الإل)، وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا وتماسحوا بالأيدي عند الحِلْف رفعوا أصواتهم، والعرب تقول: «ألَّ، يؤل» إذا صرخ ورفع صوته[١].

وقوله: «السَّبَب يُحافظ عليه»؛ فالله سبحانه، والعهد، والقرابة، واليمين ـ من الأسباب التي يجب المحافظة عليها وعدم الإخلال بها.

وأمَّا الاقتصار في تفسير (الإل) على أنه العهد فقط؛ فيكون بمعنى الذمة، والجمع بينهما للتوكيد؛ كما عليه أصحاب الرأي الأول ـ فغير صحيح؛ لأن (الذمة) جاءت معطوفة على (الإل)، والعطف يقتضي التغاير، كما أن الأصل حمل المعاني على التأسيس، فـ(الإل) وإن كان يأتي بمعنى العهد، إلا إنه لا ينبغي حمله عليه على وجه الخصوص، ولذا لم يرتضِ بعض أهل العلم تفسير (الإل) بمعنى العهد فقط:

قال البيضاوي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ﴾: لا يُراعوا فيكم، ﴿إِلًّا﴾ حلفًا»[٢].

قال الشهاب الخفاجي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «﴿إِلًّا﴾ حلفًا»؛ الحَلِفْ ككتف القسم قيل، وقد صُحِّحَ هنا، والحِلْف ـ بكسر فسكون ـ العهد، والعبارة محتملة له، ولا يضرُّ تفسير (الذمة) به؛ لأنه غير متعين، وكونه مؤكِّدًا أو تفسيرًا يأباه إعادة ﴿إِلًّا﴾ ظاهرًا»[٣].

وقال القونوي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «حَلِفًا» ـ بفتح الحاء وكسر اللام ـ وهو اليمين، وأمَّا الحِلْف ـ بكسر الحاء وسكون اللام ـ فهو بمعنى

---

(١) ينظر: الكشاف: ٢/ ٢٧١، وأنوار التنزيل: ٣/ ٧٢، والدر المصون: ٦/ ١٩، والعذب النمير: ٤/ ٢٩٢.

(٢) أنوار التنزيل: ٣/ ٧٢.

(٣) عناية القاضي: ٤/ ٥٢٨.

العهد؛ فغير مناسب هنا؛ إذ المختار في تفسير (الذمة): العهد، ولا معنى لحمله على التأكيد؛ **لأن التأسيس خير من التأكيد**»[(١)].

وقال الآلوسي رحمه الله: «وزعم بعضهم أن (الإل) و(الذمة) كلاهما هنا بمعنى العهد، والعطف للتفسير، ويأباه إعادة ﴿إِلًّا﴾ ظاهرًا فليس هو نظير:

.... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا[(٢)]

فالحقُّ المغايرة بينهما»[(٣)]. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية التاسعة عشر: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

عدَّ بعض أهل العلم (الهدى) و(دين الحق) من الألفاظ الموهمة بالترادف، **وقد اقترنا في آية واحدة في ثلاثة مواضع من كتاب الله: الأول:** في هذه الآية الكريمة، **والثاني:** قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]، **والثالث:** قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

وفي الجمع بينهما في آية واحدة لأهل العلم رأيان:

الرأي الأول: أن (الهدى) و(دين الحق) معناهما واحد، وإنما جمع بينهما تأكيدًا لتغاير اللفظين:

قال الماوردي رحمه الله: «قوله: ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾؛ **فيها تأويلات:**

---

(١) حاشية القونوي: ٩/ ١٦٤.

(٢) البيت لعدي بن زيد وهو في ديوانه: ص١٨٣. وقد تقدم.

(٣) روح المعاني: ١٠/ ٥٦.

منها: أن معناهما واحد وإنما جمع بينهما تأكيدًا لتغاير اللفظين»[١].

وقد فَسَّرَ بعض أهل العلم اللفظين بمعنًى واحد؛ وهو أن: الهدى ودين الحق، هو دين الإسلام»[٢].

الرأي الثاني: أن: (الهدى) و(دين الحق)، ليسا بمعنى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن المراد ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: البيان الواضح؛ **أي**: بيان فرائض الله على خلقه وجميع اللازم لهم، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: الإسلام؛ وهو اختيار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣].

القول الثاني: أن المراد ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: التوحيد وشهادة أن لا إلٰه إلا الله، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: الإسلام: وهو اختيار: أبي الليث السمرقندي، وابن أبي زمنين رحمهما الله[٤].

قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَجُوِّزَ أن يراد ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: الأصول، وبـ(دين الحق): الفروع؛ فإن من الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ من لم يرسل بالفروع، وإنما أرسل بالأصول وتباينها»[٥].

---

(١) النكت والعيون: ٢/ ٣٥٥. **وينظر**: تفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ٢/ ١٧.

(٢) **ينظر**: تفسير مقاتل: ٢/ ٤٥ و٣/ ٣٥٦، وتفسير القرآن العزيز: ٤/ ٢٥٨، والكشاف: ٤/ ٣٤٧ و٤/ ٥٢٦.

(٣) جامع البيان: ١٠/ ١١٦ و٢٦/ ١٠٩ و٢٨/ ٨٨. **وينظر**: الكشف والبيان: ٥/ ٣٥، والنكت والعيون: ٢/ ٣٥٥، وزاد المسير: ٣/ ٤٢٧، ومدارك التنزيل: ٤/ ٢٤١، والسراج المنير: ٤/ ٢٩٦، ومحاسن التأويل: ٦/ ٢٨٤.

(٤) **ينظر**: بحر العلوم: ٣/ ٣٠٤ و٣/ ٤٢١، وتفسير القرآن العزيز: ٤/ ٢٥٧، ومدارك التنزيل: ٤/ ٢٤١.

(٥) روح المعاني: ٢٦/ ١٢٢. **وينظر**: التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٠١.

القول الثالث: أن المراد ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: القرآن، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: الإسلام.

وهو اختيار: الواحدي والقرطبي، والبيضاوي، والخازن، وأبي السعود رحمهم الله[1].

قال الشنقيطي رحمه الله: «قال بعض العلماء: (الهدى) هنا هو هذا القرآن؛ لأن الله يقول: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قالوا: ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: بالقرآن الفارق بين الحق والباطل، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره»[2].

القول الرابع: أن (الهدى): هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح؛ وهو اختيار: ابن القيم، وابن كثير، وابن سعدي رحمهم الله[3].

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾؛ **أي**: بالعلم النافع والعمل الصالح؛ فإن الشريعة تشتمل على شيئين: علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول، فإخباراتها حق، وإنشاءاتها عدل»[4].

وقال ابن سعدي رحمه الله: «﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ الذي هو العلم النافع، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الذي هو العمل الصالح، فكان ما بعث الله به محمدًا ﷺ

---

(١) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٤٦١، والجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ١٧٩، وأنوار التنزيل: ٥/ ٢٠٩، ولباب التأويل: ٣/ ٨٤، وإرشاد العقل السليم: ٨/ ٢٤٥.

(٢) العذب النمير: ٥/ ٤٥٠.

(٣) ينظر: مدارج السالكين: ١/ ١٣، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٤٥٩ و٤/ ٢١٦ و٤/ ٢٥٨، وتيسير الكريم الرحمن: ص٣٣٥ و٧٩٥ و٨٦٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٢٥٨.

مشتملًا على بيان الحق من الباطل، في أسماء الله، وأوصافه، وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح، والأبدان؛ من إخلاص الدين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَم، والأعمال الصالحة، والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة، المضرة للقلوب والأبدان في الدنيا والآخرة»(١).

• **وخلاصة القول**: أن هناك بين (الهدى) و(دين الحق) فرق في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد لتغاير اللفظين، ولا يمتنع حملهما على جميع ما ذكر من أقوال.

ولذا قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرهما: «﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ يعمُّ القرآن وجميع الشرع، وقوله: ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ إشارة إلى الإسلام والملة بجمعها وهي الحنيفية»(٢).

وما ذكر في التفريق بينهما هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله تعالى أعلم بكتابه.

***

الآية العشرون: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨].

(السر) و(النجوى) من الألفاظ الموهمة بالترادف، **وقد اقترنا في موضعين من كتاب الله: الأول منهما: في هذه الآية الكريمة، والثاني منهما: قوله تعالى:** ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن: ٣٣٥.

(٢) المحرر الوجيز: ٣/٢٦.

ولأهل العلم في سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان:

الرأي الأول: أن (السر) و(النجوى) بمعنى واحد، وإنما جمع بينهما من باب التأكيد بالمرادف:

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ عند بيانه المراد بـ(الرحمة) في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]: «وكرر (الرحمة) لمَّا اختلف اللفظ تأكيدًا وإشباعًا للمعنى، كما قال: ﴿مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] وقوله: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾ [الزخرف: ٨٠]»(١).

وقال شيخ زاده رَحِمَهُ اللَّهُ عند بيانه المراد بـ(الرحمة) في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]: «وقيل: المراد بـ(الصلاة) ها هنا: الرحمة؛ لما اشتهر أن الصلاة من الله الرحمة، وعطف قوله: ﴿وَرَحۡمَةٞۖ﴾ عليها لاختلاف اللفظتين، كما في قوله: ﴿سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُم﴾»(٢).

وقال الخليل بن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنَّجْوُ: كلام بين اثنين كالسِّر»(٣).

الرأي الثاني: أن (السر) و(النجوى) ليسا بمعنًى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بكل منهما:

أمّا قوله: ﴿سِرَّهُمۡ﴾؛ فـ(السر) **في الأصل**: الخفاء. وهو ضد الإعلان.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢/٤٦٨.

(٢) حاشية زاده: ١/٤٦٩. **وينظر**: المنتخب من غريب كلام العرب: ٣٤١، والبرهان في علوم القرآن: ٢/٤٣٧، والكليات للكفوي: ٣١٥.

(٣) كتاب العين، مادة: (نجو)، باب الجيم والنون: ٦/١٨٧. **وينظر**: لسان العرب، مادة: (نجا): ١٥/٣٠٨، والقاموس المحيط، مادة: (نجا)، باب الواو والياء، فصل النون: ص١٣٣٧.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «السين والراء يجمع فروعَه: إخفاءُ الشيء، وهو خلاف الإعلان»[(١)]، ومنه سُرَّة البطن؛ سمِّيت بذلك لاستتارها بِعُكَنِ[(٢)] البطن، وأسرَّة الراحة، وأسارير الجبهة لغضونها، والسَّرار: اليوم الذي يستتر فيه القمر آخر الشهر»[(٣)].

ومن استخدام القرآن (السَّر) بمعنى الخفاء، قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ [يوسف: ١٩] «أي: أخفوه متاعًا للتجارة»[(٤)].

فالسر «ما انطوى عليه ضمير المرء، وخطر بقلبه، ولم تتحرك به شفتاه»[(٥)].

ومما يدل لهذا قوله تعالى: ﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد: ١٠].

ويطلق (السر) أيضًا على ما يحدِّث به الإنسان غيره خُفية، «يقال: أسررت إلى فلان حديثًا؛ أي: أفضيت إليه خفية، ومنه قوله تعالى:

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: (سَرَّ)، كتاب السين، باب ما جاء من كلام العرب وأوله سين في المضاعف: ٣/ ٦٧.

(٢) العُكْنَةُ، بالضم: ما انْطَوَى وتَثَنَّى من لحْمِ البَطْنِ. القاموس المحيط، مادة: (عكن)، باب النون فصل العين: ١٢١٤.

(٣) ينظر: المفردات، مادة: (سرر)، كتاب السين: ٢٣٦، وعمدة الحفاظ، مادة: (سرر)، باب السين، فصل السين والراء: ٢/ ١٩٠.

(٤) الكشاف: ٢/ ٤٢٧.

(٥) ينظر: المفردات، مادة: (سرر)، كتاب السين: ٢٣٥، والوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد الرحمٰن عوض: ٧٢ [ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥]. وعمدة الحفاظ، مادة: (سرر)، باب السين فصل السين والراء: ٢/ ١٨٩، والتحرير والتنوير: ١٠/ ٢٧٤، وأسرار الترادف في القرآن الكريم: ٦٢.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم: ٣]»(١).

وأمّا قوله: ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾: فـ(النجوى): من النجو. وهو المكان المرتفع عمّا حوله؛ فالمناجي يخلو بمن يناجيه في نجوة من الأرض ليفشيَ سرَّه إليه(٢). ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] «أي: انفردوا عن الناس يتناجون فيما بينهم»(٣). وقيل «من النجاة؛ كأنه نجا بسره ممن يحذر اطلاعهم عليه»(٤).

والنجوى «في الكلام: ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان، سرًّا كان أو ظاهرًا»(٥).

ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

● **وخلاصة القول**: أن (السر) أخفى من (النجوى) وأعم، فكل (نجوى) سر ولا عكس؛ لأن (النجوى) لا تكون إلا حديثًا تنتظمه الألفاظ، ويدور بين اثنين فأكثر، أمَّا (السر) فحديث النفس المتكتم في السريرة»(٦).

---

(١) المفردات، مادة: (سرر)، كتاب السين: ٢٣٦.

(٢) ينظر: المفردات، نجو، كتاب النون: ص٥٠٥، ٥٠٦، وعمدة الحفاظ، مادة: (نجو)، باب النون، فصل الجيم والنون: ٤/١٤٦، وتفسير المنار: ٥٠٤، وأسرار الترادف في القرآن الكريم: ٦١.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٢/٦٣٢.

(٤) ينظر: المفردات، نجو، كتاب النون: ص٥٠٥، ٥٠٦، وعمدة الحفاظ، مادة: (نجو)، باب النون، فصل الجيم والنون: ٤/١٤٦، وتفسير المنار: ٥٠٤، وأسرار الترادف في القرآن الكريم: ٦١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ٢/٨٥.

(٦) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٦٢.

قال الزمخشري رحمه الله: «فإن قلتَ: ما المراد بـ(السر) و(النجوى)؟ قلتُ: (السر) ما حدَّث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال. و(النجوى): ما تكلموا به فيما بينهم»[(١)]. ومما يعضد هذا التفريق أيضًا قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾ [طه: ٦٢، والأنبياء: ٣].

قال السمين الحلبي رحمه الله: «وإنما قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا﴾ مع لفظ ﴿النَّجْوَىٰ﴾ منبهة أنهم لم يظهروا ذلك بوجه من الوجوه؛ لأن (النجوى) ربما تظهر. فبالغوا في إخفائها، فللَّه دَرُّ فصاحة القرآن!»[(٢)].

وبناء على ما تقدم ذكره: فإن عامة المفسرين فرَّقوا بين (السر) و(النجوى) في قوله تعالى: ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ **ومما ذكروه في معناهما:**

- **أن السر:** ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه، **والنجوى:** ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين، وتسمية الصدقة: جزية، وتدبير منعها[(٣)].

- **أن السر:** إشارة إلى ما يخفونه من النفاق، **والنجوى:** ما يفيضون به بينهم من تنقيص الرسول ﷺ، وتعييب المؤمنين[(٤)].

---

(١) الكشاف: ٤/٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) عمدة الحفاظ، مادة: (نجو)، باب النون، فصل الجيم والنون: ٤/١٤٧.

(٣) ينظر: الكشاف: ٢/٣٧٩، وأنوار التنزيل: ٣/٩٠، ومدارك التنزيل: ٢/١٩٧، وإرشاد العقل السليم: ٤/٨٦، وروح المعاني: ١٠/١٤٦.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٠/١٩٣، وتفسير القرآن للسمعاني: ٢/٣٣١، ومعالم التنزيل: ٢/٣١٤، والمحرر الوجيز: ٣/٦٢ و٥/٥٦، وزاد المسير: ٣/٤٧٥، والتفسير الكبير: ١٦/١١١ و٢٧/١٩٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٩/، ٨٨، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤/٣٣، ولباب التأويل: ٣/١٢٧، ونظم الدرر: ٣/٣٦٣، وفتح القدير: ٢/٥٤٧، وروح المعاني: ١٠/١٤٦، وتفسير المنار: ٦٥٠.

ـ **أن السر**: ما يسارُّ به بعضهم بعضًا، **والنجوى**: ما تحدثوا به جهرًا بينهم(١).

قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر هذه الأقوال: «وهذه أقوال متقاربة متفقة في المعنى»(٢).

وما ذكر في التفريق بينهما في المعنى هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»(٣). والله تعالى أعلم بكتابه.

* * *

الآية الحادية والعشرون: قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

(البَثُّ) و(الحزن) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة في شكوى يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى ربه، والشكوى إلى الخالق، لا تنافي الصبر الجميل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشكوى إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لا تنافي الصبر؛ فإن يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعد بالصبر الجميل، والنبيُّ إذا وعد لا يُخْلِف، ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾»(٤).

---

(١) البحر المحيط: ٥/ ٧٦. (٢) المصدر السابق: ٥/ ٧٦.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٤) مدارج السالكين: ٢/ ١٦١.

وأمّا عن سر الجمع بينهما في الآية الكريمة فلأهل العلم رأيان في ذلك:

الرأي الأول: أن (البَثَّ) و(الحزن) بمعنى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا:

قال عبد القاهر الجرجاني ﵀: «و(البث): أشدُّ الحزن، وإنما جمع للتأكيد»(١).

وقال ضياء الدين ابن الأثير ﵀ في باب (التكرير الذي يوجد في المعنى دون اللفظ): «وقد ورد في القرآن الكريم كثيرًا؛ كقوله تعالى في سورة «يوسف» ﵇: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. فإن (البث) و(الحزن) بمعنى واحد؛ وإنما ههنا لشدة الخطب النازل به وتكاثر سهامه النافذة في قلبه»(٢).

وقال القرطبي ﵀: «و(البَثُّ) قيل: أشد الحزن، ﴿وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ معطوف عليه أعاده بغير لفظه»(٣).

الرأي الثاني: التفريق بين (البث) و(الحزن) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بكل منهما، فأقول وبالله التوفيق:

أمّا قوله: ﴿بَثِّي﴾ فـ(البَثُّ) في الأصل: هو تفريق الشيء وإظهاره.

قال ابن فارس ﵀: «الباء والثاء: أصل واحد، وهو تفريق الشيء

---

(١) درج الدرر: ٢/ ١٠١٣.
(٢) المثل السائر: ٢/ ١٦٢.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٤٣٦. وينظر: المنتخب من غريب كلام العرب: ٣٤١، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٣٧، والكليات للكفوي: ٣١٥.

وإظهاره، يقال: بثُّوا الخيل في الغارة، وبَثَّ الصَّياد كلابه على الصيد»(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

«وبَثُّ النفس: ما انطوت عليه من الغَمِّ والسِّر، يقال: بثثته فانبثَّ»(٢).

وبناء على ما تقدم في أصل الكلمة فقد اختلف أهل العلم في المراد بقوله: ﴿بَثِّى﴾ على قولين:

القول الأول: أن (البَثَّ): أشدُّ الحزن.

وهو اختيار: أبي عبيدة، وابن قتيبة، وابن عُزيز السجستاني، والنحاس، والثعلبي، والبغوي، وابن جزي، والسمين الحلبي، وابن الهائم، والبقاعي، والسيوطي رحمهم الله(٣).

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(البَثُّ): أشد الحزن؛ سمي بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه، حتى يبثَّه؛ أي: يشكوه»(٤).

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: (بثَّ)، كتاب الباء، باب الباء وما بعدها في الذي يقال له المضاعف: ١/ ١٧٢.

(٢) ينظر: المفردات، مادة: (بثَّ)، كتاب الباء: ٤٢، وعمدة الحفاظ، مادة: (بثث)، باب الباء، فصل الباء والثاء: ١٥٨.

(٣) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٣١٧، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٢٢، وغريب القرآن للسجستاني: ١٢٣، ومعاني القرآن للنحاس: ٣/ ٤٥٥، والكشف والبيان: ٥/ ٢٥٠، ومعالم التنزيل: ٢/ ٤٤٤، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ١٢٦، والدر المصون: ٦/ ٥٤٨، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ٢٤٨، واللباب في علوم الكتاب: ١١/ ١٢٩، ونظم الدرر: ٤/ ٤٧٣، وتفسير الجلالين: ص٢٤٥، والسراج المنير: ١٤٧.

(٤) تفسير غريب القرآن: ٢٢٢.

القول الثاني: أن (البَثَّ): هو الهَمُّ أو أشدُّ الهمِّ.

وهو اختيار: الطبري، وأبي الليث السمرقندي، وابن أبي زمنين، والماوردي، والواحدي، والسمعاني، والزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، وابن كثير، وشيخ زاده، وأبي السعود، وابن عاشور رحمهم الله[١].

قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(البَثُّ): أصعب الهمِّ الذي لا يصبر عليه صاحبه، فيبثُّه إلى الناس؛ أي: ينشُره»[٢].

وأمّا قوله: ﴿وَحُزْنِيٓ﴾ فـ(الحزن) في الأصل: مأخوذ من الحَزَن وهي خشونة الأرض، قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحاء والزاء والنون: أصلٌ واحد، وهو خشونة الشيء وشِدّةٌ فيه. فمن ذلكَ: الحَزْن، وهو ما غلُظ من الأرض»[٣].

«و(الحزن): خشونة في النفس لما يحصل فيه من الغمِّ، ويضادُّه: الفرح»[٤].

وعلى ما تقدم ذكره في معنى (البث) و(الحزن)، فـ(البَثُّ): يحتمل أن يكون بمعنى أشد (الحزن)، ويحتمل أن يكون بمعنى الهَمِّ، أو أشد الهَمِّ، «الذي لا يطيق صاحبه عليه؛ كأنه ثقل عليه فلا يطيق حمله وحده، فيفرِّقه على من يعينه»[٥].

---

(١) ينظر: جامع البيان: ١٣/ ٤٥، وبحر العلوم: ٢/ ٢٠٧، وتفسير القرآن العزيز: ٢/ ٢٣٧، والنكت والعيون: ٣/ ٧١، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٥٥٧، وتفسير القرآن للسمعاني: ٣/ ٥٨، والكشاف: ٢/ ٤٧٠، وأنوار التنزيل: ٣/ ١٧٤، ومدارك التنزيل: ٢/ ٣٣٦، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٦٣٤، وحاشية زاده: ٣/ ٩٧، وإرشاد العقل السليم: ٤/ ٣٠٢، والتحرير والتنوير: ١٣/ ٤٥.

(٢) الكشاف: ٢/ ٤٧٠.

(٣) مقاييس اللغة، مادة: (حزن)، كتاب الحاء، باب الحاء والزاء وما يثلثهما: ٢/ ٥٤.

(٤) المفردات، مادة: (حزن)، كتاب الحاء: ١٢١.

(٥) روح المعاني: ١٣/ ٤٣.

ويفهم من صنيع بعض أهل العلم أن لا منافاة بين القولين فيحمل عليهما جميعًا.

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والبَثُّ**: ما في صدر الإنسان مما هو معتزم أن يبثَّه وينشُره، وأكثر ما يستعمل (البث) في المكروه»[1]. وهذا شامل للقولين جميعًا.

والحزن: يفيد غِلَظ الهمِّ[2] على أمر فائت[3].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿بَثِّي﴾؛ **أي**: ما أبثُّ من الكلام، ﴿وَحُزْنِيٓ﴾: الذي في قلبي»[4].

● **وخلاصة القول**: أن عطف (الحزن) على (البَثِّ) في الآية عطف تغاير لا عطف ترادف، **والقصد من ذكرهما معًا**: الجمع بين نوعي الهم؛ للدلالة على أن يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنما يفزع إلى الله وحده في كل أحواله، ويشكو له وحده أنواع همومه:

الحزن القديم الذي تسلَّط واشتدَّ وازداد مع الأيام صلابة وغِلظًا، والبث الجديد الذي نما وتزايد حتى ملأ الصدر على رحابته، وضاق به الصبر على سعته، فلم يجد له حيلة، ولم يستطع له علاجًا إلا أن يبثه إلى الله ويستعين به عليه؛ ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨][5].

وما ذكر في التفريق بينهما في المعنى هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا

---

(١) المحرر الوجيز: ٣/ ٢٧٣.
(٢) الفروق اللغوية: ٢٩٨.
(٣) التحرير والتنوير: ١٣/ ٤٥.
(٤) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٤٠٤. وينظر: التحرير والتنوير: ١٣/ ٤٥.
(٥) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ص٦٨، ٦٩.

النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[(١)]. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثانية والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

(الأثاث) و(المتاع) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية التي جاءت في سياق امتنان الله على عباده بعدد من النعم، التي تفضَّل بها سبحانه لصالح الإنسان.

وفي سر الجمع بينهما في الآية الكريمة لأهل العلم رأيان في ذلك:

الرأي الأول: أن (الأثاث) و(المتاع) بمعنًى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا لاختلاف اللفظين:

والقائلون بهذا الرأي صنفان من أهل العلم:

الصنف الأول: من فسَّر أحد اللفظين بالآخر:

فعن مجاهد رحمه الله قال: **(الأثاث)**: المتاع»[(٢)]، وقال أبو عبيدة رحمه الله: «﴿أَثَٰثًا﴾؛ أي: متاعًا»[(٣)].

الصنف الثاني: من نصَّ على أن اللفظين بمعنى واحد، **وجمع بينهما لاختلاف اللفظين:**

وقد نُسِبَ هذا القول إلى الخليل بن أحمد رحمه الله.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٢) ينظر: تفسير مجاهد: ١/ ٣٥٠، وجامع البيان: ١٤/ ١٥٤.

(٣) مجاز القرآن: ١/ ٣٦٥.

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الخليل: (الأثاث) و(المتاع) واحد، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين؛ **كقوله**[١]:

.... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا»[٢]

ولم أقف على هذا النص من كلام الخليل، إلا أنه يحتمل أن يكون توجيهًا من أهل العلم لما ذكره في معنى (الأثاث) و(المتاع) في كتابه «العين» بقوله: «**الأثاث**: أنواع المتاع؛ من متاع البيت ونحوه»[٣]، وقوله: «**المتاع**: ما يستمتع به الإنسانُ في حوائجه؛ من أمتعة البيت ونحوه من كلّ شَيْء»[٤]. والله تعالى أعلم.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما قوله: ﴿وَمَتَعًا﴾ فقيل: إنما جمع بينه وبين (الأثاث) لاختلاف اللفظين»[٥].

وقال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: هما بمعنى»[٦].

الرأي الثاني: أن (الأثاث) و(المتاع) ليسا بمعنًى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: إن (الأثاث): ما يكتسي به الإنسان ويستعمله؛ من الغطاء والوطاء، و**(المتاع)**: ما يفرش في المنازل ويتزيَّن به؛ وهو اختيار الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ[٧].

---

(١) البيت لعدي بن زيد وهو في ديوانه: ص١٨٣. وقد تقدم.
(٢) البحر المحيط: ٥/ ٥٠٧. وينظر: الدر المصون: ٦/ ٢٧٦.
(٣) كتاب العين، مادة: (أثَّ)، باب اللفيف من الثاء: ٨/ ٢٥٣.
(٤) كتاب العين، مادة: (مَتَعَ)، باب العين والتاء: ٢/ ٨٣.
(٥) زاد المسير: ٤/ ٤٧٧.
(٦) محاسن التأويل: ٤/ ٥٤٠.
(٧) التفسير الكبير: ٢٠/ ٧٥.

القول الثاني: إن (الأثاث): ما يلبس ويفرش، و**(المتاع)**: ما يتَّجر به.

وهو اختيار البيضاوي، والخطيب الشربيني، والقاسمي رحمهم الله[(١)].

القول الثالث: إن (الأثاث): متاع البيت من الأكسية والفرش، و**(المتاع)**: ما يتبلَّغون به وينتفعون به إلى وقت غير معين.

وهو اختيار: أبي الليث السمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والنسفي، وابن جزي، والبقاعي، والسيوطي، وأبي السعود، وابن سعدي رحمهم الله[(٢)].

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿أَثَٰثًا﴾ هو: كلُّ ما يحتاج المرء إلى استعماله من آلة، ويفتقر إليه في تصريف منافعه من حاجة، ومنه: أثاث البيت. وقوله: ﴿وَمَتَٰعًا﴾ هو: كلُّ ما انتفع به المرء في مصالحه، وصرفه في حوائجه، يقال: تمتع الرجل بماله؛ إذا نال لذَّته، وببدنه إذا وجد صحته، وبأهله إذا أصاب حاجته، وببنيه إذا ظهر بنصرتهم، وبجيرته إذا رأى منفعتهم»[(٣)].

القول الرابع: (الأثاث): اسم جمع للأشياء التي تفرش في البيوت من: وسائد، وبُسُط، وزرابي[(٤)]، وكلها تنسج أو تحشى بالأصواف

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل: ٣/ ٢٣٦، والسراج المنير: ٢/ ٢٨٣، ومحاسن التأويل: ٤/ ٥٤٠.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/ ٢٨٥، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٦١٥، وتفسير القرآن للسمعاني: ٣/ ١٩٢، ومدارك التنزيل: ٢/ ٤٢٦، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ١٥٩، ونظم الدرر: ٤/ ٢٩٨، وتفسير الجلالين: ص٢٧٦، وإرشاد العقل السليم: ٥/ ١٣٣، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٤٤٦.

(٣) أحكام القرآن: ٣/ ١٢٦.

(٤) جمع زَرْبِيّة ـ بفتح الزاي وسكون الراء وكسر الموحدة وتشديد الياء ـ وهي البساط المنسوج من الصوف الملون الناعم يفرش في الأرض للزينة والجلوس عليه لأهل الترف واليسار. =

والأشعار والأوبار، و(**المتاع**): أعمُّ من (الأثاث) فيشمل: الأعدال[(١)]، والخُطم[(٢)]، والرحائل[(٣)]، واللُّبود[(٤)]، والعُقُل[(٥)]؛ وهو اختيار: الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ[(٦)].

القول الخامس: (**الأثاث**): ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك، فيدخل فيه جميع أصناف المال، و(**المتاع**): ما ينتفع به في البيت خاصة.

قال الخازن رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فإن قلتَ**: أي فرق بين (الأثاث) و(المتاع) حتى ذكره بواو العطف، والعطف يوجب المغايرة؛ فهل من فرق؟ **قلتُ**: (**الأثاث**) ما كثُر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك؛ فيدخل فيه جميع أصناف المال، و(**المتاع**): ما ينتفع به في البيت خاصة. فظهر الفرق بين اللفظتين، والله أعلم»[(٧)].

قال الجمل رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر قول الخازن المتقدم: «فعلى هذا هما

= **ينظر**: لسان العرب، مادة: (زرب): ١/٤٤٧، والتحرير والتنوير: ٣٠/٣٠٢.

(١) جمع عِدْل: وهو ما يكون على أحد جنبي البعير يوضع فيه الحِمْل.
ينظر: لسان العرب، مادة: (عدل): ١١/ ٤٣٠.

(٢) **الخِطامُ**: كل حبل يُعَلَّقُ في حَلْقِ البعير ثم يعقد على أنفه كان من جلد أو صوف أو ليف.
ينظر: لسان العرب، مادة: (خطم): ١٢/١٨٦.

(٣) الرحالة: شبه سَرج يتَّخذ من جلود الغنم بأصوافها، ليكون أخف في الطلب والهرب، والجمع: الرحائل.
ينظر: لسان العرب، مادة: (رحل): ١١/ ٢٦٥.

(٤) كلُّ شعر أو صوف مُلْتَبِّدٍ بعضُه على بعض فهو لِبْد ولِبْدة ولُبْدة والجمع أَلْباد ولُبُود.
ينظر: لسان العرب، مادة: (لبد): ٣/ ٣٨٥.

(٥) جمع عقال: وهو الحبل الذي يُعقل به البعير. **ينظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (عقل)، باب العين مع القاف: ص٦٣٣.

(٦) التحرير والتنوير: ٣٠/٢٣٩.

(٧) لباب التأويل: ٤/١٠٨.

من قبيل عطف الخاص على العام، ويشهد له صنيع «القاموس» ونصُّه: «و(**الأثاث**): متاع البيت بلا واحد أو المال أجمع، والواحدة: أثاثة»[١]. ثم قال: «و(**المتاع**): ما تمتعت به من الحوائج، والجمع: أمتعة[٢]»[٣].

وقال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: وقيل: (الأثاث) جميع المال، والاشتقاق يقوي هذا المعنى الأعم؛ لأن حال الإنسان تكون بالمال أَثِيثَة، تقول: شعر أثيث، ونبات أثيث: إذا كثُر والتفَّ»[٤].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿أَثَٰثٗا﴾؛ **أي**: تتخذون منه أثاثًا، وهو المال[٥]، وقيل: المتاع، وقيل: الثياب[٦]، والصحيح أعم من هذا كله؛ فإنه يتخذ من الأثاث البسط والثياب وغير ذلك، ويتخذ مالًا وتجارة»[٧].

فهذه مجمل الأقوال التي ذكرت في معنى (الأثاث) و(المتاع)، وهي تفيد أن (الأثاث) غير (المتاع) في المعنى.

فالأثاث: أصله من أثَّ؛ **أي**: كثُر وتكاثَف. ومنه: نساء أثائث؛ **أي**: كثيرات اللحم؛ كأنَّ عليهن أثاثًا[٨]، وقيل للمال كله إذا كثُر: أثاث[٩].

---

(١) القاموس المحيط، مادة: (أثث)، كتاب الثاء فصل الألف: ص١٦٤.
(٢) القاموس المحيط، مادة: (متع)، كتاب العين فصل الميم: ٧٦٢.
(٣) الفتوحات الإلٰهية: ٤/ ٢٦٧. **وينظر**: فتح القدير: ٣/ ٢٥٥.
(٤) المحرر الوجيز: ٣/ ٤١٢.
(٥) وهو مروي عن ابن عباس وقتادة. **ينظر**: جامع البيان: ١٤/ ١٥٤.
(٦) وهو مروي عن حميد بن عبد الرحمٰن. **ينظر**: جامع البيان: ١٤/ ١٥٤.
(٧) تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٧٥٥.
(٨) **ينظر**: القاموس المحيط، مادة: (أثث)، كتاب الثاء فصل الألف: ص١٦٤، والدر المصون: ٦/ ٢٧٤.
(٩) المفردات، مادة: (أثَّ)، كتاب الألف: ص١٣. وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأثاث الكثير من المال، وقيل: كثرة المال، وقيل: المال كله». **ينظر**: لسان العرب، مادة: (أثث): ٢/ ١١٠.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنا أرى أصل (الأثاث): اجتماع بعض المتاع إلى بعض حتى يكثر كالشعر الأثيث، وهو الكثير الملتف، يقال منه: أثَّ شعر فلان يَئِثُّ أثًّا؛ إذا كثر والتفَّ واجتمع»[(١)].

فعلى ما تقدم فإن (الأثاث) يشمل: متاع البيت إذا كان كثيرًا، ويشمل الكثير من المال.

وعليه حمل بعض أهل العلم (الأثاث) في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤]؛ «أي: كانوا أحسن من هؤلاء أموالًا وأمتعة»[(٢)].

والمتاع: في الأصل ما فيه منفعة.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الميم والتاء والعين: أصلٌ صحيح، يدلُّ على منفعة وامتدادِ مُدّةٍ في خيرٍ. منه: استمتعت بالشَّيء. والمُتْعة والمَتَاع: المنفعة»[(٣)].

ومن هذا قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ٢٩]. قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «و**(المتاع)**: المنفعة عند أهل اللغة، **فيكون معنى الآية**: فيها منفعة لكم»[(٤)].

ويطلق (المتاع) على ما يكون في البيت من أوعية، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «و**(المتاع)**: عام في جميع ما يمكن أن يطلب على عرف السكنى والمجاورة، من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا»[(٥)].

---

(١) جامع البيان: ١٤/ ١٥٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ١٨٠.
(٣) مقاييس اللغة، مادة: (متع)، كتاب الميم، باب الميم والتاء وما يثلثهما: ٥/ ٢٩٣.
(٤) فتح القدير: ٤/ ٢٨.
(٥) المحرر الوجيز: ٤/ ٤٥٨.

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ [يوسف: ١٧].

و(**المتاع**) **هنا**: «ثَقَلُهم من الثياب والآنية والزاد»[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ [يوسف: ٦٥].

«**أي**: طعامهم، فسمَّاه (متاعًا)، وقيل: وعاءهم وكلاهما (متاع)، وهما متلازمان؛ فإن الطعام كان في الوعاء»[٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩]. و(**المتاع**) **هنا**: صاع الملك.

● **وخلاصة القول**: (الأثاث) غير (المتاع) في المعنى، وما ذكره أهل العلم من أقوال فيهما على الرأي الثاني يدل على ذلك؛ إلا أن أقرب الأقوال ـ من وجهة نظري، والعلم عند الله ـ قول من قال: إن (الأثاث) أعمُّ من (المتاع)؛ فإن لفظ (الأثاث) يدل على الكثرة، فيشمل متاع البيت إذا كان كثيرًا، ويشمل الكثير من المال، و(المتاع) يكون فيما ينتفع به في البيت خاصة. فيكون عطف (المتاع) على (الأثاث) من باب عطف الخاص على العام.

وأمّا القول بأنهما بمعنى واحد والجمع بينهما للتأكيد، فلم يرتضه عدد من أعلم.

قال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**الأثاث**): ما يلبس ويفرش، و(**المتاع**): ما يتجر به»[٣].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٢/٢٣٦.
(٢) المفردات، مادة: (متع)، كتاب الميم: ص٤٨١.
(٣) أنوار التنزيل: ٣/٢٣٦.

قال الشهاب الخفاجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «ما يلبس ويفرش»: فالفرق بينه وبين (المتاع) أن الأول ما يتخذ للاستعمال، والثاني للتجارة، وقيل هما بمعنى، والعطف لجعل تغاير اللفظ بمنزلة تغاير المعنى كما في قوله:

.... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا[١]

والأول أولى»[٢].

وقال القونوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**والمتاع**: ما يتَّجر به»؛ إشارة إلى الفرق بين (الأثاث) و(المتاع)، والعطف للتغاير الاعتباري، وكونه بمعنًى واحد للتأكيد ضعيف»[٣].

وما ذكر في التفريق بينهما في المعنى هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[٤]. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثالثة والعشرون: قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[طه: ١٠٧].

(العِوَج) و(الأَمْت) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة التي تقع في النظم بعد الآية التي تقدم دراستها[٥]، وهي قوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦]. والسياق في ما يجري في أرض المحشر من تغيير وتبديل لمعالمها.

---

(١) البيت لعدي بن زيد وهو في ديوانه: ص١٨٣. وقد تقدم.

(٢) عناية القاضي: ٥/ ٦٣٤. **وينظر**: روح المعاني: ١٤/ ٢٠٤.

(٣) حاشية القونوي: ١١/ ٣٥٠.

(٤) **ينظر**: البرهان في علوم القرآن: ٢/٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٥) ص٢٤٥.

وأمَّا عن سر الجمع بينهما في الآية الكريمة فلأهل العلم فيه رأيان:

الرأي الأول: أن (العوج) و(الأمت) بمعنًى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا:

وينسب هذا الرأي إلى الخليل بن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الهمزة والميم والتاء أصلٌ واحد لا يقاس عليه، وهو الأمْتُ، قال الله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾. قال الخليل: العِوَج والأمْت بمعنى واحد، وقال آخرون ـ وهو ذلك المعنى ـ: إنّ الأمْتَ أن يغلُظ مكانٌ ويَرِقَّ مكان»[1].

ولم أقف على هذا النص من الخليل، وقد استشهد في مادة (أمت) من كتاب العين بقوله تعالى: ﴿عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ من دون أن ينص على كونهما بمعنًى واحد، وإنما الذي ذكره قوله: «أمت: في القرآن: ﴿عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ والأمْتُ: أن تَصبَّ في السِّقاء ماءً فلا تَملؤه فينْثني، وذلك الثِّني هو الأمْت»[2]، وكذلك لم ينص على ذلك في مادة عوج من كتاب العين[3]. والله تعالى أعلم.

وقد عقد أبو الحسن الهنائي في كتابه «المنتخب» بابًا بعنوان:

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: (أمت)، كتاب الهمزة، باب الهمزة واليم وما بعدهما في الثلاثي: ١/ ١٣٧.
وينظر: لسان العرب، مادة: (مين): ١٣/ ٤٢٥، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٣.

(٢) كتاب العين، مادة: (أمت)، باب التاء والميم: ٨/ ١٤١.

(٣) كتاب العين، مادة: (عوج)، باب العين والجيم: ٢/ ١٨٣.
وقد أُفرِد تفسير الخليل بن أحمد بِمُؤَلفٍ مستقل بعنوان: بواكير التفسير عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو من مظنة وجود هذا النص عن الخليل بن أحمد، لكن مؤلفه لم يذكر إلا ما في كتاب العين.
ينظر: بواكير التفسير عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، د. هادي عطية مطر الهلالي: ص١٦٦ [مطبعة مكتب الرسالة، بغداد، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م].

باب: إعادة المعنى إذا اختلف اللفظان. ذكر فيه أمثلة من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾. قال: «و(الأَمْتُ) أيضًا: العِوَج»(١).

وقد ذكر ابن منظور، والفيروزآبادي رحمهما الله من معاني (الأمت): العوج(٢).

الرأي الثاني: التفريق بين (العوج) و(لأمت) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن المراد (بالعِوَج): الانخفاض، و(الأَمْتُ): الارتفاع؛ وهذا القول مروي عن مجاهد رحمه الله(٣)، وهو اختيار: مقاتل بن سليمان، والواحدي، والنسفي، وابن كثير، وجلال الدين المحلي، والخطيب الشربيني رحمهم الله(٤).

القول الثاني: أن المراد بـ(العِوَج): الشَّق وهو الصَّدع في الأرض، **و(الأَمْتُ):** المكان المرتفع؛ وهذا القول مروي عن قتادة(٥)، واختاره: سفيان الثوري رحمه الله(٦).

القول الثالث: أن المراد بـ(العِوَج): المَيل، **و(الأَمْتُ):** الأثر؛ وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما(٧).

---

(١) المنتخب من غريب كلام العرب: ص٣٤١.

(٢) ينظر: ، لسان العرب، مادة: (أمت): ٢/ ٥، والقاموس المحيط، مادة: (أمت)، باب التاء فصل الهمزة: ص١٤٦.

(٣) ينظر: تفسير مجاهد: ١/ ٤٠٢، وجامع البيان: ١٦/ ٢١٢.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/ ٣٤١، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٧٠٥، ومدارك التنزيل: ٣/ ١٠١، ولباب التأويل: ٤/ ٦٨، وتفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٢١، ٢٢٢، وتفسير الجلالين: ص٣١٩، والسراج المنير: ٢/ ٥٣٦.

(٥) جامع البيان: ١٦/ ٢١٣.

(٦) تفسير سفيان الثوري: ص١٩٦.

(٧) جامع البيان: ١٦/ ٢١٣.

القول الرابع: أن المراد بـ(العِوَج): المَيل والاعوجاج، **و(الأَمْتُ)**: الارتفاع؛ وهو اختيار البيضاوي، والبقاعي، وأبي السعود، والشنقيطي رحمهم الله(١).

القول الخامس: أن المراد بـ(العِوَج): المَيل، **و(الأَمْتُ)**: الارتفاع والانخفاض؛ وهو اختيار الطبري رَحِمَهُ اللهُ(٢).

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر أقوال أهل العلم في المراد بـ(العِوَج) و(الأَمْت): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بـ(العِوَج): الميل؛ وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب، وأما (الأَمْت): فإنه عند العرب: الانثِناء والضَّعف، فالواجب إذا كان ذلك معنى (الأَمْت) عندهم، أن يكون أصوب الأقوال في تأويله: ولا ارتفاع ولا انخفاض؛ لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع؛ فإذا كان كذلك فتأويل الكلام: لا ترى فيها ميلًا عن الاستواء ولا ارتفاعًا ولا انخفاضًا، ولكنها مستوية ملساء، كما قال جل ثناؤه: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦]»(٣).

وقريب من قول الطبري رَحِمَهُ اللهُ ما ذكره الزجاج رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «(العِوَج) في العصا والجبل: ألا يكون مستويًا، و(الأَمْت): أن يغلُظ مكان ويرِقَّ مكان»(٤).

فهذه مجمل الأقوال التي ذكرت في معنى (العِوَج) و(الأَمْت) في الآية الكريمة على الرأي الثاني وهي تفيد أن (العِوَج) غير (الأَمْت).

فالعِوَج في الأصل: الميل.

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل: ٤/ ٣٩، ونظم الدرر: ٥/ ٤٦، وإرشاد العقل السليم: ٦/ ٤٢، وأضواء البيان: ٤/ ٦٤٠.

(٢) جامع البيان: ١٦/ ٢١٣.

(٣) المصدر السابق: ١٦/ ٢١٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣٠٧.

قال ابن فارس رحمه الله: «العين والواو والجيم أصل صحيح يدلُّ على مَيَلٍ في الشَّيء، أو مَيْل، وفروعُه ترجع إليه»(١).

وما ذكره بعض أهل العلم في تفسير (العِوَج) بالانخفاض، أو الصدع في الأرض راجع لمعنى المَيل.

قال الطبري رحمه الله: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بـ(العِوَج): الميل؛ وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب، فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم من عِوَج؟ فيقال: لا ترى فيها يومئذ عِوَجا؟. قيل: إن معنى ذلك ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة كما يحتاج اليوم من أَخَذَ في بعض سبلها إلى الأخذ أحيانًا يمينًا، وأحيانًا شمالًا؛ لما فيها من الجبال والأودية والبحار»(٢).

والأَمْت في الأصل: المكان المرتفع.

قال السمين الحلبي رحمه الله: «و**(الأَمْت) في الأصل**: المكان المرتفع»(٣).

وقريب من هذا التفسير تفسير من فسَّر (الأَمْت): بالنَّبك(٤). قال الفراء رحمه الله: «**(الأمت)**: موضع النَّبك من الأرض: ما ارتفع منها»(٥).

ويطلق (الأَمْتُ) ويراد به الانثناء.

قال ابن منظور رحمه الله: «و**(الأَمْتُ)**: أن تصبَّ في القِربَة حتى تنثني،

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: (عوج)، كتاب العين، باب العين والواو وما يثلثهما: ٤/ ١٧٨.
(٢) جامع البيان: ١٦/ ٢١٣.
(٣) عمدة الحفاظ، مادة: (أمت)، باب الهمزة، فصل الألف والميم: ١/ ١١٣.
(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص٢٨٢.
(٥) معاني القرآن: ٢/ ١٩١.

ولا تملأها، فيكون بعضها أشرف من بعض»[١].

وعلى هذا يحمل تفسير الطبري للـ(أَمْت) بأنه: الارتفاع والانخفاض»[٢]، وتفسير الزجاج للـ(أَمْت) بأنه: أن يغلُظ مكان ويرقَّ مكان»[٣].

فإذا كان اللفظ محتملًا لكل هذه المعاني، فلا مانع من يحمل عليها جميعًا.

قال الفيروزآبادي رَحِمَهُ اللهُ: «و(الأَمْتُ): المكان المرتفع، والتلال الصِّغار، والانخفاض والارتفاع، وأن يغلظ مكان ويرِقَّ مكان»[٤]. والله تعالى أعلم.

• **وخلاصة القول**: (العِوَج) و(الأَمْتُ) ليسا بمعنى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

والمقصود من وصف الأرض بهذه الأوصاف أنها تكون في ذلك اليوم ملساء خالية عن الارتفاع والانخفاض، وأنواع الانحراف والاعوجاج[٥].

وعن مجيء قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾، بعد قوله تعالى: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦]، يقول الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: «وجملة ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ حال مؤكدة لمعنى ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦]؛ لزيادة تصوير حالة فيزيد تهويلها»[٦].

---

(١) لسان العرب، مادة: (أمت): ٢/ ٥.
وينظر: كتاب العين، مادة: (أمت)، باب التاء والميم: ٨/ ١٤١، ومعاني القرآن للفراء: ٢/ ١٩١.

(٢) جامع البيان: ١٦/ ٢١٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣٠٧.

(٤) القاموس المحيط، مادة: (أمت)، باب التاء فصل الهمزة: ص١٤٦.

(٥) اللباب في علوم الكتاب: ١٣/ ٣٩٠.

(٦) التحرير والتنوير: ١٦/ ٣٠٧.

وما ذكر في التفريق بين (العِوَج) و(الأمْتُ) في الآية الكريمة، هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»(١). والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الرابعة والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

(الظلم) و(الهضم) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة في سياق ما يكون في موقف يوم القيامة، **فإن الناس في ذلك الموقف ينقسمون إلى قسمين:**

- «ظالمين بكفرهم وشرهم، فهؤلاء لا ينالهم إلا الخيبة والحرمان، والعذاب الأليم في جهنم، وسخط الديان، كما قال تعالى في الآية التي قبلها: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].
- والقسم الثاني: من آمن الإيمان المأمور به، وعمل صالحًا من واجب ومسنون، فهؤلاء لا يخافون ظلمًا ولا هضمًا»(٢).

وفي سر الجمع بين (الظلم) و(الهضم) في الآية الكريمة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (الظلم) و(الهضم) بمعنًى واحد، وجمع بينهما من باب التأكيد بالمرادف:

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «واستُعير (الهضم) للظلم، قال

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٥١٤.

تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[(١)].

وقال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «رجل هَضيم ومُهتَضَم؛ أي: مظلوم، وتَهضَّمه؛ أي: ظلمَه، واهتضمه: إذا ظلمه وكسر عليه حقه»[(٢)].

قال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظاهر كلام الجوهري: أنه لا فرق بين (الظلم) و(الهضم)»[(٣)].

وقال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهما يتقاربان في المعنى ويتداخلان»[(٤)].

الرأي الثاني: التفريق بين (الظلم) و(الهضم) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بكل منهما:

أمّا قوله: ﴿ظُلْمًا﴾ **فـ(الظلم) في الأصل:** الجور ومجاوزة الحد.

ومنه قول العرب: ظلم الأرض؛ أي: حفرها في غير موضعها، وظلم السيل الأرض: إذا خَدَّد فيها في غير موضع تخديد، والسَّخِيُّ يُظلَم: إذا كُلف فوق ما في طَوقه، أو طُلب منه ما لا يجده، أو سُئل ما لا يُسأل مثله»[(٥)].

وأمّا قوله: ﴿هَضْمًا﴾ **فـ(الهضم) في الأصل:** النقص[(٦)].

---

(١) المفردات، مادة: (هضم)، كتاب الهاء: ٥٦٩.
وينظر: المنتخب من غريب كلام العرب: ص٣٤١، ولسان العرب، مادة: (مين): ١٣/ ٤٢٥، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٣.

(٢) الصحاح: ٥/ ٢٠٥٩.

(٣) روح المعاني: ١٦/ ٢٦٦.

(٤) المحرر الوجيز: ٤/ ٨١. وينظر: البحر المحيط: ٦/ ٢٦٠، والدر المصون: ٨/ ١٠٩، وعمدة الحفاظ، مادة: (هضهم)، باب الهاء، فصل الهاء والضاد: ٤/ ٢٥٢، والجواهر الحسان: ٣/ ٤٠، وعناية القاضي: ٦/ ٣٩٦.

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة: (ظلم): ١٢/ ٣٧٣، والقاموس المحيط، مادة: (ظلم)، باب الميم فصل الظاء: ١١٣٤.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ١٩٢، ومجاز القرآن: ٢/ ٣١، وتفسير غريب القرآن: ص٢٨٢، وجامع البيان: ١٦/ ٢١٨،)

قال الزجاج رحمه الله: «(الهضم): النقص، يقال: فلان يهضمني حقي؛ أي: ينقصني. وكذلك: هذا شيء يهضم الطعام؛ أي: ينقُصُ ثِقْلَته»[(١)].

ومن إطلاق (الهضم) على ما ذكر، قول المتوكل الليثي[(٢)]:

إِنَّ الْأَذِلَّةَ وَاللِّئَامَ لَمَعْشَرٌ   مَوْلَاهُمُ الْمُتَهَضَّمُ الْمَظْلُومُ[(٣)]

فالمتهضَّم: «اسم مفعول؛ تهضَّمه: إذا اهتضمه في بعض حقوقه»[(٤)].

وبناء على ما تقدم ذكره: فإن عامَّة المفسرين فرَّقوا بين (الظلم) و(الهضم) في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ **ومما ذكروه في معناهما:**

١ ـ **أن (الظلم)**: المنع من الحق كله، **و(الهضم)**: النقص والمنع من بعض الحق. فكل (هضم) ظلم، ولا ينعكس[(٥)].

فعن ابن زيد رحمه الله في تفسيرهما: «قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بأن لا يجزى بعمله، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بالانتقاص من حقه»[(٦)].

٢ ـ **(الظلم)**: أن يأخذ من صاحبه فوق حقه. **و(الهضم)**: أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له[(٧)].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣٠٧.
وينظر: عمدة الحفاظ، مادة: (هضهم)، باب الهاء، فصل الهاء والضاد: ٤/ ٢٥٣، ٢٥٢.

(٢) المتوكل بن عبد الله، ينتهي نسبه إلى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، من الطبقة السابعة من الإسلاميين وكان كوفيًا في عصر معاوية.
ينظر: طبقات فحول الشعراء: ٢/ ٦٨١.

(٣) البيت في: النكت والعيون: ٣/ ٢٦١، والجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ١٤٢، والدر المصون: ٨/ ١٠٩.

(٤) أضواء البيان: ٤/ ٦٤٥.

(٥) **ينظر**: تفسير سفيان الثوري: ١٩٧، والنكت والعيون: ٣/ ٢٦١، وأضواء البيان: ٤/ ٦٤٥.

(٦) **ينظر**: النكت والعيون: ٣/ ٢٦١، وزاد المسير: ٥/ ٣٢٤.

(٧) الكشاف: ٣/ ٩٠.

قال أهل التفسير من السلف والخلف: «(**الظلم**): يكون بزيادة سيئاته؛ بأن يحمل عليه سيئات غيره، ويعاقب بغير ذنبه، و(**الهضم**): أن يُنقص من حسناته»[(١)].

● **وخلاصة القول**: أن (الظلم) أعمُّ من (الهضم)، فكل (هضم) ظلم، ولا ينعكس.

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(الهضم) ظلم، وإن افترقا من وجه»[(٢)].

وقال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(الظلم) أعم من (الهضم)، وهما يتقاربان في المعنى ويتداخلان، ولكن من حيث تناسقا في هذه الآية، ذهب قوم إلى تخصيص كل واحد منهما بمعنى، فقالوا: (الظلم) أن تَعْظُم عليه سيئاته وتكثر أكثر مما يجب، و(الهضم) أن يُنْقصَ حسناته ويُبخَسها»[(٣)].

ومما يعضد هذا التفريق قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقولهم: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾؛ قال ابن عباس، وقتادة، وغيرهما: فلا يخاف أن يُنقص من حسناته، أو يحمل عليه غير سيئاته، كما قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾»[(٤)].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٤٢، وجامع البيان: ١٦/٢١٧، ٢١٨، والكشف والبيان: ٦/٢٦١، والنكت والعيون: ٣/٢٦١، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٦/٧٠٦، وتفسير القرآن للسمعاني: ٣/٣٥٧، ومعالم التنزيل: ٣/٢٣٢، والمحرر الوجيز: ٤/٨١، وزاد المسير: ٥/٣٢٤، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ٢/٣١٣، ومدارك التنزيل: ٣/١٠٢، ومجموع الفتاوى: ١/٢١٩ و٨/٩١ و٨/٥٠٧ و١٨/١٤١، ومدارج السالكين: ١/٢٣٦، وتفسير القرآن العظيم: ٣/٢٢٣، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ص٢٩١، وتفسير الجلالين: ص٣١٩، والجواهر الحسان: ٣/٤٠، ونظم الدرر: ٥/٢٤٨، والسراج المنير: ٢/٥٣٧، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٥١٤.

(٢) النكت والعيون: ٣/٢٦١.

(٣) المحرر الوجيز: ٤/٨١.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٤/٥٥٣. وينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٤٢.

ولهذا رد بعض أهل العلم القول بأنهما بمعنًى واحد وجمع بينهما تأكيدًا.

قال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظاهر كلام الجوهري: أنه لا فرق بين (الظلم) و(الهضم)، وظاهر الآية قاض بالفرق، وكذا **قول المتوكل الليثي**[(١)]:

إِنَّ الْأَذِلَّةَ وَاللِّئَامَ لَمَعْشَرٌ مَوْلَاهُمُ الْمُتَهَضَّمُ الْمَظْلُومُ»[(٢)]

ورد بعض أهل العلم قول الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «واستعير (الهضم) للظلم»[(٣)] بقوله: «ويرى الراغب أن (الهضم) يستعار للظلم؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، ولكننا لا نميل إلى هذا الرأي؛ لأن (الظلم) مذكور في الآية، ولو كان (الهضم) كذلك؛ لما كان يضيف جديدًا في المعنى، ويصبح الكلام: فلا يخاف ظلمًا ولا ظلمًا، وهذا أقرب إلى التكرار حشوًا نُجلُّ القرآن عنه»[(٤)].

وما ذكر في التفريق بينهما في المعنى هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[(٥)]. والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) البيت في: النكت والعيون: ٣/ ٢٦١، والجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ١٤٢، والدر المصون: ٨/ ١٠٩.

(٢) روح المعاني: ١٦/ ٢٦٦.

(٣) المفردات، مادة: (هضم)، كتاب الهاء: ص٥٦٩.

(٤) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: ص١٦٦.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

الآية الخامسة والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

(الرسول) و(النبي) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد جاء اقترانهما في مواضع من كتاب الله بتقديم الرسالة على النبوة؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

وفي سر الجمع بينهما في آية واحدة من كتاب الله رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (الرسول) و(النبي) بمعنًى واحد، وجمع بينهما من باب التأكيد بالمرادف:

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾؛ فيه قولان: أحدهما: أن (الرسول) و(النبي) واحد، ولا فرق بين (الرسول) و(النبي)»[١].

وقال السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الكلام في (الرسول) و(النبي)، فقال بعضهم: هما سواء»[٢].

وقال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقالت المعتزلة: كلُّ رسول نبي، وكلُّ نبي رسول، ولا فرق بينهما»[٣].

---

(١) النكت والعيون: ٤/ ٣٤.

وينظر: أعلام النبوة، علي بن محمد الماوردي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي: ٤٢ [ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م].

(٢) تفسير القرآن للسمعاني: ٣/ ٢٩٧، ٤٤٧.

(٣) التفسير الكبير: ٢٣/ ٤٣.

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ عن سر الجمع بين (الرسول) و(النبي) في قوله تعالى: «﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥١]: «فالجمع بينهما هنا لتأكيد الوصف، إشارة إلى أن رسالته بلغت مبلغًا قويًا، فقوله: ﴿نَبِيٓـًٔا﴾[1] تأكيد لوصف رسولًا»[2].

ومما استدل به لهذا الرأي ما يلي:

١ ـ أن الله جلَّ وعلا أثبت لهما معًا الإرسال، ولا يكون (النبي) إلا رسولًا، ولا (الرسول) إلا نبيًا.

قال القاضي عياض[3] رَحِمَهُ اللَّهُ: «واختلف العلماء: هل (النبي) و(الرسول) بمعنى؟ أو بمعنيين؟ فقيل: هما سواء، وأصله: من الإنباء وهو الإعلام. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾. فقد أثبت لهما معًا الإرسال قال: ولا يكون (النبي) إلا رسولًا، ولا (الرسول) إلا نبيًا»[4].

---

(١) على قراءة نافع: فإنه أبدل الهمزة في لفظ النبيء مجموعًا ومفردًا. فالمجموع نحو: الأنبئاء، والنبيئين، والنبيؤون، والمفرد نحو: النبيء، ونبيء، ونبيئًا، وكذلك في لفظ: النبوءة.

ينظر: السبعة: ص١٥٧، وحرز الأماني: ص٣٧.

(٢) التحرير والتنوير: ١٦/ ١٢٧.

(٣) عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، السبتي، القاضي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، صنف التصانيف المفيدة منها: «الإكمال في شرح كتاب مسلم» كمل به «المعلم في شرح مسلم» للمازَري و«مشارق الأنوار» و«ترتيب المدارك»، توفي سنة (٥٤٤هـ).

ينظر: وفيات الأعيان: ٣/ ٤٨٣، وسير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٢١٢.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي: عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، وبحاشيته: مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا، لأحمد بن محمد بن محمد الشمني: ١/ ٢٥٠ [دار الكتب العلمية، بيروت، بدون].

وقال القاضي عبد الجبار[١]: «اعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين (الرسول) و(النبي)، وقد خالف في ذلك بعضهم، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾. قالوا: فصل تعالى بين (الرسول) و(النبي)؛ فيجب أن يكون أحدهما غير الآخر، والذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى هو أنهما يثبتان معًا ويزولان معًا في الاستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفى الآخر لتناقض الكلام، وهذا هو أمارة إثبات كلتي اللفظتين في الفائدة»[٢].

ويمكن أن يجاب عنه: بأنّ هذا لا يسلم على إطلاقه؛ لأن الله جلَّ وعلا جمع لبعض أنبيائه وصف (الرسالة) و(النبوة)، ووصف بعضهم بـ(النبوة) فقط؛ مما يدل على تغايرهما:

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤]: «وقوله: ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق؛ لأنه إنما وُصِفَ بالنبوة فقط[٣]، وإسماعيل وُصِفَ بالنبوة والرسالة»[٤]. فلو كانا بمعنًى واحد لما

---

(١) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، الهمذاني، الأسدأباذي، تلقَّبه المعتزلة قاضي القضاة، ولا يطلقون اللقب على سواه ولا يعنون به عند الإطلاق غيره، كان إمام أهل الاعتزال في زمانه، وكان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع، عاش دهرًا طويلًا، حتى ظهرت له الأصحاب وبعُد صِيته، ورحلت إليه الطلاب، وولي قضاء الري، من مصنفاته: «التفسير» و«الذكر الشائع بين الأصوليين»، توفي سنة (٤١٥هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٤٤، وطبقات المفسرين للداوودي: ص١٨٣.

(٢) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تعليق: أحمد الحسين بن أبي هاشم، اعتنى بها: الأستاذ سمير مصطفى رباب: ص٣٨٣ [ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون].

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ [مريم: ٤٩].

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ١٦٩.

أثبتت (النبوة) و(الرسالة) لإسماعيل، وأثبت (النبوة) فقط لإسحاق.

ومما يؤيد القول بتغايرهما كذلك: «رد الرسول ﷺ على البراء بن عازب ﷺ في قوله: (وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ)، قال البراء ﷺ: فرددتها على النبي ﷺ فقلت: ورسولك، قال: (لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ)»[١].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(الرسول) و(النبي) ﷺ اسمان لمعنيين؛ فإن الرسول أخصُّ من النبي، وقدم (الرسول) اهتمامًا بمعنى الرسالة، وإلا فمعنى النبوة هو المتقدم؛ ولذلك رد رسول الله ﷺ على البراء حين قال: «وبرسولك الذي أرسلت». فقال له: (قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) وأيضًا فإن في قوله: «وبرسولك الذي أرسلت» تكرير الرسالة؛ وهو معنى واحد فيكون كالحشو الذي لا فائدة فيه. بخلاف قوله: (وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) فإنهما لا تكرار فيهما. وعلى هذا فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا؛ لأن الرسول والنبي قد اشتركا في أمر عام وهو النبأ، وافترقا في أمر خاص وهي الرسالة. فإذا قلت: محمد رسول من عند الله. تضمن ذلك أنه نبي ورسول الله، وكذلك غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم»[٢].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا شك أن اللفظ الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام لا يقوم مقامه اللفظ الذي تصرَّف فيه الراوي؛ لأن (وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) واضح بليغ لا تكرير فيه؛ لأن النبي قد يكون مرسلًا وغير مرسل، والرسول مرسل قطعًا، فيكون «ورسولك الذي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: فضل من بات على الوضوء، ح برقم (٢٧٤) ٤٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب: ما يقوله عند النوم وأخذ المضجع، ح برقم (٢٧١٠) ١٤٥٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٩/٣٥٣.

أرسلت» تكرار ـ يعني: ـ لأن (الَّذِي أَرْسَلْتَ) معناه يؤديه رسولك، أما (نَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) فيكون كل من الكلمتين عمدة وتأسيسًا لا لغوًا»[١].

٢ ـ أن العطف في قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ لا يقتضي التغاير.

قال القاضي عبد الجبار: «وأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾. فإنه لا يدل على ما ذكروه؛ لأن مجرد الفعل لا يدل على اختلاف الجنسين، ألا ترى أنه تعالى فصل بين نبيِّنا وغيره من الأنبياء ثم لا يدل على أن نبينا ليس من الأنبياء، وكذلك فإنه تعالى فصل بين (الفاكهة) وبين (النخل والرمان)؛ ولم يدل على أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة، كذلك هنا»[٢].

ويمكن أن يجاب عن هذا الاستدلال من وجهين:

الوجه الأول: الأصل أن العطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه.

وهذا ما نصَّ عليه هنا جمع من أهل العلم[٣]، وفي مقدمتهم الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أحد كبار المعتزلة بقوله: «قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ دليل بَيِّنٌ على تغاير (الرسول) و(النبي)»[٤].

الوجه الثاني: ما استدل به من أن الله تعالى فصل بين (الفاكهة) وبين (النخل والرمان) في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمٰن: ٦٨]. ولم يدل على أن (النخل والرمان) ليسا من (الفاكهة) كذلك هنا.

---

(١) العذب النمير: ١/ ١١٧ و٤/ ٢٠٦. (٢) شرح الأصول الخمسة: ص٣٨٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣/ ٤٣، ومدارك التنزيل: ٣/ ١٦٠، والبحر المحيط: ٦/ ٤٤، وروح المعاني: ١٧/ ١٧٢، والتحرير والتنوير: ١٧/ ٢٩٧، وأضواء البيان: ٥/ ٨٠١، ٨٠٢.

(٤) الكشاف: ٣/ ١٦٥.

فيمكن الجواب عنه: بأن عطف (النخل والرمان) هنا من باب عطف الخاص على العام، «فإن عطف الخاص على العام منبه على فضله وأهميته، حتى كأنه ليس من جنس العام؛ تنزيلًا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات»[(١)].

قال الفراء رحمه الله: «**فإن قلتَ**: فكيف أعيد (النخل والرمان) إن كانا من (الفاكهة)؟

قلتُ: ذلك كقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقد أمرهم بالمحافظة على كل الصلوات، ثم أعاد العصر تشديدًا[(٢)] لها، كذلك أعيد (النخل والرمان) ترغيبًا لأهل الجنة»[(٣)]. والله تعالى أعلم..

الرأي الثاني: التفريق بين (الرسول) و(النبي) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

وأرى من المناسب قبل البدء بذكر أقوال أهل العلم في الفرق بين (الرسول) و(النبي)، أن أشير إلى معنى كل منهما في اللغة:

فالرسول: معناه في اللغة: الذي يُتابع أخبار الذي بعثه، أخذًا من قولهم: جاءت الإبل رَسَلًا؛ أي: متتابعة[(٤)]. فالرسول: اسم من

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٦٤، والمدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى: ص٢٩٥، وقواعد التفسير: ١/ ٤٣٠.

(٢) أي: تأكيدًا لها. وقد مضى عند ذكر طرق العلماء في التعبير عن التوكيد: أن الفراء رحمه الله ممن استخدم لفظ (التشديد) بمعنى التأكيد. وهذا المثال دال على ذلك. والله تعالى أعلم.

(٣) معاني القرآن: ٣/ ١١٩.

(٤) لسان العرب، مادة: (رسل): ١١/ ٢٨١.

أرسلت. وأصل الرِّسل الانبعاث على التؤدة، والرسول يقال تارة للقول المتحمَّل، وتارة لمتحمِّل القول والرسالة[(١)].

والنبي: إما مشتق من النبأ وهو الخبر، ومنه قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ ١، ٢][(٢)].

وإنما سمي (النبيُّ) نبيًّا لأنه مُخْبَر؛ أي: أن الله أخبره كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

وهو مُخْبِر عن الله تعالى وحيه وأمره كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩][(٣)].

وإما: مشتق من النَّبْوَة أو النَّباوَة: وهي الارتفاع، وسمي (النبي) على هذا لارتفاع قدره وشرفه، ومنه قوله تعالى في إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧][(٤)].

وقيل: يطلق (النبي) ويراد به الطريق: وسميت رسل الله أنبياء؛ لكونهم طرقًا إلى الله[(٥)].

وكل ما تقدم يصدق على معنى النبوة؛ فإن في كلمة (نبي) قراءتين: النبيء مهموز، والنبي بغير همز[(٦)].

---

(١) المفردات، مادة: (رسل)، كتاب الراء: ص٢٠٢.

(٢) لسان العرب، مادة: (نبأ): ١/ ١٦٢.

(٣) الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر: ص١٣ [ط١٠، دار النفائس، عمَّان: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م].

(٤) ينظر: المفردات، مادة: (نبي)، كتاب النون: ص٥٠٤، ولسان العرب: مادة: (نبا): ١٥/ ١٠٣، وعمدة الحفاظ، نبو، باب النون، فصل النون والباء: ٤/ ١٣٩.

(٥) عمدة الحفاظ، مادة: (نبو)، باب النون، فصل النون والباء: ٤/ ١٣٩.

(٦) الهمز قراءة نافع، وبقية السبعة بدون همز.
ينظر: السبعة: ص١٥٧، ١٥٨، وحرز الأماني: ص٣٧.

«فأمَّا من همز فإنه جعله مشتقًّا من النبأ وهو الخبر، فالنبي فعيل بمعنى فاعل؛ أي: منبِّئ عن الله برسالته، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول؛ أي: إنه مُنَبَّأ من الله بأوامره ونواهيه، وأمَّا من لم يهمز، فجعله مشتق من: نبا ينبو؛ إذا ظهر وارتفع، ولا شك أن رتبة النبي مرتفعة ومنزلته ظاهرة بخلاف غيره من الخلق، فهو فعيل بمعنى فاعل؛ أي: ظاهر مرتفع، أو بمعنى مفعول؛ أي: رفعه الله على خلقه، أو يكون مأخوذًا من النبي الذي هو الطريق، وذلك أن النبيَّ طريق الله إلى خلقه، به يتوصلون إلى معرفة خالقهم»(١).

وبعد ما تقدم من ذكر معنى (الرسول) و(النبي) في اللغة، أشرع في ذكر أقوال أهل العلم في المراد بهما في الآية الكريمة، فأقول وبالله التوفيق:

القول الأول: أن (الرسول): هو الذي يأتيه جبريل عليه السلام بالوحي عيانًا، و**(النبي)**: هو الذي تكون نبوته إلهامًا ومنامًا.

وهو اختيار: الفراء، والثعلبي، والواحدي، والرازي رحمهم الله(٢).

وهذا أغرب الأقوال التي ذكرت في معنى (الرسول) و(النبي)؛ وهو مخالف لظاهر الآيات التي تدل على أن الإيحاء إلى الأنبياء واحد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٣].

---

(١) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/ ٢٤٤، ٢٤٥، والدر المصون: ١/ ٤٠٠ ـ ٤٠٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ٢/ ٢٢٩، والكشف والبيان: ٧/ ٣٠، والوجيز: ٢/ ٧٣٧، والتفسير الكبير: ٢٣/ ٤٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ٤٢٤.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «صفة الوحي إلى نبينا ﷺ توافق صفة الوحي إلى من تقدمه من النبيين[(١)]... والوحي إلى الأنبياء لا تباين فيه»[(٢)].

ولذا لم يرتض أهل العلم هذا القول وردوه:

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا ثبت جواز النبوات وبعثة الرسل بالعبادات، فهم رسل الله تعالى إلى خلقه؛ إما بخطاب مسموع أو بسفارة ملك منزَّل... وقال بعضهم: صاروا أنبياء بالإلهام لا بالوحي. **وهذا فاسد من وجهين:**

أحدهما: أن ما بطَل به إلهام المعارف في التوحيد كان إبطال المعارف به في النبوة أحق.

والثاني: أن الإلهام خفي غامض يدَّعيه المحقُّ[(٣)] والمبطل، فإن ميَّزوا بينهما طُلبت أمارة، وإن عدلوا عن الإلهام فذلك دليل يبطل الإلهام»[(٤)].

وقال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا أغرب الأقوال، ويقتضي أن بعض الأنبياء لم يوح إليه إلا منامًا وهو بعيد، ومثله لا يقال بالرأي»[(٥)].

القول الثاني: (أن الرسول): هو من أمر بالتبليغ، و**(النبي)**: من لم يؤمر بالتبليغ.

وهو اختيار: جلال الدين المحلي، والخطيب الشربيني رحمهما الله[(٦)].

---

(١) فتح الباري: ١/ ١٢. (٢) المصدر السابق: ١/ ٢٥.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والرؤيا الصادقة وإن كانت جزءًا من النبوة فهي باعتبار صدقها لا غير، وإلا لساغ لصاحبها أن يسمى نبيًا وليس كذلك». فتح الباري: ١/ ٢٦.

(٤) أعلام النبوة: ص٣٣. (٥) روح المعاني: ١٧/ ١٧٣.

(٦) ينظر: تفسير الجلالين: ص٣٣٨، والسراج المنير: ٢/ ٦١٨.

وَعُدَّ هذا القول: «أشهر الأقوال وأحسنها»[١].

وقد نوقش هذا القول ورده بعض أهل العلم من وجوه[٢]:

الوجه الأول: أن الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾، فإذا كان الفرق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبيِّ البلاغ.

قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يصح إرادة ذلك؛ لأنه إذا قوبل العام بالخاص يراد بالعام ما عدا الخاص، فمتى أريد بالنبي ما عدا الرسول، كان المراد به من لم يؤمر بالتبليغ، وحيث تعلق به الإرسال صار مأمورًا بالتبليغ، فيكون رسولًا، فلم يبق في الآية بعد تعلق الإرسال رسول ونبي مقابل له»[٣].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وآية الحج هذه تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم، من أن (النَّبي) هو من أوحى إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأن (الرسول) هو النَّبي الذي أوحى إليه، وأمر بتبليغ ما أوحى إليه ـ غير صحيح؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ يدل على أن كلًّا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير»[٤].

الوجه الثاني: أنَّ ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليُكتم ويُدفن في صدر واحد من الناس، ثمَّ يموت هذا العلم بموته.

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: د. عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط: ١/ ١٥٥ [ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م]، والسراج المنير: ٢/٦١٨، والرسل والرسالات: ١٤.

(٢) الرسل والرسالات: ص١٤، ١٥. وما يأتي بعده من أوجه هو من نفس المصدر.

(٣) روح المعاني: ١٧/ ١٧٣.

(٤) أضواء البيان: ٥/ ٨٠١، ٨٠٢.

الثالث: قول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه ابن عباس: (**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ**(١)**، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**)(٢)؛ فدلّ هذا على أنَّ الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنَّهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم. والله تعالى أعلم.

القول الثالث: (**الرسول**): من بعثه الله بشرع جديد يدعو الناس إليه، و(**النبي**): بعثه لتقرير شرع سابق؛ كأنبياء بني إسرائيل.

وهو اختيار: البيضاوي، وأبي السعود، والآلوسي، وابن عاشور رحمهم الله(٣).

وقد اعترض ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا القول بقوله: «وليس من شرط (الرسول) أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإن يوسف كان رسولًا وكان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة، قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ

---

(١) **الرهط**: عشيرة الرجل وأهله، والرهط من الرجال: ما دون العشرة، وقيل: إلى الأربعين، ولا تكون فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، ويجمع على: أرهاط.
ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (رهط)، باب الراء مع الهاء: ص٣٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من لم يَرْقِ، ح برقم (٥٧٥٢) ١٠١٥، ١٠١٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ح برقم (٣٧٤) ١٣٦، ١٣٧.

(٣) أنوار التنزيل: ٤/ ٧٥، وإرشاد العقل السليم: ٦/ ١١٣، وروح المعاني: ١٧/ ١٧٣، والتحرير والتنوير: ١٧/ ٢٩٧. واختاره: د. عمر الأشقر. ينظر: الرسل والرسالات: ص١٥.

وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤]»[١].

القول الرابع: أن (الرسول): من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، و**(النبي)**: من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أُمر أن يدعوَ إلى شريعة من قبله.

وهو اختيار: الزمخشري، والنسفي، والنيسابوري، والشنقيطي رحمهم الله[٢].

والفرق بين هذا القول والقول الذي سبقه بإنزال الكتاب.

ويُعترض عليه بما اعتُرض به على القول السابق «بأن كثيرًا من الأنبياء عليهم السلام لم ينزل عليهم كتب وهم رسل؛ مثل: سليمان، وأيوب، ولوط، ويونس، وزكريا، ويحيى، ونحوهم»[٣].

القول الخامس: أن (الرسول): من بُعث لقوم مخالفين، و**(النبي)**: من بعث لقوم موافقين.

قال ابن تيمية رحمه الله: «النبي هو الذي ينبِّئه الله، وهو ينبِّئ بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، أما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول»، إلى أن قال:

---

(١) النبوات، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: أبو صهيب الرومي، وعصام الحرستاني: ص٢٥٠، ٢٤٩ [ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م].

(٢) ينظر: الكشاف: ٣/ ١٦٥، ومدارك التنزيل: ٣/ ١٦١، ١٦٠، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤/ ٤٠، وأضواء البيان: ٥/ ٨٠٢.

(٣) ينظر: النبوات: ص٢٤٩، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني: ١/ ٢٨٥ [دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون].

«فقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾، دليل على أن النبي مرسل، ولا يسمى رسولًا عند الإطلاق؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم، ولهذا قال النبي ﷺ: (الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ)[١]»[٢].

• **وخلاصة القول:** أن (الرسول) غير (النبي) في المعنى، وما تقدم من أقوال في التفريق بينهما على الرأي الثاني يدل على ذلك، ولذا رد أهل العلم كونهما بمعنًى واحد كما عليه أصحاب الرأي الأول:

قال النسفي رحمه الله: «قوله: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾، هذا دليل بَيِّنٌ على ثبوت التغاير بين (الرسول) و(النبي)؛ بخلاف ما يقول البعض إنهما واحد»[٣].

وقال القاضي عياض رحمه الله: «واختلف العلماء: هل (النبي) و(الرسول) بمعنى؟ أو بمعنيين؟ فقيل: هما سواء واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾. فقد أثبت لهما الإرسال معًا، قال: ولا يكون النبي إلا رسولًا ولا الرسول إلا نبيًّا، وقيل: هما مفترقان؛ وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين؛ ولو كانا شيئًا واحدًا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ»[٤].

ومما استدل به الجمهور[٥] أيضًا على التفريق بين (الرسول)

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ح برقم (٣٦٤١) ٣/ ٣١٧، والترمذي في السنن، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ح برقم (٢٦٨٢) ٥/ ٤٨، ٤٩. وصححه الألباني رحمه الله.
ينظر: صحيح سنن الترمذي: ح برقم (٢٦٨٢) ٣/ ٧١.

(٢) النبوات: ٢٤٩ ـ ٢٥١.

(٣) مدارك التنزيل: ٣/ ١٦٠.

(٤) الشفا: ١/ ٢٥١.

(٥) ينظر: الكشاف: ٣/ ١٦٥، وإرشاد العقل السليم: ٦/ ١١٣، وروح المعاني: ١٧/ ١٧٣.

و(النبي): أنه ﷺ سئل عن الأنبياء؟ فقال: (**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا**)، وقال عن عدد الرسل منهم: (**ثَلَاثُ مِائَةٍ وخَمْسَةَ عَشَرَ؛ جَمًّا غَفِيرًا**)(١).

وما ذكر في التفريق بين (الرسول) و(النبي) في الآية الكريمة، هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»(٢). والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) أخرجه: أحمد في المسند: ح برقم (٢٢٦٤٤) ١٦٤٧، ١٦٤٨، والطبراني في الكبير: ح برقم (٧٨٧١) ٨/٢١٧. من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ. قال الهيثمي: في مجمع الزوائد: ١/١٥٩: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ومداره على علي بن زيد وهو ضعيف». اهـ.
إلا أن الحديث جاء بلفظ آخر عن أبي أمامة ﷺ: أن رجلًا قال: يا رسول الله أنبيٌّ كان آدم؟ قال: (**نَعَمْ، مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ**)، قال كم بينه وبين نوح؟ قال: (**عَشَرَةُ قُرُونٍ**)، قال: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: (**عَشَرَةُ قُرُونٍ**)، قالوا: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ (**ثَلَاثَ مِئَةٍ وَخَمْسَ عَشْرَةَ؛ جَمًّا غَفِيرًا**).
أخرجه الطبراني في الكبير: ح برقم (٧٥٦١) ٨/١١٨، والحاكم في المستدرك: ح برقم ٣٠٣٩: ٢/٢٨٨، واللفظ له، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٢١٠: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير أحمد بن خليد الحلبي وهو ثقة». اهـ.
وصححه الألباني ﷺ، وقال عقب تخريجه: «اعلم أن الحديث وما ذكرنا من الأحاديث الأخرى، مما يدل على المغايرة بين (الرسول) و(النبي)، وذلك مما دل عليه القرآن أيضًا في قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الآية [الحج: ٥٢].
ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، ح برقم (٢٦٦٨) ٦/٣٥٨ ـ ٣٦٤ [ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م].

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/٤٧٠.

الآية السادسة والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

(الفضل) و(السَّعة) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة في وصف صِدِّيق الأمة، وكان قد حلف ألا ينفق على مِسْطَح بن أُثاثَة[١]، وكان ابن خالته بسبب ما خاض به في شأن عائشة رضي الله عنها فلمَّا نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال الصديق رضي الله عنه: بلى والله يا ربنا، إنا لنحبُّ أن تغفر لنا، وأعاد على مِسطَح النفقة[٢].

وفي سر الجمع بين الوصفين في حق الصديق رضي الله عنه في آية واحد رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (الفضل) و(السَّعة) بمعنى واحد، والجمع بينهما للتأكيد:

قال مقاتل بن سليمان رحمه الله: «﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾؛ **يعني**: في الغنى ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ في الرزق؛ **يعني**: أبا بكر الصديق رضي الله عنه»[٣].

وقال ابن عطية رحمه الله: «و(الفضل) و(السَّعة) هنا هي المال»[٤].

---

(١) مِسْطَح بن أُثاثة بن عبَّاد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي المطلبي، كان اسمه عوفًا، وأما مِسطَح فهو لقبه، وأمه بنت خالة أبي بكر، أسلمت وأسلم أبوها قديمًا، كان فقيرًا ينفق عليه أبو بكر، توفي مسطح سنة (٣٤هـ) في خلافة عثمان، ويقال: عاش إلى خلافة علي، وشهد معه صفين، ومات في تلك السنة سنة (٣٧هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء: ١/ ١٨٧، والإصابة: ٦/ ٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النور: ١٩] ح برقم (٤٧٥٧) ٨٣٢ ـ ٨٣٤.

(٣) تفسير مقاتل: ٢/ ٤١٤.

(٤) المحرر الوجيز: ٤/ ١٧٣.

وقال جلال الدين المحلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ﴾: أصحاب الغنى منكم ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾»[١].

قال الجمل رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «أي: أصحاب الغنى» على هذا التفسير يتكرر (الفضل) مع (السعة)»[٢].

وقد اختار هذا الرأي من غير ما تقدم ذكرهم: أبو عبيدة، والطبري، والسمعاني، والبغوي، والخازن، وأبو حيان، وابن كثير، والخطيب الشربيني، والشوكاني، والشنقيطي رحمهم الله[٣].

وقد عدَّ ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ أن المراد بـ(الفضل) هنا: فضل المال احتمالًا، بقوله: «و(الفضل) هنا يحتمل أن يريد به الفضل في الدين أو الفضل في المال، وهو أن يفضُل له عن مقدار ما يكفيه، و(السعة) هي اتساع المال»[٤].

الرأي الثاني: التفريق بين (الفضل) و(السعة) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

ويكون المراد بـ(الفضل) هنا: الفضل في الدين، و(السعة) في المال.

واختار هذا الرأي: أبو الليث السمرقندي، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، وابن عادل، والبقاعي، وشيخ زاده، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، والقونوي، والجمل، والآلوسي، وابن عاشور رحمهم الله[٥].

---

(١) تفسير الجلالين: ص٣٥٢. (٢) الفتوحات الإلهية: ٥/ ٢٨٤.

(٣) ينظر: مجاز القرآن: ٢/ ٦٥، وجامع البيان: ١٨/ ١٠١، ١٠٢، وتفسير القرآن للسمعاني: ٣/ ٥١٤، ومعالم التنزيل: ٣/ ٣٣٤، ولباب التأويل: ٥/ ١٤٠، والبحر المحيط: ٦/ ٤٠٣، وتفسير القرآن العظيم: ٣/ ٣٦٥، والسراج المنير: ٢/ ٦٧٦، وفتح القدير: ٤/ ٢٣، وأضواء البيان: ٦/ ١٧٩.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ٦٣.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢/ ٥٠٤، والتفسير الكبير: ٢٣/ ١٦٣، وأنوار التنزيل: ٤/ ١٠٢، =

وقد أيَّدوا رأيهم هذا بأنه إذا فسِّر (الفضل) بالغنى والسعة في المال يتكرر مع لفظ (السعة)، فيكون الأولى تفسير لفظ (الفضل): بالفضل في الدين، ولفظ (السعة): بالغنى في المال.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى: «﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾؛ يعني: أولو الفضل في دين الله؛ لأنه كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾؛ يعني: السعة في المال، وهذا من مناقب أبي بكر ﷺ؛ حيث: سماه الله أولو الفضل في الإسلام، ويقال: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾؛ يعني: ولا يحلف أولو الفضل منكم؛ يعني: أولو الغنى والسعة في المال. والأول أشبه؛ لكي لا يكون حمل الكلام على التكرار»(١).

وقال الرازي ﷺ: «وهذه الآية تدل على أنه ﷺ كان أفضل الناس بعد الرسول ﷺ؛ لأن (الفضل) المذكور في هذه الآية إما في الدنيا وإما في الدين والأول باطل؛ لأنه لو كان كذلك لكان قوله: ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ تكريرًا. فتعين أن يكون المراد منه الفضل في الدين»(٢).

وقال جلال الدين المحلي ﷺ: «﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾: أصحاب الغنى منكم، ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾»(٣).

قال الجمل ﷺ: «قوله: «أي: أصحاب الغنى» على هذا التفسير يتكرر (الفضل) مع (السعة)؛ فالأولى تفسير (الفضل) بالدين، كما صنع غيره»(٤).

= ومدارك التنزيل: ٣/ ٢٠٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٤/ ٣٣٥، ونظم الدرر: ص٢٤٧، وحاشية زاده: ٣/ ٤١٩، وإرشاد العقل السليم: ٦/ ١٦٥، وعناية القاضي: ٧/ ٣٠، وحاشية القونوي: ١٣/ ٣٠٣، والفتوحات الإلهية: ٥/ ٢٨٤، وروح المعاني: ١٨/ ١٢٥، والتحرير والتنوير: ١٨/ ١٨٩.

(١) بحر العلوم: ٢/ ٥٠٤.

(٢) التفسير الكبير: ٢٣/ ١٦٣. وينظر: عناية القاضي: ٧/ ٣٠، وحاشية القونوي: ١٣/ ٣٠٣.

(٣) تفسير الجلالين: ص٣٥٢.

(٤) الفتوحات الإلهية: ٥/ ٢٨٤.

وقال شيخ زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الفضل) المذكور في الآية إمَّا في الدنيا، وإما في الدين. والأول باطل؛ لأنه لو جاز ذلك لكان قوله: ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ تكريرًا لا تأسيسًا، فتعين أن يكون المراد منه الفضل في الدين والمنزلة عند الله تعالى»(١).

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الفضل): أصله الزيادة فهو ضد النقص، وشاع إطلاقه على الزيادة في الخير والكمال الديني، وهو المراد هنا. ويطلق على زيادة المال فوق حاجة صاحبه وليس مرادًا هنا؛ لأن عطف ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ عليه يُبْعِدُ ذلك. والمعنيّ من أولي الفضل ابتداءً: أبو بكر الصديق، و(السعة): الغنى»(٢).

• **وخلاصة القول:** أن (الفضل) وإن كان يطلق ويراد به الزيادة في المال؛ إلا أن تفسيره هنا بالفضل في الدين أولى، وقد جمع الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كلا الوصفين.

وما ذكر في التفريق بين (الفضل) و(السعة) في الآية الكريمة، هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد؛ كما نص على ذلك أهل العلم فيما تقدم عنهم من أقوال، وكذلك هو الموافق لقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»(٣).

والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) حاشية زاده: ٣/٤١٩.
(٢) التحرير والتنوير: ١٨/١٨٩.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/٤٧٠.

الآية السابعة والعشرون: قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

(المستقر) و(المقام) من الألفاظ الموهمة بالترادف، **وقد اقترنا في موضعين من كتاب الله في سياق ذكر صفات عباد الرحمٰن، الأول منهما:** هذا الموضع؛ وهو دعاؤهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

والثاني: في ذكر جزائهم؛ قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

وفي سر الجمع بين (المستقر) و(المقام) في آية واحدة لأهل العلم رأيان:

الرأي الأول: أن (المستقر) و(المقام) بمعنًى واحد، وجمع بينهما من باب التأكيد بالمرادف:

قال أبو حيان رحمه الله: ﴿وَمُقَامًا﴾ معطوف على سبيل التوكيد؛ لأن (الاستقرار) و(الإقامة) كأنهما مترادفان»[1].

وقال الآلوسي رحمه الله: «والظاهر أن ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ كقوله:

.... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا[2]

وحَسَّنه كون المقام يستدعي التطويل»[3].

---

(١) البحر المحيط: ٦/ ٤٧٠. وينظر: الدر المصون: ٧/ ٥٠٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٤/ ٥٧٨، وحاشية القونوي: ١٤/ ١٥٠، وفتح القدير: ٤/ ١١٥، ١١٦.

(٢) البيت لعدي بن زيد وهو في ديوانه: ص١٨٣. وقد تقدم.

(٣) روح المعاني: ١٩/ ٤٦.

=

وقال جلال الدين المحلي رحمه الله: «﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾؛ أي: موضع استقرار وإقامة»(١).

قال الجمل رحمه الله: «قوله: ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ قال بعضهم: هما بمعنى، وهو الذي يشير إليه صنيع الشارح»(٢).

وكون (المستقر) و(المقام) بمعنى واحد في الموضعين هو الذي يفهم من صنيع جمهور المفسرين(٣).

قال الطبري رحمه الله: «وقوله: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾؛ يعني: بـ(المستقر): القرار، وبـ(المُقام): الإقامة؛ كأن معنى الكلام: ساءت جهنم منزلًا ومُقامًا»(٤).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]: «حسنت تلك الغرفة قرارًا لهم، ﴿وَمُقَامًا﴾ يقول: وإقامة»(٥).

قال الآلوسي رحمه الله: «قوله: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ مقابل ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ معنًى، ومثله إعرابًا، فَتَذكر ولا تَغْفل»(٦).

= وينظر: عناية القاضي: ٧/ ١٥٥.

(١) تفسير الجلالين: ص٣٦٥.

(٢) الفتوحات الإلهية: ٥/ ٣٧٢. ويعني بالشارح: جلال الدين المحلي رحمه الله.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/ ٤٤٢، ومجاز القرآن: ٢/ ٨٠، وبحر العلوم: ٢/ ٥٤٥، ٥٤٨، وتفسير القرآن العزيز: ٣/ ٢٦٧، والكشف والبيان: ٧/ ١٤٦، وتفسير القرآن للسمعاني: ٤/ ٣٧، ومعالم التنزيل: ٣/ ٣٧٦، ٣٧٩، وزاد المسير: ٦/ ١٠٢، ومدارك التنزيل: ٣/ ٢٥٩، ولباب التأويل: ٥/ ١٠٩، ١١١، ونظم الدرر: ٥/ ٣٣٦، ٣٤٣، والسراج المنير: ٣/ ٣٩، ٣٣.

(٤) جامع البيان: ١٩/ ٣٦.

(٥) جامع البيان: ١٩/ ٥٥.

(٦) روح المعاني: ١٩/ ٥٤. وينظر: المحرر الوجيز: ٤/ ٢٢٣، والتفسير الكبير: ٢٤/ ١٠١، وأنوار التنزيل: ٤/ ١٣٢، والبحر المحيط: ٦/ ٤٧٤.

الرأي الثاني: التفريق بين (المستقر) و(المقام) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

وهذا التفريق بينهما ذكره أهل العلم عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

فيكون المراد بـ(المستقر)؛ أي: مستقر للعصاة في نار جهنم، و(المقام): للكفار.

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما الفرق بين (المستقر) و(المقام): فيحتمل أن يكون (المستقر) للعصاة من أهل الإيمان؛ فإنهم يستقرون في النار، ولا يقيمون فيها، وأمَّا الإقامة فللكفار»(١).

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(المستقر): مكان الاستقرار، والاستقرار: قوة القَرار. و(المقام): اسم مكان الإقامة؛ أي: ساءت موضعًا لمن يستقر فيها بدون إقامة مثل عصاة أهل الأديان، ولمن يقيم فيها من المكذبين للرسل المبعوثين إليهم»(٢).

لكنَّ هذا التفريق إذا قوبل بقوله: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٦] لا يستقيم؛ فعلى ما يحمل المستقر والمقام في قوله: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾!؟ لا سيَّما وأن أكثر أهل العلم نصُّوا على أنَّ قوله: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ مقابل ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ معنًى، ومثله إعرابًا، ومنهم الرازي والطاهر ابن عاشور، رحمهما الله:

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هذا في مقابلة قوله:

---

(١) التفسير الكبير: ٢٤/٩٦. وينظر: البحر المحيط: ٦/ ٤٧٤، والدر المصون: ٧/ ٥٠٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٤/٥٧٨، وفتح القدير: ٤/١١٦، وروح المعاني: ١٩/ ٤٦.

(٢) التحرير والتنوير: ١٩/ ٧١.

﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾»[١].

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٦] هو ضدّ ما قيل في المشركين: ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾»[٢].

فهذا ما ذكره المفسرون رحمهم الله في معنى (المستقر) و(المقام) في الآيتين الكريمتين:

وعند الرجوع إلى ما ذكره أهل العلم في معناهما في كتب اللغة وفي غير هذين الموضعين، نجد أنهم ذكروا في معناهما ما يلي:

أمّا المستقر: فيطلق ويراد به التمكُّن في القرار والثبوت في المكان.

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَرَّ في مكانه يَقِرُّ قرارًا؛ إذا ثبت ثبوتًا جامدًا»[٣].

ويطلق (المستقر) ويراد به: الغاية والنهاية.

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧]؛ أي: لكل ما أنبأتُكم عن الله ﷻ غاية ونهاية ترونه في الدنيا والآخرة»[٤].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ يقول: لكل خبر مستقر؛ يعني: قرار يستقرّ عنده، ونهاية ينتهي إليه، فيتبين حقُّه وصدقه، من كذبه وباطله»[٥].

---

(١) التفسير الكبير: ٢٤/١٠١. (٢) التحرير والتنوير: ١٩/٨٥.

(٣) المفردات، مادة: (قَرَّ)، كتاب القاف: ص٤١٤. **وينظر:** مقاييس اللغة، مادة: (قَرَّ)، كتاب القاف، باب القاف وما بعدها في الثلاثي الذي يقال له المضاعف والمطابق: ٥/٧، ٨.

(٤) لسان العرب، مادة: (قرر): ٥/٨٢.

(٥) جامع البيان: ٧/٢٢٧. **وينظر:** المحرر الوجيز: ٢/٣٠٣.

ومن إطلاق (المستقر) على الغاية والنهاية ما ذكره بعض أهل العلم عند تفسير (المستقر) في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وفي معنى قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ قولان:**

أحدهما: أن المراد: مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض[1] في ذلك الجانب.

والقول الثاني: أن المراد بـ(مستقرها) هو: منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطُل سيرها وتسكُن حركتها وتكوَّر، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني»[2].

وقال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والمستقر:** مكان الاستقرار؛ **أي:** القرار أو زمانه، واللام في ﴿لِمُسْتَقَرٍّ﴾ يجوز أن تكون لام التعليل على ظاهرها؛ **أي:** تجري لأجل أن تستقر؛ **أي:** لأجل أن ينتهي جريها كما ينتهي سير المسافر إذا بلغ إلى مكانه فاستقر فيه، ويجوز أن تكون اللام بمعنى «إلى»؛ **أي:** تجري إلى مكان استقرارها وهو مكان الغروب، شبَّه غروبها عن الأبصار بالمستقرِّ والمأوى الذي يأوي إليه المرء في آخر النهار بعد الأعمال»[3].

وأمَّا المقام فهو في الأصل: المكان وموضع الإقامة.

قال الفيروزآبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(المُـقام) يقال للمصدر والزمان والمكان

---

(١) يشير إلى حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾. قال: (مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]. ح برقم (٤٨٣) ٨٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/٣٤٨، ٧٤٩.

(٣) التحرير والتنوير: ١٣/ ٢٠.

والمفعول. لكن الوارد في القرآن المصدر نحو قوله: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾، وقوله: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الأحزاب: ١٣]؛ أي: لا مستقر لكم»[١].

وقال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٦]؛ أي: موضعًا»[٢].

• **وخلاصة القول: أن (المستقر): يطلق ويراد به التمكُّن في القرار والثبوت في المكان، ويطلق ويراد به الغاية والنهاية، وأما (المُقَام):** فيطلق ويراد به المكان وموضع الإقامة.

فإذا حمل معنى (المستقر) في الآيتين الكريمتين على معنى التمكن في القرار والثبوت في المكان، يكون قوله: ﴿مُقَامًا﴾ من باب التأكيد بالمرادف.

وإذا حمل (المستقر) على معنى الغاية والنهاية: يكون معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾؛ **أي**: ساءت جهنم غاية ونهاية ومطافًا يستقر فيها الكافر، وساءت موضعًا ومكان إقامة.

ويكون معنى قوله تعالى: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾؛ **أي**: حسنت الغرفة: نهاية وغاية ومطافًا يستقر فيها المؤمن، وحسنت مُقامًا وموضعًا.

فعلى هذا لا يكون هناك تكرار بين (المستقر) و(المُقَام) في الآيتين الكريمتين. لا سيَّما وأن العطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه.

وما ذكر في التفريق بين (المستقر) و(المُقَام) في الآيتين الكريمتين،

(١) بصائر ذوي التمييز: ٤/ ٣١١.

(٢) الصحاح، مادة: (قوم)، باب الميم فصل القاف: ٥/ ٢٠١٧.

هو الذي تعضده قاعدة التأسيس، وكذلك هو الموافق لقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[(١)].

والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثامنة والعشرون: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

(التحية) و(السلام) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة في سياق ما يتلقَّاه عباد الرحمٰن من التحية والإكرام في غرف الجنة. نسأل الله الكريم من فضله.

ولأهل العلم في سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان:

الرأي الأول: أن (التحية) و(السلام) بمعنًى واحد وجمع بينهما من باب التأكيد:

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(التحية) من الله، و(السلام) من الملائكة، وقيل: (التحية) البقاء الدائم والملك العظيم؛ والأظهر أنهما بمعنًى واحد، وأنهما من قِبَلِ الله تعالى[(٢)].

وجاء في بعض معاجم اللغة: «السلام والتحية معناهما واحد»[(٣)].

وقد استدل لهذا الرأي: بأن لفظ (التحية) جاء في ثلاثة مواضع

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٤٩٢. وينظر: الفتوحات الإلٰهية: ٥/ ٣٧٦.
(٣) ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (سلم)، أبواب السين واللام: ١٢/ ٣١٠، ولسان العرب مادة: (سلم): ١٢/ ٢٨٩.

وأخبر عنه بأنه (سلام)؛ وهي قول تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]. فلفظ ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ في المواضع الثلاثة أخبر عنه بأنه ﴿سَلَٰمٌ﴾، وتفسير هذا ـ والله أعلم ـ: أن (التحية) يحتمل أن تكون بالسلام وبغيره، فكان الإخبار عنها بكلمة ﴿سَلَٰمٌ﴾ قاطعًا بتحديد المراد»(١).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأظهر أنهما بمعنًى واحد، وأنهما من قِبَلِ الله تعالى، دليله قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]»(٢).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا (السلام) في هذه الآية فهو التحية؛ كما فسَّره بقوله: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾»(٣).

الرأي الثاني: التفريق بين (السلام) و(التحية) في الآية الكريمة، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بكل منهما:

أمَّا قوله: ﴿تَحِيَّةً﴾: فالتحية في الأصل مشتق من الحياة، أو مشتقة من المُحَيَّا وهو الوجه، وقول العرب: حيَّاك اللهُ؛ يعني: الاستقبال بالمُحَيَّا(٤).

وتطلق (التحية) في كلام العرب ويراد بها: البقاء والملك. يقال:

---

(١) بلاغة النظم في آيات التحية: ص١٩. (٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٤٩٢.
(٣) التحرير والتنوير: ١٨/ ٣٠٤.
(٤) كتاب العين، مادة: (حَيو)، باب اللفيف من الحاء: ٣/ ٣١٨.

حياك الله: أبقاك أو مَلَّكك[١].

ومن إطلاق التحية بمعنى البقاء والملك قول زهير بن جناب الكلبي[٢]:

وَلَكُلُّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّهْ[٣]

قيل: أراد المُلْك[٤]، وقيل: أراد البَقاءَ[٥]؛ لأنه كان مَلِكًا في قومه[٦].

قال الأزهري رحمه الله: «وجائز أن يقال للبقاء: تحية؛ لأن من سلم من الآفات فهو باق، فمعنى حياك الله؛ أي: أبقاك صحيح، من الحياة، وهو البقاء»[٧].

ومن إطلاق (التحية) على المُلك قول عمرو بن مَعدِي كَرِب[٨]:

---

(١) القاموس المحيط، مادة: (حيي)، كتاب الياء فصل الحاء: ص١٢٧٨.

(٢) زهير بن جناب بن هبل الكلبي، من بني كنانة بن بكر، خطيب قضاعة وسيدها وشاعرها وبطلها ووافدها إلى الملوك في الجاهلية، كان يدعى الكاهن لصحة رأيه، وعاش طويلًا.
ينظر: الشعر والشعراء: ص٢٦٦، والأعلام: ٣/ ٥١.

(٣) البيت في طبقات فحول الشعراء: ١/ ٣٦، وجامع البيان: ١١/ ٩١، والزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٦١، ولسان العرب، ماد حيا: ١٤/ ٢١٦.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١١/ ٩٠، ٩١، وتهذيب اللغة، مادة: (حيا)، باب اللفيف من حرف الحاء: ٥/ ١٨٨، والنكت والعيون: ٢/ ٤٢٢، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٤٥٦، ولسان العرب، ماد حيا: ١٤/ ٢١٦.

(٥) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٦١، وأحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٤٨٥.

(٦) لسان العرب، ماد حيا: ١٤/ ٢١٦.

(٧) تهذيب اللغة، مادة: (حيا)، باب اللفيف من حرف الحاء: ٥/ ١٨٩.

(٨) عمرو بن معدي كرب الزبيدي، من مَذْحِج، ويكنى أبا ثورٍ، من فرسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وقدم على رسول الله ﷺ المدينة فأسلم، ثم ارتد بعد وفاته فيمن ارتد باليمن، ثم هاجر إلى العراق فأسلم، =

أُسَيِّرُهَا إِلَى النُّعْمَانِ حَتَّى أُنِيخَ عَلَى تَحِيَّتِهِ بِجُنْدِي[(١)]

يعني: على مُلكه[(٢)].

ومما ذكره المفسرون في معنى ﴿تَحِيَّةً﴾ قولهم:

١ - التحية: الدعاء بالتعمير[(٣)]، والبقاء الدائم[(٤)].

ويَرِدُ على هذا القول: أن البقاء الدائم وطول العمر متحقق في الجنة.

وأجاب عنه بعض أهل العلم: أن هذا من باب التعظيم، وإدخال السرور والمؤانسة على أهل الجنة.

قال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً﴾: دعاءً بالتعمير»[(٥)].

قال القونوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أشار به إلى أن المراد بالتعمير؛ **أي**: الدعاء بطول العمر لمجرد التعظيم، وإلا فالبقاء أمر محقَّق»[(٦)].

وقال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أي**: تُحييهم الملائكة، ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة عن الآفات، أو يحيِّي بعضهم بعضًا ويدعوا له بذلك؛

= وشهد القادسية، وله بها أثره وبلاؤه، وشهد مع النعمان بن مقرِّن المزني فتح نهاوند، فقتل هنالك رضي الله عنه. ينظر: الشعر والشعراء: ص٢٦١.

(١) البيت في: جامع البيان: ١١/ ٩١، وتهذيب اللغة، مادة: (حيا)، باب اللفيف من حرف الحاء: ٥/ ١٨٨، ولسان العرب، ماد حيا: ١٤/ ٢١٦.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (حيا)، باب اللفيف من حرف الحاء: ٥/ ١٨٨، ولسان العرب، ماد حيا: ١٤/ ٢١٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣/ ٣٠٣، والتفسير الكبير: ٢٤/ ١٠١، وأنوار التنزيل: ٤/ ١٣٢، ومدارك التنزيل: ٣/ ٢٥٩، والبحر المحيط: ٦/ ٤٧٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٤/ ٣٣١، والسراج المنير: ٣/ ٣٨، وإرشاد العقل السليم: ٦/ ٢٣٢، وروح المعاني: ١٩/ ٥٤.

(٤) ينظر: النكت والعيون: ٢/ ٤٢٢، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٤٥٦.

(٥) أنوار التنزيل: ٤/ ١٣٢.

(٦) حاشية القونوي: ١٤/ ١٦٨.

والمراد من الدعاء به التكريم وإلقاء السرور والمؤانسة، وإلا فهو متحقق لهم»[١].

٢ ـ التحية: المُلْك العظيم[٢].

وأمّا قوله: ﴿وَسَلَـٰمًا﴾: فـ**(السلام) في الأصل**: مأخوذ من السلامة والعافية من الآفات.

قال ابن فارس رحمه الله: «السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية؛ فالسّلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى، . . . وقال أهلُ العلم: الله جلَّ ثناؤه هو السلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء»[٣].

فعلى هذا يكون معنى (السلام) في الآية: أنهم يتلقَّون الدعاء بالسلامة من الآفات[٤].

ويسلمون من جميع المُنَغِّصات والمُكدِّرات[٥].

وهذا الدعاء الذي يتلقونه يكون من الله تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، ويكون من الملائكة؛ كما قال تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، وقوله تعالى ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، ويكون من بعضهم لبعض؛ كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

---

(١) روح المعاني: ١٩/ ٥٤.
(٢) ينظر: النكت والعيون: ٢/ ٤٢٢، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٤٥٦.
(٣) مقاييس اللغة، مادة: (سلم)، كتاب السين، باب السين واللام وما يثلثهما: ٣/ ٩٠.
(٤) ينظر: النكت والعيون: ٢/ ٤٢٢، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٤٥٦، والكشاف: ٣/ ٣٠٣، وأضواء البيان: ٢٥/ ٥٦٢.
(٥) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٥٨٨.

• **وخلاصة القول:** أن لفظ (التحية) أعم من (السلام)؛ **فتطلق ويراد بها:** الملك، والبقاء، والسلام. فالسلام أحد معانيها.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير التحية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ [النساء: ٨٦]؛ **يعني جل ثناؤه بقوله:** ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾: إذا دعي لكم بطول الحياة والبقاء والسلامة»[١].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(التحية) هي:** اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين، على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ، من البشاشة ونحوها. وأعلى أنواع التحية، ما ورد به الشرع، من السلام ابتداء وردًا»[٢].

فيكون عطف (السلام) على (التحية) في قوله تعالى: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا﴾. «من عطف الخاص على العام، فيكون المراد جنس التحية، ونوع (السلام) منها خاصة»[٣].

قال النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفَرَّقَ محمد بن يزيد ـ **يعني:** المُبَرِّد ـ بين (التحية) و(السلام) فقال: (التحية) تكون لكل دعاء، و(السلام) فخصوص؛ ومنه ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا﴾»[٤].

فتفسير (التحية) بـ(السلام) وقصرها عليه غير صحيح؛ لأن (السلام) جاء معطوفًا على (التحية) والعطف يقتضي التغاير، فـ(التحية) وإن كانت تأتي بمعنى (السلام) إلا أن حملها عليه على وجه الخصوص غير صحيح، لا سيَّما والمعاني المذكورة في معنى (التحية) لا تعارض بينها، وكلها قد أثبتها علماء العربية، وأيضًا جاءت للدعاء لهم على وجه التبجيل والإكرام، وإن كان من دخل الجنة فهو متحقق له ما ورد في معاني (التحية) و(السلام).

---

(١) جامع البيان: ٥/ ١٨٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن: ص١٩١.
(٣) بلاغة النظم في آيات التحية: ص٣٩.
(٤) إعراب القرآن: ٣/ ٣١٩.

وما ذكر في التفريق بين (التحية) و(السلام) في الآية الكريمة، هو الذي تعضده قاعدة التأسيس، وكذلك هو الموافق لقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[١].

والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية التاسعة والعشرون: قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠].

عطف الله ﷻ في الآية الكريمة (مرضى القلوب) على (المنافقين).

وفي المراد بهذا العطف رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (الذين في قلوبهم مرض) هم (المنافقون)، والعطف للتأكيد:

فيحتمل أن يكون المراد بـ(الذين في قلوبهم مرض) هم (المنافقون)، فهم مرضى قلوب بلا شك، وقد يجتمع فيهم مع مرض الشبهة مرض الشهوة، وعلى هذا فيكون العطف للتوكيد[٢].

قال القرطبي رحمه الله: «وقيل: (المنافقون) و(الذين في قلوبهم مرض) شيء واحد، عبَّر عنهم بلفظين؛ دليله آية المنافقين في أول سورة البقرة[٣]»[٤].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

(٢) منحة الكريم الوهاب في تفسير آيات الأحكام في سورة الأحزاب: ص٢٢٦.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٢٣٣.

وعن محمد بن كعب[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾؛ يعني: المنافقين بأعيانهم، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك؛ يعني: المنافقين أيضًا»[(٢)].

وقد قرن الله عَزَّ وَجَلَّ في موضعين من كتاب الله بين (المنافقين) و(الذين في قلوبهم مرض)، وقد فَسَّر بعض أهل العلم (المرض) بأنه: النفاق.

قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩]. قال الثعلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وهم المنافقون، و(المرض) في تفسير قتادة: النفاق»[(٤)].

الرأي الثاني: المغايرة في المعنى بين (المنافقين) و(الذين في قلوبهم مرض)، والعطف ليس للتأكيد:

وفي المراد بمرض القلوب ثلاثة أقوال لأهل العلم:

القول الأول: أن المراد بمرض القلوب في الآية الكريمة: الزنى

---

(١) محمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة، القرظي، المدني، من حلفاء الأوس، سكن الكوفة، ثم المدينة، قيل: ولد محمد بن كعب في حياة النبي ﷺ، ولم يصح ذلك، كان من أئمة التفسير، ثقة عالمًا كثير الحديث، توفي سنة (١١٠هـ)، وقيل غير ذلك.
ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٦٥، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ص٩.

(٢) ينظر: الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: د. علي محمد عمر: ١٠/ ١٦٩ [ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م]، والدر المنثور: ١٢/ ١٤٦.

(٣) الكشف والبيان: ٤/ ٣٩٠.

(٤) تفسير القرآن العزيز: ٣/ ٣٩٠.
وينظر: النكت والعيون: ٤/ ٣٨١، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٨٦٠.

وحب الفجور؛ وهذا القول مروي عن: عكرمة، وقتادة، وعبد الرحمٰن بن زيد[(١)]، وهو اختيار: جمهور المفسرين رحمهم الله[(٢)].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: لئن لم ينته أهل النفاق، الذين يستسرُّون الكفر ويظهرون الإيمان، والذين في قلوبهم مرض؛ يعني: ريبة من شهوة الزنى وحب الفجور. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[(٣)].

وقال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: صنف يظهر الإيمان ولا يبطنه، ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هو الغزل وحب الزنا؛ قاله عكرمة. ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]»[(٤)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى متوعدًا للمنافقين؛ وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ قال عكرمة وغيره: هم الزُّناة ههنا»[(٥)].

ومما يعضد هذا القول: السياق؛ فالآية الكريمة جاءت في سياق آيات تنهى عن إيذاء الله، وإيذاء رسوله ﷺ، وإيذاء المؤمنين والمؤمنات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ٣/ ١٢٤، وجامع البيان: ٢٢/ ٤٧.
(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٣/ ٥٥، وجامع البيان: ٢٢/ ٤٧، ومعاني القرآن للنحاس: ٥/ ٣٧٩، وبحر العلوم: ٣/ ٦٩، والكشف والبيان: ٨/ ٦٤، والنكت والعيون: ص٤٢٤، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٨٧٤، وتفسير القرآن للسمعاني: ٤/ ٣٠٧، والمحرر الوجيز: ٤/ ٣٩٩، وزاد المسير: ٦/ ٤٢٢، والتفسير الكبير: ٢٥/ ٤٢٢، ومدارك التنزيل: ٣/ ٤٥٥، ٤٥٦، ولباب التأويل: ٥/ ٢٧٧، وتفسير القرآن العظيم: ٣/ ٦٧٩، وتفسير الجلالين: ص٤٢٦، ومحاسن التأويل: ٥/ ٥٤٢، ٥٤٣.
(٣) جامع البيان: ٢٢/ ٤٧.
(٤) المحرر الوجيز: ٤/ ٣٩٩.
(٥) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٦٧٩.

ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥٧ - ٥٩].

قال ابن سعدي رحمه الله: «**المرض في القرآن - مرض القلوب - نوعان: مرض شبهات وشكوك، ومرض شهوات المحرمات.**

والطريق إلى تمييز هذا من هذا - مع كثرة ورودهما في القرآن - يدرك من السياق؛ فإن كان السياق في ذم المنافقين والمخالفين في شيء من أمور الدين، كان مرض الشكوك والشبهات، وإن كان السياق في ذكر المعاصي والميل كان مرض الشهوة»[1].

وقال الرازي رحمه الله: «لما ذكر حال المشرك الذي يؤذي الله ورسوله، والمجاهر الذي يؤذي المؤمنين، ذكر حال المُسِرِّ الذي يظهر الحق ويضمر الباطل وهو المنافق، ولما كان المذكور من قبل أقوامًا ثلاثة نظرًا إلى اعتبار أمور ثلاثة: وهم المؤذون الله، والمؤذون الرسول، والمؤذون المؤمنين، **ذكر من المسرِّين ثلاثة؛ نظرًا إلى اعتبار أمور ثلاثة: أحدها**: المنافق الذي يؤذي الله سرًّا، **والثاني**: الذي في قلبه مرض الذي يؤذي المؤمن باتباع نسائه، **والثالث**: المرجف الذي يؤذي النبي ﷺ بالإرجاف بقوله: غُلب محمد، وسيُخرج من المدينة، وسيُؤخذ»[2].

وقال ابن عاشور رحمه الله: «وصرَّح هنا بما كُني عنه في الآيات السالفة»[3].

وقال الشنقيطي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ

---

(١) القواعد الحسان: ص٨٥.
(٢) التفسير الكبير: ٢٥/ ٤٢٢.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٢/ ١٠٨.

﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]: «فقوله: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾؛ لأن إدناءهن عليهن من جلابيبهن يشعر بأنهن حرائر، فهو أدنى وأقرب لأن يعرفن؛ أي: يعلم أنهن حرائر، فلا يؤذين من قبل الفساق الذين يتعرّضون للإماء... ولا شك أن المتعرضين لهن من الذين في قلوبهم مرض، وأنهم يدخلون في عموم قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠، ٦١]»[(١)].

القول الثاني: أن المراد بـ(الذين في قلوبهم مرض): قوم كان فيهم ضعف إيمان، وقلة ثبات عليه، وتزلزل واضطراب.

وهذا اختيار: الزمخشري، والبيضاوي، والنيسابوري، وابن جزي، وأبي السعود، والشوكاني، والآلوسي، وابن عاشور رحمهم الله[(٢)].

القول الثالث: من جمع بين القولين السابقين.

قال ابن سعدي رحمه الله: «﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم﴾؛ أي: مرض شك أو شهوة»[(٣)].

فهذه الأقوال التي ذكرت في معنى (الذين في قلوبهم مرض) في الآية الكريمة، وهي تفيد أن (الذين في قلوبهم مرض) غير (المنافقين)، والقول الثاني ـ هو أظهر الأقوال من وجهة نظري ـ وهو الذي ترجحه دلالة السياق. والله تعالى أعلم.

---

(١) أضواء البيان: ٦/٦٤٧.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣/٣٠٧، وأنوار التنزيل: ٤/٢٣٨، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥/٤٧٦، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣/١٤٤، وإرشاد العقل السليم: ٧/١١٥، وفتح القدير: ٤/٤٠٢، وروح المعاني: ٢٢/٩٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٦٧٢.

وبناء على ما تقدم فإن أهل العلم ذكروا أن العطف في الآية الكريمة يحتمل وجهين:

الوجه الأول: أن تكون الصفات لموصوف واحد.

قال النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل التفسير على أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد، فعن أبي رَزِين[١]؛ قال: (المنافقون) و(الذين في قلوبهم مرض) و(المرجفون في المدينة) هم شيء واحد؛ **يعني**: أنهم قد جمعوا هذه الأشياء»[٢].

وقال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويجوز أن يكون التغاير بالوصف، فيكون واحدًا بالشخص ثلاثة بالوصف، كما جاء ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فذكر أوصافًا عشرة، والموصوف بها واحد، ونص على هذين الوصفين من المنافقين لشدة ضررهما على المؤمنين»[٣].

فالعطف هنا من باب قول الشاعر[٤]:

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهُمَامِ   وَلَيْثِ الْكَتِيبَةِ فِي الْمُزْدَحَمْ

---

(١) مسعود بن مالك، ويقال: ابن عبد الله، أبو رزين الكوفي، تابعي وردت عنه الرواية في حروف القرآن، وكان فقيهًا، عالمًا، فهمًا، واتفقوا على توثيقه. توفي سنة (٨٥هـ).
ينظر: تهذيب الأسماء واللغات: ٢/ ٥١٤، وغاية النهاية: ٢/ ٢٩٦، وتقريب التهذيب: ص٤٦١.

(٢) إعراب القرآن: ٣/ ٣٢٦. **وينظر**: بحر العلوم: ٣/ ٦٩.

(٣) البحر المحيط: ٧/ ٢٤١. **وينظر**: التفسير الكبير: ٢٥/ ٤٢٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٢٣٣.

(٤) لم أهتد إلى قائله. والبيت في الكشف والبيان: ١/ ١٤٠، والجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١٠٧، والبحر المحيط: ١/ ٣٦٠، والدر المصون: ١/ ٣٥٩. وخزانة الأدب للبغدادي: ١/ ٤٢٩.
و«**القَرم**» بفتح القاف: السيد. و«**الهمام**»: الملك العظيم الهمة، والسيد الشجاع السخي. و«**الكتيبة**»: الجيش، و«**المزدحم**»: محل الازدحام، وأراد به المعركة. قاله في خزانة الأدب.

فعطف هذه بعضها على بعض، مع أن الموصوف بها واحد؛ نظرًا إلى تغاير الصفات»[١].

فكأنه قيل: «لئن لم ينته الجامعون بين هذه الصفات القبيحة عن الاتصاف بها، المفضي إلى الإيذاء، لنغرينَّك بهم»[٢].

وهذا ما ذكره بعض أهل العلم أيضًا في العطف في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩].

قال النحاس رحمه الله: «قيل: (المنافقون): الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، و(الذين في قلوبهم مرض): الشاكُّون وهم دون المنافقين، وقيل: هما واحد، وهذا أولى؛ ألا ترى إلى قوله جلَّ وعز ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، ثم قال جلَّ وعزّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] وهما لواحد، وكذا ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]»[٣].

الوجه الثاني: أن يكون كل وصف منها لطائفة.

قال أبو حيان رحمه الله: «وظاهر العطف التغاير بالشخص، فيكون المعنى: لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم، والفسقة عن فجورهم، والمرجفون عما يقولون من أخبار السوء ويشيعونه»[٤].

وقال الآلوسي رحمه الله: «والتغاير بين المتعاطفات هنا بالذات، وهو الذي يقتضيه ظاهر العطف»[٥].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ١/ ٣٦٠، وأضواء البيان: ١/ ٩١، والعذب النمير: ١/ ٨٩.
(٢) روح المعاني: ٢٢/ ٩٠، ٩١.
(٣) إعراب القرآن: ٢/ ١٩٠. وينظر: العذب النمير: ٥/ ١٠٤.
(٤) البحر المحيط: ٧/ ٢٤١. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٢٣٣.
(٥) روح المعاني: ٢٢/ ٩٠.

• **وخلاصة القول: أن كلا الوجهين يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه؛ فعلى الوجه الأول:** يكون عطف الصفات بعضها على بعض، ينزل منزلة تغاير الذات[١]؛ وذلك لأن الصفات متغايرة؛ فكل صفة تؤدي معنًى لا تؤدِّيه الصفة الأخرى.

وعلى الوجه الثاني: يكون التغاير بين المعطوفات بالذات فكل منها يفيد معنًى جديدًا.

وهذا التفريق بين (المنافقين) و(الذين في قلوبهم مرض) في المعنى هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثلاثون: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: ٦٧].

(السادة) و(الكبراء) من الألفاظ الموهمة بالترادف. وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة، في سياق اعتذار المتبوعين بأنهم أطاعوا السادة والكبراء فأبعدوهم عن سبيل الحق والطريق المستقيم.

وفي سر الجمع بينهما في الآية الكريمة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (السادة) و(الكبراء) بمعنًى واحد، والجمع بينهما للتأكيد:

فقد أخرج الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن زيد رحمه الله قال: «﴿سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾؛ هم: رؤوس الأمم الذين أضلوهم، و(سادتنا) و(كبراءنا) واحد»[٢].

وقال القرطبي رحمه الله: «و(السادة) و(الكبراء) بمعنى»[٣].

---

(١) قواعد التفسير: ١/ ٤٣٢.
(٢) جامع البيان: ٢٢/ ٥٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٢٣٩.

=

وقال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: باتِّحاد (السادة) و(الكبراء)، والعطف على حد العطف في **قوله**:

.... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا[1]

والمراد بهم: العلماء الذين لقَّنوهم الكفر وزيَّنوه لهم، وعن قتادة: رؤساؤهم في الشر والشرك»[2].

والقول بأن (السادة) و(الكبراء) بمعنًى واحد هو الذي يفهم من صنيع جمهور المفسرين[3].

الرأي الثاني: التفريق بين (السادة) و(الكبراء) في المعنى.

وفي المراد بهم في الآية الكريمة أقوال:

القول الأول: أن المراد بـ(السادة): الرؤساء، أو الأمراء، أو الأشراف، و**(الكبراء)**: العلماء، أو ذوو الأسنان[4].

قال مقاتل بن سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾؛ **يعني**: ذوي الأسنان منَّا في الكفر»[5].

وقال النسفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿سَادَتَنَا﴾ جمع سيِّد؛ **والمراد**: رؤساء الكفرة

= وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٣، والكليات للكفوي: ص٤٨٥.

(١) البيت لعدي بن زيد وهو في ديوانه: ص١٨٣. وقد تقدم.

(٢) روح المعاني: ٢٢/ ٩٣.

(٣) ينظر: جامع البيان: ٢٢/ ٥٠، وبحر العلوم: ٣/ ٧٠، والكشف والبيان: ٨/ ٦٥، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٨٧٤، وتفسير القرآن للسمعاني: ٤/ ٣٠٩، وزاد المسير: ٦/ ٤٢٤، وأنوار التنزيل: ٤/ ٢٣٩، ولباب التأويل: ٥/ ٢٧٧، والسراج المنير: ٣/ ٣٤١، وإرشاد العقل السليم: ٧/ ١١٧، وفتح القدير: ٤/ ٤٠٤، ومحاسن التأويل: ٥/ ٥٤٥.

(٤) ينظر: النكت والعيون: ٤/ ٤٢٥، ٤٢٦، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ٢/ ٥٩١.

(٥) تفسير مقاتل: ٣/ ٥٦.

الذين لقَّنوهم الكفر وزيَّنوه لهم، ﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾: ذوي الأسنان منَّا، أو علماءنا»[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال طاووس[(٢)]: ﴿سَادَتَنَا﴾؛ يعني: الأشراف ﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾؛ **يعني**: العلماء؛ **أي**: اتبعنا (السادة) وهم الأمراء و(الكبراء) من المشيخة»[(٣)].

وقال أبو هلال العسكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفرق بين سيِّد القوم وكبيرهم: أن سيدهم هو الذي يلي تدبيرهم، وكبيرهم هو الذي يفضُلهم في العلم أو السنِّ أو الشرف، ويقال لسيِّد القوم: كبيرهم، ولا يقال لكبيرهم: سيدهم، إلا إذا ولي تدبيرهم»[(٤)].

القول الثاني: (**السادة**): عظماء القوم والقبائل، و(**الكبراء**): جمع كبير وهو عظيم العشيرة.

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(**السادة**): عظماء القوم والقبائل، مثل الملوك، و(**الكبراء**): جمع كبير وهو عظيم العشيرة، وهم دون السادة؛ فإن (كبيرًا) يُطلق على رأس العائلة؛ فيقول المرء لأبيه: كبيري»[(٥)].

القول الثالث: (**السادة**): هم الملوك والولاة الذين يتولَّون تدبير السواد الأعظم، و(**الكبراء**)؛ **أي**: الرؤساء الذين يؤخذ عنهم فنون الشر.

قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿سَادَتَنَا﴾؛ **أي**: ملوكنا وولاتنا الذين يتولَّون

---

(١) مدارك التنزيل: ٣/ ٤٥٧.

(٢) طاووس بن كيسان، أبو عبد الرحمٰن اليماني، كان رأسًا في العلم والعمل، من سادات التابعين، وأدرك خمسين صحابيًّا، وكان كاملًا في الفقه والتفسير، حج أربعين حجة، وتوفي حاجًّا بمكة قبل التروية بيوم، وصلى عليه هشام بن عبد الملك. سنة (١٠٦هـ). **ينظر**: طبقات المفسرين للأدنه وي: ص١٢، ١٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٦٨٠.

(٤) الفروق اللغوية: ص٢٠٦.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٢/ ١١٧.

تدبير السواد الأعظم منا، ﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾؛ أي: رؤساءنا الذين أخذنا عنهم فنون الشر، وكان هذا في مقابلة ما تمنَّوه من إطاعة الله تعالى وإطاعة الرسول. فـ(السادة) و(الكبراء) متغايران ، والتعبير عنهما بعنوان السيادة والكِبَر؛ لتقوية الاعتذار، وإلا فهم في مقام التحقير والإهانة»[(١)].

فهذه هي الأقوال التي ذكرها أهل العلم في التفريق بين (السادة) و(الكبراء) في الآية الكريمة، وهي تفيد أن (السادة) غير (الكبراء) في المعنى. وإن كان القول الأول ـ وهو القول بأن (السادة) هم: الرؤساء، أو الأمراء، أو الأشراف، و(الكبراء): هم العلماء أو ذوو الأسنان ـ هو أقرب الأقوال من وجهة نظري؛ وذلك مأخوذ من دلالة اللفظين:

■ فلفظ (السيد): قال فيه الراغب الأصفهاني رحمه الله: «و(السيِّد): المتولي للسواد؛ أي: الجماعة الكثيرة، وينسب إلى ذلك فيقال: سيد القوم، ويقال: ساد القوم يسودهم، ولما كان من شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذب النفس، قيل لكل من كان فاضلًا في نفسه: سيد. وعلى ذلك قوله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ [يوسف: ٢٥]؛ فسمي الزوج سيدًا؛ لسياسة زوجته وقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾؛ أي: ولاتنا وسائسينا»[(٢)].

■ ولفظ (الكبير): قال فيه الراغب الأصفهاني رحمه الله: «لفظ (الكبير) منه ما اعتُبر فيه الزمان فيقال: فلان كبير؛ أي: مُسِنٌّ، نحو قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ومنه ما اعتبر فيه المنزلة والرفعة نحو: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٨]؛ فسماه

(١) روح المعاني: ٢٢/٩٣.

(٢) المفردات، مادة: (سود)، كتاب السين: ص٢٥٥.

(كبيرًا) بحسب اعتقادهم فيه لا لقدر ورِفْعَة له على الحقيقة، وعلى ذلك قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]»[١].

• **وخلاصة القول**: أن التفريق بين (السادة) و(الكبراء) في الآية الكريمة أولى من القول بأنهما بمعنًى واحد وجمع بينهما للتأكيد؛ ولذا قال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فـ(السادة) و(الكبراء) متغايران»[٢].

وما ذكر في التفريق بينهما في المعنى هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الحادية والثلاثون: قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥].

(النَّصَب) و(اللغوب) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة في بيان انتفائهما عن أهل الجنة، جعلنا الله منهم بفضله ورحمته.

وفي سر الجمع بينهما في الآية الكريمة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (النَّصب) و(اللغوب) بمعنى واحد، وجمع بينهما للتأكيد:

قال عبد القاهر الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لُغُوبٌ﴾: نصب، وجمعا للتأكيد»[٣].

وقد ذكر الزركشي هذا المثال، في القسم السابع من أساليب القرآن وفنونه البليغة حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «القسم السابع: عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى، والقصد منه التأكيد، ومنها

---

(١) المفردات، مادة: (كبر)، كتاب الكاف: ص٤٣٩.
(٢) روح المعاني: ٢٢/٩٣.
(٣) درج الدرر: ٤/٤٤٦.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾. فإن (نَصَبَ) مثل (لَغَبَ) وزنًا ومعنى ومصدرًا»[١].

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «(اللغوب): التعب والنَّصَب»[٢].

الرأي الثاني: التفريق بين (النصب) و(اللغوب) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما قولان لأهل العلم:

القول الأول: أن المراد بـ(النَّصَب): التعب والمشقة، **و(اللغوب)**: الإعياء من التعب.

وهو اختيار: جمهور المفسرين[٣].

قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فإن قلتَ**: ما الفرق بين (النصب) و(اللغوب)؟ **قلتُ**: **(النصب)**: التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول به، **وأمّا (اللغوب)**: فما يلحقه من الفتور بسبب النصب، فـ(النصب): نفس المشقة والكلفة. و(اللغوب): نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة»[٤].

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٤.

(٢) المفردات مادة: (لغب)، كتاب اللام: ص٤٧٠.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٣/٧٨، ومعاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٠٤، وجامع البيان: ٢٢/ ١٤٠، وبحر العلوم: ٣/ ١٠٤، والنكت والعيون: ٤/ ٤٧٦، والوجيز للواحدي: ٢/ ٨٩٤، وتفسير القرآن للسمعاني: ٤/ ٣٦٠، ومعالم التنزيل: ٣/ ٥٧٢، والكشاف: ٣/ ٦٢٤، وزاد المسير: ٦/ ٤٩٣، والتفسير الكبير: ٢٦/ ٢٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٣٨٧، ومدارك التنزيل: ٣/ ٤٩٧، ولباب التأويل: ٥/ ٣٠٤، والبحر المحيط: ٧/ ٣٤٥، والدر المصون: ٩/ ٢٣٣، وتفسير الجلالين: ص٤٣٨، ونظم الدرر: ٦/ ٤٧٤، وإرشاد العقل السليم: ٧/ ١٥٤، والسراج المنير: ٣/ ٣/ ٤٠٤، وفتح القدير: ٤/ ٤٦٢، وروح المعاني: ٢٢/ ٢٠٠، ومحاسن التأويل: ٦/ ٣٤، والتحرير والتنوير: ٢٢/ ٣١٧.

(٤) الكشاف: ٣/ ٦٢٤.

وقال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّصَبُ: العَناء؛ ومعناه: أنَّ الإنسان لا يزال منتصبًا حتَّى يُعيِيَ»(١).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾؛ أي: لا يصيبنا في الجنة عناء ولا تعب ولا مشقة، ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ وهو الإعياء من التعب، والكلال من النصب»(٢).

ويشهد لهذا التفريق ظاهر القرآن الكريم:

▪ **فـ(النَّصَب)**: ورد في القرآن الكريم، بمعنى الجُهد والتعب(٣)، كما ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في آيات من كتابه:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧].

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(النَّصَب): التعب»(٤).

▪ **و(اللغوب)**: ورد في القرآن الكريم بمعنى الإعياء من التعب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

فتفسير (اللغوب) بالإعياء، في هذه الآية أوفق من غيره في جناب

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: (نصب)، كتاب النون، باب النون والصاد وما يثلثهما: ٥/ ٤٣٤.
(٢) فتح القدير: ٤/ ٤٦٢.
(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ٧٣.
(٤) المفردات، مادة: (نصب)، كتاب النون: ص٥١٧.
وينظر: لسان العرب، مادة: (نصب): ١/ ٧٥٨.

الحق سبحانه، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣][(١)].

قال ابن كثير رحمه الله: «قال قتادة: قالت اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ: خلق الله السمٰوات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت، وهم يسمونه: يوم الراحة، فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ أي: من إعياء ولا تعب ولا نصب، كما قال تبارك وتعالى في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]»[(٢)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾؛ أي: ما مسنا من تعب وإعياء، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٣]»[(٣)].

القول الثاني: أن المراد بـ(النَّصَب): تعب البدن، و(اللغوب): تعب النفس.

وهو اختيار: ابن عطية، وابن كثير، وابن سعدي رحمهم الله[(٤)].

قال ابن كثير رحمه الله: «قوله: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾؛ أي: لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء، و(النصب) و(اللغوب) كل منهما يستعمل في التعب؛ وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم، أنهم

---

(١) دقائق الفروق اللغوية: ص١٥٧. (٢) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٢٩١.
(٣) تفسير القرآن الكريم، من سورة الحجرات وحتى الحديد: ص١١٠.
(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٤/ ٤٤٠، وتفسير القرآن العظيم: ٣/ ٧٣٠، وتيسير الكريم الرحمٰن: ص٦٩٠.

لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم، والله أعلم»[١].

وقال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال بعضهم: (النَّصَب): التعب الجسماني، و(اللغوب): التعب النفساني»[٢].

● **وخلاصة القول**: أن التفريق بين (النصب) و(اللغوب) في الآية الكريمة أولى من القول: إنهما بمعنى واحد والجمع بينهما للتأكيد، وما ذكره أهل العلم من أقوال في التفريق بينهما هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد.

قال القونوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(**النَّصَب**): نفس المشقة التي تصيب المنتصب للأمر المُزَاول، **وأمّا (اللغوب)**: فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فهو نتيجته ولازمه، ... ولو قيل: المراد به ما يعم الفتور مطلقًا سواء كان بسبب المشقة أو لا لكان **تأسيسًا**، وقيل: الأول جسماني، والثاني روحاني فيكون **تأسيسًا** أيضًا»[٣]. والله تعالى أعلم بكتابه..

❊ ❊ ❊

الآية الثانية والثلاثون: قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

(التبديل) و(التحويل) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة، في بيان أن سُنَّة الله أن ينصر رسله والذين آمنوا على أعدائهم وينتقم منهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٧٣٠.

(٢) روح المعاني: ٢٢/ ٢٠٠. وينظر: عناية القاضي: ٧/ ٥٩٢.

(٣) حاشية القونوي: ١٦/ ٧٢.

وفي سر الجمع بينهما في الآية الكريمة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (التبديل) و(التحويل) بمعنًى واحد، وجمع بينهما للتأكيد:

قال السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ ظاهر المعنى، والمراد من التكرار هو التأكيد»[(١)].

ويفهم من صنيع بعض أهل العلم أنهما بمعنى واحد:

قال أبو الليث السمرقندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ﴾؛ أي: لسُنَّة الله في العذاب تبديلًا؛ يعني: لا يقدر أحد أن يبدله، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾؛ يعني: تغييرًا؛ يعني: لا يقدر أحد أن يغير فعل الله تعالى»[(٢)].

وقال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبيَّن أن عادته التي هي الانتقام من مكذِّبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها؛ أي: لا يغيرها، وأن ذلك مفعول له لا محالة»[(٣)].

الرأي الثاني: التفريق بين (التبديل) و(التحويل) في الآية الكريمة، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

والمراد بقوله: ﴿تَبۡدِيلًاۖ﴾؛ أي: أن العذاب لا يبدل بغيره، وقوله: ﴿تَحۡوِيلًا﴾؛ أي: لا يحول العذاب إلى غير مستحقه. وعلى هذا الرأي جمهور المفسرين[(٤)].

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني: ٤/ ٣٦٤.
(٢) بحر العلوم: ٣/ ١٠٧.
(٣) الكشاف: ٣/ ٦٢٨.
(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز: ٤/ ٣٦، وزاد المسير: ٦/ ٤٩٨، والتفسير الكبير: ٢٦/ ٣٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٤٠٠، وأنوار التنزيل: ٤/ ٢٦١، ورسالة لفظ السُّنَّة في القرآن، أحمد عبد الحليم ابن تيمية (المطبوع ضمن جامع الرسائل) تحقيق: د. محمد رشاد سالم: ١/ ٥٦ [ط١، دار العطاء، الرياض، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م]، =

قال الرازي رحمه الله: «(التبديل) تحويل، فما الحكمة في التكرار؟ نقول: بقوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ حصل العلم بأن العذاب لا تبديل له بغيره، وبقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ حصل العلم بأن العذاب مع أنه لا تبديل له بالثواب لا يتحول عن مستحقه إلى غيره؛ فيتمُّ تهديد المسيء»[1].

وهذا التفريق هو الذي يشهد له استعمال اللفظين في القرآن الكريم.

فلفظ ﴿تَبْدِيلًا﴾ ورد مفردًا في موضعين من كتاب الله يدل على أن سنن الله الكونية لا يمكن أن تتبدل ولا تتغير، قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠ ـ ٦٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: هذه سُنَّته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه، أن أهل الإيمان يُسلَّطون عليهم ويقهرونهم، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾؛ أي: وسُنَّة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير»[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٢، ٢٣].

= والبحر المحيط: ٧/ ٣٠٥، وتفسير الجلالين: ص٤٣٩، واللباب في علوم الكتاب: ١٦/ ٥٦٣، ونظم الدرر: ٦/ ٢٣٦، وفتح القدير: ٤/ ٤٦٩، وروح المعاني: ٢٢/ ٢٠٦.

(١) التفسير الكبير: ٢٦/ ٣٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٦٨٠.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى مبشرًا لعباده المؤمنين: بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم، ولانهزم جيش الكفار فارًّا مدبرًا لا يجدون وليًا ولا نصيرًا؛ لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين. ثم قال: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]؛ أي: هذه سُنَّة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين؛ نصرهم على أعدائه من المشركين، مع قلة عدد المسلمين وعُدَدهم، وكثرة المشركين وعددهم»(١).

ولفظ ﴿تَحْوِيلًا﴾ ورد أيضًا مفردًا في موضعين من كتاب الله يدل على معنى التحوُّل والانتقال.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]؛ أي: تحويله من إنسان إلى آخر، أو تحويل المرض إلى الصحة، والفقر إلى الغنى، والقَحط إلى الخِصب ونحو ذلك»(٢).

وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧].

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾؛ أي: ولن تجد ما أجرينا به العادة تحويلًا منه إلى غيره»(٣).

وجمع ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ معنى (التبديل) و(التحويل) بقوله: «لفظ (التبديل) و(التحويل) كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٢٤٣.
(٢) ينظر: معالم التنزيل: ٣/ ١٢٠، وأضواء البيان: ٣/ ٧٠٨.
(٣) البحر المحيط: ٦/ ٥٦.

يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]؛ فـ(التبديل): أن تبدل بخلافه، و(التحويل): أن تحول من محل إلى محل، . . . - إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ -: وأمَّا أهل المكر السيئ والكفار فهي سُنَّة تبديل لا بد لهم من العقوبة لا يبدلون بها غيرها، ولا تتحول عنهم إلى المؤمنين»[1].

● وخلاصة القول: أن التفريق بين (التبديل) و(التحويل) في الآية الكريمة أولى من القول: إنهما بمعنى واحد والجمع بينهما للتأكيد، وما ذكره أهل العلم في الفرق بينهما هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد.

قال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾؛ أي: ولا يحولها؛ بأن ينقُله من المكذِّبين إلى غيرهم»[2].

قال القونوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «ولا يحولها. . .» إلخ؛ فيه إشارة إلى دفع توهُّم التكرار»[3]. والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ الآية الثالثة والثلاثون: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].

(الرَّأفة) و(الرحمة) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة في وصف أتباع نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (الرَّأفة) و(الرحمة) بمعنًى واحد، وجمع بينهما من باب التأكيد بالمرادف:

قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى (الرَّأفة) كمعنى (الرحمة)»[4].

---

(١) رسالة لفظ السُّنَّة في القرآن: ١/ ٥٥، ٥٦.
(٢) أنوار التنزيل: ٤/ ٢٦١. (٣) حاشية القونوي: ١٦/ ٨٥.
(٤) معاني القرآن وإعرابه: ١/ ١٩٣. وينظر: تفسير أسماء الله الحسنى: ٦٢.

وقال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «عند بيانه المراد بـ(الرحمة) في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]. و(الرحمة): قيل هي الصلوات، كررت تأكيدًا لمَّا اختلف اللفظ؛ كقوله: ﴿رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾»[١].

وقال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الرَّأفة) مفسرة بـ(الرحمة) في إطلاق كلام الجمهور من أهل اللغة[٢]، وعليه درج الزجاج»[٣].

الرأي الثاني: التفريق بين (الرأفة) و(الرحمة) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

فجمهور أهل العلم على أن (الرَّأفة) أخص من (الرحمة).

ومما ذكروه على هذا المعنى قولهم:

- **الرَّأفة:** أشدُّ الرحمة[٤].
- **الرَّأفة:** أعلى معاني الرحمة[٥].
- **الرَّأفة:** ألطف الرحمة وأرقُّها[٦].

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٦٢٥.

(٢) ينظر: كتاب العين، مادة: (رأف)، باب الراء والفاء: ٨/ ٢٨٢، والمفردات، مادة: (رأف)، كتاب الراء: ص٢١٦، ولسان العرب، مادة: (رأف): ٩/ ١١٢.

(٣) التحرير والتنوير: ٢/ ٢٥.

(٤) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٥٩، والكشف والبيان: ٢/ ١٠، والنكت والعيون: ١/ ٢٠١، والوجيز للواحدي: ١/ ٣٦، وتفسير القرآن للسمعاني: ٥/ ٣٧٩، ومعالم التنزيل: ١/ ١٢٤، ومدارك التنزيل: ١/ ١٣٤، والدر المصون: ٢/ ١٥٩، واللباب في علوم الكتاب: ٣/ ٢٩، وتفسير الجلالين: ص٢٢، وفتح القدير: ١/ ٢٨٦، وتيسير الكريم الرحمٰن: ٧١.

(٥) ينظر: جامع البيان: ٢/ ١٨، والمحرر الوجيز: ١/ ٢٢١.

(٦) ينظر: مدارج السالكين: ١/ ٥١٨، وتفسير القرآن الكريم، من سورة الحجرات وحتى الحديد: ص٤٢٨.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الراء والهمزة والفاء كلمةٌ واحدة تدلُّ على رِقّة ورحمة، وهي (الرَّأفة)»[(١)].

قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الرَّأفة): هي المنزلة الثانية، يقال: فلان رحيم، فإذا اشتدَّت رحمته فهو رؤوف»[(٢)].

وقال القفَّال[(٣)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفرق بين (الرَّأفة) و(الرحمة): أن (الرَّأفة) مبالغة في رحمة خاصة؛ وهي: دفع المكروه وإزالة الضرر؛ كقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]؛ أي: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما، وأما (الرحمة): فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه الإفضال والإنعام»[(٤)].

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بعد أن نقل قول القفَّال المتقدم ـ: «وهذا أحسن ما قيل فيها»[(٥)].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]: «الرؤوف: مأخوذ من الرَّأفة، وهي أشد الرحمة، وألطف الرحمة، والرحيم: هو ذو الرحمة التي يكون بها الإحسان إلى خلقه، والإنعام عليهم»[(٦)].

وقال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالجمع بين (رؤوف) و(رحيم) في

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: (رأف)، كتاب الراء، باب الراء والهمزة وما يثلثهما: ٢/ ٤٧١.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى: ص٦٢.

(٣) محمد بن علي بن إسماعيل، أبو بكر، القفَّال الكبير، الشاشي، الفقيه الشافعي، إمام عصره بلا مدافعة، كان فقيهًا أصوليًا محدثًا لغويًا، من مصنفاته، «شرح رسالة الشافعي» و«دلائل النبوة»، توفي سنة (٣٦٥هـ).
ينظر: تهذيب الأسماء واللغات: ٢/ ٥٥٦، وسير أعلام النبلاء: ١٦/ ١٨٣.

(٤) نقله عنه الرازي في تفسيره. ينظر: التفسير الكبير: ٤/ ٩٩.

(٥) التحرير والتنوير: ٢/ ٢٥. وينظر: روح المعاني: ٢/ ٧.

(٦) أحكام من القرآن الكريم: ١/ ٣٨١.

الآية، لإفادة أنه تعالى يرحم الرحمة القوية لمستحقّقها، ويرحم مطلق الرحمة مَن دون ذلك»[١].

وبناء على ما تقدم يكون عطف (الرحمة) على (الرَّأفة) في قوله تعالى: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ من باب عطف العامِّ على الخاصِّ.

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: «**(الرَّأفة)**: الرحمة المتعلقة بدفع الأذى والضر، فهي رحمة خاصة، و**(الرحمة)**: العطف والملاينة، فعطف (الرحمة) على (الرأفة) من عطف العام على الخاص؛ لاستيعاب أنواعه بعد أن اهتم ببعضها»[٢].

• **وخلاصة القول**: أن التفريق بين (الرَّأفة) و(الرحمة) في الآية الكريمة أولى من القول: إنهما بمعنى واحد والجمع بينهما للتأكيد، وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. وقاعدة «مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يُعْتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما»[٣]. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الرابعة والثلاثون: قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات: ٦].

(العُذْر) و(النُّذْر) من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة، في بيان أن الملائكة تلقي إلى رسل الله عليهم الصلاة والسلام الذِّكر؛ وهو الوحي الذي أوحاه الله إليهم لأجل الإعذار والإنذار.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢/ ٢٥.
(٢) المصدر السابق: ٢٧/ ٤٢١.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٦٠، وقواعد التفسير: ١/ ٤٧٠.

وفي سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (العذر) و(النذر) بمعنًى واحد:

وهذا الرأي ينسب إلى ثعلب رَحِمَهُ اللَّهُ، قال ابن سيده رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾. فسَّره ثعلب فقال: (العُذْر) و(النُّذْر) واحد»[1].

الرأي الثاني: التفريق بين (العذر) و(النذر) في المعنى:

وعلى هذا الرأي جمهور أهل العلم.

فقوله: ﴿عُذْرًا﴾؛ أي: إقامةً للحجة على الخلق؛ فتقطع أعذارهم فلا يكون لهم حجة على الله[2]، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير هذه الآية: «**(العذر)**: السبب الذي تبطل به المؤاخذة بذنب أو تقصير، فهو بمنزلة الحجة التي يبديها المؤاخَذ بذنب؛ ليظهر أنه بريء مما نسب إليه، أو متأول فيه»[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً)**[4].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المعنى**: أن الله لم يترك للعبد سببًا في الاعتذار يتمسك به، **والحاصل**: أنه لا يُعاقب إلا بعد حجة»[5].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي: ٢/ ٧٦ [ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م].
وينظر: لسان العرب، مادة: (عذر): ٤/ ٥٤٥، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٩٠٤. (٣) التحرير والتنوير: ٩/ ١٥٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، ح برقم (٦١٤٩) ١١١٤.

(٥) فتح الباري: ١١/ ٢٨٨.

وقوله: ﴿نُذْرًا﴾؛ أي: تنذر الناس ما أمامهم من المخاوف[١].

قال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الإنذار): الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف»[٢].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(الإنذار) في لغة العرب التي نزل بها القرآن، هو خصوص الإعلام المقترن بتهديد خاصة وتخويف، فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذارًا؛ لأن (الإنذار): الإعلام المقترن بتخويف وتهديد خاصة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]؛ والمعنى: أنزلنا إليك هذا الكتاب لتخوف به الخلق الذين كذبوه ولم يتبعوه»[٣].

ويدل لهذا أيضًا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

ومما يدل على التفريق بينهما في المعنى قول العرب في أمثالهم: «أعذر من أنذر»[٤].

أي: من أعلمك بالخطأ وبصَّرك بالخطر قبل أن تُقدم عليه وتقع فيه، فقد أوجد لنفسه الحجة عليك في العقاب إذا ركبت المخالفة وأتيت بالعصيان[٥].

وبناء على ما تقدم فإن جمهور أهل العلم فرقوا بين (العُذْر) و(النُذْر)؛ فقوله: ﴿عُذْرًا﴾؛ أي: تقطع أعذارهم، فلا يكون لهم حجة

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن: ص٩٠٤.
(٢) الصحاح، مادة: (نذر)، باب الراء فصل النون: ٢/ ٨٢٥.
(٣) العذب النمير: ٣/ ١٧.
(٤) مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٢/ ٣٦٣ [ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م].
(٥) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ص٧١.

على الله، وقوله: ﴿نُذْرًا﴾؛ أي: تنذر الناس ما أمامهم من المخاوف[(١)].

• **وخلاصة القول:** أن (العُذْر) و(النُّذْر) معنيان مختلفان في البيان، ودلالتهما في الآية الكريمة دلالة مغايرة لا دلالة ترادف وتأكيد[(٢)]، وما ذكر في التفريق بينهما هو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٣/ ٤٣٥، ومعاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٢. وجامع البيان: ٢٩/ ٢٣٢، والنكت والعيون: ٦/ ١٧٧، والوجيز للواحدي: ٢/ ١١٦١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤/ ١٧٠، وتفسير القرآن العظيم: ٤/ ٥٩٠، وتفسير الجلالين: ص٥٨٠، وتيسير الكريم الرحمن: ص٩٠٤، وأضواء البيان: ٦/ ٧٣٣، ٧٣٤.

(٢) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ص٧١.

المَبْحَثُ الثَّانِي

الأسماء المتقاربة المعنى في الآية الواحدة

وتحته مطلبان

- المطلب الأول: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها لتقارب المعنى من غير عطف.
- المطلب الثاني: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بعطف أحد الاسمين المتقاربين في المعنى على الآخر.

المبحث الثاني

الأسماء المتقاربة المعنى في الآية الواحدة

كان الكلام في المبحث السابق عن الأسماء الموهمة بالترادف، وسيكون الكلام في هذا المبحث عن الأسماء المتقاربة المعنى؛ وقد يكون الخلاف لفظيًا في التسمية، **والذي دعا إلى إفراد مبحث الأسماء المتقاربة المعنى أمران:**

الأمر الأول: أن غالب الأسماء التي سأتناولها بالدراسة في هذا المبحث هي من أسماء الله ﷻ الحسنى، وأسماء الله ﷻ لا يقع بينهما الترادف مطلقًا. **كما في القاعدة التي قررها أهل العلم بقولهم:** «أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف».

أعلام: باعتبار دلالتها على الذات، **وأوصاف:** باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

وهي بالاعتبار الأول: مترادفة؛ لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله ﷻ، **وبالاعتبار الثاني:** متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص[1].

وقد عقد الغزالي[2] رحمه الله في كتابه «المقصد الأسنى، في شرح

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، خرَّج أحاديثه وعلق عليه، أشرف بن عبد المقصود: ص٢٤ [مكتبة أضواء السلف، الرياض، مكتبة أصداء المجتمع، بريدة: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م].

(٢) هو: محمد بن محمد الطوسي، أبو حامد الغزالي، حجة الإسلام وأعجوبة الزمان، =

معاني أسماء الله الحسنى» فصلًا بعنوان: «بيان الأسامي المتقاربة في المعنى، وأنها هل يجوز أن تكون مترادفة لا تدل إلا على معنًى واحد أو لا بد أن تختلف مفهوماتها...»، ثم قال في خاتمة الفصل بعد أن ذكر عددًا من أسماء الله الحسنى التي يُظَنُّ أنها بمعنى واحد: «فهذه الأسامي وإن كانت متقاربة المعاني فليست مترادفة، وعلى الجملة يبعد الترادف المحض في الأسماء الداخلة في التسعة والتسعين؛ لأن الأسامي لا تراد لحروفها ومخارج أصواتها بل لمفهوماتها ومعانيها، فهذا أصل لا بد من اعتقاده»(١).

الأمر الثاني: ما يفهم من كلام بعض أهل العلم من التفريق بين مصطلح (الترادف) و(التقارب في المعنى).

قال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ في القسم السابع من أساليب القرآن وفنونه البليغة: «عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى، والقصد منه التأكيد»(٢).

وهذا بعض الباحثين يذكر بأن الرُّمَّاني رَحِمَهُ اللَّهُ يعطف الألفاظ المتقاربة المعنى على المترادفة، وكأنها شيء واحد بقوله: «والذي نجده أن أول من ذكر (الترادف) صراحة هو علي بن عيسى الرُّمَّاني الذي جعله عنوانًا صريحًا لكتابه: (الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى)، ومع ذلك

= صاحب التصانيف والذكاء المفرط، شيخ الشافعية، برع في علوم كثيرة، من مصنفاته: «إحياء علوم الدين» و«البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز» في فقه الشافعية، توفي سنة (٥٠٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٣٢٢.

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي: ص٤٠ [ط١، دار الجفان والجابي، قبرص: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م].

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٧٢.

فالتصريح بذكر (الترادف) مصطلحًا، لا يدل على تمييز دقيق لمعناه؛ لأن الرُّمَّاني يعطف الألفاظ المتقاربة المعنى على المترادفة، وكأنها شيء واحد. والنظر بعد ذلك في الألفاظ التي ذكرها الرُّمَّاني يؤكد غموض المصطلح في أذهان اللغويين القدامى»[(١)].

قلت: قد ذكر محقق كتاب «الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى» منهج الرُّمَّاني رحمه الله بقوله: «إن منهجه في رسالته، هو منهج القدماء، وهو ينبئ عن المراد من (الترادف) عنده وعند القدماء، فالألفاظ لديهم جميعًا ترتب حسب المعاني، وهذا يبين معنى (الترادف)، وهو أن عددًا من الألفاظ المختلفة لفظًا، المتفقة معنى»[(٢)].

ومن الألفاظ التي ذكرها الرُّمَّاني في كتابه: (الإل والذمة)[(٣)]، وقد تقدم دراستهما في الآية الثامنة عشر من المبحث السابق، وهي قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]. مما يدل على أن مصطلح (الترادف) ومصطلح (التقارب) واحد.

وبعض أهل العلم يستبعد إطلاق لفظ (الترادف) على ألفاظ القرآن الكريم، ويعبر بـ(الألفاظ المتقاربة المعنى) بدلًا منه.

قال الخطابي رحمه الله: «إن في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب؛ كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والشح والبخل، والأمر فيها وفي ترتيبها

---

(١) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: ص٣١، ٣٢.

(٢) الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، علي بن عيسى الرُّمَّاني، تحقيق: د. فتح الله صالح علي المصري: ص٣٦، ٣٧ [ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م].

(٣) المصدر السابق: ص٧٣.

عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها»[١].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ومن الأقوال الموجودة عنهم ـ يعني: السلف ـ ويجعلها بعض الناس اختلافًا، أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة؛ فإن الترادف في اللغة قليل، وأمَّا في ألفاظ القرآن، فإمَّا نادر وإمَّا معدوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه؛ بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن»[٢].

• **وخلاصة القول**: أن التعبير بـ(الألفاظ المتقاربة المعنى) أو (المترادفة) قد يكون خلافًا لفظيًا في التسمية فقط. **وشرطي فيما يدخل تحت هذا المبحث نوعان**:

النوع الأول: ما كان من أسماء الله الحسنى التي قيل بوقوع التأكيد بينها؛ ذلك أن الاسمين قد يكون بينهما تقارب في المعنى، أمّا التوكيد بالمرادف فلا يقع بينها مطلقًا، وإن سمَّاه بعض أهل العلم توكيدًا بالمرادف.

النوع الثاني: ما وقفت فيه على نص من أهل العلم بأن الجمع بين الاسمين تأكيدٌ؛ لتقارب معناهما. وذلك في غير أسماء الله الحسنى. والله تعالى أعلم.

ويمكن تقسيم الأسماء المتقاربة في المعنى في هذا المبحث إلى مطلبين:

* **المطلب الأول**: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها لتقارب المعنى من غير عطف.

* **المطلب الثاني**: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها لتقارب المعنى بعطف أحد الاسمين المتقاربين في المعنى على الآخر.

---

(١) بيان إعجاز القرآن: ص٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٣/ ٣٤١.

المطلب الأول

الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها لتقارب المعنى من غير عطف

وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي ثلاث آيات) مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

(الرحمٰن) و(الرحيم) من أسماء الله الحسنى التي قرن الله ﷻ بينهما في آية واحدة، في ستة مواضع من كتاب الله تعالى: **الأول منها:** هذا الموضع، **والموضع الثاني:** قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، **والموضع الثالث:** قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، **والموضع الرابع:** قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، **والموضع الخامس:** قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، **والموضع السادس:** قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

والجمع بين ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في آية واحدة يتضمن تجانسًا لفظيًا بديعًا؛ لأنهما مشتقان من الرحمة، والتجانس بين الكلمات مظهر من مظاهر الائتلاف بين المعاني والألفاظ الذي تميل إليه النفس وتتأثر به(١).

---

(١) أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة، د. صالح بن محمد الزهراني: =

وفي سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (الرحمٰن) و(الرحيم) بمعنًى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا:

قال أبو عبيدة رحمه الله: «﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مجازه: ذو الرحمة، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ مجازه: الراحم، وقد يقدرون اللفظين من لفظ واحدٍ والمعنى واحد، وذلك لاتساع الكلام عندهم، وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا: ندمان ونديم»(١).

وقال النحاس رحمه الله: «قال قطرب: يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد(٢). وهذا قول حسن، وفي التوكيد أعظم الفائدة، وهو كثير في كلام العرب يستغني عن الاستشهاد»(٣).

وقال الزركشي رحمه الله بعد أن ذكر قول قطرب المتقدم: «وكذلك قال ابن فورك، قال: وليس قول من زعم أن (رحيمًا) أبلغ من (رحمٰن) بجيِّد؛ إذ لا فرق بينهما في المبالغة، ولو قيل: فعلان أشد مبالغة كان أولى، ولا وجه لهذا الكلام إلا التوكيد، وإتباع الأول ما هو في معنى الثاني»(٤).

وقال ابن العربي رحمه الله: «والصحيح أنهما بمعنًى واحد للتأكيد؛ كندمان ونديم»(٥).

= ص١٤٥ [مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع ٤، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م].

(١) مجاز القرآن: ١/ ٢١. وينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٤٨.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٥٨.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٥٤.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٥٠٥.

(٥) ينظر: الأمد الأقصى في شرح الأسماء الحسنى والصفات العلى، محمد بن عبد الله المعافري، المعروف بابن العربي: ٢/ق٩٩/ب وق١٠١/أ [مخطوط، المكتبة المركزية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: رقم الحفظ: ١١٩٩/ ٢٠٠١]، =

ومال إليه الزجاج رحمه الله بقوله: «فأما الفائدة في إعادة هاتين اللفظتين (يعني: الرحمٰن الرحيم) مع الاشتقاق واللفظ واحد... ففيه وجه آخر: وهو أنه إنما حسن ذلك لما في التأكيد من التكرير، وقد جاء مثله في القرآن، قال الله عز اسمه: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] ولو قال: فغشيهم ما غشي، لكان الكلام مستقيمًا»[١].

ونسبه أبو المعالي الجويني[٢] رحمه الله إلى المحققين من أهل العلم بقوله: «﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمان مأخوذان من الرحمة، ومعناهما واحد عند المحققين؛ كالندمان والنديم، وإن كان الرحمٰن يختص بالله تعالى، ولا يوصف به غيره»[٣].

واختار هذا الرأي من غير من تقدم ذكرهم: الواحدي، والمنتجب الهمذاني رحمهما الله[٤]. واختاره من أئمة اللغة: الجوهري رحمه الله[٥].

= والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أ. د. محمد حسن جبل وآخرين: ١/ ٧٢ [ط١، دار الصحابة للتراث، طنطا: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م].

(١) تفسير أسماء الله الحسنى: ص٢٩.

(٢) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين؛ إذ جاور بمكة أربع سنين وبالمدينة، شيخ الشافعية في زمانه، المجمع على إمامته، وغزارة مادته، وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك، من مصنفاته: «الإرشاد في أصول الدين» و«البرهان في أصول الفقه» و«غياث الأمم». ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٤٦٨، وطبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ١٦٥.

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي الجويني، تحقيق: أسعد تميم: ص١٣٨ [ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت: ١٤٢٦هـ/ ١٩٩٦م].

(٤) ينظر: الوجيز للواحدي: ١/ ٨٨، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ١/ ٦٧.

(٥) الصحاح، مادة رحم، باب الميم فصل الراء: ٥/ ١٩٢٩.

الرأي الثاني: التفريق بين (الرحمٰن) و(الرحيم) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

وأشهر الأقوال التي ذكرت في معناهما قولان:

القول الأول: أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة.

وهو اختيار: الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]، ونسبه الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أكثر العلماء واختاره[٢].

واستدل لهذا القول بحديث أبي سعيد الخدري[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ قَالَ: الرَّحْمَنُ رَحْمَنُ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، وَالرَّحِيمُ رَحِيمُ الْآخِرَةِ)**[٤].

---

(١) جامع البيان: ١/٥٦.

(٢) أضواء البيان: ١/٤٧، ٤٨ وينظر: الكشف والبيان: ١/٩٩، والنكت والعيون: ١/٥٣، ومعالم التنزيل: ١/٣٨، والمحرر الوجيز: ١/٦٤، وزاد المسير: ١/٩، وتفسير القرآن العظيم: ١/٣٢.

(٣) سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة، الأنصاري، الخزرجي، أبو سعيد الخدري، استشهد أبوه مالك يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخندق، وبيعة الرضوان. وحدث عن النبي ﷺ، فأكثر وأطاب، وعن أبي بكر، وعمر، وطائفة، وكان أحد الفقهاء المجتهدين، توفي سنة: (٧٤هـ)، وقيل غيرها. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣/١٦٨، والإصابة: ٣/٧٨.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١/٥٦ في هذا الموضع بهذا اللفظ، وذكر جزءًا منه في موضع متقدم. ينظر: جامع البيان: ١/٤٩. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا غريب جدًا، وقد يكون صحيحًا إلى من دون رسول الله ﷺ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات. والله أعلم». ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١/٢٨، وقال السيوطي: «سنده ضعيف جدًا». ينظر: الدر المنثور: ١/١٣٨. وعزاه لابن عدي في الكامل، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في تاريخ دمشق، والثعلبي في تفسيره. =

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا صح هذا التفسير وجب المصير إليه»[(١)].

وقد أورد بعض أهل العلم على هذا القول إشكالًا؛ وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣][(٢)]. فلفظ (الناس) يشمل المؤمنين والكفار جميعًا.

وأجاب عنه ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ **بقوله:** «هذه هي الرحمة العامة التي بها يعيش الناس في دنياهم برزق الله من طعام، وشراب، وكسوة، وغيرها؛ وأما الرحمة الخاصة فهي للمؤمنين خاصة؛ وبها يحصل سعادة الدنيا، والآخرة؛ كالعلم والإيمان المثمرَين لطاعة الله، ورسوله»[(٣)].

القول الثاني: أن ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ دال على صفة ذاتية، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ دال على صفة فعلية.

وهذا القول هو اختيار: القرطبي، وابن القيم، وابن عاشور، وابن عثيمين رحمهم الله[(٤)].

وهذا القول أيضًا توجيه من بعض أهل العلم لقول أبي عبيدة رَحِمَهُ اللَّهُ:

= وقال أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في تخريجه لتفسير الطبري: «هذا حديث موضوع لا أصل له». ينظر: جامع البيان: ١/ ١٢١.

(١) البحر المحيط: ١/ ١٢٨.

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد الحمود النجدي: ١/ ٧٨ [ط٣، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت: ١٤٢١هـ].

(٣) تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة): ٢/ ١٢١. وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الواسطية: ٢٨ «فيجتمع من الرحمٰن الرحيم: أن رحمة الله واسعة، وأنها واصلة إلى الخلق، وهذا ما أومأ إليه بعضهم بقوله: (الرحمٰن) رحمة عامة، و(الرحيم) رحمة خاصة بالمؤمنين، ولما كانت رحمة الله للكافر رحمة خاصة في الدنيا فقط فكأنها لا رحمة لهم». اهـ.

(٤) ينظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ص٤٠٦، وبدائع الفوائد: ص٤٢، والتحرير والتنوير: ١/ ١٧٢، وتفسير القرآن الكريم (الفاتحة والبقرة): ١/ ١١، وشرح المنظومة البيقونية: ص٢١.

«﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مجازه: ذو الرحمة، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ مجازه: الراحم»[١].

قال الماوردي رحمه الله: «وفرّق أبو عبيدة بينهما، فقال: بأن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ذو الرحمة، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الراحم»[٢].

وقال القرطبي رحمه الله: «وروي عن أبي عبيدة أنه قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ذو الرحمة، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ هو الراحم. قال ابن الحصَّار[٣]: يشير - والله أعلم - إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ صفة الخالق سبحانه، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ يدل على أفعاله التي يرحم بها عباده، ولله دَرُّه في هذا القول»[٤].

فإن كان مراد أبي عبيدة رحمه الله هذا القول، فيكون قوله موافقًا لهؤلاء الأئمة. والله تعالى أعلم.

قال ابن القيم - بعد أن ذكر قول السهيلي[٥] رحمه الله: إن فائدة الجمع بين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة، وخاصة وعامة -:

قال رحمه الله: «وأما الجمع بين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ففيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما، وهو أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ دال على الصفة

---

(١) مجاز القرآن: ١/ ٢١.
(٢) النكت والعيون: ١/ ٥٣.
(٣) علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم، الفقيه، أبو الحسن الخزرجي، الإشبيلي، ثم الفاسي، المعروف بابن الحصّار، كان إمامًا فاضلًا، كثير التصانيف، بارعًا في أصول الفقه، صنف في أصول الفقه كتابًا، وفي الناسخ والمنسوخ، و«كتاب البيان في تنقيح البرهان» وله «أرجوزةٌ في أصول الدين» شرحها في أربع مجلدات. توفي سنة: (٦١١هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (وفيات: ٦١١ - ٦٢٠): ص٧٨.
(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/ ٧٣.
(٥) عبد الرحمٰن بن عبد الله السهيلي، الأندلسي، كان عالمًا بالعربية واللغة والقراءات، بارعًا في ذلك، جامعًا بين الرواية والدراية، نحويًا متقدمًا، أديبًا، عالمًا بالتفسير وصناعة الحديث، حافظًا للرجال والأنساب، عارفًا بعلم الكلام والأصول، حافظًا للتاريخ، واسع المعرفة، غزير العلم، نبيهًا ذكيًا، من مصنفاته: «الروض الأنف في شرح السيرة» و«الإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام». توفي سنة: (٥٨١هـ). ينظر: بغية الوعاة: ٢/ ٨١.

القائمة به سبحانه، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال أن (الرحمة) صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردتَّ فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجئ قط: رحمٰن بهم، فعلم أن (الرحمٰن) هو الموصوف بالرحمة، و(رحيم) هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورته»[١].

● **وخلاصة القول:** أن التفريق بين (الرحمٰن) و(الرحيم) في المعنى أولى من القول: إنهما بمعنًى واحد، والجمع بينهما للتأكيد. **ويدل لهذا أمران:**

الأمر الأول: أن ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أشد مبالغة من ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾؛ لأن بناء فعلان أشد مبالغة من فعيل.

وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا[٢].

الأمر الثاني: أن التأسيس أولى من التأكيد، **كما نَصَّ على ذلك بعض أهل العلم:**

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ رادًّا قول أبي عبيدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أن (الرحمٰن) و(الرحيم) بمعنًى واحد: «وقد زعم بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل، وقلَّت روايته لأقوال السلف من أهل التفسير، أن (الرحمٰن) مجازه: ذو الرحمة، و(الرحيم) مجازه: الراحم، ثم قال: قد يقدِّرون اللفظين من لفظ والمعنى واحد؛ وذلك لاتساع الكلام عندهم، قال: وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا: ندمان ونديم، فَفَرَّقَ بين معنى (الرحمٰن) و(الرحيم) في التأويل لقوله: (الرحمٰن) ذو الرحمة، و(الرحيم) الراحم،

---

(١) بدائع الفوائد: ص٤٢.

(٢) جامع البيان: ١/ ٥٥. وينظر: تفسير القرآن العظيم: ١/ ٣٢.

وإن كان قد ترك بيان تأويل معنييهما على صحته، ثم مثَّل ذلك باللفظين يأتيان بمعنى واحد، فعاد إلى ما قد جعله بمعنيين فجعله مثال ما هو بمعنى واحد مع اختلاف الألفاظ. ولا شك أن ذا الرحمة هو الذي ثبت أن له الرحمة، وصح أنها له صفة، وأن الراحم هو الموصوف بأنه سيرحم، أو قد رحم فانقضى ذلك منه، أو هو فيه، ولا دلالة له فيه حينئذ أن الرحمة له صفة؛ كالدلالة على أنها له صفة إذا وصفه بأنه ذو الرحمة. فأين معنى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على تأويله من معنى الكلمتين يأتيان مقدرتين من لفظ واحد باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني؟! ولكن القول إذا كان غير أصل معتمد عليه كان واضحًا عواره»[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد زعم بعضهم أن ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أشد مبالغة من ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾؛ لأنه أكِّد به، والتأكيد لا يكون إلا أقوى من المؤكَّد، والجواب: أن هذا ليس من باب التوكيد، وإنما هو من باب النعت بعد النعت، ولا يلزم فيه ما ذكروه»[(٢)].

وقال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقول قطرب: «إنهما بمعنًى واحد» فاسد؛ لأنه لو كان كذلك لتساويا في التقديم والتأخير وهو ممتنع»[(٣)].

وقال ابن بدران رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليس الثاني تأكيدًا للأول»[(٤)].

وقال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتقديم (الرحمٰن) على (الرحيم)؛ لأن الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها. وينسب إلى قطرب[(٥)]: أن (الرحمٰن) و(الرحيم) يدلان على معنى واحد من الصفة المشبهة، فهما متساويان،

---

(١) جامع البيان: ١/ ٥٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٣٣.
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٥٠٦.
(٤) جواهر الأفكار: ص٣٤.
(٥) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٥٨.

وجعل الجمع بينهما في الآية من قبيل التوكيد اللفظي، ومال إليه الزجاج[١]. وهو وجه ضعيف؛ إذ التوكيد خلاف الأصل، **والتأسيس خير من التأكيد**، والمقام هنا بعيد عن مقتضى التوكيد»[٢].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: وهل (الرحيم) بمعنى (الرحمٰن)، أم أنه يختلف؟ قال بعض العلماء: إنه بمعنى (الرحمٰن)، وعلى هذا فيكون مؤكدًا لا كلامًا مستقلًا، ولكن بعض العلماء قال: إن المعنى يختلف؛ ولا يمكن أن نقول: إنه بمعنى (الرحمٰن)؛ لأن الأصل في الكلام **التأسيس لا التوكيد**»[٣]. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وصف الله ﷻ نفسه بأنه (ذو القوة) وأتبعه باسمه (المتين)، وهما يتقاربان في المعنى؛ من حيث إن كلًّا منهما يدل على القوة.

وفي سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (المتين) تأكيد لـ(ذي القوة) لاختلاف اللفظ:

قال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللهُ عن ﴿ٱلْمَتِينُ﴾: «هو تأكيد؛ لأن ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ يفيد فائدته»[٤].

وقال مرةً: «قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾: الشديد الحول، وقيل: هو من التأكيد لاختلاف اللفظ، فالقوي: المتين؛ كقوله: ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧][٥]».

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى: ٢٩.
(٢) التحرير والتنوير: ١/ ١٧٢.
(٣) شرح المنظومة البيقونية: ٢٠، ٢١.
(٤) الدر المصون: ١٠/ ٦٠.
(٥) عمدة الحفاظ، مادة متن، باب الميم فصل الميم والتاء: ٤/ ٦٦.

الرأي الثاني: التفريق بين (المتين) و(ذي القوة) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

فـ ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾؛ **أي:** صاحب القوة التي لا قوة تضادُّها، ولا يعتريها ضعف[1].

و﴿ٱلْمَتِينُ﴾؛ **يعني:** الشديد القوة. **فالمتانة:** شدَّة القوة[2].

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**(المتين):** أصله فعيل من المَتْن الذي هو العضو، ويقال: ماتَنتُه على ذلك الأمر، إذا قاوَيْتَه مُقَاواة، وهو يفيد في حق الله سبحانه التناهي في القوة والقدرة»[3].

وتفسير ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ بالشديد القوة هو الذي اختاره جمهور المفسرين[4].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و**(المتين):** الشديد القوة، الذي لا تنقطع قوته، ولا يلحقه في أفعاله مشقة»[5].

وقال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و**(المتين):** الشديد، وهو هنا وصف لذي القوة؛ **أي:** الشديد القوة»[6].

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**(المتين) في أسماء الله تعالى:** هو القوي الشديد الذي لا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كُلفة ولا تعب، **والمتانة:**

---

(١) تفسير القرآن الكريم من سورة الحجرات إلى سورة الحديد، محمد بن عثيمين: ص١٦٩.

(٢) لسان العرب، مادة متن: ١٣/ ٣٩٨.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى: ص٥٥.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٣/ ٢٨١، وجامع البيان: ٢٧/ ١٣، ومعاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٤٨، وبحر العلوم: ٣/ ٣٣١، وتفسير القرآن للسمعاني: ٥/ ٢٦٥، ومعالم التنزيل: ٤/ ٢٣٦، والكشاف: ٤/ ٤٠٩، وزاد المسير: ٨/ ٤٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ٥٠٨، وأنوار التنزيل: ٥/ ١٥١، ومدارك التنزيل: ٤/ ٢٧٦، ولباب التأويل: ٦/ ٢٤٨، وفتح القدير: ٥/ ١٢٣، وروح المعاني: ٢٧/ ٢٣، والتحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٩، وتفسير القرآن الكريم (الحجرات ـ الحديد) محمد بن عثيمين: ص١٦٩.

(٥) زاد المسير: ٨/ ٤٤.

(٦) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٩.

الشدة والقوة، فهو من حيث إنه بالغ القدرة تامُّها: قوي، ومن حيث إنه شديد القوة: متين»(١).

• **وخلاصة القول**: أن التفريق بين (المتين) و(ذي القوة) في المعنى أولى من القول: إن (المتين) تأكيد لـ(ذي القوة)، وهو الذي تعضده قاعدة **التأسيس أولى من التأكيد**.

قال البيضاوي رحمه الله: «﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾: شديد القوة»(٢).

قال الشهاب الخفاجي رحمه الله: «قوله: «شديد القوة»، فَذِكْره بعد ذكر القوة تأسيس لا تأكيد»(٣).

وقال القونوي رحمه الله: «قوله: «شديد القوة»: معنى المتين، فيكون تأسيسًا لا تأكيدًا»(٤). والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

(الخالق) و(البارئ) من أسماء الله الحسنى المتقاربة المعنى، وقد قرن الله عز وجل بينهما في هذه الآية الكريمة في سياق ذكر بعض أسمائه الحسنى في ختام هذه السورة.

وفي سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (الخالق) و(البارئ) بمعنًى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا:

قال السمعاني رحمه الله: «﴿ٱلْبَارِئُ﴾ قيل: هو في معنى ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾ على طريق التأكيد»(٥).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة متن، باب الميم مع التاء: ص٨٥٥.
(٢) أنوار التنزيل: ٥/ ١٥١.
(٣) عناية القاضي: ٨/ ٦٠٣.
(٤) حاشية القونوي: ١٨/ ٢٣٣.
(٥) تفسير القرآن للسمعاني: ٥/ ٤١٠.

وقال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ٱلْبَارِئُ﴾ بمعنى ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾؛ برأ الله الخلقَ؛ أي: أوجدهم»[(١)].

وقال ابن الأنباري رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ٱلْبَارِئُ﴾ معناه في كلام العرب: الخالق، يقال: برأ الله عباده، يبرَؤُهم، بَرْءًا؛ إذا خلقهم»[(٢)].

الرأي الثاني: التفريق بين (الخالق) و(البارئ) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد:

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بكل منهما، فأقول وبالله التوفيق:

أمّا ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾ فيطلق الخلق في كلام العرب ويراد بها معنيان[(٣)]:

المعنى الأول: الإنشاء على مثال أبدعه لم يُسبق إليه، أحدثه بعد أن لم يكن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثًا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدّره وهيّأه لما يصلح له»[(٤)].

والمعنى الثاني: التقدير: يقال: خلق الأديمَ، يخلُقه، خلقًا: قدَّره

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/ ٢٩٢.
وينظر: زاد المسير: ٨/ ٢٢٨، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤/ ١١١، والبحر المحيط: ١/ ٣٦٢.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٨٣.
وينظر: القاموس المحيط، مادة برأ، باب الهمزة فصل الباء: ص٣٤.

(٣) قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخلق أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء». ينظر: المفردات، مادة خلق، كتاب الخاء: ص١٦٣.

(٤) أضواء البيان: ٦/ ٢٩٦.

لما يريد قبل القطع، وقاسه ليقطعَ منه مَزادَةً[(١)] أو قِرْبةً[(٢)] أو خُفًّا[(٣)].

ومنه قول زهير[(٤)] يمدح مَلِكًا:

وَلأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي[(٥)]

أي: لك قدرة تُمضي وتُنفذ بها ما قدَّرته في نفسك، وغيرك يقدِّر أشياءَ وهو عاجز عن إنفاذها وإمضائها، وبهذا الاعتبار صح إطلاق (خالق) على العبد في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ أي: أحسن المصوِّرين والمقدِّرين، والعرب تقول: قدَّرت الأديم وخلقته؛ إذا قستَه لتقطع منه مَزَادَةً أو قِرْبَةً ونحوها»[(٦)].

ومن إطلاق (الخلق) بمعنى التقدير في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧].

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الله تعالى ذكره: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾؛ أي: تقدِّرونه وتهيِّئونه، ومنه قولهم: حديث مُختلَق؛ يراد أنه قُدِّرَ تقدير الصِّدق وهو كذب»[(٧)].

---

(١) المزادة: الراوية ولا تكون إلا من جِلْدَين تُفأم بثالث بينهما لتتسع. القاموس المحيط، مادة زود، باب الدال فصل الزاي: ص٢٨٦.

(٢) القِرْبَةُ بالكسر: الوَطْبُ من اللبن، وقد تكون للماء، أو هي المخروزة من جانب واحد. القاموس المحيط، مادة قرب، باب الباء فصل القاف: ص١٢٣.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة خلق، باب القاف فصل الخاء: ٤/ ١٤٧٠.

(٤) زهير بن أبي سُلمى، واسم أبي سُلمى: ربيعة بن رياح المزني، من مضر، جاهلي لم يدرك الإسلام، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة.
ينظر: الشعر والشعراء: ص٨٠، والأعلام: ٣/ ٥٢.

(٥) ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: كرم البستاني: ص٤٢ [دار صادر، بيروت، ١٩٥٣م].

(٦) شفاء العليل: ٢/ ٧٩٤، ٧٩٥، وينظر: تفسير أسماء الله الحسنى: ص٣٦، وتفسير القرآن العظيم: ٤/ ٤٣٩.

(٧) تفسير أسماء الله الحسنى: ص٣٦. وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٨٣.

ومن أهل العلم من حمل معنى (الخالق) في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ على كلا المعنيين: الإنشاء على غير مثال سابق، والتقدير للأشياء.

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾؛ أي: مُقَدِّر الأشياء ومخترعها»(١).

وقال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾: المُقَدِّر للأشياء على مقتضى الحكمة، أو مبدع الأشياء من غير أصل ولا احتذاء»(٢).

وجمهور أهل العلم حملوا معنى (الخالق) في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ على المقدر للأشياء على مقتضى حكمته(٣).

وأمّا ﴿ٱلْبَارِئُ﴾؛ فأصله من البَرْءِ: وهو تبرئة الشيء من الشيء، من قولهم: بَرَأْتُ من المرض، وبَرِئْتُ من الدَّين أبرأ منه، فبعض الخلقِ إذا فُصل من بعض، سُمِّي فاعله: بارئًا»(٤).

ولأهل التفسير في معنى ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ قولان:

القول الأول: أنه المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود.

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني: ٥/ ٤١٠. وينظر: النكت والعيون: ٥/ ٥١٤.

(٢) روح المعاني: ٢٨/ ٦٤.

(٣) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى: ص٣٥، وإعراب القرآن للنحاس: ٤/٤٠٧، والمقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: ص٧٥، ومعالم التنزيل: ٤/٣٢٧، والكشاف: ٤/٥٠٩، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٣٩٣، وأنوار التنزيل: ٥/٢٠٣، ومدارك التنزيل: ٤/٣٥٩، والبحر المحيط: ٨/٢٤٩، وشفاء العليل: ٢/ ٧٩٥. وتفسير القرآن العظيم: ٤/٤٣٩، واللباب في علوم الكتاب: ١٨/ ٥٤٤، وإرشاد العقل السليم: ٨/ ٢٣٤، وفتح القدير: ٥/ ٢٧٧.

(٤) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى: ص٣٧، ومقاييس اللغة، مادة برأ، كتاب الباء، باب الباء والراء وما معهما من الثلاثي: ١/ ٢٣٦.

وهو اختيار: جمهور أهل العلم[(١)].

القول الثاني: المميِّز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة.

وهو اختيار: الزمخشري، وأبي حيان رحمهما الله[(٢)].

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ٱلْبَارِئُ﴾ **فيه وجهان: أحدهما**: المميِّز للخلق، ومنه قوله: بَرِئْت منه، إذا تميَّزتَ منه، **والثاني**: المنشئ للخلق»[(٣)].

فهذه هي أقوال أهل العلم في معنى (الخالق) و(البارئ) في الآية الكريمة، وهي تفيد أن معنى (البارئ) غير معنى (الخالق).

فـ ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾ هو المقدِّر قبل الإيجاد.

و﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الموجد من العدم على مقتضى الخلق والتقدير، وليس كلُّ من قدَّر شيئًا أوجده إلا الله.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ المُشَكِّلُ لكل موجود على الصورة التي أوجده عليها، ولم يفرد كل فرد من موجوداته على صورة تختص به إلا الله ﷻ، كما هو موجود في خلق الله للإنسان والحيوان والنبات، كلٌّ في صورة تخصُّه[(٤)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ تفصيل لمعنى اسم (الخالق)»[(٥)].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان: ٩/ ٢٨٨، والمقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: ص٧٥، ومعالم التنزيل: ٤/ ٣٢٧، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٣٩٣، وأنوار التنزيل: ٥/ ٢٠٣، وشفاء العليل: ٢/ ٧٩٥، وتفسير القرآن العظيم: ٤/ ٤٣٩، وتفسير الجلالين: ص٥٤٨، وفتح القدير: ٥/ ٢٧٧.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤/ ٥٠٩، والبحر المحيط: ٨/ ٢٤٩.

(٣) النكت والعيون: ٥/ ٥١٤.

(٤) تتمة أضواء البيان: ٥/ ٣١٤.

(٥) شفاء العليل: ٢/ ٧٥٧.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الخلق**: التقدير، **والبَرْء**: هو الفَرْيُ؛ وهو التنفيذ وإبراز ما قدَّره وقرَّره إلى الوجود، وليس كل من قدَّر شيئًا ورتَّبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله ﷻ... وقوله تعالى: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾؛ أي: الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن، فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار؛ كقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، ولهذا قال ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾؛ أي: الذي يُنفِذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريده»[١].

● **وخلاصة القول**: أن التفريق بين (الخالق) و(البارئ) في الآية الكريمة أولى من القول: إنهما بمعنًى واحد والجمع بينهما للتأكيد، وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد.

قال النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: معنى (البارئ): الخالق؛ وهذا فيه تساهل لضعف من يقوله في العربية، أو على أن يتساهل فيه؛ لأنه قبله (الخالق)»[٢].

وقال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ قد يُظَنُّ أن هذه الأسماء مترادفة، وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع، ولا ينبغي أن يكون كذلك؛ بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى تقدير أولًا، وإلى الإيجاد على وَفْقِ التقدير ثانيًا، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثًا، والله ﷻ خالق من حيث إنه مقدِّر، وبارئ من حيث إنه مخترع موجد، ومصوِّر من حيث إنه مرتِّب صور المخترعات أحسن ترتيب»[٣].

والله تعالى أعلم بكتابه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٤٣٩. وينظر: العذب النمير: ١/ ٩٢.
(٢) إعراب القرآن للنحاس: ٤/ ٤٠٧.
(٣) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: ٧٥.

المطلب الثاني

الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها لتقارب المعنى بعطف أحد الاسمين المتقاربين في المعنى على الآخر

وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي ثلاث آيات) مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧].

(الولي) و(النصير) من أسماء الله الحسنى، المتقاربة في المعنى، وكثيرًا ما يقرن الله ﷻ بينهما في آية واحدة في كتاب الله، ومن أسمائه ﷻ كذلك: (المولى)، ويذكره أهل العلم عند كلامهم على معنى اسم الله ﷻ (الولي)، وذكره الله ﷻ مقرونًا مع اسم (النصير) في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

وفي سر الجمع بين (الولي) و(النصير) في آية واحدة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن في الجمع بين (الولي) و(النصير) في آية واحدة نوعًا من التأكيد؛ لتقارب معناهما:

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله ـ عند تفسير قوله تعالى: «﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] ـ: «وتأكيدُ ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ بعطف ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ الذي هو آيل إلى معناه وإن

اختلف مفهومه، فهو كالتأكيد بالمرادف»[١].

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه يطلق كل منهما على الآخر عند الانفراد، وهذا نظير (الإسلام) و(الإيمان)، و(الفقير) و(المسكين)، و(البر) و(التقوى)، ونحو ذلك من الأسماء التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت[٢].

وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الوَلِيُّ) في أسماء الله تعالى: هو الناصِرُ»[٣].

الرأي الثاني: التفريق بين (النصير) و(الولي) في المعنى:

- **فالولي**: مأخوذ من قولهم: وَلِيتُ أمر فلان؛ **أي**: قمتُ به، ومنه وليّ العهد؛ **أي**: القيّم بما عُهد إليه من أمر المسلمين[٤]، وتطلق الولاية ويراد بها النصرة[٥].

- **والنصير**: مأخوذ من النصر، وأصل النصر في لغة العرب: إعانة المظلوم، وتخليصه بالإعانة من الظلم[٦].

وما ذكره المفسرون في معنى (الولي) و(النصير) لا يخرج عمَّا ذكره أهل اللغة في معناهما:

فالولي: من يجلُب الخير والنفع، **والنصير**: من يدفع الشر والضر.

---

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٦٩٥.

(٢) تفسير آيات الأحكام في سورة النساء، أ. د. سليمان بن إبراهيم اللاحم: ٢/ ٧٥٦ [ط١، دار العاصمة، الرياض: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م].

(٣) لسان العرب، مادة ولي: ١٥/ ٤٠٥.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١/ ٤٨٣، والمفردات، مادة ولى، كتاب الواو: ٥٥٧، والجامع لأحكام القرآن: ٢/ ٣١١.

(٥) ينظر: المفردات، مادة ولى، كتاب الواو: ٥٥٧، ولسان العرب، مادة ولي: ١٥/ ٤٠٥.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة نصر: ٥/ ٢١٠، والعذب النمير: ٥/ ١١.

وهذا المعنى هو الذي تدل عليه أكثر أقوال المفسرين[(١)]:

قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]:

«قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم وينفعكم بما شاء، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ يدفع عنكم مكرهم وشرهم»[(٢)].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾؛ **أي**: يتولى أحوال عباده، ويلطف بهم، في جميع أمورهم وييسِّر لهم ما به سعادتهم وفلاحهم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ ينصرهم على أعدائهم، ويبين لهم ما يحذرون منهم ويعينهم عليهم. فولايته تعالى فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر»[(٣)].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ قوله تعالى: ﴿مِن وَلِيٍّ﴾؛ **أي**: ما من أحد يتولاكم فيجلب لكم الخير ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾؛ **أي**: ولا ناصر يدفع عنكم الشر»[(٤)].

وقال ابن سعدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]: «قوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسر لهم منافعهم الدينية والدنيوية، ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ الذي

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ٧١، وجامع البيان: ١/ ١١٦، ١١٧، وبحر العلوم: ١/ ١٠٩، والوجيز للواحدي: ١/ ١٢٤، وتفسير القرآن للسمعاني: ٢/ ٢٦٥، ومعالم التنزيل: ١/ ١٠٤، وزاد المسير: ١/ ١٣٩، ولباب التأويل: ١/ ٩٥، وروح المعاني: ٥/ ٤٥، وتيسير الكريم الرحمٰن: ١٨١، وتفسير القرآن الكريم (سورة الفاتحة والبقرة): ١/ ٣٥١ و٢/ ٣١.

(٢) روح المعاني: ٥/ ٤٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمٰن: ص١٨١.

(٤) تفسير القرآن الكريم (سورة الفاتحة والبقرة): ١/ ٣٥١.

ينصرهم، فيدفع عنهم كيد الفجّار، وتكالب الأشرار»[١].

• **وخلاصة القول**: أن التفريق بين (الولي) و(النصير)، أو (المولى) و(النصير) إذا اقترنا في آية واحدة، أولى من القول: إنهما بمعنًى واحد، وهو الذي تعضده قاعدة **التأسيس أولى من التأكيد**.

فقد ردَّ ابن العربي رحمه الله قول من فسَّر (المولى) بمعنى (الناصر) بقوله: قال بعض العلماء: «المولى: الناصر، **وهذا ضعيف من وجهين**:

أحدهما: أن أصل مولى وهو وَلِيَ، ليس بمعنى نصر بحال، **والثاني**: أن الله فرَّق بينهما فقال: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]. ولو كانا بمعنًى واحد ما فرق الله بينهما؛ لأن ذلك لا يرد في الكلام الجَزْل الفصيح»[٢]. والله تعالى أعلم بكتابه..

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

(الذنوب) و(الإسراف في الأمر) من الأسماء المتقاربة في المعنى، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة في الإخبار عن قول الرِّبِّيِّين[٣] واستنصارهم لربهم، في تلك المواطن الصعبة عند ملاقاة الأعداء: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾.

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن: ٣٢١.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/٣٠٦.

(٣) وهم الجماعات الكثيرة، عند جماهير السلف والخلف. ينظر: جامع البيان: ١١٧ - ١١٩، والنكت والعيون: ١/٤٢٨، ومجموع الفتاوى: ١/٥٨.

وفي سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أنهما بمعنًى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا لتقارب معناهما:

قال أبو حيان رحمه الله: «و(ذنوبنا) و(إسرافنا) متقاربان من حيث المعنى، فجاء ذلك على سبيل التأكيد»[١].

الرأي الثاني: التفريق بين (الذنوب) و(الإسراف في الأمر) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما قولان لأهل العلم:

القول الأول: أن المراد بـ(الذنوب): الصغائر، **و(الإسراف في الأمر):** الكبائر.

وهذا القول: هو اختيار جمهور المفسرين[٢].

قال الطبري رحمه الله: «وأما (الإسراف) فإنه الإفراط في الشيء، يقال منه: أسرف فلان في هذا الأمر: إذا تجاوز مقداره فأفرط، ومعناه ها هنا: اغفر لنا ذنوبنا؛ الصغار منها، وما أسرفنا فيه منها فتخطَّينا إلى العِظام»[٣].

القول الثاني: أن (الذنوب) تعم كل ما يسمى ذنبًا من صغيرة أو كبيرة، و(الإسراف) في الكبائر خاصة، فهو من عطف الخاص على العام.

وهذا القول هو اختيار: الرازي، والخازن، والشوكاني رحمهم الله[٤].

---

(١) البحر المحيط: ٣/ ٨١. وينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٥٢٢.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ١٩٥، وجامع البيان: ٤/ ١٢٠، وبحر العلوم: ١/ ٢٨٠، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٦٣، ومعالم التنزيل: ١/ ٣٦٠، وزاد المسير: ١/ ٤٧٣، والجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٣٥٤، واللباب في علوم الكتاب: ٥/ ٨١.

(٣) جامع البيان: ٤/ ١٢٠.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٩/ ٤٧٣، ولباب التأويل: ١/ ٤٣٢، وفتح القدير: ١/ ٦٣١.

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الضحاك: (الذنوب) عام، و(الإسراف) في الأمر: أريد به الكبائر خاصة»[١].

وقال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ فدخل فيه كلُّ الذنوب، سواء كانت من الصغائر أو من الكبائر، ثم إنهم خصُّوا الذنوب العظيمة الكبيرة منها بالذكر بعد ذلك لعظمها وعظم عقابها، وهو المراد من قوله: ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾»[٢].

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: الفرق بين (الذنوب) و(الإسراف): أن (الإسراف) تجاوز الحد في فعل ما يجب، و(الذنوب) عام فيه وفي التقصير، فإذًا كل إسراف ذنب، وليس كل ذنب إسرافًا»[٣].

وقال ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله: ﴿اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ فقد قيل: إن (الذنوب) هي الصغائر، و(الإسراف) هو الكبائر، **والتحقيق**: أن **(الذنوب)** اسم جنس، و**(الإسراف)** تعدي الحد ومجاوزة القصد؛ كما في لفظ (الإثم) و(العدوان)، فالذنوب كالإثم، والإسراف كالعدوان، **فالذنوب مثل**: اتباع الهوى بغير هدى من الله، **فهذا كله** ذنب؛ كالذي يرضى لنفسه، ويغضب لنفسه فهو متبع لهواه، **والإسراف** كالذي يغضب لله فيُعاقب بأكثرَ مما أمر الله. والآية في سياق قتال المشركين وما أصابهم يوم أُحد»[٤].

• **وخلاصة القول**: أن التفريق بين (الذنوب) و(الإسراف) في الأمر أولى من القول: إنهما بمعنًى واحد والجمع بينهما للتأكيد لتقارب

(١) المحرر الوجيز: ١/ ٥٢٢.
(٢) التفسير الكبير: ٩/ ٤٧٣. وينظر: التحرير والتنوير: ٤/ ١٢٠.
(٣) تفسير الراغب: ٢/ ٩٠٠.
(٤) مجموع الفتاوى: ١١/ ٦٩٣، ٦٩٤.

المعنى، وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. وكلا القولين على الرأي الثاني يتمشيان مع القاعدة؛ إلا أن القول الثاني: وهو حمل (الذنوب) على العموم، و(الإسراف) على تعدِّي الحد، هو الأقرب من وجهة نظري. والله تعالى أعلم بكتابه.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠].

(العدوان) و(الظلم) من الأسماء المتقاربة المعنى، وقد اجتمعا في هذه الآية الكريمة التي جاءت بعد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

فاسم الإشارة في قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ عائد إلى ما نهي عنه في الآية قبلها من أكل أموال الناس بالباطل، وقتل الأنفس(١).

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ١/٢٢٦، ومعاني القرآن وإعرابه: ٢/٣٦، وأحكام القرآن للجصاص: ٣/١٤١.

وقد وقع خلاف بين أهل العلم في المشار إليه بـ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ فقال عطاء: (ذلك) عائد على القتل؛ لأنه أقرب مذكور، وقالت فرقة: ذلك عائد على أكل المال بالباطل وقتل النفس؛ لأن النهي عنهما جاء متسقًا مسرودًا ثم ورد الوعيد حسب النهي، وقالت فرقة: ذلك عائد على كل ما نهى عنه من القضايا من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾، وقال الطبري: ذلك عائد على ما نهى عنه من آخر وعيد وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩].

ينظر: جامع البيان: ٥/٣٥، ٣٦، وأحكام القرآن للجصاص: ٣/١٤١، والمحرر الوجيز: ٢/٤٢، ٤٣، والتفسير الكبير: ١٠/٥٩، والجامع لأحكام القرآن: ٦/٢٥٩، ٢٦٠.

وفي سر الجمع بينهما في آية واحدة رأيان لأهل العلم:

الرأي الأول: أن (العدوان) و(الظلم) بمعنًى واحد، وجمع بينهما تأكيدًا لتقارب معناهما:

قال الجصاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذكر (الظلم) و(العدوان) مع تقارب معانيهما؛ لأنه يحسن مع اختلاف اللفظ كقول عدي بن زيد:

وَقَـدَّدَتِ الْأَدِيـمَ لِـرَاهِـشَـيْـهِ ... وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا[1]

وقال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ جمع بينهما تأكيدًا لتقارب معناهما»[2].

واختار هذا الرأي: السيوطي، والخطيب الشربيني رحمهما الله[3].

الرأي الثاني: التفريق بين (العدوان) و(الظلم) في المعنى، والجمع بينهما ليس للتأكيد.

وفي المراد بهما أقوال:

القول الأول: أن المراد بالعدوان: أن يعدُوا ما أُمر به، **والظلم:** وضع الشيء في غير موضعه[4].

وأصحاب هذا القول نظروا إلى أصل الكلمتين في اللغة.

فالعدوان: في الأصل مأخوذ من المجاوزة. قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) ديوان عدي بن زيد: ١٨٣. وقد تقدم.

(٢) تفسير القرآن: ١/٣١٧، وينظر: النكت والعيون: ١/ ٤٧٥، والجامع لأحكام القرآن: ٦/٢٥٩، ٢٦٠، واللباب في علوم الكتاب: ٦/٣٤١، وفتح القدير: ١/٧٣٢، وروح المعاني: ٥/١٦.

(٣) ينظر: تفسير الجلالين: ٨٣، والسراج المنير: ١/٣٤٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/٣٦، ومعاني القرآن للنحاس: ٢/٧١، وتفسير القرآن للسمعاني: ١/٤١٩، ومعالم التنزيل: ١/٤١٨، والجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٢٦٠، وفتح القدير: ١/ ٧٣٢.

«العين والدال والحرف المعتل: أصل واحد صحيحٌ يرجع إليه الفروع كلها، وهو يدلُّ على تجاوُزٍ في الشيء، وتقدُّمٍ لما ينبغي أن يُقتصر عليه»[(١)].

والظلم في الأصل: وضع الشيء في غير موضعه.

ومنه قول العرب: ظلَمَ الأرض؛ أي: حفرها في غير موضعها، وظلم السيلُ الأرض: إذا خَدَّد فيها في غير موضع تخديد، والسَّخِيُّ يُظلم: إذا كُلِّف فوق ما في طَوقه، أو طُلب منه ما لا يجده، أو سُئل ما لا يُسأل مثله»[(٢)].

القول الثاني: أن المراد بـ(العدوان): التعدي، و(الظلم): الاستحلال[(٣)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه، متعدِّيًا فيه، ظالمًا في تعاطيه؛ أي: عالمًا بتحريمه، متجاسرًا على انتهاكه»[(٤)].

القول الثالث: أن المراد بـ(العدوان): التعدِّي على الغير بالظلم، و(الظلم) على النفس بتعريضها للعقاب[(٥)].

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إن قيل:** كيف جمع بين (الظلم) و(العدوان)؟ **فالجواب:**

أن يكون (العدوان) إشارة إلى الظلم الذي يتجاوزه الإنسان إلى غيره، وعنى بـ(الظلم) ظلمَ النفس المعنيَّ في قوله: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾

---

(١) مقاييس اللغة، مادة عدو، كتاب العين، باب العين والدال وما يثلثهما: ٤/ ٢٤٩.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة ظلم: ١٢/ ٣٧٣، والقاموس المحيط، مادة ظلم، باب الميم فصل الظاء: ص١١٣٤.

(٣) النكت والعيون: ١/ ٤٧٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٦٢٧.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: ٢/ ٧١، وإرشاد العقل السليم: ٢/ ١٧٠، وروح المعاني: ٥/ ١٦.

[هود: ١٠١]، وهو الإثم المذكور في قوله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، فبيّن أن من جمع بين الأمرين فقد ظلم نفسه، وظلم غيره، هو مستوجب للنار، على هذا يكون المعنيُّ بـ(الظلم) غيرَ المعنيِّ بـ(العدوان)»(١).

فهذه هي الأقوال التي ذكرها المفسرون في معنى (العدوان) و(الظلم) في الآية الكريمة، ولا مانع من حمل (العدوان) و(الظلم) عليها جميعًا.

● **وخلاصة القول**: أن التفريق بين (العدوان) و(الظلم) في الآية الكريمة، أولى من القول: إنَّهما بمعنًى والجمع بينهما للتأكيد، وهو الذي تعضده قاعدة التأسيس أولى من التأكيد. والله تعالى أعلم بكتابه.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير الراغب: ٢/ ١٢٠٧.

[يونس: ١٠١]، وهو الإيمان اللغوي في قوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدق لنا، فقد عُدّي باللام، ويظهر فيه مع تشعب الناس، وعليه يحمل المعنى بـ(الإسلام) في الحديث بـ(الإيمان)»(١).

فيفهم من الأمر الذي تكلمنا فيه معنى (الإيمان) و(الإسلام) بحسب ما ذكر: أن الحقيقة في الآية (الإسلام) و لغيره.

• وخلاصة الفرق: أن الفرق بين (الإيمان) و(الإسلام) في الآية والحديث: أو أن الفرق: أنهما بمعنى واحد بينهما التلازم، وهو الذي تعطيه دلالة التسمية أو أعم القولين. والله تعالى أعلم بالحق.

(١) تفسير [illegible]: ٢/١٢٠٧.

الخاتمة

أحمد الله العلي الكبير الذي مَنَّ عليَّ بإتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه أن ينفع به ويبارك فيه، وهذه بعض النتائج التي توصلت إليها في دراسة هذا الموضوع.

١ ـ عناية العلماء بقاعدة التأسيس أولى من التأكيد في إظهار الفروق اللغوية بين الألفاظ المتشابهة؛ فمن العلماء من يرجح بمضمون القاعدة وإن لم يصرح بلفظها، ومنهم من يَنُصُّ عليها مستشهدًا بها على صحة القول الذي اختاره ورجحه.

٢ ـ هناك طرق معينة، ومسالك محددة، ومناهج واضحة. يتعرف بها ومن خلالها على الفروق اللغوية ومن هذه الطرق: الفرق الذي يعرف من جهة ما تستعمل عليه الكلمتان، والفرق الذي يعرف من جهة صفات المعنيين، والفرق الذي يعرف من جهة اعتبار ما يؤول إليه المعنيان، والفرق الذي يعلم من جهة الحروف التي تعدَّى بها الأفعال، والفرق الذي يعرف من جهة اعتبار النقيض، والفرق الذي يعرف من جهة الاشتقاق، والفرق الذي توجبه صيغة اللفظ، والفرق الذي يعرف من جهة اعتبار أصل اللفظ في اللغة وحقيقته فيها.

٣ ـ أسلوب التوكيد سُنَّة من سنن كلام العرب، وطريقة من طرقها في القول، وجمهور الأمة على وقوع التأكيد في الكتاب والسُّنَّة.

٤ ـ هناك طرق تعبير مختلفة وردت في القرآن الكريم واستخدمها

النحاة والبلاغيون، وهي ما تسمى بأساليب التوكيد في القرآن الكريم، **وهذه الأساليب هي: التوكيد بالأداة، والتوكيد بغير الأداة؛ ويشمل:** التوكيد اللفظي، والتوكيد المعنوي، وتوكيد الفعل بالمصدر، والتوكيد بالحال، والتوكيد بالنعت، والتوكيد بالبدل، والتوكيد بالظرف، والتوكيد بالجملة الاعتراضية، والتوكيد بالمعطوف عطف نسق، والتوكيد بالنداء، والتوكيد بالإضافة.

٥ ـ من فوائد التكرار التوكيد لكنه غير مقصور عليه، فقد يأتي التكرار لغير التوكيد؛ لذا فعلى متدبر القرآن أن يطلب ما وراء ذلك الأسلوب من دقيق المعاني.

٦ ـ وجود الأحرف الزائدة في القرآن مما يصعب إنكاره، والزيادة هنا تشير إلى الوظيفة النحوية للكلمة بالدرجة الأولى، وإلى الدلالة في المرتبة الثانية. فزيادة اللفظ لزيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى. والله تعالى أعلم.

٧ ـ **جاء التوكيد في كتاب الله لأغراض كثيرة منها:** الرد على اعتقاد غير صحيح وادِّعاءٍ باطل، والتكرير لأجل التعجيب، والتوكيد لتقرير المعنى في نفس المخاطَب وتثبيته وإن كانت خالية من كل أثر للإنكار أو الشك، والتوكيد لتحقيق المعنى عند المتكلم، والتوكيد لمواجهة إنكار المخاطب، والتوكيد لإماطة الشبهة لغرابة الخبر وحاجته إلى التقرير والتحقيق، والتوكيد للعناية بالشيء والاهتمام به، والتوكيد للترغيب.

وغير ذلك من الأغراض التي ذكرها المفسرون في طيَّات تفاسيرهم.

٨ ـ تكاد تتفق عبارات العلماء في أن جدوى التأكيد وفائدته هي: أنك إذا كرَّرت فقد قرَّرت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكَّنته في قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجته أو تَوَهَّمْتَ غفلةً أو ذهابًا عما أنت بصدده فأزلته.

٩ ـ لأهل العلم مسلكان في التعبير عن وقوع التأكيد بين ألفاظ القرآن الكريم: المسلك الأول: تفسير اللفظين بمعنى دال على التوكيد دون التنصيص على لفظ (التوكيد)، أو لفظ آخر يدل على التوكيد، **والمسلك الثاني:** ذكر بعض الألفاظ أو الصيغ الدالة على التوكيد، سواء أكان ذلك بالتنصيص على لفظ (التوكيد)، أم بذكر لفظ آخر دال على التوكيد.

١٠ ـ استخدم الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ لفظ (التشديد) بمعنى التأكيد في مواضع من كتابه «معاني القرآن».

١١ ـ من عادة العرب أن يصفوا الشيء بما يشتق منه للمبالغة، وهذا ما أسميته بالتقارب في البناء اللفظي.

١٢ ـ قسم العلماء التوكيد بالمرادف إلى قسمين: توكيد باللفظ المرادف، وتوكيد بعطف المرادف.

١٣ ـ بلغ عدد الآيات التي تناولتها هذه الدراسة أربعًا وستين آية موزعة حسب الفصول، والمباحث، والمطالب التي وردت فيها، **كما هو موضح في الجدول التالي:**

الفصل	عدد الآيات	المبحث	عدد الآيات	المطلب	عدد الآيات
الأول: الأسماء المتشابهة من حيث التماثل في بنائها اللفظي	٩	**الأول:** الأسماء المتوافقة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة	٥	**الأول:** تكرار الاسم بلفظه من غير عطف	٤
				الثاني: تكرار الاسم بلفظه معطوفًا على الاسم الأول	١
		الثاني: الأسماء المتقاربة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة	٤	**الأول:** تكرار الاسم بلفظ مقارب من غير عطف	٣
				الثاني: تكرار الاسم بلفظ مقارب معطوفًا على الاسم الأول	١

الفصل	عدد الآيات	المبحث	عدد الآيات	المطلب	عدد الآيات
الثاني: الأسماء المتشابهة من حيث الاشتراك في أصل المعنى	٥٥	**الأول:** الأسماء الموهمة بالترادف في الآية الواحدة	٤٩	**الأول:** الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها باللفظ المرادف	١٥
				الثاني: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بعطف أحد المترادفين على الآخر	٣٤
		الثاني: الأسماء المتقاربة المعنى في الآية الواحدة	٦	**الأول:** الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها لتقارب المعنى من غير عطف	٣
				الثاني: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بعطف أحد الاسمين المتقاربين في المعنى على الآخر	٣

١٤ ـ من خلال الآيات التي قمت بدراستها فإني توصلت إلى القول بالتأسيس في جميعها.

١٥ ـ من العلماء الذين اعتنوا بالترجيح بقاعدة التأسيس أولى من التأكيد بين الأسماء المتشابهة ونصُّوا عليها كثيرًا في تفاسيرهم: الشهاب الخفاجي، والقونوي، والطاهر ابن عاشور، وابن عثيمين رحمهم الله.

• **وختامًا:** يوصي الباحث بأهمية دراسة الجمل التي قيل بوقع التأكيد بينهما، سواء أكان ذلك في آية واحدة أم في آيتين في سياق واحد، وسواء أكان ذلك بتكرار الجملة، أم بعطف الجملة على جملة أخرى ويذكر العلماء أن هذا العطف للتوكيد.

ومن هذه الجمل: قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الإنفطار: ١٧، ١٨].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩، ١٠].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٧].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات،

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفَهَارِسُ

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فِهْرِسُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

١ ـ **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**، عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، بدون.

٢ ـ **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣ ـ **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. مصطفى ديب البُغا، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٢م.

٤ ـ **الإجماع في التفسير**، محمد بن عبد العزيز الخضيري، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٥ ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لسان الدين ابن الخطيب أبو عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني، تحقيق: د. يوسف علي طويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٦ ـ **أحكام القرآن**، أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٧ ـ **أحكام القرآن**، محمد بن إدريس الشافعي، جمعه: الإمام أحمد بن الحسن البيهقي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٨ ـ **أحكام القرآن**، محمد بن عبد الله المعافري، المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٩ ـ الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تحقيق: د. سيد الجميلي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٠ ـ أحكام من القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، ٢/ ١٩١، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

١١ ـ اختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم، د. صالح بن سليمان الوهيبي، مجلة جامعة الملك سعود، م ١٣، الآداب، ع ١، الرياض، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

١٢ ـ اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعًا ودراسة، د. بدر بن ناصر البدر، ، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٣ ـ الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، بتخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، دار الصديق، الجبيل، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٤ ـ الأدوات النحوية في كتب التفسير، د. محمود أحمد الصغير، ط١، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٥ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي أبو السعود، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٦ ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، ط١، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٧ ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي الجويني، تحقيق: أسعد تميم، ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٨ ـ أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٩ ـ أساليب التوكيد في القرآن الكريم، عبد الرحمٰن المطردي، ط١، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٠ ـ الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، ومحمد بن موسى آل نصر، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢١ ـ أسرار الترادف في القرآن الكريم، د. علي اليمني دردير، دار ابن حنظل، مصر، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٢ ـ أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكِرْمَاني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط٢، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

٢٣ ـ أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، محمد حسين أبو الفتوح، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٤ ـ الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أ. د. محمد حسن جبل وآخرين، ط١، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٥ ـ الاشتقاق، محمد بن السري بن سهل المعروف بابن السراج، تحقيق: محمد صالح التكريتي، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٣م.

٢٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٧ ـ أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي. تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، ط١، عُنيت بنشره: لجنة إحياء المعارف بحيدر آباد الدكن، ودار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٨ ـ أصول (ما) في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية على سورة يس، د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ط١، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٩ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٠ ـ أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة، د. صالح بن محمد الزهراني، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع ٤، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٣١ ـ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، د. عائشة عبد الرحمٰن بنت الشاطئ، ط٣، دار المعارف، القاهرة، بدون.

٣٢ ـ **إعراب القرآن**، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٣ ـ **إعراب القرآن وبيانه**، محيي الدين درويش، ط ٨، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٤ ـ **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٣٥ ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٦ ـ **أعلام النبوة**، علي بن محمد الماوردي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٧ ـ **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط ١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣٨ ـ **أعيان القرن الثالث عشر**، خليل مردم بك، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م.

٣٩ ـ **الأغاني**، علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: علي مهنا، وسمير جابر، ط٢، دار الفكر، بيروت، بدون.

٤٠ ـ **أفراد كلمات القرآن الكريم**، أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق: د. حاتم الضامن، مجلة الحكمة، ع٢٢، بريطانيا، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٤١ ـ **الأفعال المتشابهة في الآية الواحدة بين التأسيس والتأكيد دراسة نظرية تطبيقية**، محمد بن صالح الراشد، إشراف: أ.د. زيد بن عمر العيص، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٢٦هـ.

٤٢ ـ **الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى**، علي بن عيسى الرُّمَّاني، تحقيق: د. فتح الله صالح علي المصري، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٣ ـ **الأمد الأقصى في شرح الأسماء الحسنى والصفات العلى**، محمد بن عبد الله المعافري، المعروف بابن العربي، مخطوط، المكتبة المركزية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، رقم الحفظ، ٢٠٠١/١١٩٩.

٤٤ ـ إملاء ما منَّ به الرحمٰن من وجوه الإعراب والقراءات، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان، بدون.

٤٥ ـ (أن) الزائدة عند النحويين والمفسرين مواضعها ومعناها وأحكامها، أ. د. حسن محمود هنداوي، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع ١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٤٦ ـ إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٧ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمٰن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، بدون.

٤٨ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمٰن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٩ ـ الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، تحقيق: بهيج غزاوي، ط٤، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٠ ـ الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، ط٢، أشرف على طباعته ونشره: إدارة الثقافة والنشر، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٥١ ـ الإيمان، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المعروف بابن تيمية، علق عليها وصححها جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٢ ـ بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بدون.

٥٣ - **البحر المحيط**، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٤ - **البحر المحيط في أصول الفقه**، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: د. محمد محمد تامر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥٥ - **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ.

٥٦ - **البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت، بدون.

٥٧ - **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، بدون.

٥٨ - **البرهان في علوم القرآن**، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

٥٩ - **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون.

٦٠ - **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، بدون.

٦١ - **بلاغة الإطناب في سور المفصل**، راشد بن حمد الكعبي، إشراف: عبد العزيز بن عبد الرحمٰن الشعلان، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٥هـ.

٦٢ - **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد**، عبد الرحمٰن حسن حَبَنَّكَة الميداني، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٦٣ ـ **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، د. محمد محمد أبو موسى، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦٤ ـ **بلاغة النظم في آيات التحية**، أ. د. محمد بن علي الصامل، ط١، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٦٥ ـ **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، ط١، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٠٧هـ.

٦٦ ـ **بواكير التفسير عند الخليل بن أحمد الفراهيدي**، د. هادي عطية مطر الهلالي، مطبعة مكتب الرسالة، بغداد، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٦٧ ـ **البيان في غريب إعراب القرآن**، أبو البركات عبد الرحمٰن بن محمد بن عبيد الله الأنباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م.

٦٨ ـ **بيان وجوه إعجاز القرآن**، حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخَطَّابي، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، بدون.

٦٩ ـ **تاج التراجم في طبقات الحنفية**، زين الدين قاسم بن قطلوبغا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٧٠ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٧١ ـ **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٧٢ ـ **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، عبد الرحمٰن بن حسن الجبرتي، دار الجيل، بيروت، بدون.

٧٣ ـ **تأويل مشكل القرآن**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، بدون.

٧٤ ـ **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، مصر، بدون.

٧٥ ـ **التبيان في أقسام القرآن**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت، بدون.

٧٦ ـ **التبيان في تفسير غريب القرآن**، أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، ط١، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٧٧ ـ **تتمة أضواء البيان (مطبوع في نهاية أضواء البيان)**، عطية بن محمد سالم، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٧٨ ـ **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، دار سُحنون للنشر والتوزيع، تونس، بدون.

٧٩ ـ **الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق**، محمد نور الدين المنجد، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، در الفكر، سوريا، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٨٠ ـ **الترادف في اللغة**، حاكم بن مالك الزيادي، دار الحرية، بغداد، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٨١ ـ **التسهيل لعلوم التنزيل**، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ط١، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٢ ـ **التعبير القرآني**، د. فاضل بن صالح السامرائي، ط٥، دار عمار، عَمَّان، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٨٣ ـ **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمٰن موسى القزقي، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمَّار، الأردن، ١٤٠٥هـ.

٨٤ ـ **تفسير الراغب الأصفهاني من سورة آل عمران وحتى نهاية الآية (١١٢) من سورة النساء**، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشدي، ط١، مدار الوطن، الرياض، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٨٥ ـ **تفسير أسماء الله الحسنى**، إبراهيم بن محمد بن سهل الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ١٩٧٤م.

٨٦ ـ **تفسير الإمام ابن عرفة**، محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: د. حسن المناعي، ط١، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ١٩٨٦م.

٨٧ ـ **التفسير البياني للقرآن الكريم**، د. عائشة عبد الرحمٰن بنت الشاطئ، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٣٩٤هـ.

٨٨ ـ **تفسير الجلالين**، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٨٩ ـ **التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور)**، أ. د. حكمت بشير ياسين، ط١، دار المآثر، المدينة النبوية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٩٠ ـ **تفسير القرآن**، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٩١ ـ **تفسير القرآن**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ.

٩٢ ـ **تفسير القرآن**، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٩٣ ـ **تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار**، محمد رشيد رضا، ط٢، دار المنار، القاهرة، ١٣٣٦هـ ـ ١٩٤٧م.

٩٤ ـ **تفسير القرآن العزيز**، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، ط١، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٩٥ ـ **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي، ط٥، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٩٦ ـ **تفسير القرآن العظيم مسندًا عن الصحابة والتابعين**، عبد الرحمٰن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا. بدون.

٩٧ - **تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)**، محمد بن صالح العثيمين، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩٨ - **تفسير القرآن الكريم (الحجرات - ق - الذاريات - الطور - النجم - القمر - الرحمٰن - الواقعة - الحديد)**، محمد بن صالح العثيمين، ط١، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٩٩ - **تفسير القرآن الكريم (جزء عم)**، محمد بن صالح العثيمين، ط٣، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار الثريا للنشر، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٠٠ - **تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة)**، محمد بن صالح العثيمين، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٣هـ.

١٠١ - **التفسير الكبير**، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٢ - **التفسير الكبير**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. عبد الرحمٰن عميرة، ، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

١٠٣ - **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، د. مساعد بن سليمان الطيار، ط٢، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٧هـ.

١٠٤ - **تفسير المشكل من غريب القرآن**، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٠٥ - **تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ - ١٩٩٧م.

١٠٦ - **تفسير آيات الأحكام في سورة المائدة**، أ. د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٠٧ - **تفسير سفيان الثوري**، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٠٨ - **تفسير غريب القرآن**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، شرح ومراجعة: إبراهيم محمد رمضان، ط١، دار الهلال، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٠٩ ـ **تفسير مجاهد**، مجاهد بن جبر المخزومي، تحقيق: عبد الرحمٰن الطاهر السورتي، المنشورات العلمية، بيروت، ١٩٧٦م.

١١٠ ـ **تفسير مقاتل بن سليمان**، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تحقيق: أحمد فريد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١١١ ـ **تقريب التهذيب**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١١٢ ـ **التكرار في القرآن الكريم**، أحمد جمال العمري، مجلة الجامعة الإسلامية، ع ٣، المدينة المنورة، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

١١٣ ـ **التكرير بين المثير والتأثير**، د. عز الدين علي السيد، ط٢، دار عالم الكتب بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

١١٤ ـ **التمهيد في تخريج الفروع على الأصول**، أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١١٥ ـ **التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز**، علي بن عمر بن حمد السَّكُوني، تحقيق: السيد يوسف أحمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١١٦ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**، يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

١١٧ ـ **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠١م.

١١٨ ـ **التوقيف على مهمات التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ.

١١٩ ـ **التوكيد في القرآن الكريم**، فخر صالح سليمان قداره، إشراف: د. طه الزيني، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغويات، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٢٠ ـ **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٩م.

١٢١ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٢٢ ـ **التيسير في القراءات السبع**، عثمان بن سعيد بن عمرو الداني، تحقيق: أوتو تريزل، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٢٣ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٢٤ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير الطبري، حققه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون.

١٢٥ ـ **الجامع الصحيح**، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٩م.

١٢٦ ـ **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٧ ـ **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ط٢، دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٢٨ ـ **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُّنَّة وآي الفرقان**، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٢٩ ـ **الجامع لشعب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

١٣٠ ـ **الجدول في إعراب القرآن وصرفه**، محمود صافي، مراجعة: لينة الحمصي، ط١، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٣١ ـ جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن سلمان، ط٣، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٣٢ ـ جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٣٣ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. علي حسن ناصر وآخرين، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ.

١٣٤ ـ جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، عبد القادر بن أحمد بن بدران، تحقيق: زهير الشاويش، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٣٥ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمٰن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون.

١٣٦ ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، دار مير محمد كتب خانه، كراتشي، بدون.

١٣٧ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي الشربجي، وقاسم النوري، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٣٨ ـ حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي، مصطفى بن إبراهيم مصلح الدين ابن التمجيد، المطبوعة بهامش حاشية القونوي، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٣٩ ـ حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٤٠ ـ حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، محمد (محيي الدين) بن مصطفى (مصلح الدين) المشتهر بشيخ زاده، مكتبة الحقيقة، اسطنبول، تركيا، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٤١ ـ **الحاوي الكبير**، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٤٢ ـ **حجة القراءات**، عبد الرحمٰن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٤٣ ـ **الحجة في القراءات السبع**، الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، ط٤، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٤٤ ـ **حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، القاسم بن فِيرُّه بن خلف الشاطبي، تحقيق: محمد تميم الزعبي ط٤، دار الهدى للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ١٤١٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٤٥ ـ **حروف الجر الزائدة**، د. رشيدة عبد الحميد اللقاني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٤٦ ـ **حلية البشر في تاريخ القرن الرابع عشر**، عبد الرزاق البيطار، تحقيق: محمد بهجت البيطار، من مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ.

١٤٧ ـ **حياة الحيوان الكبرى**، كمال الدين محمد بن موسى الدميري، تحقيق: أحمد حسن بسج، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٤٨ ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

١٤٩ ـ **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، بدون.

١٥٠ ـ **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخرَّاط، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٥١ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط١، دار هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٥٢ ـ **دراسات جديدة في إعجاز القرآن (مناهج تطبيقية في توظيف اللغة)**، د. عبد العظيم بن إبراهيم المطعني، ط١، مكتبة وهبة القاهرة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٥٣ ـ **درج الدرر في تفسير الآي والسور**، عبد القاهر بن عبد الرحمٰن الجرجاني، تحقيق: وليد بن أحمد الحسين، ط١، صادرة عن مجلة الحكمة، بريطانيا، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

١٥٤ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ذان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الهند، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

١٥٥ ـ **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**، محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ.

١٥٦ ـ **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، ط٢، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ.

١٥٧ ـ **دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني**، محمد ياس خضر الدوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٥٨ ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

١٥٩ ـ **ديوان أبي النجم**، الفضل بن قدامة العجلي، جمعه وشرحه: د. سجيع جميل الجبيلي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٦٠ ـ **ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني**، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٦١ ـ **ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري**، تحقيق: أنور عليان، ومحمد الشوابكة، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٦٢ ـ **ديوان حسَّان بن ثابت الأنصاري**، تحقيق: عبد الله سنده، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٦٣ ـ **ديوان زهير ابن أبي سلمى**، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٥٣م.

١٦٤ ـ **ديوان عدي بن زيد العبادي**، جمع وتحقيق: محمد جبار المعيبد، بدون، شركة دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م.

١٦٥ ـ **ديوان عنترة بن شداد**، اعتنى به: حمدُو طمّاس، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٦٦ ـ **ديوان كُثَيِّر عزة**، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.

١٦٧ ـ **ذيل تذكرة الحفاظ المطبوع مع تذكرة الحفاظ**، محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

١٦٨ ـ **الذيل على طبقات الحنابلة**، عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٦٩ ـ **الرسالة التبوكية (ضمن مجموع الرسائل)**، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عُزير شمس، ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ.

١٧٠ ـ **رسالة لفظ السُّنَّة في القرآن**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (المطبوع ضمن جامع الرسائل)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، دار العطاء، الرياض، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٧١ ـ **الرسل والرسالات**، د. عمر سليمان الأشقر، ط١٠، در النفائس، عمَّان، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٧٢ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

١٧٣ ـ **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيِّم الجوزيَّة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٧٤ ـ **رياض الصالحين**، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٧٥ ـ **زاد المسير في علم التفسير**، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٧٦ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٧٧ ـ **الزاهر في معاني كلمات الناس**، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٧٨ ـ **زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم**، د. هيفاء عثمان عباس فدا، ط١، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٧٩ ـ **السبعة في القراءات**، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٨٠ ـ **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، محمد بن عبد الله بن حميد النجدي، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد ود. عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٨١ ـ **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، خرج آياته وأحاديثه وعلق حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٨٢ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، محمد ناصر الدين، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٨٣ ـ **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، لأبي الفضل محمد خليل بن علي المرادي، ط٣، دار ابن حزم، ودار البشائر، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٨٤ ـ **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بدون.

١٨٥ ـ **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، بدون.

١٨٦ ـ **سنن الدارقطني**، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٨٧ ـ **سنن الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمٰن أبو محمد الدارمي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٨٨ ـ **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٨٩ ـ **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٩٠ ـ **السيرة النبوية**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.

١٩١ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١، دار بن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.

١٩٢ ـ **شرح ابن عقيل على ألفية مالك**، عبد الله بن عقيل العقيلي المصري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٩٣ ـ **شرح الأصول الخمسة**، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تعليق: أحمد الحسين بن أبي هاشم، اعتنى بها: الأستاذ سمير مصطفى رباب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

١٩٤ ـ **شرح الرضي على كافية ابن الحاجب**، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، ط١، دار عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٩٥ ـ **شرح السُّنَّة**، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٩٦ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الرحمٰن بن ناصر البراك، إعداد: عبد الرحمٰن السديس، ط١، دار التدمرية، الرياض، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

١٩٧ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، علي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: د. عبد الله التركي، وشعيب الأرناؤوط، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٩٨ ـ شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، ط١، دار الثريا، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٩٩ ـ شرح الكوكب المنير المسمى بـ«مختصر التحرير»، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي، المعروف بابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٠٠ ـ الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٢٠١ ـ شرح المنظومة البيقونية، محمد بن صالح العثيمين، ٢٢، ٢٣، ط١، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٠٢ ـ شرح جمل الزجاجي، علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، بدون.

٢٠٣ ـ شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط١١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٢٠٤ ـ شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

٢٠٥ ـ الشعر والشعراء، لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: د. عمر الطباع، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٠٦ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، وبحاشيته: مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا، لأحمد بن محمد بن محمد الشمني، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٢٠٧ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. أحمد بن صالح الصمعاني، ود. علي بن محمد العجلان، ط١، دار الصميعي، الرياض، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٢٠٨ ـ الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٠٩ ـ **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢١٠ ـ **صحيح سنن الترمذي**، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢١١ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري، ط١، دار المغني، دار ابن حزم، الرياض، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢١٢ ـ **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، ط٣، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٢١٣ ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي، مكتبة الحياة، بيروت، بدون.

٢١٤ ـ **طبقات الشافعية**، أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبه، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢١٥ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السُبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٣هـ.

٢١٦ ـ **الطبقات الكبير**، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: د. علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٢١٧ ـ **طبقات المفسرين**، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢١٨ ـ **طبقات المفسرين**، عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

٢١٩ ـ **طبقات المفسرين**، محمد بن علي بن أحمد الداوودي، ضبطه ووضع حواشيه: عبد السلام عبد المعين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٢٠ ـ **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٢٢١ ـ **عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك**، المطبوع حاشية على كتاب: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٢٢ ـ **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، محمد عثمان الخشت، ط٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٢٣ ـ **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: د. خالد بن عثمان السبت، ط٢، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٢٤ ـ **العلم والفقه والمعرفة فقه دلالتها واستعمالها في القرآن الكريم**، محمود موسى حمدان، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٢٥ ـ **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٢٦ ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

٢٢٧ ـ **عناية القاضي وكفاية الراضي**، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٢٨ ـ **العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، بدون.

٢٢٩ ـ **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**. محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٣٠ ـ **غاية النهاية في طبقات القراء**، محمد بن محمد الجزري، عني بنشره: برجستراسر، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٣١ ـ **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٣٢ ـ **غريب القرآن**، محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٣٣ ـ **الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم**، محمد بن عبد الرحمٰن الشايع، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ.

٢٣٤ ـ **الفصول المفيدة في الواو المزيدة**، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيلكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي الشافعي، تحقيق: د. حسن موسى الشاعر، ط١، دار البشير، عَمَّان، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٣٥ ـ **فقه اللغة وأسرار العربية**، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، بدون.

٢٣٦ ـ **الفوائد**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٢٣٧ ـ **فوات الوفيات**، محمد بن شاكر بن أحمد الكُتبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٣٨ ـ **القاعدة الكلية إعمال الكلام أولى من إهماله وأثرها في الأصول**، محمود مصطفى عبود هرموش، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٣٩ ـ **القاموس المحيط**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٤٠ ـ **القطع والإئتناف**، أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بن إبراهيم المطرودي، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٤١ ـ **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ**، عبد الرحمٰن حسن حبنكة الميداني، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٤٢ ـ **قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية**، حسين بن علي بن حسين الحربي، ط١، دار القاسم، الرياض، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٤٣ ـ **قواعد التفسير جمعًا ودراسة**، خالد بن عثمان السبت، ط١، دار ابن عفان، القاهرة، دار ابن القيم، الرياض، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٤٤ ـ **القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن**، عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، اعتنى به: خالد بن عثمان السبت، ط٢، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٤٥ ـ **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، محمد بن صالح العثيمين، خرَّج أحاديثه وعلق عليه: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، مكتبة أصداء المجتمع، بريدة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٤٦ ـ **القول المفيد على كتاب التوحيد**، محمد بن صالح العثيمين، ط٤، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ.

٢٤٧ ـ **الكتاب**، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، بدون.

٢٤٨ ـ **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد**، المنتجب بن أبي العز بن رشيد الهمذاني، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، ط١، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٤٩ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

٢٥٠ ـ **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط١، من مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٢٥١ ـ **الكشف والبيان**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٥٢ ـ **الكليات**، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٥٣ ـ **كليات الألفاظ في التفسير دراسة نظرية تطبيقية**، بريك بن سعيد القرني، ط١، مركز عالم الطباعة، ١٤٢٦هـ.

٢٥٤ ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٥٥ ـ **اللباب في علوم الكتاب**، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٥٦ ـ **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١، دار صادر، بيروت، بدون.

٢٥٧ ـ **لسان الميزان**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، ط٣، دار الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٥٨ ـ **الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات**، الشمس السلفي الأفغاني، ط٢، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٥٩ ـ **المبسوط**، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق: محمد بن حسن إسماعيل الشافعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٦٠ ـ **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية**، د. صالح بن عبد الله الشثري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٦١ ـ **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٦٢ ـ **مجاز القرآن**، معمر بن المثنى التميمي، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٦٣ ـ **المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم**، أ. د. أحمد بن محمد الخرَّاط، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٦٤ ـ **مجمع الأمثال**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٦٥ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي، وابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٦٦ ـ **المجموع شرح المهذب**، يحيى بن شرف النووي، حققه وعلق عليه وأكمله بعد نقصانه: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، بدون.

٢٦٧ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٦٨ ـ **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٦٩ ـ **المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها**، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٧٠ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٧١ ـ **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة**، د. خالد بن سليمان المزيني، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٧٢ ـ **المحصول في علم الأصول**، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: طه جابر فياض، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض، ١٤٠٠هـ.

٢٧٣ ـ **المحكم والمحيط الأعظم**، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٧٤ ـ **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٧٥ ـ **المخصص**، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٧٦ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٢٧٧ ـ **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٧٨ ـ **المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى**، أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بالحدادي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، دمشق، دار العلوم، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٧٩ ـ **مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر**، محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ.

٢٨٠ ـ **المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير عرض ونقد**، صالح بن غرم الله الغامدي، ط١، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٨١ ـ **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٨٢ ـ **المسند**، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٨٣ ـ **مسند الطيالسي**، أبو داود سليمان بن داود الطيالسي، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، ط١، دار هجر، مصر، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٨٤ ـ **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ط١، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٢٨٥ ـ **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٨٦ ـ **مشكل إعراب القرآن**، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٨٧ ـ **مشكل القرآن الكريم**، عبد الله بن حمد المنصور، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٦هـ.

٢٨٨ ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون.

٢٨٩ ـ **المصنف**، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللَّحيدان، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٩٠ ـ **معالم التنزيل**، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمٰن العك، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٩١ ـ **معاني القرآن**، أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

٢٩٢ ـ **معاني القرآن**، سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش الأوسط، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٩٣ ـ **معاني القرآن**، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ود. علي النجدي ناصف، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، مصر، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٩٤ ـ **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن محمد بن سهل الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٩٥ ـ **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

٢٩٦ ـ **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٩٧ ـ **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، اعتنى به وجمعه وأخرجه: مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٩٨ ـ **معرفة القرآء الكبار على الطبقات والأعصار**، محمد بن عثمان بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عوَّاد معروف وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٩٩ ـ **المغني**، عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٥، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٠٠ ـ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٠١ ـ **المفردات في غريب القرآن**، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣٠٢ ـ **المفصل في صنعة الإعراب**، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: د. علي بو ملحم، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٠٣ ـ **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٠٤ ـ **المقدمات الأساسية في علوم القرآن**، د. عبد الله بن يوسف الجديع، ط١، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٠٥ ـ **المقرب**، علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور، تحقيق: أحمد الجواري، وعبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٣٠٦ ـ **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، دار الجفان والجابي، قبرص، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٠٧ ـ **المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء**، زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: شريف أبو العلاء العذوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٠٨ ـ **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٣٠٩ ـ **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم**، د. محمد الأمين الخضري، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٣١٠ ـ **المنتخب من غريب كلام العرب**، علي بن الحسن بن حسين الهنائي، تحقيق: د. يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣١١ ـ **منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل المطبوع بحاشية: شرح ابن عقيل**، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣١٢ ـ **منحة الكريم الوهاب في تفسير آيات الأحكام في سورة الأحزاب**، أ. د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣١٣ ـ **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٦، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣١٤ ـ **موسوعة القواعد الفقهية**، محمد صدقي بن أحمد البورنو أبو الحارث الغزي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣١٥ ـ **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم**، وليد بن أحمد الحسين الزبيري وآخرون، ط١، صادرة عن مجلة الحكمة، بريطانيا، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣١٦ ـ **الموطأ**، مالك بن أنس الأصبحي ـ رواية يحيى بن يحيى الليثي ـ تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٣١٧ ـ **النبوات**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: أبو صهيب الرومي، وعصام الحرستاني، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٣١٨ ـ **نزهة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر**، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣١٩ ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٢٠ ـ **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، جلال الدين السيوطي، تحقيق: المكتبة العلمية، بيروت، بدون.

٣٢١ ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، أحمد بن محمد المقَّري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

٣٢٢ ـ **النكت والعيون**، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٣٢٣ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، إشراف: علي حسن عبد الحميد الحلبي، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ.

٣٢٤ ـ **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**، محمد الحمود النجدي، ط٣، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ١٤٢١هـ.

٣٢٥ ـ **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية، مصر، بدون.

٣٢٦ ـ **الوابل الصيِّب من الكلم الطيب**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد الرحمٰن عوض، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٢٧ ـ **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣٢٨ ـ **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٢٩ ـ **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٣٠ ـ **الوفيات**، محمد بن رافع السَّلامي أبو المعالي، تحقيق: صالح مهدي عباس، د. بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٣٣١ ـ **الياقوت والمرجان في إعراب القرآن**، محمد نوري بن محمد بارتجي، ط١، دار الأعلام، عَمّان، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

فِهرِسُ المَوْضُوعَات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
○ مشكلة البحث	٩
○ حدود البحث	٩
○ أهمية البحث وأسباب اختياره	٩
○ الدراسات السابقة	١٠
○ أهداف البحث	١٤
○ أسئلة البحث	١٥
○ منهج البحث	١٥
○ خطة البحث	١٥
○ إجراءات البحث	١٧
التمهيد: دراسة نظرية لقاعدة التأسيس أولى من التأكيد:	٢٣
○ **أولًا**: المعنى العام للقاعدة وبيان مفرداتها	٢٤
○ أ ـ المعنى العام للقاعدة	٢٤
○ ب ـ بيان مفردات القاعدة	٢٤
○ **ثانيًا**: صيغ القاعدة	٢٧
○ **ثالثًا**: أدلة القاعدة وأقوال العلماء في اعتمادها	٣٣
○ أ ـ أدلة القاعدة	٣٣
○ ب ـ أقوال العلماء في اعتمادها	٣٩

الموضوع | الصفحة

○ رابعًا: مسالك معرفة الفروق بين الألفاظ المتشابهة ٥٦
○ خامسًا: التوكيد في القرآن الكريم ٦٤
○ أ ـ وقوعه ٦٤
○ ب ـ أساليب التوكيد في القرآن الكريم ٦٧
○ أولًا: التوكيد بالأداة ٦٨
○ أ ـ توكيد الجملة الاسمية بالأدوات الخاصة بها ٦٨
○ ب ـ توكيد الجملة الفعلية بالأدوات الخاصة بها ٧٤
○ ج ـ التوكيد بالأدوات الأخرى ٧٨
○ ثانيًا: التوكيد بغير الأداة ٩٦
○ أ ـ التوكيد اللفظي ٩٦
○ ب ـ التوكيد المعنوي ٩٩
○ ج ـ توكيد الفعل بالمصدر (المفعول المطلق) ١٠٠
○ د ـ التوكيد بالحال ١٠٠
○ هـ ـ التوكيد بالنعت (الوصف) ١٠٢
○ و ـ التوكيد بالبدل ١٠٢
○ ز ـ التوكيد بالظرف ١٠٣
○ ح ـ التوكيد بالجملة الاعتراضية ١٠٤
○ ط ـ التوكيد بالمعطوف عطف نسق ١٠٦
○ ي ـ التوكيد بالنداء ١٠٩
○ ك ـ التوكيد بالإضافة ١٠٩
○ ج ـ أغراض التوكيد ودواعيه في القرآن الكريم ١١١
○ د ـ فوائد التأكيد ١١٦
○ هـ ـ طرق العلماء في التعبير عن التوكيد ١١٨

الموضوع | الصفحة

الفصل الأول
الأسماء المتشابهة من حيث التماثل في بنائها اللفظي، وتحته مبحثان ١٣١

المبحث الأول: الأسماء المتوافقة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة، وتحته مطلبان: ١٣٣

o المطلب الأول: تكرار الاسم بلفظه من غير عطف: وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي أربع آيات)، مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم: ١٣٤

o الآية الأولى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠] ١٣٦

o الآية الثانية قوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٦] ١٤٤

o الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] ١٤٨

o الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ١٥٢

o المطلب الثاني: تكرار الاسم بلفظه معطوفًا على الاسم الأول: وفيه آية واحدة هي: ١٥٦

o قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦] ١٥٦

المبحث الثاني: الأسماء المتقاربة في بنائها اللفظي في الآية الواحدة، وتحته مطلبان: ١٦٥

o المطلب الأول: تكرار الاسم بلفظ مقارب من غير عطف: وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي ثلاث آيات) مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم: ١٦٨

o الآية الأولى قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤] ١٦٨

o الآية الثانية قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠] ١٧٣

الموضوع **الصفحة**

○ الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣] ١٧٧

○ المطلب الثاني: تكرار الاسم بلفظ مقارب معطوفًا على الاسم الأول: وفيه آية واحدة هي: ١٨٣

○ قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [الأحزاب: ٧] ١٨٣

الفصل الثاني

الأسماء المتشابهة من حيث الاشتراك في أصل المعنى، وتحته مبحثان ١٩١

المبحث الأول: الأسماء الموهمة بالترادف في الآية الواحدة: ١٩٣

○ **المطلب الأول:** الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها باللفظ المرادف من غير عطف: ١٩٨

وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي خمس عشرة آية)، مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم: ١٩٨

○ الآية الأولى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] ١٩٨

○ الآية الثانية قوله تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦] ٢٠٨

○ الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ٢١١

○ الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ [النساء: ٤] ٢١٩

○ الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣] ٢٢٦

الموضوع | الصفحة

○ الآية السادسة قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ٢٣١

○ الآية السابعة قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ [الأعراف: ١٥٠] ٢٣٧

○ الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦] ٢٤٥

○ الآية التاسعة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١] ٢٥٠

○ الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨] ٢٥٧

○ الآية الحادية عشر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤] ٢٦٢

○ الآية الثانية عشر قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: ٥] ٢٦٧

○ الآية الثالثة عشر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] ٢٧١

○ الآية الرابعة عشر قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩] ٢٧٦

○ الآية الخامسة عشر قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] ٢٨١

○ المطلب الثاني: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بعطف أحد المترادفين على الآخر: وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي أربع وثلاثون آية) مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم: ٢٨٩

الموضوع | الصفحة

○ الآية الأولى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] ٢٨٩

○ الآية الثانية قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] ٣٠١

○ الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] ٣٠٩

○ الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧] ٣١٤

○ الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] ٣٢٢

○ الآية السادسة قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] ٣٢٩

○ الآية السابعة قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] ٣٣٦

○ الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١] ٣٤١

○ الآية التاسعة قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤] ٣٤٦

○ الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١] ٣٥٤

○ الآية الحادية عشر قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥] ٣٦٣

الموضوع الصفحة

○ الآية الثانية عشر قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢] ٣٧٢

○ الآية الثالثة عشر قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢] ٣٧٨

○ الآية الرابعة عشر قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤] ٣٨٦

○ الآية الخامسة عشر قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤] ٣٩٦

○ الآية السادسة عشر قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨] ... ٤٠٣

○ الآية السابعة عشر قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] ٤١٤

○ الآية الثامنة عشر قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ﴾ [التوبة: ٨] ٤٢٤

○ الآية التاسعة عشر قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] ٤٣٢

○ الآية العشرون قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨] ٤٣٥

○ الآية الحادية والعشرون قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦] ٤٤٠

الموضوع | الصفحة

○ الآية الثانية والعشرون قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠] ٤٤٥

○ الآية الثالثة والعشرون قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧] ٤٥٢

○ الآية الرابعة والعشرون قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] ٤٥٨

○ الآية الخامسة والعشرون قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢] ٤٦٣

○ الآية السادسة والعشرون قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] ٤٧٧

○ الآية السابعة والعشرون قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦] ٤٨١

○ الآية الثامنة والعشرون قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥] ٤٨٧

○ الآية التاسعة والعشرون قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠] ٤٩٣

○ الآية الثلاثون قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] ٥٠٠

○ الآية الحادية والثلاثون قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥] ٥٠٤

○ الآية الثانية والثلاثون قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] ٥٠٨

الموضوع | الصفحة

○ الآية الثالثة والثلاثون قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧] ٥١٢

○ الآية الرابعة والثلاثون قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات: ٦] .. ٥١٥

المبحث الثاني: الأسماء المتقاربة المعنى في الآية الواحدة: ٥١٩

○ **المطلب الأول**: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها لتقارب المعنى من غير عطف: وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي ثلاث آيات) مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم: ٥٢٤

○ الآية الأولى قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] ٥٢٤

○ الآية الثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] ٥٣٢

○ الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤] ٥٣٤

○ **المطلب الثاني**: الأسماء التي قيل بوقوع التأكيد بينها بعطف أحد الاسمين المتقاربين في المعنى على الآخر: وفيه دراسة للآيات التي وردت فيها هذه الأسماء (وهي ثلاث آيات) مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم: ٥٤٠

○ الآية الأولى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧] ٥٤٠

○ الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧] ٥٤٣

الموضوع | الصفحة

○ الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠] ٥٤٦

الخاتمة ٥٥١

○ **فهرس المصادر والمراجع** ٥٦١

○ **فهرس الموضوعات** ٥٩٣